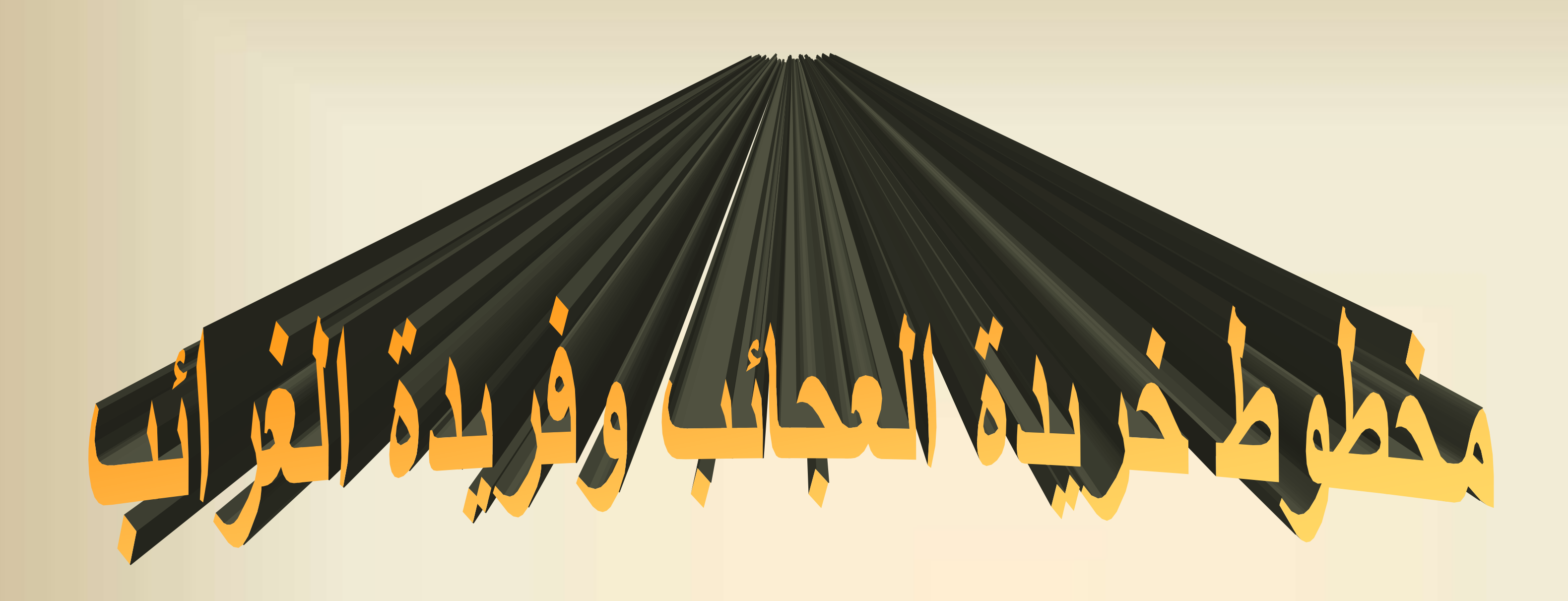
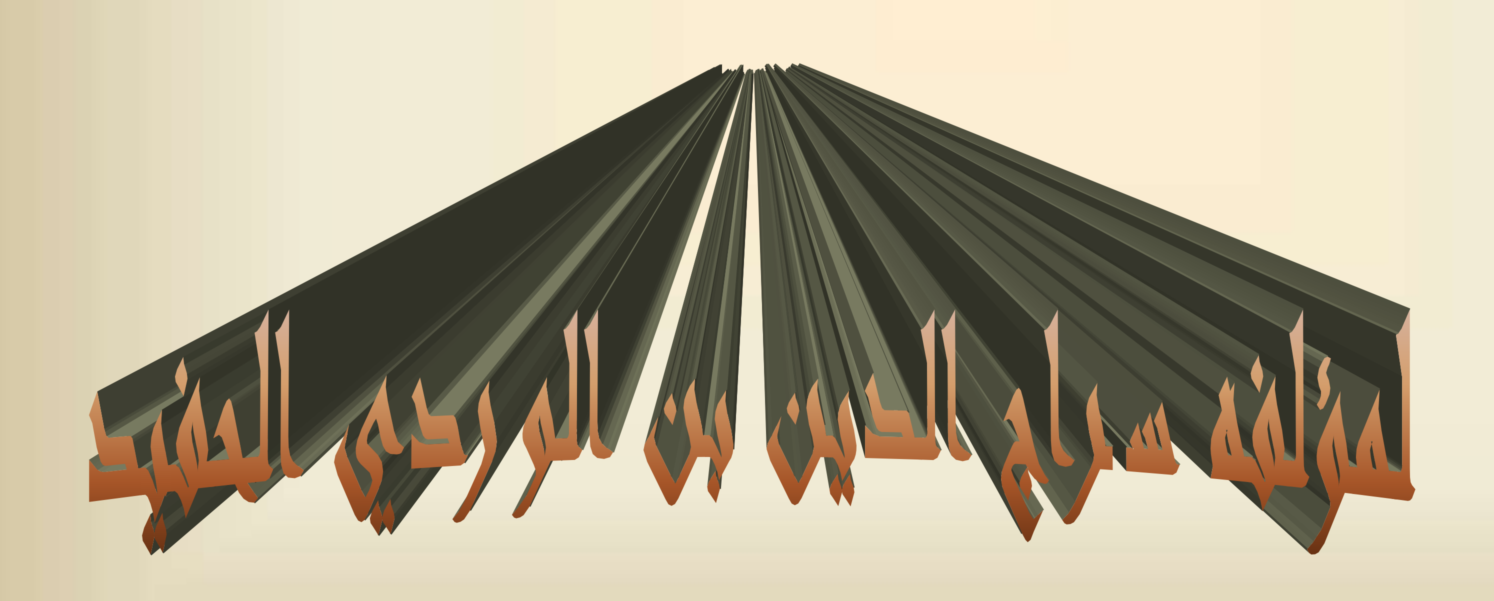

مخطوط خريدة العجائب وفريدة الغرائب


لمؤلفه سراج الدين بن الوردي الحفيد

فهرست مخطوط خريدة العجائب وفريدة الغرائب

تمت الفهرست

هذا كتاب خريدة العجايب وفريدة الغرايب الجامع لما هو لطرف الدّهر خوَر ولجيد الزمان عقد درر لمؤلفة العلامة سراج الدين أبي حفص عمر ابن الوردي تغمده الله برحمته آمين [1]

قل لايعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله.

الحمد لله غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب عالم الغيب راحم الشيب منزل الكتاب ساتر الغيب كاشف الريب مذلل الصعاب مغيث الملهوف دافع الصروف رب الأرباب خالق الخلق باسط الرزق مسبب الأسباب مالك الملك مسخر الفلك مسير السحاب رافع السبع الطّباق مخيّمة على الآفاق تخييم القباب ساطح الغبراء على متن الماء ممسكه بحكمته عن الاضطراب منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم يوم الحشر والمآب.

أحمده وهو المحمود بكل لسان ناطق وأشكره وهو المشكور في المغارب والمشارق وأشهد أن لاإله الا الله وحده لا شريك له شهادة ركن الإيمان أركانها وشيّد الإيمان بنيانها ومهد الاذعان اوطانها واكد البرهان ادمانها وأشهد أنّ سيدنا محمداً عبده ورسوله المستولي على شانيه بشانه ونبيه المفضّل بمعاني علومه وبدائع بيانه ورسوله الصّادع بدليله وبرهانه القائل زويت لي مشارق الأرض ومغاربها كشفاً واطلاعاً بسره وعيانه صلى الله عليه وعلى آله وأنصاره وأعوانه صلاة تبلغ من آمن به غاية آمنة وأمانة تسكن بروعته في الدّارين بعفو الله وغفرانه وسلم تسليماً كثيراً وبعد،

فإن خالق الخلق والبرية ومن له الارادة والمشيئة قد ميز الملوك والرعاة عمن دونهم من الرعيّة فلذلك قد خصّوا بالهمم العليّة والأخلاق السّامية الزكية ورغبوا في الاطلاع على الأمور الغامضة الخفيّة ليكونوا فيما ندبوا له من الاسترعاء على بيضاء نقيّة ويحصلوا من أخبار العالم على الأشياء الصادقة الجليّة فحينئذ أشار الفقير الخامل الحقير من إشارته الكريمة محمولة بالطاعة على الرؤوس وسفارته المستقيمة بين الامام الأعظم [2] والسّواد الأعظم قد سطرت في التواريخ والطروس وهوالمقر الاشرف العالي المولوي الأميني الناصحي السيدي المالكي المخدومي السيفي شاهين المؤيدي مولانا نائب السلطنة الشريفة المنصورة الجلية أعز الله أنصاره ورفع درجته وأعلى مناره أن أضع له دائرة مشتملة على دائرة الأرض صغيرة توضح ما اشتملت عليه من الطول والعرض والرفع والخفض ظناً منه أحسن الله إليه أني أقوم بهذا الصّعب الخطير ولا والله لست بذلك والفقير في دائرة هذا العالم احقر حقير فأنشدتُ:-" إنّ المقادير إذا ساعدت الحقت العاجز بالحازم".

وتوسلت إلى رب الأرباب ومذلل الصعاب وابتهلت ابتهال المستغيث المصاب ففتح سبحانه من فيضان لطفه بأحسن باب وسهّل بامتنان عطفه ذلك الصعب المهاب ويسرّ برأفته ما لم يخطر في بال وحساب فنهضتُ مبادراً إلى السجود شاكراً لذي الإنعام والجود ثم أقبلتُ على مطالعة كتب حكماء الأنام وتصانيف علماء الهيئة الأعلام كشرح التذكرة لنصر الدين الطوسي وجغرافياء البطليموس وتقويم البلاد للبلخي ومروج الذهب للمسعودي وعجائب المخلوقات لابن الاثير الجزري والمسالك والممالك للمراكشي وكتاب الابتداء وغيرها من الكتب المعينة على تحصيل المطلوب ومعلوم أنّ الكتب الموضوعة بين الناس في هذا الغرض لا تخلو من

---

[1] – نهاية الفهرس ونهاية صفحة ١ من المخطوط

[2] – نهاية صفحة ٢ من المخطوط

خلل والتباس فإن ذلك أمر موهوم لكنه وهمٌ حسن وكما قيل بين اليقين والوهم نون كما بين اليقظة والوسن والله سبحانه هو المتجاوز عن الخطأ والخلل والخطل والموفق لصالح القول والعمل وقد وضعتُ دائرة مستعيناً بالله تعالى على صورة شكل الأرض في الطول والعرض بأقاليمها وجهاتها وبلدانها وصفاتها وعرضها وهيئاتها وأقطارها وممالكها وطرقها ومسالكها ومفاوزها ومهالكها وعامرها غامرها وجبالها ورمالها وعجايبها وغرايبها وموضع كل مملكةٍ وإقليم من الأخرى وذكر ما بينهما من المتالف والمعاطب براً وبحراً وذكر الأمم المنقسمة في الجهات والاقطار طراً وسد ذي القرنين في سالف الأحقاب على يأجوج ومأجوج كما جاء في نص الكتاب وسميّتهُ خريدة العجايب وفريدة الغرايب وبالله سبحانه الاعتصام وهو حسبي على الدوام ومنه أسأل السداد والتوفيق فإنه أهل الإجابة والتحقيق وهذه صورة الأرض المذكورة[3]

وهذه رسالة لطيفة باهرة كالشرح في توضيح ما في الدائرة تبيّن للناظر فيها أحوال الجبال والجهات والبحار والفالوات وما اشتملت عليه من المهالك مستوعباً فيها لذلك نبدأ إن شاء الله تعالى.

ولنشرع أولاً في ذكر جبل قاف قد ذكر الله عزوجل في ولنشرع أولاً في ذكر جبل قاف؛ قد ذكر الله عز وجل في كتابه العزيز "ق والقرآنِ المَجيدِ" وفي تفسير "ق" ستة أقوال للمفسرين، منها: "أنه جبل من زبرجدة خضراء"، قاله أبو صالح عن ابن عباسٍ رضي الله عنهما، وروى عكرمة عن ابن عباس أيضاً رضي الله عنهما قال: "خلق الله جبلاً يقال له قاف، محيطاً بالعالم السفلي، وعروقه متصلة بالصخرة التي عليها الأرض، وهي الصخرة التيّ ذكرها لقمان عليه السلام حيث قال: "يا بني إنها تكُ مثقالَ حبةٍ من خردلٍ فتُكن في صخرةٍ أو في السموات أو في الأرض" الآية، فإذا أراد الله تعالى أن يزلزل قرية في الأرض؛ أمر ذلك الجبل أن يحرّك العرق؛ الذي يلي تلك القرية، فتزلزل في الوقت، وقال مجاهد: "هو جبل محيط بالأرض والبحار"، وروي عن الضحاك: "أنه زمردة خضراء، وعليه كتفا السماء كالخيمة المسبلة وخضرة السماء منه"، والله سبحانه وتعالى أعلم.

وأما ذكر البحار؛ فأعظم بحرٍ على وجه الأرض: المحيط المطوق بها من سائر جهاتها وليس له قرارٌ ولا ساحل إلاّ من جهة الأرض، وساحله من جهة الخلوّ البحر المظلم، وهو محيط بالمحيط كإحاطة المحيط بالأرض، وظلمته من بعده عن مطلع الشمس ومغربها، وقرب قراره، والحكمة في كون ماء البحر ملحاً أُجاجاً لا يذاق ولا يساغ، لئلا ينتن من تقادم الدهور والأزمان، وعلى ممر الأحقاب والأحيان، فيهلك من نتنه العالم الأرضي، ولو كان عذباً لكان كذلك، ألا ترى إلى العين التي ينظر بها الإنسان إلى الأرض والسماء والعالم والألوان، وهي شحمة مغمورة في الدمع، وهو ماء مالح، والشحم لا يصان إلا بالملح؛ فكان الدمع مالحاً لذلك، المعنى: "وقاف محيط بالكل، كما تقدم".

وفي الظلمات عين الحياة، التي شرب الخضر عليه السلام منها، وهي في القطعة بين المغرب والجنوب، وفي المحيط الأرض التي فيها عرش إبليس اللعين، وهو في القطعة التي بين المشرق والمغرب والجنوب، وهو إلى المشرق أقرب في مقابلة الربع الخراب[4] من الأرض، والله أعلم.

وأما الخلجان الآخذة من المحيط فهي ثلاثة أعظمها وأهولها بحر فارس، وهو البحر الآخذ من المحيط الشرقي من حدّ أرض بلاد الصّين إلى لسان القلزم؛ الّذي أغرق الله فيه فرعون، وضرب لموسى وقومه فيه

---

[3] – نهاية صفحة ٣ من المخطوط

[4] – نهاية صفحة ٥ من المخطوط

طريقاً يبساً، ثم بحر الروم الآخذ من المحيط الغربيّ من حدّ الأندلس والجزيرة الخضراء، إلى أن يخالط خليج قسطنطينيّة؛ فأمّا إذا قطعت من لسان القلزم إلى حدّ الصين على حدّ مستقيم، كان مقدار تلك المسافة نحو مائتي مرحلةٍ، وكذلك إذا شئت أن تقطع من القلزم إلى أقصى حجرٍ بالغرب على خطٍ مستقيم، كان نحو مائة وثمانين مرحلةٍ، وإذا قطعت من القلزم إلى حدّ العراق في البرّيّة على خط مستقيم، وشققت أرض السماوة ألفيته نحو شهر.

ومن العراق إلى نهر بلخ نحو شهرين، ومن نهر بلخ إلى آخر بلاد الإسلام في حدّ فرغانة نيف وعشرون مرحلة، ومن هذا المكان إلى بحر المحيط من آخر عمل الصين نحو شهرين هذا في البر.

وأما من أراد قطع هذه المسافة من القلزم إلى الصّين في البحر طالت المسافة عليه، وحصلت له المشقة العظيمة، لكثرة المعاطف والتواء الطّرق واختلاف الرّياح في هذه البحور، وأمّا بحر الروم فإنه يأخذ من المحيط الغربيّ، كما تقدّم بين الأندلس وطنجة، حتّى ينتهي إلى ساحل بلاد الشّام، ومقدار ما ذكر في المسافة أربعة أشهر، وهذا البحر أحسن استقامة واستواءً من بحر فارس، وذلك أنك إذا أخذت من فم هذا الخليج، يعني من مبدئه من المحيط؛ أتتك ريح واحدة إلى أكثر هذا البحر، وبين القلزم الّذي هو لسان بحر فارس وبين بحر الروم، على سمت القبلة، أربع مراحل، وزعم بعض المفسّرين في قوله تعالى: "بينهما برزخ لا يبغيان" أنه هذا الموضع.

فصل في ذكر المسَافات[٥]

فمن مصر إلى أقصَى الغرب نحو مائة وثلاثينَ مرحَلة، فكان ما بين أقصى المغرب إلى أقصاها بالمشرق نحو أربعمائة مرحلةٍ، وأمّا عرضها من أقصاها في حدّ الشمال إلى أقصاها في حدّ الجنوب؛ فإنك تأخذ من ساحل البحر المحيط حتّى تنتهي إلى يأجوج ومَأجُوج، ثم تمر على الصقالبة، وتقطع أرض البُلغار[٦] الداخلة الصقالبة الدّاخلة، وتمضي في بلاد الروم إلى الشام وأرض مصر والنوبة، ثم تمتد في برّية بين بلاد السودان وبلاد الزنج حتّى تنتهي إلى البحر المحيط، فهذا خطّ ما بين جنوب الأرض وشمالها.

وأمّا مسافة هذه الأرض وهذا الخطّ؛ فمن ناحية يأجوج ومأجوج إلى بلغار وأرض الصّقالبة نحو أربعين مرحلة، ومن أرض الصقالبة في بلاد الروم إلى الشام نحو ستّين مرحلة، ومن أرض الشام إلى أرض مصر نحو ثلاثين مرحلة، ومنها إلى أقصى النوبة نحو ثمانين مرحلة حتى تنتهي إلى هذه البرّيّة، فذلك مائتان وعشر مراحل كلها عامرة.

وأمّا ما بين يأجوج ومأجوج والبحر المحيط في الشمال، وما بين براري السّودان والبحر المحيط في الجنوب، فقفر خرابٌ، ليس فيه عمارة ولا حيوان ولا نبات ولا يعلم مسافة هاتين البرّيّتين إلى المحيط كم هي، وذلك أن سلوكها غير ممكن لفرط البرد الذي يمنع من العمارة والحياة في الشمال وفرط الحرّ المانع من العمارة والحياة في الجنوب، وجميع ما بين الصّين والمغرب فمعمور كله والبحر المحيط محتف به كالطّوق، ويأخذ البحر الروميّ من المحيط ويَصُبّ فيه، ويأخذ البحر الفارسيّ من المحيط أيضاً ولكن لا يصُبّ فيه.

---

[٥] – مطلبٌ في ذكر المسَافات

[٦] – نهاية صفحة ٦ من المخطوط

وأمّا بحر الخزر فليس يأخذ من المحيط ولا من غيره شيئاً أصلاً، غير أنّه مخلوق من مكانه من غير مادّة، لكن يصُبّ في المحيط بواسطة خليج القسطنطينية، وهو بحرٌ هائلٌ لو سار السائر على ساحله من الخزر على أرض الدّيلم وطبرستان وجرجان ومفازة سباه كوبه؛ لعاد إلى المكان الّذي سار منه من غير أن يمنعه مانع إلا نهراً يقطع فيه، وأما بحيرة خوارزم فكذلك غير أنّ لا مصَبَّ لها في المحيط؛ فهذه الأبحر الأربعة العظام الّتي على وجه الأرض.

وفي أراضي الزنج وبلدانهم خلجانٌ تأخذ من المحيط، وكذلك من وراء أرض الروم خلجانٌ وبحار لا تذكر لقصورها عن هذه البحار وكثرتها ويأخذ من البحر المحيط أيضاً خليج حتّى ينتهي إلى ظهر أرض الصَّقالبة نحو شهرين، ويقطع أرض الروم على القسطنطينية حتى يقع في بحر الروم.

وأمّا أرض الروم فحدها من هذا البحر المحيط على بلاد الجلالقة[7] وإفرنجة ورومية وأشيناس إلى القسطنطينية ثم إلى أرض ويشيدان يكون نحو مائة وسبعين مرحلة، وذلك أنّ من حَدّ الثغور في الشمال إلى أرض الصقالبة نحو شهرين، وقد بينت لك أن من أقصى الجنوب إلى أقصى الشمال مائتي مرحلةٍ وعشر مراحل.

وأما الروم المحض من حدّ رومية إلى حد الصقالبة وما ضمته إلى بلاد الروم من الأفرنجية والجلالقة وغيرهم فإنّ ألسنتهم مختلفة، غير أنّ الدين واحد والمملكة واحدة، كما أنّ في مملكة الإسلام ألسنة مختلفة والملك واحد، وأمّا مملكة الصين على ما زعم أبو إسحاق الفارسيّ وأبو إسحاق إبراهيم بن البكين حاجب ملك خراسان أربعة أشهر في ثلاثة أشهر؛ فإذا أخذت من فم الخليج حتى تنتهي إلى ديار الإسلام ممّا وراء النهر فهو نحو ثلاثة أشهر، وإذا أخذت من حدّ المشرق حتىّ تقطع إلى حد المغرب في أرض التبت، وتمتد في أرض التغزغز وخرخير وعلى ظهر كيماك إلى البحر؛ فهو نحو أربعة أشهر، ثم في أرض الصّين ومملكته السّنة مختلفة وجميع الأتراك من التغزغز وخرخير وكيماك والغزية وإلى الخزلجيّة ألسنتهم واحدة، وبعضهم يفهمُ عن بعض، ومملكة الصّين كلها منسُوبة إلى الملك المقيم بالقسطنطينية، وكذلك مملكة الإسلام كانت منسوبة إلى الملك المقيم ببغداد، ومملكة الهند منسُوبة إلى الملك المقيم بقنوج، وفي بلاد الأتراك ملوك متميّزون بممالكهم، وأمّا الغزيّة فإنّ حدُود ديارهم ما بين الخزر وكيماك وأرض الخزلجيّة وأطراف بلغار، وحدود الدّيلم ما بين جرجَان إلى باراب واسبيجاب وديار الكيماكيّة.

وأمّا يأجوج ومأجوج فهم في ناحية الشمال إذا قطعتَ ما بين الكيماكيّةِ، والصّقالبة، والله أعلم بمقاديرهم، وبلادهم شاهقة لا ترقاها الدّوابّ ولا يصعدها إلا الرجالة.

قال: ولم يخبر أحدٌ عنهم خبراً أوجه من أبي إسحاق صَاحِب خراسَان؛ فإنه أخبر أنّ تجارتهم إنما تصل إليهم على ظهور الرّجال وأصلاب المعز، وأنهم ربما أقامُوا في صعُود الجبل ونزوله الأسبُوع والعشرة أيام، وأمّا خرخير فإنهم ما بين التغزغز وكيماك[8] والبحر المحيط وأرض الخزلجيّة والغزيّة، وأمّا التغزغز فقوم من أطراف التبت وأرض الصّين، والصّينُ ما بين البحر المحيط والتغزغز والتبت والخليج الفارسيّ، وأمّا أرض الصّقالبة فعريضة طويلة نحو شهرين في شهرين، وبلغار مدينة صغيرةِ ليس لها أعمال كثيرة، وكانت مشهورة لأنها كانت ميناء وفرضة لهذه الممالك؛ فاكتسحتها الروس وأتل وسمندر في سنة ثمان وخمسين وثلثمائة فأضعفتها.

---

[7] – نهاية صفحة ٧ من المخطوط

[8] – نهاية صفحة ٨ من المخطوط

والروس قوم بناحية بلغار فيما بينها وبين الصّقالبة، وقد انقطعت طائفة من الترك عن بلادهم؛ فصاروا ما بين الخزر والروم، ويقال لهم اليخباكيّة، وليس موضعهم بدار لهم على قدم الأيام، وأما الخزر فإنهم جنس من التّرك على هذا البحر المعروف بهم، وأمّا أتل فهم طائفة أخرى قديمة وسمّوا باسم نهرهم أتل؛ الّذي يَصُبّ في هذا البحر، وبلدهم أيضاً تسمّى أتل، وليس لهذا البلد سعة رزق ولا خفض عيش ولا اتساع مملكة، وهو بلد بين الخزر واليخباكية والسرير.

وأما التبت: فإنه بين أرض الصّين والهند وأرض التغرغر والخزلجية وبحر فارس، وبعض بلاده في مملكة الهند، وبعضها في مملكة الصّين ولهم ملك قائم بنفسه يُقال إنّ أصله من التبابعة ملوك اليمن، والله أعلم.

وأمّا جنوبي الأرض من بلاد السّودان الّتي في أقصى المغرب على البحر المحيط فبلاد منقطعة ليس بينها وبين شيء من الممالك اتصالٌ، غير أنّ حداً لها ينتهي إلى المحيط، وحداً لها ينتهي إلى برّيّة بينها وبين أرض المغرب، وحداً لها إلى برية بينها وبين بلاد مصر على الواحات، وحداً لها إلى البرّيّة الّتي ذكرنا أن لا نبات بها ولا حيوان ولا عمارة لشدّة الحرّ، وقيل إن طول أرضهم سبعمائة فرسخٍ في مثلها غير أنها من البحر إلى ظهر الواحات وهو طولها وهو أطول من عرضها.

وأمّا أرضُ النوبة: فإنّ حدّاً لها ينتهي إلى بلاد مصر، وحداً لها إلى هذه البرّيّة المهلكة التي ذكرناها، وحداً لها ينتهي إلى البرّيّة الّتي بين بلاد السودان وبلاد مصر المتقدم ذكرها أيضاً، وحداً لها إلى أرض البجة.

وأما أرضُ البجة فإنّ ديارهم صغيرة وهم فيها بين الحبشة والنوبة وهذه البرّيّة التي لا تسلك، وأمّا الحبشة[٩] فإنها على بحر القلزم وهو بحر فارس فينتهي حدّ لها إلى بلاد الزنج، وحد لها إلى البرية التي بين النوبة وبحر القلزم، وحدّ لها إلى البجة والبرّيّة لا تسلك، وأمّا أرض الزنج فإنها أطول أراضي بلاد السّودان ولا تتصل بمملكة من الممالك أصلاً غير بلاد الحبشة، وهي في مجاورة اليمن وفارس وكرمان في الجنوب إلى أن تحاذي أرض الهند.

وأمّا أرض الهند: فإن طولها من عمل مكران في أرض المنصورة والبدهة وسائر بلاد السند إلى أن ينتهي إلى قنوج، ثم تجوزهُ إلى أرض التبت نحواً من أربعة أشهُر، وعرضها من بحر فارس على أرض قنوج نحواً من ثلاثة أشهرٍ.

وأما مملكة الإسلام: فإن طولها من حدّ فرغانة حتى تقطع خراسان والجبال والعراق وديار العَرب إلى سَوَاحل اليمن فهو نحو خمسة أشهر، وعرضها من بلاد الرّوم حتى تقطع الشّام والجزيرة والعراق وفارس وكرمان إلى أرض المنصُورة على شط بحر فارس نحو أربعة أشهر، وإنما تركتُ في ذكر طول مملكة الإسلام حدّ المغرب إلى الأندلس لأنه مثل الكمّ في الثوب، وليس في شرقيّ المغرب ولا في غربيّه إسلامٌ، لأنك إذا جَاوزتَ شَرقيّ أرض المغرب كان جنوبيّ المغرب بلاد السّودَان وشماله بحر الرّوم ثم أرض الروم، ولو صَلح أن يجعَل من أرض فرغانة إلى أرض المغرب والأندلس طول الإسلام لكان مسيرة مائتي مرحَلة وزيادة، لأنّ من أقصَى المغرب إلى مصر نحو تسعين مرحلةٍ، ومن مِصر إلى العراق نحو ثلاثين مرحلةٍ، ومن العراق إلى بلخ نحو ستّين مرحلة، ومن بلخ إلى فرغانة نحو عشرين مرحلة، والله تعالى أعلم.

فصل في صفة الأرض وتقسيمها من غير الوجه الّذي تقدم ذكره

---

[٩] – نهاية صفحة ٩ من المخطوط

قال الله عزّ وجل: "ألم نجعلِ الأَرض مِهاداً والجِبالَ أوتاداً" وقال عزّ من قائل: "الّذي جعل لكم الأرض فراشاً والسماء بناء"، وقال سبحانه وتعالى: "والله جعل لكم الأرض بساطاً" قال قوم من المفسرين: معنى المهاد والبساط: القرار عليها والتمكن منها والتصرّف فيها، وقد اختلف العلماء في هيئة الأرض[10] وشكلها: فذكر بعضهم أنها مبسُوطة مستوَية السّطح في أربع جهَات المشرق والمغرب والجنوب والشمال، وزعم آخرون أنها كهيئة المائدة، ومنهم من زعم أنها كهيئة الطّبل، وذكر بعضهم أنها تشبهُ نصف الكرةِ كهيئة القبّة وأنّ السماء مركبة على أطرافها.

والذي عليه الجمهُور :"أنّ الأرض مستديرة كالكرةِ وأن السماء محيطة بها من كل جَانب كإحاطة البيضة بالمحة، فالصّفرةِ بمنزلة الأرض، وبيَاضها بمَنزلة الماء وجلدها بمنزلةِ السّماءِ، غير أنّ خلقها ليس فيه استطالة كاستطالة البيضَةِ بل هي مستديرة كاستدارة الكرة المستديرة المستويَة الخرط، حتى قال مهندسوهم: لو حُفر في الوهم وجه الأرض لأدّى إلى الوجه الآخر، ولو نقبَ مثلاً بأرض الأندلِس لنفد الثقبُ بأرض الصّين، وزعمَ قومٌ أنّ الأرض مقعّرة، وسَطها كالجام.

واختلفَ في كميّة عدد الأرضين قال الله عز وجلّ وهو أصدق القائلين: "الّذي خلق سبع سَمواتٍ ومن الأرضِ مثلهنّ" فاحتمل هذا التمثيل أنّ يكون في العدد والأطباق.

فروي في بعض الأخبار أنّ بعضها فوق بعضٍ، وغلظ كل أرض مسيرة خمسمائة عام، حتى عدّد بعضُهم لكل أرض أهلاً على صفة وهيئة عجيبةٍ، وسمى كلّ أرض باسم خاصّ، كما سمى كلّ سماء باسم خاصّ، وزعم بعضهم أن فّي الأرض الرابعة حيّات أهل الدّنيا وفي الأرْض السّادسَة حجارة أهل النّار، فمن نازعته نفسُه إلى الاستشراف عليها نظر في كتب وهب بن منبّه وكعب ومقاتل، وعن عطاء بن يَسَار في قول الله عزّ وجل: "سبع سموات ومن الأرض مثلهّن" قال: "في كلّ أرض آدمٌ مثل آدَمكم، ونوح مثل نوحكم، وإبراهيم مثل إبراهيمكم، والله أعلم.

وليس هذا القول بأعجَب من قول الفلاسفة: إن الشمُوسَ شمُوسٌ كثيرةِ والأقمار أقمار كثيرة ففي كل اقليم شمسٌ وقمر ونجُوم، وقال القدمَاء الأرض سبع على المجاورة والملاصَقة وافتراق الإقليم، لا على المُطابقة والمكايسة، وأهل النظر مِنَ المسلمين يميلون إلى هَذا القول، ومنهم من يرى أنّ الأرض سبعاً على الانخفاض والارتفاع كدرج المراقي،[11] ويزعمُ بعضهُم أن الأرضَ مقسُومَة لخمس مناطق وهي: المنطقة الشماليّة والجنُوبيّة والمستوية والمعتدَلة والوسطى، واختلفوا في مبلغ الأرض وكميّتها، فروي عن مكحُول أنّه قال:" مَسيرة ما بين أقصَى الدّنيا إلى أدناهَا خمسمائة سنة، مائتان من ذَلك في البحر، ومائتان ليسَ يسكنُها أحد، وثمانون فيها يأجوج ومأجوج، وعشرون فيها سائر الخلق".

وعن قتادة قال: "الدّنيا أربعة وعشرون ألف فرسخٍ، منها اثنا عشر ألف فرسخ ملك السّودان، وملك الروم ثمانية آلاف فرسخ، وملك العجم والترك ثلاثة آلاف فرسخ، وملك العرب ألف فرسخ."، وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: "ربع من لا يلبس الثياب من السّودان أكثر من جميع الناس".

وقد خرج بطليموس مقدار قدر الأرض واستدَارتها في المحيط بالتقريب، قال:" استدارة الأرض مائة ألف وثمانون ألف اسطاريوس؛ وهي أربعة وعشرون ميلاً؛ فيكون على هذا الحكم ثمانية آلاف فرسخ، والفرسخ

---

[10] – نهاية صفحة ١٠ من المخطوط

[11] – نهاية صفحة ١١ من المخطوط

ثلاثة أميَال، والميل ثلاثة آلاف ذراع بالملكيّ، والذراع ثلاثة أشبار، وكلّ شبر اثنا عشر أصبعاً، والأصبُع الواحد خمس شعيرات مضمومات بطون بعضهَا إلى بعضٍ، وعرض الشعيرة الواحدة ستّ شعراتٍ من شعر بغلٍ، والإسطاريوس أربعمائة ألف ذراع."

قال: "وغلظ الأرض وهو قطرها سبعَة آلاف وَستمائة وثلاثون ميلاً؛ يكون ألفين وخمسمائة فرسخ وخمسة وأربعين فرسخاً وثلثي فرسخ"، قال: فبسط الأرض كلّها مائة واثنان وثلاثون ألف ألف وستمائة ألف ميل؛ فيكون مائتي ألف وثمانية وثمانين ألف فرسَخ"، فإن كانَ ذلك حقاً فهوَ وحيٌ من الحقّ أو إلهام، وإن كان قياساً واستدلالاً فقريب أيضاً من الحق، والله أعلم.

وأمّا قول قتادة ومَكحُول فلا يوجب العلم اليقين؛ الذي يقطع على الغيب به، واختلفوا في البحار والمياهِ والأنهار، فروى المسلمون:" أنّ الله خلق البحار مرّاً زعاقاً وأنزل من السماء مَاءً عذباً ، كما قال تعالى: "أفرأيتم الماء الذي تشربون* ءأنتم أنزلتموهُ من الُمزن أم نحنُ المنزِلون، لو نشاء جعلناهُ أجاجاً فَلَولا تشكرون"، وقال تعالى "وأنزلنا من السّماء ماءً بقدر فأسكنّاهُ في الأرض" فكلّ ماء عذبٍ من بئرٍ أو نهرٍ أو عين فمن ذلكَ الماء المنزل من السّماء، فإذا اقتربت السّاعة بعث الله ملكاً معُه طستٌ[12] لا يعلم عظمه إلا الله تعالى فجمع تلك المياه فردّها إلى الجنة.

وزعم أهل الكتاب أنّ أربعة أنهار تخرج من الجنّة: الفرات وسيحان وجيحان ودجلة، وذلك أنهم يزعمون أنّ أهل الجنّة في مشَارق الأرض، وروي أنّ الفرات جزر في أيام معَاوية رضي الله عنه، فرمى برمانةٍ مثل البعير البارك، فقال كعبٌ:" إنه مَن الجنَّة"؛ فإن صدقوا فليسَت هيَ بجنّة الخلد ولكنها من جنان الأرض.

وعند القدمَاء أنّ المياه من الاستحالات، فطعم كل ماء على طعم أرضه وتربته؛ ونحنُ فلا ننكِر قدرَة الله تعالى على إحَالة الشيء على ما يشَاء؛ كما تحوّل النطفة علقة والعَلقة مُضغَة، ثم كذلك حالاً بعدَ حال إلى أن يفنيَه كما يشاءُ وكما أنشأه، فسبحانَ من قدرته صالحة لكل شيء.

واختلفوا أيضاً في ملوحَة البحر؛ فزعم قوم أنه لمّا طال مكثه وألحت الشمس عليه بالإحراق صار مّراً ملحاً واجتذب الهواء ما لطف من أجزائه فهوَ بقيّة ما صَفته الأرض من الرطوبة فغلظ لذلك، وَزعمَ آخرون أنّ في البحر عروقاً تغيّر ماء البحر ولذلك صار مرّاً رعَافاً.

واختلفوا في المدّ والجزر، فزعم أرسطاطاليس أنّ علة ذلك منَ الشمس إذا حركت الريح، فإذا ازدادت الرياح كانَ منها المدّ، وإذا نقصت كانَ منها الجزر، وزعم كيماوش أنّ المدّ بانصبَاب الأنهار في البحر، والجزر بسُكونها، والمنجّمون منهم منّ زعمَ أنّ المدّ بامتلاء القمر والجزر بنقصانه، وقد روي في بعض الأخبار:" أنّ الله جعل ملكاً موكلاً بالبحَار، فإذا وضع قدمَه في البحر مدّ، وإذا رفعه جزر؛ فإن صحَ ذلك والله أعلم كان اعتقادُه أولى مَن المصير إلى غيره ممّا لا يفيدُ حقيقة، ولو ذهبَ ذاهبٌ إلى أنّ ذلكَ الملكَ هوَ مهبّ الرياح؛ التي تكون سبباً للمد وتزيد في الأنهار وتفعل ذلك عند امتلاء القمر؛ حتى يكونَ توفيقاً وجمعاً بين الكل لكان ذلك مذهباً حسناً. والله أعلم.

واختلفوا في الجبال، قال الله تعالى: "وألقى في الأرض رواسيَ أن تميدّ بكم"، وقال تعالى: "ق والقرآنِ المجيد". قال بعض المفسرين:" إنّ من جَبل ق إلى السماء مقدار قامة مِن رَجل طويل"، وقال آخرون:" بل السَّماء منطبقة عليه"، وقال قوم: "من وراء ق عَوالم وخلائق لا يعلمها إلا الله تعالى"، ومنهم من يقول: "ما

[12] – نهاية صفحة ١٢ من المخطوط

وراءه فهو من حَدّ الآخرة[13] ومن حُكمها، وأنّ الشمس تطلعُ منه وتغربُ فيه وهو الساتر لها عن الأرض"؛ ومنهم من يزعم أنّ الجبال عظام الأرض وعرُوقها.

واختلفوا فيما تحتَ الأرض؛ أمّا القدماء فأكثرهم يزعمُون أنّ الأرض يحيط بها الماء، وهذا ظاهرٌ، والماء يحيط به الهَواء؛ والهَواء تحيط به النّار، والنار تحيُط بها السماء الدّنيا ثم السّماء الثانية ثم الثالثة إلى السبع، ثم يحيط بالكلّ تلك الكواكب الثابتة؛ ثم يحيط بالكلّ الفلك الأعظم الأطلس المستقيم، ثم يُحيطُ بالكل عالم النفس، وفوق عالم النفس عالم العقل، وفوق عالم العقل عالم الروح وفوق عالم الروح والأمر الحضرة الإلهية "وهو القاهِر فوق عباده وهو الحكيم الخبير".

وعلى قاعدة مذهَب القدَماء يَلزمُ أنّ تحتَ الأرض سمَاءً كما فوقها، وروي أنّ الله تعالى لمّا خلق الأرضَ كانَت تتكفأ كما تتكفأ السفينة، فبَعث الله ملكاً؛ فهبط حتى دخل تحتَ الأرض؛ فوضَعَها على كاهله ثم أخرج يديه، إحداهما بالمشرق والأخرى بالمغرب، ثم قبض على الأرضين السّبع فضبَطها فاستقرت، ولم يكن لقدَم الملك قرار، فأهبط الله ثوراً من الجنة له أربَعون ألفَ قرنٍ وأربعُون ألف قائمة فجعل قرار قدمي الملك على سَنامه، فلم تصل قدماه إلى سَنَامه، فبعث الله تعالى ياقوتة خضراء من الجنّة، غلظها مَسيرة كذا ألف عامٍ، فوِضعَها على سنام الثور؛ فاستقرّت عليها قدماً الملك وقرون الثور خارجة من أقطار الأرض مشبّكة إلى تحت العرش، ومنخر الثور في ثقبين من تلك الياقوتة الخضراء تحت البحر، فهو يتنفسُ في كلّ يوم نفسين، فإذا تنفسَ مدّ البحر، فإذا ردّ النفس جزر البحر، ولم يكن لقوائم الثّور قرارٌ، فخلقَ الله كمكماً من رملٍ كغلظ سبع سَموات وسبع أرضين، فاستقرّت عليها قوائم الثّور، ثم لم يكن للكمكم مستقَر، فخلقَ الله حوتاً يقال له بلهون فوضَع الكمكم على وبَر الحوت، والوبَر: الجناح الّذي يكون في وسَط ظهره، وذلك الحوت مزموم بسِلسِلةٍ من القدرة كغلظ السمواتِ والأرض مراراً.

قال: وانتهى إبليسُ لعنه الله إلى ذلك الحوت فقالَ لهُ: "ما خلق الله خلقاً أعظم منك!!! فلمَ لا تزيل الدّنيا عن ظهرك؟" فهمّ بشيء من ذلك؛ فسَلّط الله عليه بَقّةً[14] في عَينيه فشغلته، وزعمَ بعضهم أنّ الله سَلّط عليه سمكة كالشبر وشغله بها، فهو يَنظر إليها ويهابُها ويخافهَا.

قيل:" وأنبت الله عزّ وجلّ من تلك الياقوتةِ جبل قافٍ، وهوَ من زمردةٍ خضراء، وله رأسٌ وَوجه وأسنَانٌ، وأنبت من جبَل قافٍ الجبال الشواهق؛ كما أنبت الشجر من عروق الشجر، وزعم وهبٌ رضي الله عنه أنّ الثورَ والحوتَ يبتلعَان ما ينصَبّ من ميَاه الأرضِ فِي البحَار، فلذَلكَ لا تؤثر في البحُور زيادة فإذا امتلأت أجَوافهمَا مِن المياهِ قامت القيامة.

وزعم قومٌ أنّ الأرضَ عَلى الماء والماء على الصّخرة والصّخرة على سَنَام الثور، والثور على كمكم مَن الرمل متلبداً، والكمكم على ظهر الحُوتِ، والحُوت عَلى الريح العقيم، والريحَ العقيمَ على حجابٍ من ظلمةٍ، والظّلمة على الثرى، وإلى الثرى انتهى علم الخلائق، ولا يعلم ما وراءَ ذلك أحَد إلا الله عزّ وجَل، الّذي له مَا في السّموات ومَا في الأرض ومَا بينهما وما تحتَ الثرى.

---

[13] – نهاية صفحة ١٣ من المخطوط

[14] – نهاية صفحة ١٤ من المخطوط

وهذه الأخبارُ ممّا يتولّع به النّاس وَيتنافسُون فيه، ولعمري إنّ ذلك ممّا يزيد المرء بصَيرة في دينهِ وتعظيماً لقدرَة ربّه، وَتحيّراً في عجائب خَلقه، فإن صحّت فما خلقها على الصّانع بعزيز، وإن يكن من اختراع أهل الكتاب وتنميق القصاص، فكلّها تمثيل وتشبيه ليسَ بمنكر، والله أعلم.

وقد رَوى شيبَان بن عبد الرحمن عن قتادة عن الحسَن عن أبي هريرة رضي الله عنهم قال: بينما رسُول الله صلّى الله عليه وسَلم جالس في أصحابه؛ إذ أتى عليهم سحابٌ، فقال: "هَل تدرون ما هذا؟" قالوا: "الله ورَسوله أعلم"، قال: "هَذا العنَان، هذه زوايا الأرض يسُوقهَا الله إلى قوم لا يشكرونه ولا يدعونه"، ثم قال: "هَل تدرونَ ما الّذي فوقكم؟" قالوا: "الله ورَسُوله أعلم"، قال: "فإنّها الرفيع، سَقف محفُوظ وموج مكفُوف"، ثم قال: "هل تدرون كم بَينكم وبينها ؟" قالوا: "الله ورسُوله أعلم"، قال: "فوقه العرش وبينه وبين السّماء كبعد ما بين سماءين" أو كما قال، ثم قال: "أتدرون ما تحتكم ؟"، قالوا: "الله ورَسوله أعلم"، قال: "الأرضُ، وتحتها أرض أخرى بَينهما خمسُمائة عام"، ثم قال: "والذي نفسُ محمد بيَده لو أنكم أدليتم بحبل لهبَطتم على الله"، ثم قرأ صَلى الله عليه وسَلم: "هو الأوّل والآخر والظّاهر والباطِن" الآية؛ فهذا الخبَر يشهدُ بصدق كثير مما يروون، إن صح، والله أعلم. [١٥]

ولنرجع الآن إلى ما نحن بصدده من ذكر شرح الدائرة المذكورة، وتفصيل البلدان وذكرها، وذكر عجائبها وأخبارها.

فهرست ما نذكره إن شاءَ الله تعالى مِنَ الفصُول المتضَمِّنَة لذَلك

وظهُور الفتن والحَوادث، وَلهَا فصُول تذكر عندَ الشروع في كتابتها إن شاء الله تعالى، وبإتمامه يتم الكتاب، والله الموفق للصّوَاب.

فصل في ذكر البلدان والأقطار

إعلم وفقنا الله وإياك أن بين مطلع الشمس ومغربها مدناً وبلاداً وأمماً لا تحصى كثرةً، ولا يحصيها إلا الله سبحانه وتعالى. ولكن نذكر منها ما في ذكره فائدة واعتبار من البلاد المشهورة، ونضرب صفحاً عن ذكر ما ليس بمشهور، ولا اعتبار ولا فائدة في ذكره خوفاً من التطويل والسآمة، والله تعالى المستعان.

---

[١٥] - نهاية صفحة ١٥ من المخطوط

فنبتدئ أولاً بذكر بلاد المغرب إلى المشرق، ثم نعود إلى بلاد الجنوب وهي بلاد السودان، ثم نعود إلى بلاد الشمال وهي بلاد الروم والفرنج والصّقالبة وغيرهم، على ما سيأتي ذكره إن شاء الله تعالى.

أرض المغرب: أولها البحر المحيط، وهو بحر مظلم لم يسلكه أحد ولا علم بشر ما خلفه. وبه جزائر عظيمة كثيرة عامرة يأتي ذكرها عند ذكر الجزائر، منها جزيرتان تسميان الخالدتين، على كل واحدة منهما صنم طوله مائة ذراع بالملكي، وفوق كل صنم منها صورة رجل من نحاسٍ يشير بيده إلى خلف، أي: ما ورائي شيء[١٦] ولا مسلك، والذي وضعهما وبناها لم يذكر له اسمٌ.
فأول بلاد المغرب السوس الأقصى وهو إقليمٌ كبير فيه مدن عظيمة أزليّة وقرى متصلة وعمارات متقاربة، وبه أنواع الفواكه الجليلة المختلفة الألوان والطعوم، وبه قصب السكر الذي ليس على وجه الأرض مثله طولاً وغلظاً وحلاوة حتى قيل: إنّ طول العود الواحد يزيد على عشرة أشبار في الغالب، ودوره شبر، وحلاوته لا يعادلها شيء حتى قيل: إن الرطل الواحد من سكره يحمل عشرة أرطال من الماء وحلاوته ظاهرة، ويحمل من بلاد السوس من السكر ما يعم جميع الأرض لو حمل إلى البلاد، وبها تعمل الأكسية الرفيعة الخارقة، والثياب الفاخرة السوسية المشهورة في الدنيا، ونساؤها في غاية الحسن والجمال والظرف والذكاء، وأسعارها في غاية الرخص، والخصب بها كثير.

فمن مدنها المشهورة تارودنت وهي مدينة العظماء من ملوك العرب، بها أنهار جارية وبساتين مشتبكة وفواكه مختلفة وأسعار رخيصة، والطريق منها إلى أغمات أريكة في أسفل جبل، ليس في الأرض مثله إلا القليل في العلو والارتفاع وطول المسافة واتصال العمارة وكثرة الأنهار والتفاف الأشجار والفواكه الفاخرة التي يباع منها الحمل بقيراط من الذهب.
وبأعلى هذا الجبل أكثر من سبعين حصناً وقلعة، منها حصنٌ منيعٌ هو عمارة محمد بن تومرت، ملك المغرب، إذا أراد أربعة من الناس أن يحفظوه من أهل الأرض حفظوه لحصانته، اسمه تاتملت، ولما مات محمد بن تومرت المذكور بجبل الكواكب حمل ودفن في هذا الحصن.
واذكى: وهي أول مراقي الصحراء وهي مدينة متسعة، يُقال إن النساء التي فيها لا أزواج لهن، إذا بلغت إحداهن أربعين سنة تتصدق بنفسها على الرجال فلا تمتنع ممن يريدها.

سجلماسة: من مدنها المشهورة، وهي واسعة الأقطار عامرة الديار رائعة البقاع فائقة القرى والضياع غزيرة الخيرات كثيرة البركات، يُقال إنه يسير السائر في أسواقها نصف يوم فلا يقطعها، وليس لها حصن بل قصور شاهقة[١٧] وعمارات متصلة خارقة، وهي على نهر يأتي من جهة المشرق وبها بساتين كثيرة وثمار مختلفة، وبها رطب يسمى البتوني، وهو أخضر اللون حسن المظهر أحلى من الشهد ونواه في غاية الصغر.

---

[١٦] – نهاية صفحة ١٦ من المخطوط
[١٧] – نهاية صفحة ١٧ من المخطوط

ويقال إنهم يزرعون ويحصدون الزرع ويتركون جذوره وأصوله في الأرض على حالها قائمة، فإذا كان في العام المقبل ووسمه الماء نبت ثاني مرةٍ واستغله أربابه، من غير بذر، وبها قوم يأكلون الكلاب والجراذين وغالب أهلها عمش العيون.

ورقادة: وهي مدينة عظيمة حصينة خصيبة؛ ذكر أهل الطبائع أنه يحصل للرجل بها الضحك من غير عجب، والسرور من غير طرب، وعدم الهم والنصب، ولا يعلم لذلك موجب ولا سبب.
اغمات وهي مدينتان: اغمات اريكة وهي مدينة عظيمة في ذيل جبل كثير الأشجار والثمار والأعشاب والنباتات ونهرها يشقها وعلى النهر ارحية كثيرة تدور صيفاً وفي الشتاء يجمد ويجوز عليه الناس والدواب وبها عقارب قتالة في الحال، وأهلها ذوو أموال ويسار ولهم على أبوابهم علامات تدل على مقادير أموالهم، واغمات إيلان وهي مدينة كبيرة في أسفل جبل يسكنها يهود تلك البلاد.
فاس: وهي مدينة كبيرة ومدينة صغيرة يشقها نهر كبير يأتي من عيون صنهاجة وعليه أرحاء كثيرة. وتسمى إحدى هاتين المدينتين الأندلس ومياهها قليلة والأخرى القرونس وهي ذات مياه كثيرة يجري الماء في كل شارع منها، وسُوق وزقاق وحَمّام ودار، وفي كل زقاق ساقية متى أراد أهل الزقاق أن يجروها أجروها وإذا أرادوا قطعها قطعوها.
المهدية: مدينة حسنة حصينة بناها المهدي الفاطميّ وحصنّها وجعل لها أبواباً من حديد، في كل باب ما يزيد على مائة قنطار ولما بناها واحكمها قال الآن أمنتُ على الفاطميات.
سبتة: مدينة في بر العدوة قبالة الجزيرة الخضراء، وهي سبعة أجبل صغار متصلة عامرة ويحيط بها البحر من ثلاث جهاتها، وفيها أسماك عظيمة ليست في غيرها، وبها شجر المرجان[١٨] الذي لا يفوقه شيء حسناً وكثرة، وبها سوق كبيرة لإصلاح المرجان، وبها من الفواكه وقصب السكر شيء كثير جداً.
وطنجة: فهي في العدوة أيضاً وكذلك فاس وباقي المدن المشهورة كافريقية وتاهرت ووُهران والجزائر والمقل والقيروان فكلها مدن حسنة متقاربة المقادير.

الغربُ الأوسَط وهو شرقيّ بلاد البربَر

ومن مدنه بلاد الأندلس وسميت بالأندلس لأنها جزيرة مثلثة الشكل رأسها في أقصى المغرب في نهاية المعمورة، وكان أهل السّوس وهم أهل الغرب الأقصى يضرون أهل الأندلس في كل وقت ويلقون منهم الجهد الجهيد إلى أن اجتاز بهم الإسكندر، فشكوا إليه حالهم فأحضر المهندسين وحضر إلى الزقاق، وكان له أرض جافة، فأمر المهندسين بوزن سطح الماء من المحيط والبحر الشامي، فوجدوا المحيط يعلو البحر الشامي بشيء يسير، فأمر برفع البلاد التي على ساحل البحر الشامي، ونقلها من الحضيض إلى الأعلى، ثم أمر أن تُحفر الأرض بين طنجة وبلاد الأندلس؛ فحفرت حتى ظهرت الجبال السفلية وبنى عليها رصيفاً بالحجر والجير بناءً محكماً، وجعل طوله اثني عشر ميلاً، وهي المسافة التي كانت بين البحرين، وبنى رصيفاً آخر يُقابله من ناحية طنجة وجعل بين الرصيفين ستة أميال.
فلما أكمل الرصيفين حفر لها من جهة البحر الأعظم، وأطلق فم الماء بين الرصيفين ودخل في البحر الشامي، ثم فاض ماؤه فأغرق مدناً كثيرة وأهلك أمماً عظيمة كانت على الشاطئين، وطغى الماء على

---

[١٨] – نهاية صفحة ١٨ من المخطوط

الرصيفين إحدى عشرة قامة؛ فأمّا الرصيف الذي يلي بلاد الأندلس؛ فإنه يظهر في بعض الأوقات إذا نقص الماءُ ظهوراً بيناً مستقيماً على خط واحد، وأهل الجزيرتين يسمونه القنطرة، وأما الرصيف الذي من جهة طنجة فإن الماء حمله في صدره واحتفر ما خلفه من الأرض اثني عشر ميلاً، وعلى طرفه من جهة الشرق الجزيرة الخضراء، وعلى طرفه من جهة الغرب جزيرة طريف، وتقابل الجزيرة الخضراء في بر العدوة سبتة، وبين سبتة والجزيرة الخضراء عرض البحر[١٩].

والأندلس به جزائر عظيمة كالخضراء، وجزيرة قادس، وجزيرة طريف، وكلها عامرة مسكونة آهلة، ومن مدنه إشبيلية وهي مدينة عامرة على ضفة النهر الكبير المعروف بنهر قرطبة، وعليه جسر مربوط بالسفن، وبها أسواق قائمة وتجارات رابحة وأهلها ذوو أموال عظيمةٍ، وأكثر متاجرهم في الزيت، وهي تشتمل على كثير من إقليم الشرق، وإقليم الشرق على تل عال من تراب أحمر مسافته أربعون ميلاً في مثلها، يمشي فيها المسافر في ظل الزيتون والتين، ولها على ما ذكر التجار ثمانية آلاف قرية عامرة بالأسواق العامرة والدّيار الحسنة والفنادق والحمامات.

ومن أقاليم الأندلس إقليم الكنانية ومن مدنه المشهورة قرطبة وهي قاعدة بلاد الأندلس ودار الخلافة الإسلامية، وهي مدينة عظيمة وأهلها أعيان البلاد، وسُراة الناس في حسن الأكل والملابس والمراكب وعلو الهمّة، وبها أعلام العلماء وسادات الفضلاء وأجلاء الغزاة وأمجاد الحروب؛ وهي في نفسها خمس مدن يتلو بعضها بعضاً، وبين المدينة والمدينة سور حصين حاجز، وبكل مدينةٍ منها ما يكفيها من الأسواق والفنادق والحمّامات والصّناعات، وطولها ثلاثة أميال في عرض ميل واحدٍ، وهي في سفح جبل مطلّ عليها يسمّى جبل القروس.

مدينتها الثالثة وهي الوسطى، فيها باب القنطرة وبها الجامع الذي ليس في معمور الأرض مثله، طوله ذراع في عرض ثمانين ذراعاً وفيه من السّواري الكبار ألف سارية، وفيه مائة وثلاثة عشرة ثريا للوقود، أكبرها يحمل ألف مصباح، وفيه من النقوش والرقوم ما لا يقدر أحد على وصفه، وبقبلته صناعاتٌ تدهش العقول، وعلى فرجة المحراب سبع قسي قائمة على عمد طول كل قوسٍ فوق القامة، قد تحيّر الروم والمسلمون في حسن وضعها، وفي عضادتي المحراب أربعة أعمدة، اثنان أخضران واثنان لازورديان، ليس لها قيمة، وبه منبر ليس على معمور الأرض مثله في حسن صنعته، وخشبهُ ساج[٢٠] وأبنوس وبقص وعُود قاقليّ، ويذكر في كتب تواريخ بني أمية أنه أحكم عمله ونقشه في سبع سنين، وكان يعمل فيه ثمانية صُنّاع، لكلّ صَانعٍ في كل يوم نصف مثقال محمّديّ، وكان جملة ما صُرف على المنبر أجرة لا غير عشرة آلاف مثقال وخمسي مثقال.

وفي الجامع حاصل كبير ملآن من آنية الذهب والفضّة لأجل وقوده. وبهذا الجامع مصحف فيه أربع ورقات من مصحف عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه بخطّه، أي بخطّ يده، وفيهنّ نقط من دمه، وله عشرون باباً مصفحات بالنحاس الأندلسيّ، مخرمات تخريماً يعجز البشر، وفي كل باب حلق في نهاية الصنعة

---

[١٩] – نهاية صفحة ١٩ من المخطوط

[٢٠] – نهاية صفحة ٢٠ من المخطوط

والحكمة، وبه الصّومعة العجيبة؛ التي ارتفاعها مائة ذراع بالملكي المعروف بالرشاشي، وفيها من أنواع الصّنائع الدقيقة ما يعجز الواصف عن وصفه ونعته، وبهذا الجامع ثلاثة أعمدة حمرٌ مكتوب على أحدها اسم محمّد، وعلى الآخر صورة عصا موسى وأهل الكهف، وعلى الثالث صورة غراب نوح، والجميع خلقة ربانيّة.

وبمدينة قرطبة القنطرة العجيبة؛ التي فاقت قناطر الدنيا حسناً وإتقاناً، وعدد قسيها سبعة عشر قوساً، كلّ قوس منها خمسون شبراً وبين كل قوسين خمسون شبراً، ومحاسن هذه المدينة أعظم من أن يحيط بها وصف.

ومن أقاليم جزيرة الأندلس إقليم أشبونة؛ ومن مدنه أشبونة وهي مدينة حسنة شمال النهر المسمى باجة؛ الذي هو نهر طليطلة، والمدينة ممتدة مع هذا النهر، وهي على بحر مظلم، وبها أسواق قائمة وفنادق عامرة وحمامات كثيرة، ولها سور منيع، ويقابلها على ضفة البحر حصن المعدن؛ وسُمي بذلك لأن البحر يمتد عند سيحانه؛ فيقذف بالذهب التبر إلى نحو ذلك الحصن وما حوله، فإذا رجع الماء قصد أهل تلك البلاد نحو هذا الحصن؛ فيجدون به الذهب إلى أوان سيحانه أيضاً.

ومن أشبونة هذه كان خروج المغرورين في ركوب البحر المظلم؛ الذي في أقصى بلاد الغرب[٢١]، وهو بحر عظيم هائل غليظ المياه كدر اللون شامخ الموج صعب الظهر، لا يمكن رُكوبهُ لأحد من صُعوبته وظلمة متنه وتعاظم أمواجه وكثرة أهواله وهيجان رياحه وتسلّط دوابه، وهذا البحر لا يعلم أحد قعرهُ، ولا يعلم ما خلفه إلا الله تعالى، وهو غور المحيط ولم يقف أحدٌ من خبره على الصحة، ولا ركبه أحدٌ ملججاً أبداً، إنما يمرّ مع ذيل السّاحل لأنّ به أمواجاً كالجبال الشوامخ، ودويّ هذا البحر كعظم دوي الرعد لكن أمواجه لا تنكسر، ولو تكسرت لم يركبه أحدٌ؛ لا ملججاً ولا مسوحلاً.

حكاية: اتفق جماعة من أهل أشبونة، وهم ثمانية أنفس وكلهم بنو عم، فأنشئوا مركباً كبيراً وحملوا فيه من الزاد والماء ما يكفيهم مدة طويلة، وركبُوا متن هَذا البحر؛ ليعرفوا ما في نهايته، ويروا ما فيه من العجائب، وتحالفوا أنهم لا يرجعوا أبداً؛ حتى ينتهوا إلى البر الغربي أو يموتوا؛ فساروا فيه ملجّجين أحد عشر يوماً؛ فدخلوا إلى بحر غليظ عظيم الموج كدر الريح مُظلم المتن والقعر كثير القروش؛ فأيقنوا بالهلاك والعطب. فرجعوا مع البحر في الجنوب اثني عشر يوماً؛ فدخلوا إلى جزيرة الغنم، وفيها من الأغنام ما لا يحصي عددها إلا الله تبارك وتعالى، وليس بها آدمي ولا بشرٌ، ولا لها صاحبٌ، فنهضوا إلى الجزيرة، وذبحوا من ذلك الغنم، وأصلحوه وأرادوا الأكل فوجدوا لحومها مرّة لا تؤكل؛ فأخذوا من جلودها ما أمكنهم، ووجدُوا بها عين ماءٍ عذبٍ؛ فملئوا منها وسافروا مع الجنوب اثني عشر يوماً آخر، فوافوا جزيرة وبها عمارة فقصدوها، فلم يشعُروا إلاّ وقد أحاط بهم زوارق، بها قوم موكلون بها، فقبضوا عليهم وحملوهم إلى الجزيرة.

فدخلوا إلى مدينةٍ على ضفة البحر وأنزلوهم بدار، ورأوا بتلك الجزيرة والمدينة رجالاً شقر الألوان طوال القدود، ولنسائهم جمال مفرط خارج عن الوصف، فتركوهم في الدّار ثلاثة أيام، ثم دخل عليهم في اليوم

---

[٢١]- نهاية صفحة ٢١ من المخطوط

الرابع إنسان ترجمان وكلمهُم بالعربي وسألهم عن حالهم [٢٢] فأخبروه بخبرهم، فأحضُروا إلى ملكهم، وأخبره الترجمانُ بما أخبروه من حَالهم، فضحك الملك منهم،
وقال للترجُمان: قل لهم إنّي وجهت من عندي قوماً في هذا البحر ليأتوني بخبر ما فيه من العجائب، فساروا مغربين شهراً حتى انقطع عنهم الضوء وصاروا في مثل الليل المظلم، فرجعوا من غير فائدة، ووعدهم الملك خيراً، وأقاموا عنده حتى هبت ريحهم فبعثهم مع قومٍ من أصحابه في زورق وكتفوهم وعصبوا أعينهم، وسافروا بهم مدّة لا يعلمون كم هي، ثم تركوهم على الساحل وانصرفوا.
فلما سمعوا كلام الناس صاحوا، فأقبلوا إليهم وحلوا عن أعينهم وقطعوا كتافاتهم، وأخبرهم الجماعة، فقال لهم الناسُ: هل تدرون كم بينكم وبين أرضكم ؟ قالوا: لا قالوا: فوق شهر جدا؛ فرجعوا إلى بلدهم، ولهم في أشبونة حارة مشهورة تسمى حارة المغرورين إلى الآن.
ومالقة: وهي مدينة كبيرة واسعة الأقطارعامرة الدّيار؛ قد استدار بها من جميع جهاتها ونواحيها شجر التيّن المنسوب إلى ريّة وهو أحسن التيّن لوناً وأكبره جرما وأنعمه شحما وأحلاه طعماً؛ حتى إنه يُقال ليس في الدنيا مدينة عظيمة محيطٌ بها سور من حلاوة عرض السور يوم للمسافرين إلا مالقة، ويحمل منها التيّن إلى سائر الأقاليم حتى إلى الهند والصين وهو مسافة سنةٍ لحسنه وحلاوته وعدم تسويسه وصحة بقائه ولها ربضان عامران ربضٌ عامٌ للناس وربض للتيّانين وشرب أهلها من الآبار، وبينها وبين قرطبة حصون عظيمة.

ومن أقاليم جزيرة الآندلس إقليم السيارات ومن مدنه المشهورة اغرناطة وهي مدينة محدثة، وما كان هناك مدينة مقصودة إلا البيرة، فخربت وانتقل أهلها إلى اغرناطة وحسن الصنهاجي هو الذّي مدنها وبنى قصبتها وأسوارها، ثم زاد في عمارتها ابنه باديس بعده وهي مدينة يشقها نهر الثلج المسمى سيدل وبدؤه من جبل سمكير والثلج بهذا الجبل لا يبرح [٢٣] ومن المدُن المشهورة ألمرية، وكانت مدينة الإسلام في أيام الملثمين، وكانَ بهَا من الصّنَاعات كلّ غريبَة، وكانَ بهَا لنسج الطّرز الحرير ثمانمائة نول، وللحلل الحرير النفيسَةِ والدّيباج الفاخر ألف نول، وللسّقلاطون كذلك وللثياب الجرجَانية كذلك وللاصبَهانيّ مثل ذلك وللعتابيّ والمعاجر المذهبة الستور والمكللة بالشرح، وكان يصنع بها صنوف آلات الحديد والنحاس والزجاج مما لا يوصف.
وكان بها من أنواع الفاكهة العجيبة، التي تأتيها من وادي تجانة ما يعجز عنه الوصف حسناً وطيباً وكثرة، وتباع بأرخص ثمنٍ، وهذا الوادي طوله أربعون ميلاً في مثلها، كلها بساتين مثمرة وجنات نضرة وأنهار مطردة وطيورٌ مغردة، ولم يكن في بلاد الأندلس أكثر مالاً من أهلها ولا أكثر متاجر ولا أعظم ذخائر، وكان بها من الفنادق والحمامات ألف مغلق إلا ثلاثين، وهي بين جبلين بينهما خندق معمور، على الجبل الواحد، قصبتها المشهورة بالحصانة، وعلى الجبل الآخر ربضها. والسور محيط بالمدينة والربض، وغربيّها ربض لها آخر يسمى ربض الخوض، ذو أسواق وحمامات وفنادق وصناعات، وقد استدار بها من كل جهة حصون مرتفعة وأحجار أزليّة، وكأنما غربلت أرضها من التراب، ولها مدن وضياع متصلة الأنهار.

---

[٢٢] – نهاية صفحة ٢٢ من المخطوط
[٢٣] – نهاية صفحة ٢٣ من المخطوط

قرطاجنة : مدينة أزلية كثيرة الخصب، ولها إقليم يسمى القندون، قليل مثله في طيب الأرض ونموّ الزرع، ويقال إن الزرع فيه يكتفي بمطرة واحدة، وكانت هذه المدينة في قديم الزمان من عجائب الدنيا؛ لارتفاع بنائها واظهار القدرة فيه، وبها أقواس من الحجارة المقرنصة، وفيها من التصاوير والتماثيل وأشكال الناس وصور الحيوانات ما يحير البصر والبصيرة.

ومن عجيب بنائها الدواميس، وهي أربعة وعشرون داموساً على صف واحدٍ من حجارة مقرنصة، طول كل داموس مائة وثلاثون خطوة في عرض ستين خطوة، ارتفاع كل واحد أطول من مائتي ذراع، بين كل داموسين أثقاب محكمة[٢٤] تصل فيها المياه من بعضها إلى بعض في العلو الشاهق، بهندسةٍ عجيبةٍ وإحكامٍ بليغ، وكان الماء يجري إليها من شوتار وهي عين بقرب القيروان تخرج من جانب جبل، وإلى الآن يحفر في هدمها من سنة ثلثمائة، فيخرجُ منها من أنواع الرخام والمرمر والجذع الملون ما يُبهر الناظر.
قال الجوقليّ:-" ولقد أخبرني بعض التجار أنه استخرج منها ألواحاً من الرخام، طول كل لوح أربعون شبراً في عشرة أشبار، والحفر بها دائم على ممر الليالي والأيام لم يبطل أبداً، ولا يسافر مركب أبداً، في البحر في تلك المملكة إلا وفيه من رخامها، ويستخرج منها أعمدة طول كل عمُود ما يزيد على أربعين شبراً، وغالب الدّواميس قائمة على حالها.
وشاطبة: وهي مدينة حسنة يُضرب بحسنها المثل، ويعمل بها الورق الذي لا نظير له في الأقاليم حسناً.
قنطرة السُيف: وهي مدينة عظيمة، وبها قنطرة عظيمة وهي من عجائب الدنيا، وعلى القنطرة حصن عظيم منيع الذّرى.
طليطلة: وهي مدينة واسعة الأقطار عامرة الدّيار، أزلية من بناء العمالقة الأول العادية، ولها أسوار حصينة لم ير مثلها إتقاناً وامتناعاً، ولها قصَبة عظيمة، وهي على ضفة البحر الكبير، يشقها نهر يسمى باجة ولها قنطرة عجيبة، وهي قوسٌ واحد، والماء يدخل من تحته بشدةٍ جريٍ، وفي آخر النهر ناعورة طولها تسعون ذراعاً بالرشاشيّ، يصعد الماء إلى أعلى القنطرة، فيجري على ظهرها ويدخل إلى المدينة.

وكانت طليطلة دار مملكة الروم، وكان فيها قصر مقفل أبداً، وكلما تملك فيها ملك من الروم قفل عليه قفلاً محكماً؛ فاجتمع على باب القصر أربعةٌ وعشرون قفلاً، ثم ولي الملك رجُل ليس من بيت الملك، فقصد فتح تلك الأقفال؛ ليرى ما داخلها، فمنعه من ذلك أكابر الدولة، وأنكروا ذلك عليه وحذّروه وجهدوا به، فأبى إلاّ فتحها، فبذلوا له جميع ما بأيديهم من نفائس الأموال على عدم فتحها فلم يرجع، وأزال الأقفال، وفتح الباب فوجد فيها صورة العرب على خيلها وجمالها وعليهم العمائم المسبلة[٢٥] متقلدين السيوف وبأيديهم الرماح الطوال والعصي، ووجد كتاباً فيه: "إذا فتح هذا الباب تغلبّ على هذه النّاحية قوم من الأعراب على صفة هذه الصُور، فالحذر من فتحه الحذر".
قال: "ففتح في تلك السنة الأندلس طارق بن زياد في خلافة الوليد بن عبد الملك من بني أميّة، وقتل ذلك الملك شرّ قتلة ونهب ماله وسبى من بها وغنم أموالها، ووجد بها ذخائر عظيمة، من بعضها مائة وسبعون تاجاً من الدر والياقوت والأحجار النفيسة، وإيواناً تلعب فيه الرماحة بأرماحهم فيه قد ملئ من

---

[٢٤] – نهاية صفحة ٢٤ من المخطوط
[٢٥] – نهاية صفحة ٢٥ من المخطوط

أواني الذهب والفضة مما لا يحيط به وصف، ووجد بها المائدة؛ التي لنبي الله سليمان بن داود عليهما السّلام، وكانت على ما ذكر من زمرّد أخضر، وهذه المائدة إلى الآن في مدينة رومية باقية، وأوانيها من الذهب وصحافها من اليشم والجزع، ووجد فيها الزبور بخط يونانيّ في ورق من ذهب مفصّل بجوهرٍ، ووجد مصحفاً مُحلاّ فيه منافع الأحجار والنبات والمعادن واللغات والطلاسم وعلم السّيمساء والكيمياء.

ووجد مصحفاً فيه صناعة أصباغ الياقوت والأحجار وتركيب السموم والترياقات، وصورة شكل الأرض والبحار والبلدان والمعادن والمسافات، ووجد قاعة كبيرة مملوءة من الأكسير، يرد الدرهم منه ألف درهم من الفضة ذهباً إبريزاً، ووجد مرآة مستديرة مدبّرة عجيبة من أخلاط قد صنعت لسليمان عليه السلام، إذا نظر النّاظر فيها رأى الأقاليم السبعة فيها عياناً، ورأى مجلساً فيه من الياقوت والبهرمان وسق بعير، فحمل ذلك كله إلى الوليد بن عبد الملك، وتفرّق العرب في مدنها.

وبطليطلة بساتين محدقة وأنهار مخترقة ورياض وفواكه مختلفة الطّعوم والألوان، ولها من جميع جهاتها أقاليم رفيعة ورساتيق مريعة وضياع وسيعة وقلاع منيعة، وشمالها جبل عظيم معروف بجبل الإشارات، به من البقر والغنم ما يعم البلاد كثرة ونمواً.

الغرب الأدنى

وهو الواحات وبرقة وصحراء الغرب والإسكندرية؛ فأما الواحات[٢٦]: فإنّ بها قوماً من السودان يسمون وهم في الأصل عربٌ مخضرمون، وبها كثير من القرى والعمائر والمياه وهي أرض حارة جداً، وهي في ضفة الجبل الحائل بين أرض مصر والصحارى، وينتج بهذه الأرض وما اتصل بها من أرض السودان حمرٌ وحشيّة منقوشة ببياض وسواد بزيّ عجيب لا يمكن ركوبها، وإن خرجت عن أرضها ماتت في الحال، وكان في القديم يزرع بأرضها الزعفران كثيراً وكذلك البليلج والعُصفر وقصب السّكر، وبها حيّات في رمال تضرب الجمل في خفة فلا ينقل خطوة حتّى يطير وبره من ظهره ويتهرا.

شنتريّة: بها قوم من البربر وأخلاط العرب، وبها معدن الحديد والبريم، وبينها وبين الإسكندرية برية واسعة، يقولون: إنّ لها مدناً عظيمة مُطلسمة من أعمال الحكماء والسّحرة، ولا تظهر إلاّ صدفة، فمنها ما حُكي أن رجلاً أتى عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى، وعمر رضي الله عنه يومئذ عاملٍ على مصر وأعمالها، فعرفه أنه رأى في صحراء العرب بالقرب من شنتريّة، وقد أوغل فيها في طلب جمل له ندّ منه بمدينة قد خرب الأكثر منها، وأنّه قد وجد فيها شجرة عظيمة بساق غليظ تثمرُ من جميع أنواع الفواكه، وأنه أكل منها كثيراً وتزود، فقال له رجل من القبط: "هذه إحدى مدينتي هرمس الهرامسة، ولها كنوز عظيمة"، فوجّه عمر بن عبّد العزيز رضي الله عنه مع ذلك الرجل جماعة من ثقاته، واستوثقوا من الزاد والماء عن شهر، وطافوا تلك الصَّحارى مراراً؛ فلم يقفوا على شيء من ذلك.

ويُحكى: إن عاملاً من عمال العرب جار على قوم من الأعراب، فهربوا من عنفه وجوره، ودخلوا صحراء العرب ومعهم من الزاد ما يكفيهم مدّة، فسافروا يوماً أو بعض يوم فدخلوا جبلاً؛ فوجدوا فيه عنزاً كثيرة، وقد خرجت من بعض شعاب الجبل، فتبعوها فنفرت منهم فأخرجتهم إلى مساكن وأنهار وأشجار ومزارع وقوم

---

[٢٦] – نهاية صفحة ٢٦ من المخطوط

مقيمين في تلك الناحية قد تناسلوا وهم في أرغد عيش وأنزه مكان، وهم يزرعون لأنفسهم ويرفعُون ما يزرعون بلا خراج ولا مقاسمة ولا طلب [٢٧]، فسألوهم عن حَالهم فاخبروهم أنهمّ لم يدخلوا إلى بلاد العَرب ولا عرفوها؛ فرجَع اولئك القوم الّذين هربوا من العَامِل إلى أولادهم وأهاليهم ودوابّهم فساقوها ليلاً، وخرجوا بهم يَطلبُونَ ذلك المكان؛ فأقاموا مدّة طويلة يَطوفونَ في ذلك الجبَل فلم يقعُوا لهم على أثر، ولا وجدُوا لذلك القوم من خبر.

ويُحكى أنّ موسى بن نصير لما قلد الغرب، وَوليها في زمان بني أُميّة، أخذ في السّير على ألواحِ الأقصى بالنجوم والأنوار، وكانَ عَارفاً بَها، فأقامَ سبعَة أيام يَسير في رمال بين مهَبي الغرب والجنوب، فظهرت له مدينة عظيمة لها حصنٌ عظيم بأبوَاب من حديد، فرامَ أن يفتح باباً منها، فلم يقدر وإعياهُ ذلك لغلَبة الرمل عليها، فأصعَدَ رجَالاً إلى أعلاه، فكان كلّ مَن صَعدَ ونظر إلى المدينة، صاح ورمى بنفسِه إلى داخلها، ولا يعلم ماذا يصيبه ولا ما يراه فلم يجد له حيلةً فتركها ومضى.

وحُكي أنّ رجلاً من صعيد مصر أتاهُ رجلٌ آخر وأعلمه أنه يعرف مدينة في أرض الواحات بها كنوز عظيمة فتزودا وخرجا، فسافرا في الرمل ثلاثة أيام ثم أشرفا على مدينة عظيمة بها أنهارٌ وأشجارٌ وأثمار وأطيار ودور وقصُور، وبهَا نهرٌ محيط بغالبها، وعلى ضُفة النهر شجرَة عظيمة، فأخذ الرجُل الثاني من ورق الشجرة ولفّها على رجليه وساقيه بخيُوط كانَت معَه وفعل برفيقه كذلك، وخاضَا الماء والنهرَ، فلم يتعَدّ الماء الورق ولم يجاوزهُ، فصعدا إلى المدينة، فوجَدا منَ الذهب وغيره ما لا يُكيّف ولا يوصَف، فأخذا منه ما أطاقا حمله ورجعا بسلامةٍ، وتفرّقا فدخل الرجل الصّعيدي إلى بعض ولاة الصّعيد وعرفه بالقصّة وأراهُ من عين الذهب، فوَجّه معَه جَماعةً وزوّدهم زادا يكفيهم مدّة، فجعَلوا يَطوفون في تلك الصّحارى، ولا يجدون لذلك أثرا وطال الامر عليهم، فسَئموا ورجَعُوا بخيبَةٍ.

وأمّا أرض برقة؛ فكانَت في قديم الزّمان مدنا عظيمةً عامرةً، وهي الآن خرابٌ ليسَ بهَا إلا القليل منَ النّاس والعمارة وبهَا يزرع منَ الزعفران شيء كثير.

وأما اسكندَرية فهيَ آخر مُدن الغرب وهيَ على صفةّ البحر الشاميّ، وبهَا الآبار العجيبَة والرسُوم الهائلة التيّ [٢٨] تشهَدُ لبانيِها بالملك والقدرة والحكمة، وهي حصينة الأسوار وعامرَة الدّيار كثيرة الأشجار غزيرة الثمار بهَا الرمان والرطب والفاكهة والعنب، وهيَ منَ الكثرة في الغاية، ومِن الرخص في النهاية، وبها يعمل منَ الثياب الفاخرة كلّ عجيب ومن الأعمال الباهرة كلّ غريب، ليَس في مَعمُور الأرض مثلهَا، ولا في أقصَى الدّنيا كشكلّهَا، يحمل منها إلى سَائر الأقاليم في الزمَن الحادث والقديم، وهيَ مزدَحم الرجَال ومحَط الرّحال ومقصد التجار من سَائر القفار والبحار.

والنيل يدخل إليها من كلّ جانب من تحت أقبية إلى معمورها، ويدور بهَا وينقسمُ في دورهَا بصنعة عجيبَة وحِكمة غريبَة، يَتّصلُ بعضها ببَعض أحسَنَ اتصَال؛ لأنّ عمارَتها تشبهُ رقعَة الشطرنج في المثال، وأحد عجائب الدّنيا فيهَا، وهو المنار؛ الّذي لم يرَ مثلهُ في الجهَات والأقطار، وبين المنار والنيل ميل واحد، وارتفاعُه ثلاثمائة ذراعٍ بالرشاشيّ لا بالسّاعدي، جملته مائتا قامة إلى القبّة.

---

[٢٧] – نهاية صفحة ٢٧ من المخطوط

[٢٨] – نهاية صفحة ٢٨ من المخطوط

ويُقال أنه كان في أعلاه مرآة ترى فيهَا المراكب من مسيرة شهر، وكانَ بالمرآة أعمال وحركات لحرقِ المركبُ في البحر، إذا كانَ عدوّا بقوّة شعَاعها، فأرسَل صَاحبُ الرومِ يخدع صَاحبَ مصر، ويقول:" إنّ الاسكندرَ قد كنز بأعلى المنار كنزاً عظيماً منَ الجوَاهر واليوَاقيت واللعل والأحجار؛ التيّ لا قيمة لها خوفا عليها، فإن صَدّقت فبادر إلى استخراجه، وإن شككت فأنا أرسل لك مركباً موسُوقا من ذهبٍ وفضةٍ وقماشٍ وأمتعة لا تقومّ، ومَكنني منَ استخراجه ولك منَ الكنز ما تشَاء!!!" فانخدع لذلك وَظنّه حَقّا فهدَم القبّة، فلم يجد شيئاً مما ذكر، وفسَد طلسَم المرآة.

ونقل أنّ هذا المنار كانَ في وسَط المدينة، وأنّ المدينة كانَت سبع قصبَات متواليةٍ، وانما أكلَهَا البحرُ، ولم يبق منها إلا قصبَة واحدَة؛ وهي المدينة الآن وصَار المنار في البحر؛ لغلبَة الماء على قصَبَةِ المنَار، ويُقال إنّ مسَاجدَهَا حُصرَت في وَقتٍ منَ الاوقات؛ فكانَت عشرين ألف مسجدٍ، وذَكرَ الطّبريّ في تاريخه أنّ عمرو بن العَاص رَضي الله عنه؛ لمّا افتتحهَا أرسَل إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه[29] يَقول:" قد افتتحتُ لك مدينة، فيهَا اثنى عشر ألف حَانوت تبيعُ البقل."، وكان يوقد في أعلى هَذا المنار ليلاً ونهَاراً؛ لاهتداء المراكب القاصدة إليها، ويَقُولون إنّ الّذي بَنى المنار هوَ الّذي بنى الاهرامَات، وبهَذه المدينة المثَلّثان؛ وهما حجران مَربعَان وأعلاهما ضيّق حَاد، طول كلّ واحد منهما خمسُ قاماتٍ، وعرض قواعدهما في الجهَات الأربع كلّ جهةٍ أربعُون شِبراً، وعليهما خطّ بالسّرياني.

حكي أنهما منحُوتان من جَبل بريم؛ الّذي هُوَ غربيّ ديار مصر، والكتابة التيّ عليهما:" انَا يعمر بن شدّاد، بنيتُ هَذه المدينة حين لا هَرم فاش، ولا موت ذريع ولا شيبٌ ظاهِرٌ، وإذا الحجارة كالطّين، وإذا الناسُ لا يعرفونَ لهم ربا، وأقمتُ اسطواناتها، وفجرتُ أنهارها، وغرستُ أشجارها، وأردتُ ان أعمل فيها شيئا منَ الآثار المعجزة والعَجائب الباهرة، فأرسَلتُ مولايَ البتُوت بن مرّة العَاديّ ومقدام بن العَمر وابن أبي دغال التّمودي خليفة إلى جبَل بريم الأحمرَ، فاقتطعَا منه حجرَين، وحملاهما على أعناقهمَا؛ فانكسرَت ضلعٌ من أضلاع البتوتِ، فوددت أنّ أهل مملكتي كانوا فداءً له، وهُما هذان، وأقامهُما لى الفطن بن حَارودِ المؤتفكي في يوم السّعَادة، وهَذه المثلثة الواحدة في رُكن البلد من الجهَة الشرقيّة والمثلثة الأخرى ببَعض المدينة.". ويقال إنّ المجلس الّذي بجنوب المدينة المنسُوب إلى سُليمان بن داود عليهما السَّلام بناهُ يعمر بن شدّاد المذكور، واسطوَاناته وعضَاداتُه باقيَة إلى الآن، وهو سنة خمسٍ وثمانين وثلاثمائة، وهو مجلسٌ مربعٌ في كلّ رأسٍ منه ست عشرة سارية، وفي الجانبين المتطاولين سبع وستون سارية، وفي الركن الشماليّ اسطوانة عظيمة، ورأسها عليها وفي أسفلها قاعدة من الرخام مربّعة جرمها ثمانون شبرا، وطولها من القاعدة إلى الرأس تسع قامات، ورأسها منقوش مخرّم بأحكم صنعة، وهي مائلة من تقادم الدهور ميلا كثيرا، لكنها ثابتة وبها عمود يُقال له عمود القمر عليه صورة طير يدور مع الشمس.

أرض مصر: وهي غرب جبل جالوت[30] وهو إقليم العجائب ومعدن الغرائب وأهله كانوا أهل ملك عظيم وعز قديم وكان به من العلماء عدّة كثيرة، وهم متفننون في سائر العلوم مع ذكاء مفرط في جبلتهم، وكانت

---

[29] – نهاية صفحة ٢٩ من المخطوط

[30] – نهاية صفحة ٣٠ من المخطوط

مصر خمساً وثمانين كورة؛ منها أسفل الأرض خمس وأربعون كورة وفوق الأرض أربعون كورة ونهرها يشقها والمدن على جانبيه وهو النهر المسمّى بالنيل العظيم البركات المبارك الغدوات والرواحات وهو أحسن الاقاليم منظراً وأوسعهم خيراً وأكثرهم قرىً، وهو من حد أسوان الى اسكندرية.

وفي أرض مصر كنوز عظيمة، ويُقال أن غالب أرضها ذهبٌ مدفون حتّى قيل إنه ما فيها موضعٌ إلا وهو مشغول بشيء من الدفائن، وبها الجبل المقطم وهو شرقها ممتد من مصر الى أسوأن في الجهة الشرقية يعلو في مكان وينخفض في مكان، وتسمى تلك التقاطيع منه البجاميم وهي سود ويوجد فيها المغرة والكلّس، وفيه ذهبٌ عظيم وذلك أنّ تربته إذا دبّرت استخرج منها ذهبٌ خالصٌ، وفيه كنوز وهياكل وعجائب غريبة، ومما يلي البحر الجبل المنحوت المدّور، الّذي لا يستطيع أحدٌ أن يرقاه لملاسته وارتفاعه، وفيه كنوز عظيمة لمقطّم الكاهن؛ الّذي نُسب إليه هذا الجبل ولملوك مصر القديمة أيضاً فيه من الذهب والفضة والأواني والآلآت النفيسة والتماثيل الهائلة والتبر والاكسير وتراب الصنعة ما لا يعلمه إلا الله.

ومن مدنه المشهورة الفسطاط وهو فسطاط عمرو بن العاص، وهي مدينة عظيمة، وبها جامع عمرو بن العاص رضي الله عنه وكان مكانه كنيسة للرّوم، فهدمها عمرو بن العاص وبناها مسجداً جامعاً، وحضر بناؤه جماعة من الصحابة، وشرقي الفسطاط خراب وذكر أنها كانت مدينة عظيمة قديمة ذات أسواق وشوارع واسعة وقصور ودور وفنادق وحمّامات، يُقال أنه كان بها أربعمائة حمّام؛ فخربها شاور وهو وزير العاضد خوفا من الفرنج أن يملكوها وسمي الفسطاط فسطاطاً؛ لأنّ عمرو بن العاص نصب فسطاطه؛[٣١] أي خيمته هناك مدة إقامته، ولما أراد الرحيل وهدّ الفسطاط أُخبر أن حمامة باضت بأعلاه؛ فأمر بترك الفسطاط على حاله؛ لئلا يحصل التشويش للحمامة بهدم عشها وكسر بيضها، ولا يُهدم حتى تفقس عن فراخها وتطيرهم وقال: "والله ما كنا لنسيء لمن لجأ بدارنا واطمأن الى جانبنا".

وقبالة الفسطاط الجزيرة المعروفة بالرّوضة، وهي جزيرة يحيط بها بحر النيل من جميع جهاتها، وبها فرج ونزه ومقاصف وقصور ودور وبساتين، وتسمّى هذه الجزيرة دار المقياس، وكانت في أيام بعض ملوك مصر يجتاز إليها على جسرٍ من السفن فيه ثلاثون سفينة، وكان بها قلعة عظيمة، فخربت وبها المقياس يحيط به أبنية دائرة على عمد.

وفي وسط الدار فسقية عميقة ينزل إليها بدرج من الرخام دائرة وفي وسطها عمود رخام قائم وفيه رسوم أعداد الأذرع والأصابع يعبر إليه الماء من قناةٍ عريضة، ووفاء النيل ثمانية عشر ذراعاً، وهذا المبلغ لا يدع من ديار مصر شيئا إلا أرواه، وما زاد على ذلك ضرر ومحن؛ لأنه يميت الشجر ويهدم البنيان، وبناء مصر كلّها طبقات بعضها فوق بعض يكون خمساً وستا وسبعاً، وربما سكن في الدّار الواحدة الجامعة مائة من الناس، ولكلّ منهم منافع ومرافق مما يحتاج إليه.

وأخبر الجوقليّ أنه كان بمصر على أيامه دار تعرف بدار ابن عبد العزيز بالموقف؛ يصب لمن فيها من السّكان في كلّ يوم أربعمائة راوية، وفيها خمسة مساجد وحمامان وفرنان.
القاهرة المعزية: حرسها الله تعالى وثبت قواعد أركان دولة سلطانها، وجعلها دار إسلام الى يوم القيامة

---

[٣١] - نهاية صفحة ٣١ من المخطوط

آمين، وهي مدينة عظيمة أجمع المسافرون غرباً وشرقاً براً وبحراً؛ إنه لم يكن في المعمورة أحسن منها منظراً ولا أكثر ناساً ولا أصح هواءً ولا أعذب ماء ولا أوسع فناء، وإليها يجلب من أقطار الأرض وسائر الأقاليم من كلّ شيء غريب، ونساؤها في غاية الحسن والظرف.

وملكها عظيم ذو هيئة وصيت؛ كثير الجيوش حسن الرأي لا يماثله ملك في زيه وترتيبه[٣٢] تعظمه ملوك الأرض وتخشى بأسه وترغب في مودته وتترضاه، وهو سلطان الحرمين الزاهرين والحاكم على البحرين الزاخرين، وهي مدينة يعبّر عنها بالدّنيا، وناهيك من إقليم يحكم سلطانه على مواطن العبادة في الأرض كمكة المشرفة والمدينة الشريفة وبيت المقدس والشام ومواطن الأنبياء ومستقر الأولياء وأهل هذه المدينة في غاية الرفاهية والعيشة الهنية والهيئة البهيّة، وقد ورد في الخبر: "مصر كنانة الله ما رامه أحد بسوءٍ إلا أخرج من كنانته سهماً فرماهُ به وأهلكه".

عين شمس: وهي شرقيّ القاهرة، وكانت في القديم دار مملكة لهذا الأقليم، وبها من الأعمال والأعلام الهائلة والآثار العظيمة، وبها البستان الّذي لا ينبت شيء من الأرض إلا فيه، وهو بستان طوله ميل في ميل، والسّرّ في بئره؛ لأن المسيح عليه السَّلام اغتسل فيه، وغربيّها مدينة قليوب وهي مدينة عظيمة؛ يقولون أنه كان بها ألف وسبعمائة بستان؛ ولكن لم يبق إلاّ القليل وبها من أنواع الفاكهة شيء كثير في غاية الرخص.

وبها السّردوس الّذي هو أحد نزه الدّنيا يُسار فيه يومان بين بساتين مشبّكة وأشجار ملتفة وفواكه فاخرة ورياض ناضرةٍ، وهي حفير هامان وزير فرعون، يُقال أنه لما حفرها جعل أهل البلاد يخرجون إليه، ويسألونه أن يجريها إليهم، ويجعلون له على ذلك ما شاء من المال، ففعل وحصّل من أهل البلاد مائة ألف ألف دينار، فحملها إلى فرعون؛ فسأله:" من أين هذا المال الكثير؟"، فأخبره أن أهل البلاد سألوا منه إجراء الماء إلى بلادهم وجعلوا هذا المال مقابلة لذلك؛ فقال فرعون: "بئس ما صنعت من أخذ هذه الأموال، اما علمت أن السيد المالك ينبغي له أن يعطف على عبيده ولا يأخذ منهم على إيصال منفعة أجرا، ولا ينظر إلى ما بأيديهم ؟ اردد المال إلى أربابه ولا تات بمثلها".

الجيزة: وهي مدينة عظيمة على ضفة النهر الغربية ذات قرى ومزارع، وبها خصبٌ كثيرٌ وخير واسع، وبها القناطر التيّ لم يعمل مثلها وهي أربعون قوساً على سطر واحد، وبها الأهرام التي هي[٣٣] من عجائب الدّنيا لم يبن على وجه الأرض مثلها في إحكامها وإتقانها وعُلوها، وذلك أنها مبنية بالصّخور العظام، وكانوا حين بنوها يثقبون الصخر من طرفيه، ويجعلون فيه قضيباً من حديد قائم ويثقبون الحجر الآخر، وينزلونه فيه ويذيبون الرصاص، ويجعلونه في القضيب بصنعةٍ هندسيةٍ؛ حتى أكمل بناؤه، وهي ثلاثة أهراماتٍ؛ ارتفاع كلّ هرم منها في الهواء مائة ذراع بالملكي، وهو خمسمائة ذراع بالذراع المعهُود بيننا، وضلع كلّ هرم من جهاته مائة ذراعٍ بالملكي، وهي مهندسة من كلّ جانب محدودة الأعالي من أواخر طولها على ثلثمائة ذراع.

---

٣٢ – نهاية صفحة ٣٢ من المخطوط

٣٣ – نهاية صفحة ٣٣ من المخطوط

يقولون أنّ داخل الهرم الغربيّ ثلاثين مخزناً من حجارة صوّان ملوّنة مملوءة بالجواهر النفيسة والأموال الجمّة والتماثيل الغريبة والآلات والأسلحة الفاخرة التيّ قد دهنت بأدهان الحكمة فلا تصدأ أبداً إلى يوم القيامة، وفيه الزجاج الّذي ينطوي ولا ينكسر واصناف العقاقير المركبة والمفردة والمياه المدبرة.

وفي الهرم الشرقي الهيئات الفلكية والكواكب منقوش فيها ما كان وما يكون في الدهور والأزمان إلى آخر الدهر، وفي الهرم الثالث أخبار الكهنة في توابيت صوّان، مع كلّ كاهن لوحٌ من ألواح الحكمة، وفيه من عجائب صناعاته وأعماله وفي الحيطان من كلّ جانبٍ أشخاص كالأصنام؛ تعمل بأيديها جميع الصّناعات على المراتب، ولكلّ هرم منها خازن، وكان المأمون لمّا دخل الديار المصرية؛ أراد هدمها فلم يقدر على ذلك، فاجتهد وأنفق أموالاً عظيمة، حتّى فتح في أحدها طاقةً صغيرة، يقال إنه وجد خلف الطاقة من الأموال قدر الّذي أنفقه لا يزيد ولا ينقص، فتعجب من ذلك، وقال شعرا:

انظر إلى الهرمين واسمع منهما .... ما يرويان عن الزمان الغابر

لو ينطقان لخبّرانا بالّذي .... فعل الزمان بأوّلٍ وبآخر

وقال غيره:

خليليّ ما تحت السماء بنيّةٌ .... تناسب في اتقانها هرميّ مصر [٣٤]

بناء يخاف الدّهر منه وكلّما ...... على ظاهر الدّنيا يخاف من الدّهر

وقال آخر:

أين الّذي الهرمان من بنيانه .... ما قومه ما يومه ما المصرع؟

تتخلّف الآثار عن أصحابها .... حيناً ويدركها الفناء فتصرع

الفيّوم: وهي مدينة عظيمة بناها يوسف الصّديق عليه السَّلام، ولها نهر يشقها ونهرها من عجائب الدنيا، وذلك أنه متصل بالنيل وينقطع منه في أيّام الشتاء، وهو يجري على العادة، ولهذه المدينة ثلثمائة وستون قرية عامرة آهلة، كلّها مزارع وغلال، ويقال أنّ الماء في هذا الوقت أخذ أكثرها، وكان يوسف عليه السَّلام قد جعلها على عدد أيام السّنة؛ فإذا أجدبت الدّيار المصريّة، كانت كلّ قرية تقوم بأهل مصر يوماً، وبأرض الفيّوم بساتين وأشجار وفواكه كثيرة رخيصة وأسماك زائدة الوصف، وبها من قصب السّكر شيء كثير، ويقال أنه كان على الفيّوم وإقليمها كلّها سور واحد.

وسخا: مدينة حسنة ولها إقليم واسع، وبجامعها حجرٌ أسود وعليه طلسمٌ بقلم الطّير اذا أخرج ذلك الحجر من الجامع دخله العصافير، واذا أدخل إليه خرجت العاصفير.

وأمّا انصنا والأشمونين وأبو صير: فمدن أزلية وبهم الأثار الهائلة، ويقال أنّ سحرة فرعون كانوا من مدينة أبو صير وبها الآن بقية منهم، وأما أسيوط وأخميم ودندرا: فمدنٌ أزلية وبها آثار عجيبة وأعلام هائلة، وزماخر: وهي مدينة حسنة كثيرة الفواكه يقرب منها جبل الطّيلمون وهو يأتي من جهة المغرب؛ فيعترض

---

[٣٤] – نهاية صفحة ٣٤ من المخطوط

مجرى النيل والماء ينصبّ إليه بقوةً يمنع المراكب فلا يقدرون على الجواز عليه إلى أسوان، ذكروا أن كرهيةً الساحرة كانت ساكنة بأعلى هذا الجبل في قصر عظيم وكانت تتكلّم على المراكب المقلعة في البحر فتقف.

وأسوان: وهي آخر الصعيد الأعلى وهي مدينة صغيرة عامرة كثيرة اللحوم والأسماك والغزلان، وليس يتصل بأسوان من جهة المشرق بلد للإسلام إلا جبل العلاقي[٣٥] وهو جبل في واد جاف لا ماء به، لكن يحفر عليه فيوجد الماء قريباً؛ فيسمّى معيناً، وبه معدن الذهب والفضة، وعلى جنوبه من النيل جبل في أسفله معدن الزمرّد في برّية منقطعةٍ عن العمارة؛ ليس في الأرض كلّها معدن الزمرّد سواه، ويتصل بأسوان من جهة المغرب أرض الواحات.

وبديار مصر معدن الملح والنطرون وهما من عجائب الدّنيا، وأمّا رمال الضيم: فإنها آية من آيات الله عز وجل، فإنه يؤخذ العظم، فيدفنُ في ذلك الرّمل سبعة أيّام فيعود حجراً صلداً، وكان على أسوان وأرضها سور محيطٌ من جانبيها فتهدّم، ويقال له حائط العجوز الساحرة.

أرضُ القلزُم: وهي بين مصر والشّام وهوَ بحر في ذاته، وفيه جبالَ فوق الماء، وفيه قروش[٣٦] وحيواناتٌ مضرّة ظاهرة ومخفيّة، وكانت القلزم مدينتين عظيمتين؛ فتهدّمتَا من تسلّط العَرب على أهلهمَا وشربهما من عين سَدير وهيَ وسَط الرمل وماؤه زعاف، وبين القلزم وهوَ منتهىَ بحر فارس الآخذ منَ المحيط الشّرقي منَ الصّين، وبين البحر الشاميّ مسَافة أربع مراحل، يسَمّى بحصن التيّه وهوَ تيه بني اسرائيل وهي أرضٌ واسعة، ليس بها وَهدة ولا رابيَة ولا قلعة، ووسعها خمسَة أيّام في خمسَة، ومن مدنه المشهُورة عقبة أيلة وهي قرية صغيرة على جبَل عالٍ صَعب المرتقى يكونُ ارتفاعه والإنحدَار منه يوماً كامِلاً، وهيَ طرق لا يمكنُ أن يجُوز فيها إلاّ واحدٌ واحدٌ، على جانبهَا أودية بعيدة المهوى.

والحورَى: وهيَ قرية صَغيرة بها معدن البرام، ويحمل منها إلى سَائِر أقطار الأرض، وشربهم من آبارٍ عذبة، وهي على سَاحل بحر القلزم.

مدينة مدين: وهيَ خرابٌ، وبها البئر الّتي استسقى منها موسى لغنم شعيب عليهما السَّلام وهي الآن معَطّلة.

أرض البادية: هي ما بين أرض الشام والحجاز، وتُسمّى أرض الحَجر.

أرض الشام: وهيَ إقليمٌ عظيمٌ كثير الخيرات جَسيمُ البرَكات، ذو بسَاتين وجنّات وغياض وروضات، وفرج ومنتزهات وفواكه مختلفة رخيصَة، وبها اللحُوم كثيرة[٣٧] إلاّ أنها كثيرة الأمطار والثلوج، وهوَ يشتمل على ثلاثين قلعة، وليسَ فيها امنع من قلعَة الكرك، وإقليم الشّام يشتملُ على مثل كَورَة فلسطين وكورة عمداش بيتا، وكورة يافا وكورة قيسارية وكورَة طَرابلس وكورة سبيطة، وكورة عسقلان وكورة حطين وكورَة غزّة، وكورة بيت جبريل، وفي جنوبه فحص التيه وكورة الشّويك وكورة الأردن وكورة السّايرية، وكورة غانة وكورة ناصرة وكورة صور.

---

[٣٥] – نهاية صفحة ٣٥ من المخطوط

[٣٦] اسم حيَوانات

[٣٧] – نهاية صفحة ٣٦ من المخطوط

وأرض دمشق ومن كورها كورة الغوطة وكورة البقاع وكورة بعلبك، وكورة لبنان وكورة بيروت وكورة صيدا وكورة البثينة وكورة حول، وكورة جولان وكورة طاهِر وكورة الحولة، وكورة البلقا وكورة جبرين الغور، وكورة كفرطاب وكورة عمان وكورة السّراة.

ومن مدن الشّام المشهورة دمشق المحروسة وهي من أجلّ بلاد الشام مكانا، وأحسَنها بنيانا وإعدَلها هواءً وأغزرهَا ماءً، وهي دارُ مملكة الشام، ولها الغوطة الّتي لم يَكن على وجه الأرض مثلها، بها أنهار جارية مخترقة، وعيون سَارحَة مندفقة، وأشجار باسقة ثمار يانعة وفواكه مختلفة، وقصُور شاهقَة، ولها ضياع كالمدن.

وبدمشق الجامع المعروف ببَني أميّة، الّذي لم يكن على وجه الأرض مثله، بناه الوليد بن عبد الملك، وأنفق عليه أموالاً عظيمة، قيل: أنّ جُملةً ما أنفق عليه أربعمائة صندوق من ذهب في كل صندوق أربعة عشر ألف دينار، واجتمعَ في ترخيمه اثنا عشر ألف مرخم، وقد بني بأنواع الفصوص المحكمة والمرمر المصقول والجزع المَكحُول.

ويقال إنّ العمودين اللذين تحتَ قبة النسر اشتراهما الوليد بألف وخمسمائة دينار، وهما عمودان مجزعان بحُمرة لم يرَ مثلهما، ويقال أنّ غالبَ رخام الجامع كان معجُونا، ولهذا إذا وضع على النّار ذاب، وفي المحراب عمودان صغيرَان يقالُ أنهما كانا في عرش بلقيس، ومنارة الجامعِ الشرقيّة يقال: أنّ المسيحَ ينزل عليها، وعندَهَا حجرٌ يقال أنّه قطعة منَ الحَجر الّذي ضربه موسى[٣٨] بعصاه فانبجست منه اثنتا عشرة عينا.

قال بعض السّلف الصّالح: مَكثتُ أربعين سنَةَ ما فاتتني صلاة من الخمس بَهذا الجامِع، وما دخلته قط إلاّ وقعت عيني على شيء لم أكن رأيته قبل ذلك من صناعة ونقش وحكمةٍ.

ومن باب دمشق الغربيّ وادي البنفسج طوله اثنا عشر ميلاً في عرض ثلاثة أميَال مفروش بأجناس الثمار البديعة المنظر والمخبر، ويشقه خمسَة أنهار.

وميَاه الغوطة كلهَا تخرج من عين الفيحةِ، وهي عين تخرج من أعلى جبَل وتتصَبّ إلى أسفل بصَوت هائلٍ ودَويّ عظيم؛ فإذا انتهى إلى المدينة انفرق على الأنهار؛ وهيَ برَدَا وثوره ويزيد وقناة المزة وبانياس، ونهر سقط وبشلور، ونهر عادية وهذا النهر ليسَ للشرب؛ لأنّ عليه مصَبّ أوسَاخ المدينة، وهَذَا النّهر يشق المدينة وعليه قنطرة، وكلّ هذه الأنهار يخرج منها سَواقي تخترق المدينة فتجري في شَوارعها وأسوَاقهضا وأزقتها وحماماتها ودورها وتخرج إلى بسَاتينها.

والشام خمس شامات هكذا قرر في كتاب العقد الفريد: فالشام الأولى: غزّة والرملة وفلسطين وعسقلان وبيت المقدس، ومدينتها الكبرى فلسطين، والشام الثانية: الأردن وطبريّة والغور واليرموك وبيسَان، ومدينتها

---

[٣٨] – نهاية صفحة ٣٧ من المخطوط

الكبرى طبَريّة، والشام الثالثة: الغوطة ودمشق وسوَاحلها ومدينتها الكبرى دمشق، والرابعة: حمص وحماة وكفر طاب وقنسرين وحلب، والخامسة: أنطاكية والعواصم والمصيصة وطرسُوس.

فأمّا فلسطين فهيَ أوّل أجواز الشام من الغرب، وماؤها من الأمطار والسّيُول وأشجارها قليلة لكنها حسنة البقاع، وَهي من رفح إلى اللجّون طولاً ومن يافا إلى زغر عرضاً، وهي مدينة قوم لوط، والبحَيْرة التي بها يُقال لها البحَيرة المنتنة، ومنها إلى بيسَان وطبريّة تسمّى الغور لأنها بقعة بين جبَلين وسَائر ميَاه الشّام تنحدرُ إليها.

نابلس: هي مدينة السامرية؛ وبَها البئر الّتي حفرها يعقوب عليه السّلام، وبهَا جلسَ عليه السَّلام يَطلب منَ المرأة ماءً للشرب، وعلى ذلك المكان كنيسة معهودة.

عسقلان[39]: هيَ مدينة حسنة، ولها سُوران، وهيَ ذات بسَاتين وثمار وبها منَ الزيتون والكروم واللوز والرمّان شيء كثير، وهي في غاية الخصب.

بيتُ المقدس: يسمّى إيليا وهي مدينة حسنة ولها سوران عظيمان وهي على جبل يصعَدُ إليها من كل جانب، وفي طرفها الغربيّ باب المحراب وعَليّه قبة داود عليه السَّلام، وفي طرفها الشّرقي بابُ الرحمة، وكانَ يقفل فلا يفتح إلاّ من عيد الزيتون إلى عيد الزيتون، ومنَ الباب الغربيّ يسَار إلى الكنيسَة العُظمى المسمّاة بكنيسَة القيامة وهي المعروفة بكنيسَة قمامة، وتحجّ إليها الرومُ من سائر الأقطار، ويقابلهَا منَ المشرق كنيسَة الحبس الذي حبسَ فيه المسيح عيسَى عليه السَّلام. وبها مقابر الفرنج وشرقيّه المسجد المعَظّم المسمى بالأقصى، وليسَ في الدّنيا كلّها مسجدٌ على قدره إلاّ جامع قرطبة من بلاد الأندلس، وطول المسجد الأقصى مائتا باعٍ في عرض مائة وثمانين، وَفي وسَطه قبّة عظيمة تسمّى قبة الصّخرة، ويُقال إنّ سَقفَ جامِع قرطبة أكبر من سقف الأقصى، وصحن الأقصى أكبر من صحن جامع قرطبة.

وبالقرب من باب الأسبَاط كنيسَة حسنة كبيرة، وفيهَا قبر مريم أم عيسى عليهما السَّلام وتعرف بالجسمانية، وهناك جبَل يُقال له جبل الزيتون، وبهَذا الجبل قبر العَاذر؛ الذي أحيَاهُ الله للمسيح عليه السَّلام.

وعلى الميامن من جبَل الزيتون قرية منها جلب حمار المسيَح، وقريب من قبر عاذر مدينة أريحا، وعلى الأردن كنيسَة عظيمة على اسم يوحنا المعمدان، والأردن هوَ نهرٌ يخرج من بحيرة طبرية ويحُطّ في بحيرة سَدوم وعامودا مدائن لُوط. وبجنوب بيت المقدس كنيسَة صَهيون وهيَ الّتي فيهَا قلاّية يقال إنّ المَسيحَ أكل فيها مع حواريّه منَ المائدة لمّا أنزلت عليه؛ ويُقال إنّ المائدة باقية فيها، وهي كنيسَة حصينة وفيهَا على طرف الخندق كنيسَة بُطروس، وبهَذا الخندَق عين سلوان؛ وهي الّتي أبرأ فيها المسيح الضرير الأعمى، ويقربُ منها الخفل وهو مقابر الغرباء، وبهَا بيُوت كثيرة منقورة في الصّخر، وفيها رجال مقيمون قد حبسُوا أنفسَهُم لله تعالى فيها.

وأمّا بيت لحم: فهي كنيسَة حسنة البناء متقنة الصّنعة، وهو الموضع الّذي ولدَ فيه عيسى عليه السَّلام، وبينه وبين بيت المقدس ستة أميال[40]، وفي وسَط الطريق قبر راحيل أمّ يوسُف الصّديق عليه السّلام،

---

[39] – نهاية صفحة ٣٨ من المخطوط

[40] – نهاية صفحة ٣٩ من المخطوط

ويقربُ مِن ذلك مسجد الخليل عليه السَّلام، وهو قرية ممدّنة بهَا قبر الخليل إبراهيم وإسحاق ويعقوب عليهمُ السَّلام، وكل قبر من قبورهم قبل تجاه امرأته، وهوَ في وهدة بينَ جبَلين، ملتفة الأشجار كثيرة الثمار.

طبَريّة: هي مَدينة جليلة على جَبل مطلّ، وأسفلها بحيرة عذبة، وبهَا مراكب سَابحة ولها سُور حصين ويعمل بهَا من الحصر السّامان كلّ حسن بديع وبهَا حمامات حَامية من غير نارٍ وبها حمّام يعرف بحمام الدماقر كبيرٌ وأوّل ما يخرج مَاؤهَا يسمُط الجذاء والدّجاج ويسلق البيض، وهو مالحٌ، وبها حمّام اللؤلؤ، وهو أصغَرُ حمّاماتها وليسَ فيهَا حمّام يوقد فيه نارٌ إلاّ الصّغير. وفي جنوبها حمّام كبيرةٍ مثل عين يصبّ إليهَا مياهٌ حَارةٌ من عيُون كثيرة، وإنما يقصده أهل البلاء ويقيمون به ثلاثة أيام فيبرؤن.

وأمّا حمص: فهيَ مدينة حسنة في مستوىً مقصودة من سائر النواحي، وأهلها في خصب ورَغد عيشٍ، وفي نسَائها جَمال فائق، وكانَت في قديم الزّمان من أكبر البلاد. ويقال إنها مطلسَمة لا يدخلها حيَّة ولا عقربٌ، ومتى وصَلت إلى باب المدينة هلكت، ويحمَل من تراب حمص إلى سَائر البلاد فيوضعُ على لسعة العقرب فتبرأ، ولها القبّة العَاليةُ الّتي في وسَطها صَنم من نحاسٍ على صُورةِ انسان راكب على فرسٍ تدور مع الريح كيفما دارت، وفي حائط القبّة حجرٌ فيه صُورة عقربٍ، يأتي إليه الملدوغ والملسُوع ومعَه طين فيَطبعه على تلك الصّورة ويضعه على اللدغة أو اللسعة فتبرأ لوقتها، وجميع شوارعهَا وأزقتها مفروشة بالحجر الصَّلد؛ وبهَا جامِعٌ كبير، وأهلها مَوصُوفون بالرقاعة[41] وخفة العقل.

وأمّا بعلبك: فهي مدينة حسنة حصينة على رأس جبَل مسَفح، والماء يشقها ويدخل كثيراً من دورها، وعلى نهرها أرحيَة كثيرة وبهَا أنواع الفاكهة ووجوه الخصب والرّخاء.

وأمّا حلب: فهيَ المدينة الشهبَاء، كانَت في قديم الزمان من أوسَع البلاد قطراً، قيل أوحَى الله عزّ وجل إلى خليله إبراهيم عليه السَّلام[42] أن يهاجرَ بأهله إلى الشونة البيضاء فلم يَعرفها، فسَأل الله تعالى في ارشاده إليها، فجاءه جبرائيل عليه السّلام حتى أنزله بالتلّ الأبيَض الّذي عليه الآن قلعة حلب المحروسَة، حماهَا الله من الغير والآفات.

فاستوطنها وطَابت له مدّة، ثم أمرَ بالمهاجرة إلى الأرض المقدّسة فخرج منها، فلما بعُدَ عنها ميلاً نزل وصلى هناك، وهوَ الآن يعرف ذلك المكان بمقام الخليل قبليّ حلب؛ فلمّا أراد الرحيل التفتَ إلى مكان استيطانه كالحزين الباكي لفراقهَا؛ ثمّ رفع يَديه وقال: اللهمّ طيّب ثراهَا وهواها وماءها وحبّبها لأبنائها.

فاستجاب الله دعاءه فيها وصَار كل من أقامَ في بقعَة حلبَ ولو مدّة يَسيرة أحبّها، وإذا فارقها يعزّ ذلك عليه، ورُبمّا إذا فارقها التفتَ إليها وبكى هكذا نقله الصّاحب كمال الدّين بن العديم في تاريخه المسمّى بتاريخ حلب.

ولهذه المدينة أعني حلب نهر يأتيها من جهة الشمال يقال له فويق فيخترق أرضها؛ ولها قناة مبَاركة تخترق شوارعها ودورها وحمّاماتها وسبلاناتها، وماؤها عذبٌ فرات، ولها قلعة حصينة راسخة يقال إنّ في أسَاسهَا ثمانية آلاف عمود، وهي ظاهرة الرؤس بسَفحها، ولها قرية تسمّى براق يقال إنّ بها معبد يقصدُه

---

[41] هي بالفتح الحمق

[42] – نهاية صفحة ٤٠ من المخطوط

أرباب الأمراض وينامون به؛ فإمّا أن يبصر المريض في نومه من يمسَح بيده عليه فيبرأ، وإمّا أن يقول له استعمل كذا وكذا، فإذا أصبحَ واستعمله فإنه يبرأ.
وأمّا حمَاة: فهيَ مدينة قديمة على عهد سُليمان بن داود عليهما السَّلام، واسمُهَا باليُونانيّة حامُوثا؛ ولمَّا فتحها أبو عبيدة رضي الله عنه جعَل كنيسَتها جامعاً وهوَ جامِع السّوق الأَعلى، وجدّد في خلافة المهديّ، وكان فيه لوح من رخامٍ مكتوب فيه أنه جدّد من خراج حمص، وكانت حماة وشيزر من أعمال حلب، وكانَت حمص في القديم كرسيّ هَذه البلاد.

وأمّا بلادُ الأرمن: وإقليمُها عظيمٌ واسعٌ ممنّع القلاع والحصُون، كثير الخصب والخير والفَواكه الحسنة اللّون والطّعم، يقال إن بإقليمها ثلثمائة وستين قلعَة، منها ستة وعشرون قلعةً لا تكاد أن ترامَ لشدّة امتناعها، لا يصل أحَدٌ[43] إلى واحدة منها لا بقوة ولا بحيلة البتة، ومن مدنها المشهورة أرمينية وهيَ أرمينيتان: الداخلة والخارجة، وهيَ مدينة عظيمة وبها بحيرة تعرف ببحيرة كندوان، بهَا تراب تتخذ منه البوَادق التي يسبَك فيها.
وخلاط: وهي مدينة حَسنة، وكانت في القديم قاعدة بلاد الأرمن فلمّا تغلبت الأرمن على الثغور انتقلوا إلى سيس، وبهَا يعمل من التكك البديعةِ الحسنة الغالية الثمن كلّ غريب، ويقرب خلاط حفائر يستخرج منها الزرنيخ الأحمر والأصفر.
ملطّية: مدينة عظيمة كثيرة الخير والأرزاق، ليس في بلاد تلك المملكة أحسَن منها. وأهلها ذوُو ثروة ورَفاهيَة عيش، ذكر أنه كان بها اثنا عشر ألف نول تعمل الصوف، ولكن قد تلاشى أمرهَا.
ميافارقين: مدينة عظيمة، وهي من حدود الجزيرة وحدود أرمينية.
نصيبين: مدينة حسنة في مستوىً منَ الأرض، ومَاؤها يشق دورَها وقصُورَها، وإليها ينسَب الورد النصيبينيّ، وبهَا عقاربُ قتالة.
بأرض الأرمن النهران الكبيران المشهُوران، وهما نهرُ الرأس ونهرُ الكرج المعروف بالكر، ومسيرهما منَ المغرب إلى المشرق، وعليهما مدن كثيرة وقرىً متصلة منَ الجانبين، وبأرض الأرمن بركة فيهَا سمك كثير وطير عظيم، وماؤهَا غزير عميق، ويقيم بهَا الماء سبع سنين متوَالية، وينشف منها سبعِ سنين أيضاً ثمّ يعُود الماء، وهَذا دأبه أبداً، وبهَا جبل يسمّى غرغور، وفيه كهف وفي الكهف بئر بعيدة القعر إذا رمىَ فيها حجرٌ يسمَعُ لها دويٌ كدَويّ الرعد ثمّ يسكن ولا يعلم ما هو، وفي هذا الجبَل معدن الحديد مسمُوم، مَتى جرح به حيوان مات في الحال.

أرضُ الجزيرة: وهيَ جزيرة ابن عمرو، وتشتمل على ديار ربيعة ومضر، وتسمّى ديار بَكر، وهي ما بين دجلة والفرات وكلها تسمّى بالجزيرة، وبهَا مدنٌ وقرىً عامرة، وأكثر أهلها نصَارى وخوارج، ومن مدنها المشهورة الموصل وهي قاعدة بلاد الجزيرة، وهي مدينة كبيرة صحيحَة الهوَاء طيبَة الثرى، ولها نهر حسن عميق في عمق ستين ذراعاً، وبسَاتينها قليلة إلاّ أنّ لها ضيَاعاً ومزارع ورسَاتيق ممتدّة، وكور كثيرة وهي المدينة الّتي بعث إليها يُونس عليه السلام[44] وهي غربيّ دجلة.

---

[43] – نهاية صفحة ٤١ من المخطوط
[44] – نهاية صفحة ٤٢ من المخطوط

الرها: مدينة عظيمة قديمة واسَعة الأقطار، وكانت عامرة الدّيار، وتتصل بأرض حرّان، والغالب على أهلها دين النصرانيّة، وبهَا منَ الكنائس ما يزيد على مائتي كنيسَةٍ ودير، ولم يكن للنصَارى أعظم منهَا، وكانَ بكنيستها العظمى منديل المسيح الذي مسحَ به وجهَه فأثرت فيه صورته؛ فأرسَل ملك الروم إلى الخليفة رسُولاً وطلبَه منه وبذل فيه أسَارى كثيرة فأخذه وأطلق الأسَارى.

مدينة الخضر: وهي الآن خرابٌ، وكانت مدينة عظيمة في قديم الزمان وكان اسم صَاحبهَا السّاطرون، فحاصرها سَابور ابن أردشير بن بابك أربع سنين فلم يقدر عليها، وكانت مركبة على قناطر يدخل الماء من تحتها، وكان لسَاطرون ابنة جميلة في غاية الجمال بحيث إذا نظرهَا أحد حَصَل في عقله خبَال وخلل، وكانَ اسمُها نضيرة، وكانت عادة الروم إذا حاضت المرأة عندهم أنزلوهَا إلى ربَض المدينة، فحاضت ابنة السّاطرون فأنزلوهَا إلى المرّبض وسَابور المذكور محاصر المدينة وهوَ راكب في جيشه دائر من خارج المدينة فرأت نضيرة بنة الساطرون سابور وهو في غاية الحسن فأحبّته لأوّل نظرةٍ، فأرسَلت إليه تقُول: "إن أنا أخذت لكَ المدينة وأرحتك منَ العنَاء تتزوّج بي؟".

قال سَابور: "نعم"، قالت: "فخذ حمامة زرقاء فاخضب رجليها بحيض جارية زرقاء بكر وأطلقها، فإنها تطير وتحطّ على السّور فيسقط في الحال وتأخذ المدينة"، ففعَل سَابور ذلك، وكانَ الأمر كما قالت نضيرة؛ فدخل المدينة وأخذهَا وهدم ما بقي من سورها وقتل السّاطرون وسبى وغنم وتزوّج نضيرة، فنامَت عنده ليلة وهيَ تململ طول الليل إلى الصّباح، فنظر سَابور؛ فإذا في الفراش ورقة آس فقال لها: "كلّ هذا التململ من هَذه الورقة؟"، قالت:" نعم"، قال: "فما كانَ أبوك يُطعمك ؟"، قالت:" كان يُطعمني مخّ العظم وشهدَ أبكار النحل والزبد ويسقيني الخمرَ المصَفّى أربَعين مرّة"، فقال: "هَذا كانَ جزاؤهُ منك؟!"، ثمّ أمر بهَا فربطت بين فرسين جموحين، فضَربا هَا حَتى تمزّقت أعضَاؤهَا.

وأمّا جزيرَة العَرب: فهي مَا بين نجران والعذيب.

وأمّا أرض عراقِ العرب[45]: وَهيَ أرض طيبَة ممتدة ذات أقاليم واسعة وقرىً، وطولها من تكريت إلى عبّادان، وعرضها منَ القادسيَّة إلى حلوان، ومن مدنها المشهُورة بغداد وهي مدينة عظيمة قاعدة أرض العراق، بناها المنصُور في الجانب الغربيّ على الدجلة، وأنفق عليها أموالاً عظيمة، يقال إنه أنفق عليها أربَعة آلاف ألف دينار، ونقل أبواب واسط ورَكبهَا عليها وجَعلها مدَوّرة؛ حتى لا يكون بَعض الناس أقرب إلى السُّلطان من بعض، وبنى بهَا قصراً عظيماً بوَسَطها يقال إنّ دورَه اثنا عشر ألف قصبَة، والجامِع في القصر، وقصر المهديّ يقابل قصرَ المنصُور في الصفة الأخرى وهما مدينتان يشقهما نهر الدجلة وبينهما جسر منَ السّفن، وبسَاتينها في الجانب الآخر الشرقيّ يسقى بماء النهروان وماء تامرا، وهما نهران عظيمان، وأمّا نهر عيسى فتجري فيه السّفن من بغدادَ إلى الفرات، وأمّا نهر السّرات فلا تركبهُ سَفينة أصلاً لكثرة الأرحية التي عليه.

وكانَت بغداد في أيامِ البرَامكة مدينة عظيمة يقال إنّ حمّاماتها حصرت في وقت من الأوقات فكانت ستين ألفاً، وكان بهَا منَ العُلماء والوزرَاء والفضلاء والرؤسَاء والسّادات ما لا يوصَف، قالَ الطّبريّ في تاريخهِ: أقل صفة بغداد أنه كان فيها ستون ألف حمّامٍ، كلّ حمّام يحتاج على الأقل إلى ستة نفرٍ، سَواق ووقاد

---

[45] - نهاية صفحة ٤٣ من المخطوط

وزبال وقائم ومدَولب وحَارس، وكلّ واحد من هؤلاء في مثل ليلة العيد يحتاج إلى رطل صَابون لنفسه ولأهله وأولادِهِ، فهذه ثلثمائة ألف رطل وستون ألف رطل صَابوناً برسم فعلَة الحمامات لا غير، فما ظنك بسَائر الناس ومَا يحتاجون إليه منَ الأصناف في كل يوم؟

المدائن: وهي مدينة قديمة جاهليّة وبهَا آبار هَائلة وبهَا إيوانُ كسرى المضروب به المثل في العظم والشماخة والارتفاع والإتقان، واقليمها يعرف بأرض بابل، وكانَ المنصُور لمّا قصَدَ أن يبني بغداد استشارَ خالد بن برمك في نقض الإيوان ونقله منَ المدَائن إلى بغداد، فقال له خالد: "لا تفعل يا أميرَ المؤمنين"، فقال له المنصُور :"ملتَ إلى بقاء آثار أخوالك الفرس، لا بدّ من هدمه"، وأمر المنصُور بنقض القصر الأبيَض، وهوَ شيء يَسيرٌ من جَانب الإيوان، فنقضت ناحيَة منَ القصر الأبيَض، فكانَ مَا يغرمُون على نقضه أكثر من قيمة المنقوض[46] فأزعج ذلك المنصُور، فقال لخالد: "قد عزمت على ترك النقض".

فقال له خالد: "لا تفعل يا أمير المؤمنين"، فغضبَ المنصُور، وقال: "أمَا والله إنّ أحَدَ رأييك غش"، فقال خالد:" بل والله كلاهما نصحٌ"، فقال: "صَحّح ما قلت"، فقال:" أمّا قولي في الأوّل: لا تنقض، حتى إنّ كل جيل يأتي في الدهر، ويرى الإيوان ويستعظم أمرَه وأمرَ بانيه ثم يقول إنّ أمةً وملوكاً أزالت ملك الفرس، وأخذت بلادها وأبادتها لأُمّة عظيمة وملوك عظيمة، فذلك من تعظيم الملة الإسلاميّة، وأمّا قولي الآخر: لا تفعَل، يعني لا تترك النقض حتى إنّ من يأتي منَ الأجيَال والخلق يروى بعض النقض، والنقض أسهَل من البنيان، فيقولون إنّ أمّة بنت هذا البنيان فأعجزَ نقضه من أتى بعدهم لأمة عظيمة؛ فذلك تعظيم للفرس واستهانة بالملّة الإسلاميّة"، فلم يلتفت إلى مقاله وترك النقض.

والنيل: وهي مدينة حسنة وهيَ على الفرات العظمى، بينَ بغداد والكوفة وأصل تسميتها بالنيل أنّ الحجّاجَ بن يوسف حفر نهراً من الفرات، وسمّاه النيل باسم نيل مصر، وأجراهُ إليها وعليه مدن عظيمة وقرىً ومزارع.

ونينوى: وهي مدينة أزليّة قبالة الموصل وبينهما دجلة، ويُقال إنها المدينة الّتي بعث إليها يونس بن متّي عليه السَّلام.

الكُوفة: مدينة علوية مدّنها عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه، وهي كبيرة حسنة على شاطئ الفرات، لها نبأ حسَنٌ وحصنٌ حَصين، ولها نخل كثير وثمرهُ طيبٌ جدّاً، وهي كهيئة بناء البصرَة وعلى ستة أميَال منها، وفيهَا قبة عظيمة، يُقال إنّ بهَا قبر عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه، ومَا استدار بتلك القبّة مدفنُ آل عليّ، والقبة بناء أبي العبّاس عبد الله بن حمدان في دَولة بني العبّاس.

البصرة: وهي مدينة عمرية بناهَا المسلمون في أيام عمر بن الخطّاب رضي الله عنه، وهي مدينة حسنة رحبة، حكى أحمد بن يعقوب أنه كانَ بالبصرة سبعة آلاف مسجد، وحكى بعض التجار أنه اشترى التمر فيها خمسمائة رطل بدينار، وهو عشرة دراهم.

وغربيّ البصرةِ البادية وشرقيّها ميَاه الأنهار وهي تزيد على عشرة آلاف نهر تجري فيها السَّامِريّات، ولكلّ منها اسم ينسَبُ إلى صَاحبهِ الذي حفرهُ، وإلى الناحية[47] الّتي يَصل إليها، وبهَا نهرٌ يعرف بنهر الأيكةِ وهوَ أحَد نزهات الدّنيا، طوله اثنا عشر ميلاً وهوَ مسَافة ما بينَ البصرةِ والأيكة، وعلى جانب النهر قصُورٌ

---

[46] – نهاية صفحة ٤٤ من المخطوط

[47] – نهاية صفحة ٤٥ من المخطوط

وبسَاتين وفرجٌ ونزهٌ كأنّها كلّهَا بستانٌ واحدٌ وكأنّ نخلهَا كلها قد غرس في يوم واحدٍ، وجميعُ أنهارهَا يدخل عليها المدّ والجزرُ، والغالب على هذه الأنهار الملوحَة، وبين عمارات البصرة وقراهَا آجام وبَطايح ماء معمورة بزوارق وسماريات.

وواسط: وهيَ بين البصرةِ والكوفة، وهي مدينتان على جَانبي دجلة، وبينهما قنطرةٌ كبيرة مصنوعة على جسر من سُفن يعبر عليها من جَانب إلى جانب، فالغربيّة تسمّى كسكرا، والشرقية تسمّى واسط العراق، وهما في الحسن والعمارةِ سواء، وهما أعمرُ بلاد العرَاق وعليّهما مَعّول ولاة بَغداد.

وعبّادان: وهي مدينة عامرةٍ على شط البحر في الصّفّة الغربيّة من الدجلة، وإليها مصَبُّ ماء الدّجلة، ويُقال في المثل: ما بعدَ عبّادان قرية، ومن عبّادان إلى الخشاب وهي خشباتٌ منصُوباتٌ في قعر البحر بإحكام وهندسة وعليها ألواحٌ مهندسة يجلسُ عليها حرّاسُ البحر ومعهم زوارق، وهوَ البحر الفارسيّ شطه الأيمنُ للعرَاق والأيسرَ لفارس.

أرض الفرس: هي بلاد فارس، ومسكنهم وسط المعمور، وهي مدن عظيمة وبلاد قديمة وأقاليم كثيرة وهي ما دون جيحُون ويقال لها إيذان، وأمّا ما وراء جيحون فهو أرض الترك ويُقالُ لها قزوان، وأرض فارس كلّها متصلة العمَائرِ وهي خمسُ كور: الكورةُ الأولى: أرجان، وهي أصغرهن وتسمّى كورةَ سَابور، والكورة الثانية اصطخر وما يليها، وهي كورةٌ عظيمة وبهَا أعظم بلاد الفرس، والكورة الثالثة: كورةِ سابور الثاني، الكورةِ الرابعَة: الشاذروان وقاعدتها شيراز، الكورة الخامسة: كورة سُوس.

أرضُ كرمان: هي بين أرض فارس وأرض مكران، وهو إقليمٌ واسِعٌ ومن مدنها المشهورة يم، وهرمز.

أرضُ الجبَال: أرضٌ واسعَة وإقليم عظيمٌ، ويسمّى إقليم خراسَان وعراق العَجم وله نحو خمسمائة مدينةٍ قواعد، خارجة عن القرى والرسَاتيق، ومن مدنها همدان والسّوس وششتر، ورزيخ ونيسابور[٤٨] وسرخس وغزنة ومرو، والطالقان، وبلخ وفاراب وبدخشان وقم وقاشان وأصبهان، وجرجان والبيلقان ومراغة، وأردبيل وطوس.

أرضُ طبرستان: وهي مشتملة على إقليم عظيم ومياه غزيرة وأشجار مُلتفة، ومدينتها العظمى تسمّى أيضاً طبرستان.

أرض الريَ: هي آخر الجبال من خراسَان، وهوَ إقليم عظيم كثير القرى والأعمال والرسَاتيق.

جبَال الدّيلم: وهي ثلاثة جبال منيعةٍ يتحصّن أهلوهَا بهَا، الوحد يسمّى بردوسيان والآخر يسمى المرونـج، والآخر يسمّى واران، ولكل جبل منها رئيس، والجبل الذي فيه الملك يسمّى الكرم، وبه رياسة الديلم ومقام آل حسان، وبهذا الجبل والأولين أممٌ عظيمة منَ الدّيلم، وهي كثيرة الغياض والشجر والمطر وهي في غاية الخصب، ولها قرىً وشعَاب كثيرة وليسَ عندهم من الدّوابّ ما يستقلّون بها.

---

[٤٨] – نهاية صفحة ٤٦ من المخطوط

أرض خوارِزم: إقليمٌ عظيم منقطع عن أرض خراسان وبعيد عما وراء النهر، ويحيط به مفاوز من كل جانب، وأوّل أعماله الظّاهرية وخوارزم هي قاعدة هَذه الأرض، وهيَ مدينة عظيمة، وَفي الوضع مدينتان شرقية وغربيّة، فالأولى على صفة نهرهَا الشّرقيّة تسمّى درغاشا، والثانية على صفته الغربيّة وتسمّى الجرجانيّة.

بخارى: مدينة عظيمَة ومملكة قديمة ذات قصُور عاليَة وجنان متوالية وقرىً متصلة العَمائِر، ودورها سبعَة وثلاثون ميلاً في مثلها، ويحيط بها جميعها سُور واحد وداخل هذا السُّور المحيط سور آخر يدور على نفس المدينة ومدائنها مَن الرسَاتيق، ولها قلعَة حصينة ونَهر يشق ربَضها وعلى النهر أرحيَة كثيرة، وأهلها متموّلون وذوو ثروة.

سمرقند: وهي مدينة تشبهُ بخارى في العمَارة والحسن، ولها قصُورٌ عالية شاهقّة ونهورٌ دافقة مخترقة تخترق أزقتها ودورها وتشق جهَاتها وقصُورها، وقلّ أن تخلو من بقاعهَا المياه الجارية ويقال إنها بناء تبعّ الأكبرَ، وأتمهَا ذو القرنين.

وبحيرة خوارزم دورها ثلثمائة ميل وماؤها ملح أجاج وليسَ لها مصبّ ولا مفيض، ويقع فيها نهر جيحون على الدّوم وسيحُون وقتاً دون وقت، ويقع أيضاً فيها نهر الشاش ونهر الترك ونهر سرمازعا، وأنهار كثيرة صغيرة غيرها[٤٩]، وَلا يعذبُ مَاؤهَا ولا يسَاغ ولا يزيد بما يقع فيها ولا ينقصُ، ويجمد نهرُ جيحون في الشتاء بالقرب من هذه البحيرة حتى تجوزَ عليه الدّوابّ وعلى شطّها جَبل يعرف بحفراغوية، يجمد فيه الماء فيصير ملحاً لأهل تلك المملكة، وفي هذه البحَيرة شخصٌ يظهَرُ في بعض الأوقات عيَاناً على صُورَة إنسَان يَطفو على وجه الماء ويتكلّم ثلاث كلماتٍ أو أربع كلماتٍ مقفلاتٍ غير مفهومَاتٍ ثم يغوصُ في الماء في الحال وظهُوره يدُل على موتِ ملكٍ مَن الملوك الأعزاز.

أرض خورستان: وهيَ من بلاد الجبَال، وهيَ أرض سهلة معتدلة الهوَاء كثيرة المياه وَاسعَة الخير والخصب، وبهَا مدن كثيرة وقرىً عامرة، ومن مدنها المشهُورَة الأهواز وهو القطر الكبير الواسِع، المعمُور النواحي، وهيَ قاعدة هذه المملكة وبهَا أرزاق وخيرات زائدة الوصف، وبهَا تعمل الثيابُ الأهوَازية الّتي لا نظيرَ لها في الدّنيا وكذلك البسط والحلل والسّتور وملابس مراكيب الملوك، وبهَا يصنع كلّ نوع غريب.

أرض طخارستان: وهي أرض الهيَاطلة؛ وإقليمه واسِع؛ وهوَ بين أرض الجبَال وبلاد الأتراك، وبهَا مدن كثيرة وقرىً عامرة وخصبٌ.

أرض الصّغد: وهي أرض واسعَة ذات بَساتينَ وأشجار وفواكه ومياه ومدن عامرة ولها نهرٌ يسمّى الصغد يخرج من جبَال التيم ويمتدّ على ظهرهَا، ومدينتها العظمى تسمّى الصغد وهي ذات قصُور عالية وأبنية شاهقة والمياهُ تخترق في أزقتها وشوارعهَا، وقلّ أن يكون بها قصر أو دارٌ أو بستان بغير ماءٍ.

أرض أشرُوسَنة: وهي قبليّ أرض فرغانة؛ وهوَ إقليمٌ عظيمٌ كالعراق، وبه مدن وقرىً وخيرات وافرة وخصبٌ إلى الغاية.

أرض التيم: وهيَ غربيّ بلاد فرغانة وهي أرض واسعَة وبهَا جبَال شاهقة بهَا معادن الذهب والفضّة والنوشادر والزاج، وبها جبال شاهقةٍ وطرق ممتنعة، وفي الجبَال خسُوف تخرج منه النار في الليل فترى

---

[٤٩] – نهاية صفحة ٤٧ من المخطوط

على مسَافة خمسَة أميال وفي النَّهار يخرج منها الدخّان، وفي جبَال التيم حصنٌ[50]، شسمك لم يَطمع في الوصُول إليه مَن يرومه مَن الأعدَاء؛ وهو كثير الخيرات وبه تعمل آلات الحديد والفولاذ وأنواع الأسلحة لتلك المملكة وغيرهَا.

أرض فرغانة: وهي مجاورة أرض التبت، وهي أرضٌ واسعَة ذات كور وأقاليم ومدن وقرى وضياع، ومن مدنها المشهورة فرغانة وهيَ إقليمٌ واسِع وهيَ قاعدَة ذلك الملك وبهَا أممٌ عظيمة وأسوَاق وخيرات.
أرضُ التبت: إقليمٌ واسِعٌ ومدينته تسمّى به، وهوَ آخر مدن خراسان وهوَ مجاور بلاد الصين وبعض بلاد الهند، وهو بلاد الأتراك التبتيّة وهوَ إقليم على نشز من الأرض عَال؛ وفي أسفله واد يمرّ على بُحيرة بزوان مشرقا، ويعمل بهَا ثيابٌ ثخان الأجرام لها قيمة غاليَةٌ، وأهلها يتجرونَ في الفضَّة والحديد والحجَارة الملوَنة والمسك التبتيّ وجُلود النمورة، وليسَ على معمُور الأرض أحسَن ألواناً ولا أنعم أبدَاناً ولا أجمل أخلاقاً ولا أرق بشرة ولا أذكى رائحة منَ الترك الذين بتلك البلاد وهم يسرقون بعضهم بعضاً ويبيعُونه.

ومن مدنه المشهُورة يتنج وهي مدينة على رأس جَبل، وعليها سُور حصين ولها بابٌ واحدٌ لا غير، وبهَا صنَاعات كثيرة وأعمال بديعَة، وبالجبَل المتصل بالتبتِ ينبت السُّنبُل، وفي غياضه دَوابّ المسك ترعى منه وهي كغزلان الفلاة غير أنّ لها نابَين معَقفين كأنياب الفيلة يخرج المسك من سرّتها كالدّمَل فتحكّ سُرتها في الحجر فينفجر ويتجمد؛ فتخرج التجارُ فتجمَعُه ويَضَعُونه في النوافج، وبهَا فأرة المسك وهي فأرة يخرج المسك من سرّتها أيضاً، وهذا المسك هوَ الغاية في قوّة الرائحة وغاية الثمن.

وبهَذا الجبَل من الرَاوند الصّيني شيء كثير ويقربُ منه جبل معطوف عليه كالدّال وبه بئر بعيد القعر يسمَع من أسفله خرير الماء ودَويّ جريانه ولا يدرك له قعرٌ، ويتصلُ طرفا هَذا الجبَل بجبَال الهند، وَفي وسَطه أرض وطيّة وفيهَا قصرٌ عظيمٌ هَائل مربّع البناء ولا بابَ له، وكلّ من قصَده ومشى نحوَه يجد في نفسِه طرباً وسروراً كما يجدُ شارب الخمر[51] من نشوة الخمر، ويقال إنّ من تعلّق بهذا القصر وصَعَدَ إلى أعلاه ضحك ضحكاً شديداً ثم رمى بنفسه إلى داخله لا يدرى لأيّ شيء، ولا يمكن أحدٌ أن يعلم ما سبَبُ ذلك ومَا الذي في داخله؟

أرض اللان: وهي أرض واسعَة عامرة، ومن مدنه المشهورة برذعة وهي مدينة عظيمة كثيرة الخصب، ويقربُ منها موضع يقال له الاندروان مسيرة يوم في يوم، وهو من نزه الدنيا، كله عمارات وقصُورٌ وبسَاتين ومناظر وفواكه وثمارٌ، وبه البندق والشاهبلوط الّذي ليسَ له في الدّنيا نظير في الطّعم والكثرةِ حَتّى لو حمِل ذلك إلى البلاد شرقها وغربها لكفاهم، وبها الريعَان وهوَ نوع منَ العنبرَ الذي لا يوجَد مثلهُ في الدّنيا، وهيَ على نهر الكرّ، وبها بابٌ يعرف ببَاب الأكراد له سُوق يعرَف بسُوق الكركيّ مقداره ثلاثة أميَال.

أرض التغزغز: وهيَ بين أرض التبت والصّين كما تقدم، ومن مدنها المشهُورة باخوان وهي مدينة عظيمة آخذة من جهة المشرق على صفة نهر وحَولها ميَاه جارية ومزارع كثيرة، وهي مرابع الأتراك، وبهَا يعمل منَ الآلات الحديد الصّيني كلّ غريب، وبهَا مَن الآنية الصّينيَ مَا لا يوجَدُ في غيرهَا.

---

[50] – نهاية صفحة ٤٨ من المخطوط
[51] – نهاية صفحة ٤٩ من المخطوط

وأمّا أرض الصّين: فإنها طويلة عريضة، طولها منَ المشرق إلى المغرب نحو ثلاث شهور، وعرضها من بحر الصّين إلى بحر الهند في الجنوب، وإلى سَدّ يأجوج ومأجوج في الشمال، وقد قيل إنّ عرضها أكثر من طولها.
وهي تشتمل على الأقاليم السبعة، ويقال إنّ بهَا ثلثمائة مدينةٍ قواعد كبار عامرة، سوَى الرسَاتيق والقرى والجزائر، وعندهم معدن الذهب، قال الهرَويّ: "أبواب الصّين اثنَا عشر باباً وهي جبَال في البحر، بين كل جبلَين منها فرجة تصيرُ إلى موضعٍ بعيدٍ من بلاد الصّين فإذا جاوزت السّفينة تلك الأبواب جازت في بحر فسيح وماءٍ عذب فلا تزال كذلك حتى تصير إلى الموضع الّذي تريد من بلاد الصّين".

وأهل الصّين أحسَنُ الناسِ سيَاسَة وأكثرهم عدلاً وأحذَق النّاس في الصّناعات والنقوش والتصوير، وإنّ الواحدَ منهم ليعمل بيده[٥٢] مَن النقش والتصوير ما يعجز عنه أهل الأرض وكان من عادات ملوكهم أنّ الملك منهم إذا سمعَ بنقاشٍ أو مُصَوّر في أقطار بلاده أرسَل إليه بقاصد ومال وأرغبَه في الإشخاص إليه، فإذا حضر عنده وعدَه بالمال والرزق والصّلات، وأمرَهُ أن يَصنعَ تمثالاً ممّا يعلمهُ من النقش والتصوير، ويبذل في ذلك غاية جهده ومقدرته ويحضر به إليه، فإذا فعَل وأحضرَهُ علق ذلك الوضع والتمثال ببَاب قصر الملك وتركه سَنة كاملة، والنّاسُ يهرَعونَ إليه في تلك المدّة، فإذا مضت السّنَة ولم يظهَر أحدٌ منَ الناسِ على عيب به أو خلل في صنعه، أحضر ذلك الصّانع وخلع عَليه وجعَله من خواصّ الصّنّاع في دار الصّناعة، وأجرى عليه ما وعَده به من المال والصّلة والإدرار.

فبلغَه عن نقاش مَاهرٍ في النقش والتصوير في بلاد الروم، فأرسَل إليه وأشخصَه وأمرهُ بعمل شيء ممّا يقدر عليه مَن النقش والتصوير مثالاً يعلّقُه بباب القصر على العَادة فنقش له في رقعة صُورة سُنبُلةٍ حنطةٍ خَضراء قائمة وعليها عصفور، وأتقنَ نقشَه وهيئته حَتّى إذَا نظرهُ أَحدٌ لا يشُكّ في أنّه عصفور على سنبُلة خضراء، ولا ينكرُ شيئاً من ذلك غير النطق والحرَكة؛ فأعجبَ الملكَ ذلكَ وَأمر بتعليقة وبإدرار الرزق عليه إلى انقضَاء مدّة التعليق فمضَت سنَة إلاّ بعض أيام ولم يقدر أحَدٌ على إظهار عيب ولا خلل فيه، فحضَر شيخٌ مسِنٌ ونظر إلى المثال وقال: "هَذا مخلّ وفيه عيبٌ"، فأحضر إلى الملك وأحضرَ النقاش والمثال، وقال: "مَا الّذي فيه منَ الخلل والعيب؟ فاخرج عمّا وقعتَ فيه بوجه ظاهرٍ ودليل وإلاّ حل بك الندم وما لا خيرَ فيه؟"، فقال الشيخ: "أسعَد الله المِلك وألَهمَه السّدَاد، مثال أيّ شيء هَذا الموضوع؟" فقال الملك: "مثال سُنبُلَة من حنطةٍ قائمةٍ على سَاقها وفوقها عُصفور"، فقال الشيخ: "أصلح الله الملك؛ أمّا العُصفور فليسَ به خلل، وإنما الخلل في وضع السّنبُلة"، فقال الملك: "ومَا الخللُ؟"، وقد امتزج غضباً على الشيخِ؛ فقال:" الخلل في استقامة السّنبُلة؛ لأنّ من العرف أنّ العُصفورَ إذا حط على سنبلة أمَالها لثقل العُصفور[٥٣] وضعف سَاق السّنبُلة، ولو كانت السّنبُلة معوجَة مائلة لكانَ ذلك نهاية في الوضع والحكمة"، فوافق الملك على ذلكَ وسلّم.

وأهل الصّين قصار القدود عظام الرؤوسِ، ومذاهبهُم مختلفة؛ فمنهم مجُوس أهل أوثان وأهل نيران، وعبّاد حيّات وغير ذلك، وأشرف ما يتحلون به قرون الكركند، لأنها إذا بشرت ظهرت منها صُور مدهشة عجيبَة

---

[٥٢] – نهاية صفحة ٥٠ من المخطوط

[٥٣] – نهاية صفحة ٥١ من المخطوط

كاملة النقش والتخطيط، فيتخذون منها مناطق ويفتخرون بهَا؛ فتبلغ قيمة المنطقة الواحدة أربعة آلاف دينار، وفي تلك القرون المبشورة خاصيّة عظيمة إذا شدّت علىَ الجسم تحتَ الثياب؛ فإنها إذا دخل على الملك سمّ أو قدم إليه طعام فيه سُمّ؛ تحركت على جسمه واختلجَت.

وأمّا صين الصّين فهيَ نهاية العمارة في المشرق، وليسَ وراءها إلاّ البحر المحيط، ومدينة الصّين العظمى تسمّى السّيلى، وأخبارهم منقطعة عنّا لبعدهم، ويحكى أنّ الملك عندَهم إذا لم يكن له مائة زوجة بمهُور، وألف فيل برجالها وأسلحتها، لا يسمّى بملك، وإذا كانَ للملك منهم عدّة أولاد ثم مات لا يرث ملكه منهم إلا أحذقهُم بالنقش والتصوير.

ومن مدن الصّين المشهُورة خانقو وهيَ أعظم مدن الصّين، وهيَ على نهرٍ عظيم أعظم من دَجلة والفرات، وبهَا أممٌ لا تحصى كثرةً، ولها ملك ذو هيبَة على مربطه ما يزيد على ألف فيل، وجنوده كثيرة وهي على خور من البحر الأعظم، تدخل فيه المراكب إلى مسيرة شهرَين، وبهَا الأرز والموز الغزير وقصَب السّكر والنّارجيل.

وخانكو: وهي مدينة عظيمة تشبه خانقو في السّعَةِ والعمارة وكثرة الخلق، وهي كثيرة الفواكه الفاخرة وهي على خور منَ البحرِ، وبهَذه البلاد الحيَوانات الغريبَة الشكل مثل الفيل والكركند والزّرافة وغير ذلك منَ الصّندل والأبنوس والكافور والخيزران والعطر وجميع الأفاويه ما لا يوصَف، والليل والنهارُ في هذه البلاد متكافئان.

وباجة: مدينة عظيمة وبهَا أممٌ عظيمة، وبهَا جميع الفواكه إلاّ العنب والتين فإنهُمَا لا يوجدَان بهَا ولا ببلاد الصّين والتبت والهند، وإنما عندهم شجر يسمّى الشكى والبركى، يطرح ثمراً طول الثمرة أربعَة أشبار مدَوّر كالمخرُوط وله قشر [54] أحمَر، وهوَ لذيذ الطّعم وفي جَوف تلك الثمرة حبّ مثل حَبّ الشاهبلّوط يشوى في النار ويؤكل فيوجَد فيه طعمُ التفاح وطعم الكمثرى وطعم الموز، وببلاد الهند شجر يسمّى العنبا كشجر الموز وثمرته كالمقل يعمل بالخلّ فيكون كطعم الزيتون، وهذه المدينة هي سكنى البغبوغ وهو ملك الصّين ومعناهُ ملك الملوك وَله في دسته وموكبه زيّ عظيم.

وجمدان: وهي مدينة عظيمة يشقها نهرُهَا الأعظم المسمّى جمدان وأهلها ذو أمَوال غزيرة، وهيَ قاعدة من قواعِد الصّين.

كاشغر: وهي مدينة عظيمة على ضفة نهر صغير يأتي من شمالها، يقع من جَبل، وبهَذا الجبل معَادن الفضّة الطّيّبة الفائقة السهلة التخلّص.

وخيعون: وهي مدينة حسنة ذات بسَاتين وفرج، وبهَا غزال المسك الفائق، ودابة الزّباد الفاخر، وهيَ دابّة كالهرّة في الخلق وأنفس منها في الجسم، يحك الزباد من آباطها بمعلقة فضّة وهوَ عرق يخرج من آباطها.

اسفيريا: مدينة عظيمة على بركة ماء عذب لا يعرف لها قعرٌ، وبهَا سَمكٌ له وجوه مثل البُوم على رؤسها كقلانس الدّيُوك.

وطوخا: مَدينَةٌ يعمل فيها ثياب الحرير الطوخية التي لا نظير لها.

---

[54] – نهاية صفحة ٥٢ من المخطوط

وسوسة: وهي المدينة التي بها الفخار الصّيني الفاخر الذي لا يعدلّه شيء من فخار الصّين.

وقد ذكرنا من أقصَى المغرب إلى أقصَى المشرق مِن المحيط إلى المحيط، ونرجع الآن إلى ذكر بلاد الجنوب وهي الواقعة بين المشرق والمغرب إن شاء الله تعالى، وهذه البلاد كلّها بلاد السّودَان، وأوّلها مَن المغرب الأقصى إلى المشرق الأقصى، على حكم ربع الدائرة، فأوّل بلادهم من المغرب الأقصى:

أرضُ مغرارة: ومن مدنها المشهُورة المعَظمة أوليلى وهيَ في البحر، وبهَا الملّاحة المشهُورة التي يحمل منها إلى سَائر بلاد السّودان.

وسلي: وهي مدينة كبيرة على نهر النيل، وهي مجتمعُ السّودان، وأهلها ذوُو بأس ونجدة، وملكها مؤمنٌ.

وتكرور: وهي في جنوب النيل وغربيه، وهي مدينة كبيرة وبهَا أممٌ عظيمة منَ السّودان وهي مقرّ ملكهم وببلادهم معدن الذهب، ويُسَافر إليها أهل الغرب بالصوف والنحاس والخرز والودَع[55]، ولا يَجلبُ منها إلاّ الذهب العين.

ولملم: وهي مدينة متوَسطة، وعندهم معدن الذهب، وباقي أرض مغرارة صحَارى وبراري ومفاوز لا عمارة بها ولا سَالك، لقلّة الماء والمرعي، وشمالها أرض غانة، وجنوبها الأرض منَ الربع الخراب.

أرضُ ونقارَة: وهي شرقيّ أرض مغرارَة، وهيَ أرض واسعَة، ومن مدنها المشهورَة ونقرة وهيَ بلادُ التبر والطّيب، وهي جزيرة على صفة المحيط، وطولها ثلاثمائة ميل وعرضها مائة وخمسُون ميلاً، والبحر محيط بهَا من جهَاتها الثلاث، والنيل في زيادته يغطي أكثر هذه الجزيرة، وإذا نقصَ الماء عنها خرج أهل تلك البلاد فيبحثونَ في أرضها على التبر، فيَحصُل لكلّ واحدٍ منهم مَا قسمَه الله، ويخرجون إلى التفتيش فقراء؛ فيرجعون وهمّ أغنياء، ولملكهم أرض محميّة مختصّة به لا يدخلها إلاّ أجناده فيجمَعُون له كنوزاً لا توصَف، فيأتونَ به إلى مدينة سلجماسَة منَ الغرب؛ فيضربونه دنانير، ولذلك أهل سلجماسَة جميعهُم أغنياء بتلك الواسطة.

وسمقارة: وهيَ مدينة متوَسّطة، وفي شمالها قوم يقال لهم مقامة برابر، رحالة لا يقيمُون في موضعٍ، ويرعون جمالهم وأبقارهم على سَاحل نهرٍ يأتي من جهَة المشرق يصَبُّ في النيل، ومعَاشهم من اللحم واللبَن والسّمك.

وغينارة: وهيَ مدينة على صفة النيل، وعليها خندَق محيط بهَا، وأهلهَا ذوو بأس ونجدة، وهم يغيرون على بلاد لملم ويأسرون منهم ويبيعونَ في البلاد.

أرض الكركر: وهي مملكة عظيمة واسعة ولهَا ممالك كثيرة، ومدينتهم تسمّى باسم إقليمهم كركرة وهيَ على نهر يخرُجُ من ناحيَة الشمال، ويجُوز عنها بأيّام ويغيض في رمال في الصّحراء، كما يغيض الفرات، وبهَا منَ السّودان أمم لا تحصى، وملكهم عظيم كثير الجنُود، ولهم زيّ حسَنٌ، وحليّهمُ الذهبُ الإبريز إلاّ العوَامّ فإنّ لباسهُم الجلود، وهي متصلة ببلاد معَادن الذهب، يقال إنّ الأرض عندهم كلها ذهب، ولهم خطّ لا يتجاوزه من وصَل إليهم منَ التجار ومعَه متاع، لكن إذا وصلوا إلى الخطّ وضَعُوا متاعهم عليه وانصَرفوا، فإذا كانَ الغد أتوا إلى أمتعتهم[56] فيَجدُون عند كل متاعٍ شيئاً منَ الذهب، فإن رضيَ أحدُهم أخذ الذهبَ وترك

---

[55] – نهاية صفحة ٥٣ من المخطوط

[56] – نهاية صفحة ٥٤ من المخطوط

المتاع، وإن لم يرضَ ترك المتاع والذهب إلى غدٍ، فإذا كانَ الغدُ وجدَ زيادة عندَ متاعه فإن رضيَ رفع الذهبَ وترك المتاع، وإن لم يرض تركه إلى ثالث يوم، فمن وجد زيادة أخذ الذهب وإلاّ رفعَ متاعَه وترك الذهب أو أخذ الذهبَ مع زيادة، وهكذا يفعل تجار القرنفل في بلادهم في القرنفل، وربما يتأخر بعض التجار بعد فراغه منَ البيع والمعاوضَةِ ويضعُ النارَ في الأرض فيسيل منهَا الذهب فيسرقه ويهرَب فإذا فطنوا بهم خرجوا في طلبهم فإن أدرَكوهم قتلوهم البتة، وبأرض الكركر عودٌ ينبت يسمّى عودَ الحيّة، خاصيتُه أنه إذا وضع على نجش فيه حيّة خرجت مسرعة ويمسكها بيَده فلا تضرّه أبداً.

أرضُ الدّهدَم: يسَار إليها من كركر على شاطئ البحر مغرباً، وهيَ مملكة عظيمة ولها ممالك كثيرة وجنودٌ ذوُو شدّة ونجدة وتحت يده ملوك، وفي مملكته قلعة عليها سُور، وفي أعلاه صورة امرأة يتألّهُون لها ويتعبّدونها ويحجّونَ إليها، وهم أمّة كالبهائم مهملونَ في أديانهم، وكلهم عريانة يأكل بعضهم بعضاً.

أرض غانة: وهيَ شَمال أرض مغرارة وهي مدينة عظيمة سميَت باسم إقليمهَا، وهي أكبرُ بلاد السّودان وأوسَعها شجرا، وهم في سعة منَ المال وهي مدينتان في صفة النيل ويقصدُهَا التجار من سَائر البلاد وأرضُها كلّها ذهبٌ ظاهِرٌ.

ولهم في النيل زوارق عظيمة وأهلها يستخرجُون الذهبَ يَصنعونه كاللبن، ويسَافر إليها التجار من سَلجُماسَة في مفازة نحو اثنا عشر يوما، لا يجدُون فيها الماء، ويحملون إليهاً التينَ والملح والنحاس والودع، ولا يحملون منها إلاّ الذهب العين، ولها ملك ضخم في جنود وعدَد، وله مَمالك عديدة فيهَا ملوك من تحت يدِه، وله قصرٌ عظيمٌ على النيل، وفي قصره تبرة واحَدة من ذهبٍ كالصّخرة العظيمَةِ، وهي خلقة الله وفيها ثقبٌ كالمربَط وهوَ مربَط فرس الملك ويقال إنّ ملكها مسلم.

أَرضُ قمندَويّة: وهي شمالي أرض مغرارة متصلة بالمحيط وشرقيّها صحراء نيسَر وبهَذه الصّحراءِ[٥٧] حيّات طوال القدود غلاظ الأجسَام في غلظ الخروف السّمين وطول الرمح، وأطول وأقصَر، يصيدُهَا ملوك السّودان ويسلخونها ويَطبخونها بالملح والشيح ويأكلونها.

وبهَا جبَل قابان وهوَ عَال جدّاً يقال إنّ السّحَابَ يَمُر دونهُ وليسَ به شيء منَ النبات وفيه أحجار لمّاعَة إذا طلعَت الشمسُ عليها تكاد أَن تخطف الأبصار، وليسَ لأحد سبيلٌ إلى الوصُول إلى ذروته ولا سفحه لأنه مزحلق، وفي أسفله عيُون عذبة كأنّ مياهها قد مزجت بالعسَل.

أرض الكانم: وهيَ أرض منبَسِطة واسعَة على شاطئ النيل، وأهلها مسلمون إلاّ القليل منهم، وهم على مذهب مالك رضي الله عنه.

أرض النوبة: أرض واسعَة واقليم كبير ومسيرة مملكتهم ثلاثة أشهُر، وهيَ في حُدود مصَر، وكثيراً ما يغزوهم عسكر مصر، ويقال: إنّ لقمان الحكيم الّذي كان مع داود عليه السّلام وهوَ المذكور في القرآن العظيم منَ النوبة، وأنّه ولد بأيلة. ومنها ذو النون المصريّ رضي الله عنه، وبلال بن رباح خادم رسُول الله صلى الله عليه وسَلم ومؤذنه.

---

[٥٧] – نهاية صفحة ٥٥ من المخطوط

وعندهم معدن الذهب ودينهم النصرانية، وملكهم ملك جليل كثير الجنود، وهم فرقتان فرقة يقال لها علوة ومدينتهمُ العُظمى ويلولة وهي مدينة عظيمة وبهَا منَ السّودان أممٌ لا تحصى، والفرقة الأخرى يقال لها النوبة وهيَ مَدِينتهمُ العُظمى.

دنقلة وهي مثل ويلولة على صفة النيل من غربيّه، وأهلها أحسَنُ السّودان وجوهاً وأعدَلهم شكلاً وفي بلادهم الفيلة والزرافات والقرود والغزلان.

ومن مدن النوبة المشهورة نوابية ويقال لها نوية، وهي مدينة وسَط وبينها وبين النيل أربعَة أيّام، وشربُ أهلها منَ الآبار، وفي نساء هَذه المدينة الجمال الفَائق والحسن الكامِل، ولهم حسنُ النطق وحَلاوة اللفظ وطيب النعمة وليسَ في سَائر السّودان من شعُورهم مسبلَة غيرهم وبعض الهنُود وبعض الحبُوش لا غير، وقيمَة الجارية الحسناء منهن ثلثمائة دينار ومَا فوقها.

وحكيَ أنه كانَ عند الوزير أبي الحسَن المروف بالمصحفي جَارية منهن لم يُر أكمل منها قدّا ولا أحسَن خُلُقاً ولا أملح شكلاً ولا أنعم جسماً [٥٨] ولا أحلى منطقا ولا أتمّ محاسنا، وكانَت إذا تكلمَت سحَرت الألباب بمنطقها وحَلاوة ألفاظها فاشتراهَا الصّاحب بن عبّاد منه بأربعمائة دينار وأحبّها حبّاً عظيماً ومدحهَا في بعض أشعاره، وقيل عنه إنه قبل مشتراها كَانَت همته قد ذهبَت وشهوته انقطعَت فلمّا اشتراهَا وضاجعَهَا انبعثت شهوته ونهَضَت همتُه وتراجعَت قوّته، لطيب ما وجدَ عندهَا.

وطرمي: وهي مدينة كبيرة على البطيحة الّتي يجتمع بهَا ماء النيل، وعلى صفة هَذه البطيحة صَنم كبير من حجر رافع يدَه إلى صَدره يُقال إنه كانَ رجلاً ظالماً فمسخ حجراً.

وَيلاق: وهي مدينة كبيرة وهي مجتمع تجار النوبة وتجار الحبشة، ومن ويلاق إلى جبَل الجنادل ستة أيّام، وإلى هَذا الجبَل تصل مراكب مصر والسّودان.

الحبَشة: وبلادهم تقابل بلاد الحجاز وبينهمُ البحر، وأكثرهم نصَارى وهيَ أرض طويلة عريضة، مادة من شرقيّ النوبة إلى جنوبهَا، وهمُ الذين ملكوا اليَمن قبل الإسلام في أيام الأكاسرة، وخصيَان الحبَشة أفضَل الخصيَان، وفي نسَائهم أيضاً جمَال وحَلاوة وحسن نعمة. ومن مدنها المشهُورة كعبر وهيَ مدينتها العُظمى؛ وهيَ دَارُ مملكة النجاشيّ رحمَه الله، وبهَا من شجر الموز كثير، وأهل تلك البلاد لا يأكلونَ الموز ولا الدّجاج أصلاً.

أرض الزيلع: وهي تجاور الحبشَةَ منَ الجنوب، وهم أممٌ عظيمَة والغالبُ عليهم دين الإسلام والصّلاح والانقياد إلى الخير.

أرض البجَة وأهلها تجاوز الحبَشة منَ الشمال وهيَ بين الحبَشة والنوبة وهم شديدون السّواد، عرَاة الأجسَاد يعبُدون الأوثان، ولهم عدة ممالك، وهُم أهل أنسٍ وحسن وتلطّف مع التجار، وفي بلادهم معدن الذهب، وليسَ بأرضهم قرى ولا خصبٌ وإنما هيَ بادية جذبة تصعَدُ التجار منها إلى وادي العلاقي، وهو وادٍ فيه خلق كثيرٌ كالبلد الجامِع، وفيه آبار عذبة يشربون منهَا. ومعدن الذهب عندهم متوسط في صحراءَ لا جبَل حوله بل رماله ليّنة وسبَاسب سيّالة، فإذا كان أوّل ليالي الشهر العَربيّ خاض الطّلّاب [٥٩] في تلك الرّمال؛ فينظرونَ التبر يُضيء بين الرمل ويعلمون مَواضعَهُ ويصبحون فيجيء كلّ منهم إلى الكوم الرمل الّذي

---

[٥٨] – نهاية صفحة ٥٦ من المخطوط

[٥٩] – نهاية صفحة ٥٧ من المخطوط

علّمه؛ فيحمله على هجينةٍ ويمضي إلى آبار فيغسِله ويُصَوّله ويستخرج منه التبر، ويلغمه بالزيبق ثم يسبكه في البَوادق، فمن ذلك بلاغهم ومعَاشهم وقد انضاف إليهم جمَاعة منَ العضرب من ربيعة بن نزار وتزوّجوا منهم.

عيذاب: وما يتصل بهَا من الصّحراء المنسُوبة إلى عيذاب وليسَ لها طريق معروفة إلاّ رمال سيّالة، ولا يستدَلّ عليها إلاّ بالجبَال والكدي، وربّما أخطأهَا ألدليلُ وهوَ ماهِرٌ، وعيذاب مدينة حسنة وهي مجمع التجار برّا وبحراً، وأهلها يتعاملون بالدّراهم عَدداً ولا يعرفون الوزن، وبهَا وال من قبل البجة ووال من قبل سُلطان مصر، يقسمَان جبَاياتها نصفين، وعلى عَامِل مصر القيام بطلب الأرزاق وعلى عامل البجة حمايتها من الحبَشة.

واللبنُ والعسَل والسّمنُ بها كثير، وبينها وبينَ الحجاز عرض البحر، وبينَ البجة وبين النوبة قوم يقال لهمُ البليّون أهل عزم وشجاعة يهابهم كل منَ حولهم من الأمم ويهَادونهم وهم نصارى خوارج على مذهب اليعقوبيّة.

أرضُ بريرة: وهيَ تتصلُ بأرض النوبة على البحر، وهيَ مقابلة اليَمن، وبهَا قرىً عَامرة متصلة ولها جبَل يُقال له قانوني، وهوَ جبَل له سبعَة رؤوس خارجة وتمتدّ في البحرِ أربعَة وأربعين ميلاً، وعلى رؤوس هَذه الجبَال بلاد صَغيرة يُقال لها الهاوية، وبعض أهلِ بريرة يأكلون الضّفادع والحشرات والقاذورات، ويتصيّدونَ في البحر عوماً بشباك صغار.

ويلي هَذه الأرض أرضُ الزنج وهيَ مقابل أرض السند وبينهما عرض بحر فارس، وهم أشدّ السّودان سَوَاداً وكلهم يعبُدون الأوثان، وهم أهل بأسٍ وقساوة، ويحاربون راكبين على بقرٍ، وليسَ في بلادهم خيل ولا بغال ولا جمَال.

قال المسعودي: "ولقد رأيتُ هذه البقرة تبرك كما تبرك الجمال ويحملونها وتثور كالجمال، ومسَاكنهم من حدّ الخليج المنصَبّ إلى سَفالة الذهب.

والواق واق[٦٠]: وَأرضهم واسعَة وقراهم عامرة وكل قرية على خور وهي أرض كثيرة الذهب والخصب والعجائب، ولا يوجد البرد عندهم أصلاً ولا المطر، وكذلك غالب بلاد السودان، وليسَ لهم مراكب بل تدخل إليهمُ المراكب من عمّان، والتجار يشترون أولادهم بالتمر ويبيعونهم في البلاد، وأهل بلاد الزنج كثيرون في العدد قليلون في العدد، ويقال إنّ ملكهم يركبُ في ثلثمائة ألف راكب، كلهم على البقر.

والنيل ينقسمُ فوق بلادهم عند جبل المقسم وأكثرهم يحدّدون أسنانهم ويبردونها حتى ترق، ويبيعون أنياب الفيلة وجلود النمورة والحديد، ولهم جزائر يخرجون منهَا الوَدَعَ، ويتحلون به ويبيعُونه فيما بينهم بثمن له قيمة، ولهم ممالك وَاسعَة.

أرض الدّمادم: وبلادهم على النيل مجاورة للزنج، والدّمادم هم تتَرُ السّودان، يخرجونَ عليهم كلّ وَقت فيقتلون ويأسرُون وينهبُون وهم مهملون في أمرِ أديانهم، وفي بلادهم الزرافات كثيرة، ومنها يفترق النيل إلى أرض مصرَ وإلى جهة الزنج.

أرض سفالة الذهب: وهي تجاور أرض الزّنج منَ المشرق، وهيَ أرض واسعَة وبهَا جبَال فيها معَادن الحديد؛ يستخرجه أهل تلك البلاد، والهنود تأتي إليهم ويشترون منهم ذلك بأوفر ثمن؛ مع أنّ في بلاد الهنود معَادن الحديد، لكن معَادن سفالة أطيب وأصحّ وأرطب، والهنود يصَفونه فيصير فولاذاً قاطعاً، وبهَذه

---

[٦٠] – نهاية صفحة ٥٨ من المخطوط

البلاد معَادن لضرب السيوف الهنديّة وغيرها، ومن عجائب أرض سفالة أنّ بهَا التبر الكثير ظاهراً زنة كلّ تبرة مثقالان وثلاثة وأكثر، وهم معَ ذلك لا يتحلّونَ إلاّ بالنحاس ويفضّلونَهُ على الذهب، وأرض سَفالة متصلة بأرض الواق واق.

أرضُ الحجَاز: وهيَ تقابل أرض الحبَشة وبينهما عرض البحر، ومن مدنها المشهُورة مكة المشرفة وهي مدينة قديمة، روى الحافظ أبو الفرج بن الجوزيّ في كتاب البهجة قصّة بناء البيت الحرام، قال:" وهوَ حرم مكة وكعبَة الإسلام وقبلة المؤمنين، والحجّ إليه أحدُ أركان الدين، واختلف العُلماء في ابتداء بناء البيت الحرام على ثلاثة أقوَال:

احدها: أنّ الله تعالى وضعه، ليسَ ببناء أحدٍ، ثم في زمان وضعه إياه قولان: أحدهما قبل خلق آدم عليه السلام، قالَ أبو هريرة رَضي الله عنه [٦١]: "وكانت الكعبة خشفة على الماء وعليها ملكان يسَبّحان الله تعالى، الليل والنهار، قبل خلق الأرض بألفي عام"، والخشفة الأكمة الحمراء.

قالَ ابن عبّاس رَضيَ الله عنهُما:" لمّا كانَ عرش الرحمن على الماء قبل أن يخلق السّموات والأرض بعث الله ريحاً؛ فصَفقت الماء فأبرزت عن خشفة في موضع البيت كأنها قبة، فدحا الأرض من تحتها".

وقالَ مجاهدٌ: "لقد خلق الله عزّ وجَلّ موضع هذا البيت قبل أن يخلق شيئاً منَ الأرض بألفي عام، وإنّ قواعدَه لفي الأرض السّابعة السُّفلى".

قالَ كعبُ الأحبَار رضي الله عنه:" كانت الكعبَة غثاء على الماء قبل أن يخلق الله الأرض والسّموات بأربعين سَنة".

وقد رَوى ابنُ عبّاس رَضي الله عنهما عن النبي صَلّى الله عليه وسَلم أنّه قال: "كانَ البيتُ قبل هبُوط آدمَ عليه السّلام ياقوتة حمراء من يواقيت الجنّة؛ فلمّا اهبط آدمُ إلى الأرض أنزل الله عليه الحجَر الأسْوَد فأخذه فضمّه إليه استئناساً به، وحجّ آدمُ؛ فقالت له الملائكة: "لقد حججنَا هَذا البيتَ قبلك بألفي عام"، فقال آدمُ: "ربّ اجعَل له عماراً من ذرّيّتي"، فأوحَى الله تعالى إليه:" إنّي معمّرهُ بيتاً بنبيّ من ذرّيتك اسمُه إبراهيم".

القولُ الثاني: أنّ الملائكة بنته، قال أبو جعفر الباقر رضي الله عنه:" لمّا قالت الملائكة: "أتجعَل فيهَا من يفْسِدُ فيها" غضبَ الرّبّ عزّ وجَلّ عليهم، فَلاذوا بالعرش مستجيرين يَطوفون حوله، يسترضونَ رَبّ العَالمين؛ فرضي سبحانه وتعالى عنهم؛ فقال عزَّ وجَلّ:" ابنوا لي بيتاً في الأرض يعُوذ به كلّ من سخطت عليه كما فعَلتم أنتم بعرشي".

القولُ الثالث: أنّ آدمَ لمّا أهبطَ من الجنّةِ أوحَى الله إليه:" أن ابن لي بيتاً واصنع حوله كما صَنعَت الملَائكة حول عرشي، وافعَل كما رأيتهم يَفعَلون"، فبناه، رَواه أبو صَالحٍ عن ابن عبّاسً.

وروى عطية عنه أيضاً، قال: "بنى آدم البيتَ في خمسَة أجبل: لبنان وطورسينا وطورزيتا والجودى وحِرَاء".

قالَ وهب بن منبّه:" لمّا مات آدمُ بناه بنوه بالطّين والحجارة فنسفه الغرق".

قال مجاهد: "وكان موضعه بعد الغرق أكمة حمراء لا تعلوهَا السيول، وكان يأتيها المظلومُ، ويدعو عندها المكروب، قال عزّ وجل: "وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل"، وهما أول من بنى البيت بعد

---

[٦١] - نهاية صفحة ٥٩ من المخطوط

الطوفان على القواعد الأزلية الأولية، فنسب بناء البيت إلى إبراهيم الخليل وإسماعيل عليهما السلام، والله أعلم[٦٢][٦٣].

يثْرب: وهي مدينة النبي صَلى الله عليه وسَلّم، ودَارُ هجرته الشريفة، وبهَا قبرهُ صَلى الله عليّه وسَلم، وسمّاها رسُول الله صَلّى الله عليّه وسَلم طيبة، وهي مدينة في غاية الحسن في مستوىً منَ الأرض، وعليها سُور قديم، وحَولها نخلٌ كثير وتمرُهَا في غاية الطّيب والحلاوة، ولها محَاليق وحصُون، منهَا وادي العقيق، وبهَا نخل ومزارع وقبائل عرب، ووادي الصّفرا وبه نخل ومزارع أيضاً وقبائل منَ العرب، والبقيع كذلك.

ووادي القرى وهوَ حصين بين الجبَال وبه بيُوت منقورة في الصّخر، وتسمّى تلك النواحي الأثالب وبهَا كانت ثمود، وبهَا الآن بئر ثمود، ودومة الجندل، وهو حصن منيعٌ، وتبوك وهيَ قرية حسنة ولها حصنٌ من حجرٍ، وفدك كانت خاصة برسول الله صَلى الله عليه وسَلم، ومدين مقرّ شعيب عليه السَّلام.

أرض نجد: وهيَ أرض عظيمة واسعة كثيرة الخير، وهيَ بين الحجاز واليَمن، وبها ميَاه جَارية وثمار وأشجار في غاية الرّخص.

وأمّا أرض اليمن: وهيَ تقابل أرضَ البربرَ وأرض الزنج وبينهما عرض البحر، واليمَنُ على سَاحِل بحر القلزم منَ الغرب، وكان بين هَذا البحر وأرض اليمنَ جبل يحول بينهما وبينَ الماء، وكانَ بين اليمن والبحر مسافة بعيدة؛ فقطع بعض الملوك ذلك الجبَل بالمعَاويل؛ ليدخل منه خليجاً؛ فيهلك بعض أعدائه وأطلق البحر في أرض اليمَن، فاستولى على ممالك عظيمة ومدن كثيرة وأهلك أمماً عظيمة لا تحصَى، وصَار بحراً هائلاً.

ومن مدنها المشهُورَة زبيد وهي مدينة كبيرة عَامرة على نهر صَغير، وهي مجتمع التجار من أرض الحجَاز والحبَشة وأرض العرَاق ومصر، ولها جبَايات كثيرة على الصّادرِ والوارد. وصنعاء: وهيَ مدينة متصلة العمارات كثيرةِ الخيرات معتَدلة الهوَاء والحرّ والبرد، وليسَ في بلاد اليمَن أقدم منها عهداً ولا أوسَع قطراً ولا أكثر خلقاً، وبهَا قصر غمدان المشهور، وهو على نهر صغير يأتي إليها من جبَال هنَاك.

وشماليّ صنعاء جبَل يقال له جبل المدّخير، وعلوّه ستون ميلاً، وبه ميَاه جَارية وأشجار وثمار ومزارع كثيرة[٦٤]، وبهَا منَ الورس والزعفران كثير جدًا.

عدن: وهي مدينة لطيفة، وإنما شهرَ اسمُهَا لأنها مرسَى البحرين، ومنها تسَافر مراكب السند والهند والصّين، وإليها تجلبُ بضَائع هذه الأقاليم من الحرير والسيُوف، والكيمخت والمسك والعُود والسّروج، والأمتعة والأهليلجات والحرارات والعطريات، والطّيب والعاج والأبنوس، والحلل والثياب المتخذة منَ الحشيش الذي يفخر على الحرير والدّيباج والقصدير، والرصَاص واللؤلؤ والحجار المثمنة والزباد والعنبر، إلى ما لا نهاية لذكره.

ويحيط بها من شمالها جبَل دَائر منَ البحر إلى البحر، وفي طرفيه بابان يدخل منهما ويخرج، وبينها وبين اليابس مدينة الزنج مَسيرة أربَعة أيّام.

---

[٦٢] – نهاية صفحة ٦٠ من المخطوط

[٦٣] مكان صورتين في المخطوط: الأولى عن صفة الأروقة والأسَاطين المحيطة بالحَرم المشرف، والثانية عن صورة الكعبة المشرفة.

[٦٤] – نهاية صفحة ٦٣ من المخطوط

تهَامة: وهيَ قطعة منَ اليمَن بين الحجاز واليمن، وهي جبَال مشبّكة، حدّها منَ الغرب بحر القلزم، ومن الشرق جبَال متصلة، وكذلك منَ الجنُوب الشماليّ، وبأرض تهامة قبائل العَرب، ومن مدنها المشهورة هجر.
أرضُ حَضرموت: وهيَ شرقيّ اليمَن، وهيَ بلاد أصحاب الرسّ، وكانت لهم مدينة اسمها الرسّ، سميَت باسم نهرها، ومن مدن أرض حضرموت المشهورة سبأ الّتي ذكرهَا الله تعالى في القرآن وكانَت مدينة عظيمة؛ وكان بهَا طوائف من أهل اليمَن وعمّان، وتسمّى مدينة مأرب، وهوَ اسم ملك تلكَ البلاد، وبهَذه المدينة كانَ السدّ الّذي أرسَل الله إليه سيل العرم.
وكان من حديثه أن أمرأة كاهنة رأت في منَامِهَا أنّ سَحابةً غشيَت أرضهُم فأرعدَت وأبرقت ثمّ صَعقت فأحرقت كلّما وقعَت عليه؛ فأخبرَت زوجها بذلك وكانَ يسمّى عمراً، فذهَبَ إلى سَدِّ مأرب فوجَدَ الجرذَ وهوَ الفأرُ يقلبُ برجليه حجراً لا يقلبُه خمسُون رجُلاً؛ فراعهُ ما رأى، وعلم أنه لا بدَّ من كائنةٍ تنزل بتلك الأرض، فرجَعَ وباع جميعَ ما كانَ له بأرض مأرب، وخرجَ هوَ وأهله وَولده، فأرسَل الله تعالى الجرذَ على أهل السّدّ؛ الذي يحوُلُ بينهم وبين الماء فأغرقهم، وهوَ سيل العَرم، فهَدَم السّدّ وخرجَ إلى تلك الأرض فأغرقهَا كلّها.

وهَذا السَّدّ بناه لقمان الأكبر بنُ عاد، بناهُ بالصّخر والرصاص، فرسخاً في فرسخ، ليحُول بينهم وبين الماء، وجَعل فيه أبواباً ليأخذوا من مائه[٦٥] بقدر ما يحتاجون إليه، وكانت أرض مأرب من بلاد اليَمن مسيرة ستة أشهُر متصلة العَمائر والبسَاتين، وكانوا يقتبسُون النار بعضهُم من بعض، وإذا أرادت المرأة الثمارَ وضعَت على رأسهَا مكتلها، وخرجَت تمشي بين تلكَ الأشجار وَهيَ تغزل، فما ترجع إلاّ والمكتل ملآن منَ الثمارِ الّتي بخاطرهَا، مِن غير أن تمس شيئاً بيدها البتّة.

وكانَت أرضهم خاليةً منَ الهوَامّ والحشرات وغيرهم؛ فلا توجَدُ فيها حيّة ولا عقرب ولا بعُوض ولا ذبابٌ ولا قمل ولا براغيث، وإذا دَخل الغريبُ في أرضهم وفي ثيابه شيءٌ من القمل أو البراغيث هَلكوا منَ الوقت والحين، وذهبَ ما كانَ في ثيابه من ذلك بقدرة القادر، وأذهبَ الله تعالى جميعَ ما كانوا فيه منَ النعيم الذي ذكرهُ في كتابه العَزيز ولم يبق بأرضهم إلاّ الخمط والأثل وهوَ الطرفاء والأراك وشيء من سدرٍ قليل، وقد قال الله تعالى: "وبدّلناهم بجنتيهم ذواتي أكل خمط" الآية، وذلك لأنهم كفروا بنعمة الله تعالى، وجحدُوهَا فنزَل بهم ما نزل مَا منَ العذاب، قال الله جَلّ ذكرهُ "ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازي إلاّ الكفور".
وسبأ الآن خراب وكانَ بهَا قصر سُليمان بن داوُدَ عليهما السّلام، وقصر بلقيس زوجَته، وهي ملكة تلك الأرض؛ الّتي تزوّجَها سُليمان، وقصّتها مشهُورة، وبأرضها جبَل منيع صَعب المرتقى لا يصعَدُ إلى أعلاهُ إلاّ بالجهد العظيم، وفي أعلاهُ قرىً كثيرة عامرة وبَسَاتين وفواكه ونخل مثمر وخصبٌ كثير، وبهَذا الجبَل أحجار العقيق وأحجار الجمشت وأحجار الجزعِ، وهي مغشاة بأغشيَة ترابيّة لا يعرفها إلاّ طَالبها والعَارف بهَا، ولهم في معرفتها علامات؛ فتصقل فيظهَرُ حسنها.

الأحقاف: هي التلال منَ الّرمل الّتي بين حضرموت وعمان، وهيَ قرىً متفرّقة، ورويَ عن عبد الله بن قلابة رضي الله عنه أنّه خرج في طلب ابل له شردَت؛ فبينما هوَ في صَحارى بلاد اليمن وأرض سبأ إذ وقعَ على مدينة عظيمة بوَسطها حصنٌ عَظيم، وحوله قصُورٌ شاهقة في الجوّ، فلمّا دَنا منها ظنّ أنّ بها سكانا أو

---

[٦٥] - نهاية صفحة ٦٤ من المخطوط

أناساً يسألهم عن إبله؛ فإذا هي قفراء ليسَ بهَا أنيس ولا حَسيس[٦٦]، قال: فنزلتُ عن ناقتي وعقلتها ثمّ استللتُ سيفي ودخلتُ المدينة ودنوت مِنَ الحصن، فإذا ببَابين عظيمين لم يرَ في الدنيا مثلهما في العظم والارتفاع، وفيهما نجومٌ مرصّعة من ياقوت أبيض وأصفر يضيء بهَا مَا بين الحصن والمدينة، فلمّا رأيت ذلك تعجبتُ منه وتعاظمَني الأمرُ فدخلت الحصنَ، وأنا مرعوبٌ ذاهل اللّبّ، وإذا الحصنُ كمدينةٍ في السّعَة، وبه قصورٌ شاهقَة وكل قصرٍ منها معقود على عمد من زبرجدٍ وياقوت، وفوق كل قصرٍ منها غرف، وفوق الغرف غرف أيضاً وكلّهَا مبنيّة بالذهب والفضّة مرَصّعة باليَواقيت الملوّنة والزبرجَد واللؤلؤ، ومصَاريع تلك القصُور كمصَاريع الحصن في الحسن والترصيع، وقد فرشت أراضيها باللؤلؤ الكبار وبنادق المسك والعنبر والزعفران، فلمّا عاينتُ ما عاينت من ذلك وَلم أرَ مخلوقا؛ كدتُ أن أصعق؛ فنظرتُ من أعَالي الغرف فإذا بأشجار على حَافات أنهار تخترق أزقتها وشوارعهَا، منها ما أثمرت ومنها ما لم تثمر، وحَافات الأنهار مبنيّة بلبن من فضَّةٍ وذهب". فقلتُ: "لا شكَّ أنّ هَذه الجنَّة الموعُودُ بهَا في الآخرة، فحملتُ من تلك البنادق واللؤلؤ ما أمكنَ وعدت إلى بلادي وأعلمتُ الناسَ بذلك".

فبلغ الخبرُ معَاوية بن أبي سُفيان وهوَ الخليفة يومئذٍ بالشام؛ فكتبَ إلى عامله بصنعاء أن يجهّزني إليه؛ فوفدتُ عليه فاستخبرَني عمّا سَمعَ من أمري فأخبرته فأنكر معَاوية إخبَاري فاظهرت له من ذلك اللؤلؤ وقد اصفرَّ وتغيّر، وكذلك بنادق العنبر والزعفران والمسك، ففتحها فإذا فيها بعض رائحةٍ، فبعَثَ معَاوية رضي الله عنه إلى كعب الأحبَار؛ فلمّا حضَر، قال له: "يا كعبُ إني دعوتك لأمرٍ أنا من تحقيقه على قلق ورجوتُ أن يكونَ علمه عندك"، فقال: "ما ذاك يا أميرَ المؤمنين؟"، قال معَاوية: هَل بلغكَ أنّ في الدّنيا مدينة مبنيّة من ذهبٍ وفضَّةٍ عمدُها من زبرجدٍ وياقوت، حَصبَاؤهَا لؤلؤ وبنادق مسك وعنبر وزعفران؟"، قال: "نعم يا أميرَ المؤمنين، هي إرم ذات العمَاد؛ التي لم يخلق مثلها في البلاد، بناهَا شدّاد بن عاد الأكبر"،
قال معَاويَة[٦٧]: "حَدّثنا من حَديثها"، قال كعبٌ: "إنّ عَاداً الأول كانَ له ولدان شديد وشدّاد، فلمّا هَلكَ ملكا بعده البلاد، ولم يبق أحَدٌ من ملوك الأرض إلاّ دَخَل في طاعتهما.
فمات شديد بن عاد، فملك شدّاد الملك بعدَه على الانفراد، وكانَ موَلّعاً بقراءَة الكتب القديمة، وكلّما مرّ به ذكر الجنَّة ومَا فيهَا منَ القصُور والأشجار والثمار، وغيرهَا ممّا في الجنّة، دعته نفسُه أن يبنيَ مثلهَا في الدّنيا عتوّاً على الله عزَّ وجَلّ؛ فأمَر على ابتنائها ووضعها مائة ملك تحتَ يد كلّ ملك ألف قهرمَان، ثمَّ قال لهمُ: "انطلقوا إلى أطيب فلاة في الأرض وأوسعَها فابتنُوا إليّ مدينة من ذهبٍ وفضّةٍ وزبرجَدٍ ويَاقوت ولؤلؤ، واجعَلوا تحتَ عقود تلك المدينةِ أعمدة من زبرجَدٍ وأعاليها قصُوراً وفوق القصُورِ غرفاً مبنيّة منَ الذهب والفضّة، واغرسُوا تحتَ تلك القصُور في أزقتها وشوارعهَا أصنَاف الأشجار المختلفة والثمار وأجرُوا تحتها الأنهار في قنوات من الذهب والفضة النضار، فإني أسمعُ في الكتب القديمة والأسفار صفة الجنّة في الآخرة والعقبى، وأنَا أحبّ أن أجعَلَ لي مثلها في الدّنيا".

فقالوا بأجمَعهم: "كيف تقدرُ على مَا وصَفت؟ وكيفَ لنا بالزبرجد والياقوت الذي ذكرت؟"، فقال لهم:" ألستم تعلمونَ أنّ ملكَ الدّنيا كلّها لي وبيَدي وكلّ من فيهَا طوع أمري؟"، قالوا:" نعم نعلم ذلك"، قال: "فانطلقوا إلى

---

[٦٦] – نهاية صفحة ٦٥ من المخطوط
[٦٧] – نهاية صفحة ٦٦ من المخطوط

مَعَادِن الزبرجد والياقوت واللؤلؤ والفضّة والذهَب فاستخرجُوهَا واحتفرُوا ما بهَا ولا تبقوا مجهُوداً في ذلك، ومعَ ذلك فخذوا ما في أيدي العَالم من أصنَاف ذلك ولا تبقُوا ولا تذروا وحَذّرُوا وأنذروا".

وكتبَ كتبه إلى كلّ ملك في الدنيا وجهَاتها وأقطارهَا يأمرُهم فيهَا أن يجمَعُوا في بلادهم من أصناف مَا ذكر، وأن يحتفروا معَادنها ويستخرجوهَا مِنَ التراب والصّخور والمعَادن والأحجَار وقعُور البحَار، فجمعُوا ذلك في عشر سِنين، وكانَ عَدد الملوك المبتلين بجمع ذلك ثلثمائة وَستونَ ملكاً وخرج المهندسُون والفعَلة والحكماء والصّنّاع من سائر البلاد والبقاع[٦٨]، وتبدّوا في البراري والقفار والجهَات والأقطار؛ حتى وقفوا على صحراء عظيمةٍ فيحاء نقية خالية منَ الآكام والجبال والأودية والتلال، وإذا فيها عيون مطردة وأنهار متجعّدة، فقالوا: "هذه صفة الأرض التّي أمرنا بها ونبذنا إليها"، فاختطّوا بفنائها بقدر ما أمرهم به شداد ملك الأرض منَ الطّول والعرض، وأجروا فيها قنوات الأنهار وَوضَعُوا أسَاسَات على المقدار، وأرسلت إليهم ملوك الأقطار بالجواهر والأحجار واللؤلؤ الكبار والعقيان النضّار على الجمال في البراري والقفار، وفي البحُور أوسقوا بهَا السّفن الكبار، ووصَل إليها من تلك الأصناف ما لا يوصَف ولا يُعَدّ ولا يحصى ولا يكيّف.

فأقامُوا في عمل ذلك ثلثمائة سنة جدا من غير تعطيل أبدا؛ وكان شدّاد قد عمر منَ العُمر تسعمائة سنة، فلمّا فرغوا من عَمل ذلك أتوه وأخبروه بالإتمام، فقال لهم شداد:" انطلقوا فاجعَلوا عليها حصناً منيعا شاهقاً رفيعا واجعَلوا حول الحصن قصُوراً، عند كلّ قصر ألف غلام؛ ليكون في كلٍ قصر منها وزيراً مِن وزرائي"، فمضَوا وفعلوا ذلكَ في عشر سنين ثمّ حضروا بين يدي شداد، وأخبروه بحصُول القصد والمراد فأمرَ وزراءهُ وهم ألف وزير، وأمرَ خاصيتّه ومَن يثق بهم منَ الجنود وغيرهم، أن يستعدّوا للرحلة، ويتهيّئوا للنقلة إلى إرم ذات العماد تحتَ ركاب ملك الدّنيا شدّاد، وأمرَ من أرادَ من نسَائه وحرمه وجواريه وخدمه أن يأخذوا في الجهاد؛ فأقامُوا في أخذ الأهبَة لذلك عشرينَ سنة.

ثمَّ سَار شدّاد بمن معَه منَ الأحشاد مسروراً ببلوغ المراد حتّى إذا بقي بينه وبين إرم ذات العماد مرحلة واحدة؛ أرسَل الله عليه وعلى من مَعَه منَ الأمة الكافرة الجاحدة صيحةً من سَماء قدرته، فأهلكتهم جميعاً بصَوت عظمة سَطوته، ولم يدخل شدّاد ومن معَه إليها ولا رأوها ولا أشرفوا عليها، ومحَا الله آثارَ طرُقتها ومحجّتَها، فهيَ مكانها حتى الساعة على هيئتها"، فتعجب مُعَاوية من إخبار كعب بهذا الخبر، وقال: "هَل يصل إلى تلك المدينة أحدٌ من البشر[٦٩]؟"، فقال: نعم، رَجل من أصحاب محمّد عليه أفضل الصَّلاة والسّلام، وهو بصفة هَذا الرجل الجالس بلا شك ولا إبْهام.

ورَوى الشعَبيّ عن علماء حميَرَ منَ اليَمن أنه لمّا هلك شداد ومن معه منَ الصيحة، ملك بعده ابنُهُ شداد الأصغر، وكانَ أبُوهُ شدّاد الأكبر استخلفه على ملكه بأرض حَضرموت وسبَأ، فأمرَ بحمل أبيه من تلكَ المفازة إلى حضرموت، وأمر فحفرت له حفيرة في مَفازة فاستودعَه فيها على سَرير من ذهب، وألقى عليه سبعين حلّة منسُوجة بقضبان الذهب ووضع عند رأسه لوحاً عظيماً من ذهب، وكتب فيه هَذا الشعر:-

اعتبر بي أيّها المغر	ورُ بالعمر المديد
أنا شداد بن عاد	صَاحب الحصن العميد
وأخو القوة والقد	رة والملك الحشيد

---

٦٨ - نهاية صفحة ٦٧ من المخطوط

٦٩ - نهاية صفحة ٦٨ من المخطوط

دانَ أهل الأرض لي	من خوف قهري ووعيد
وملكت الشرق والغر	ب بسُلطانٍ شديد
وبفضل الملك والعد	ة أيضاً والعديد
فأتى هود وكنّا	في ضلال قبل هُود
فدعانا لو قبلنا	منه للأمر السّديد
فعصَيناه وَنادَي	ت ألَا هَل من مجيد
فأتتنا صَيحَةٌ	تدوي من الأفق البعيد
فترامينا كزَرعٍ	وسط بيداء حصيد

قالَ الثعلبيّ: "ولقد وقع على هَذه المفازة أيضاً رجل من حضرموت يقال له بسطام، ومعَه رجُل آخر ذكرَا أنهما دخلا هذه المفازة؛ فوجَدا في صدرها درجاً فترلا فيه فإذا هيَ مقدار مائة دَرجَةٍ، كلّ درجَة قامَة، وأسفلها أزج معقود في الجبَل طوله مائة ذراع وعرضه أربعُونَ ذراعاً وارتفاعه مائة ذراع، وفي صَدر الأزج سَرير من ذهب، وعليه رَجُل عظيم الجسم قد أخذ طول السّرير وعَرضه، وعليه الحلىّ والحلل المنسُوجَة بقضبَان الذهب والفضَّة، وعلى رأسِه لوح من ذهبٍ، وعليه كتابة فأخذا ذلكَ اللوّحَ وحمَلا ما أطاقا من قضبَان الذهب، ونظرا إلى طاقة في أسفَل الأزج يدخل منهَا ضوء، فقصَداهَا وخرجَا منها؛ فإذا هما على سَاحل البحر، فقعدَا هنَاك إلى أن عبَرت بهمَا مركبٌ، فأشارا إليّه ولوّحا لأهلها، فأتوا إليّهمَا وسَألوهُما عن أمرهما، فأخبرَا بالحال، فحملوهما حتّى قربُوا من أرضهما، فوَصَلا وأخبرَا بما اتفق لهما فتعجّبُوا منه.

عمّان[٧٠]: وأرضها مجاورة لأرض الشمال، وهي أرض عامرة كثيرة الخلائق والبسَاتين والفواكه، إلاّ أنها بلاد حَارّة جدّا، وببلاد عمّان حيَّة تسمّى العريد، وتسمّى السّكران، تنفخ ولا تؤذي، فإذا أخذت وجعلت في إناءٍ وثيق، ويوثق رأسُ ذلك الإناء ويسَدّ سدّاً محكماً، ووضعَت في إناءٍ آخر ثان، وأخرجت من بلاد عمّان، عدمت منَ الإناء ولا توجدُ فيه، ولا يعرف كيف ذهبت، وهَذا من أعجَب العجَب.

وبهَذه الأرض دويبة صَغيرة تسمّى القراد، إذا عضت الإنسَان انتفخ مكانهَا ودَوّدَ، ولا يزال الدّود يسعى في باطن الإنسَان المعضوض حتّى يموت، وبجبَال أرض عمّان قرود كثيرة تضرّ بأهلها ضرراً كثيراً، وربّما لا تندفع في بعض الأوقات إلاّ بالسّلاحِ والعدَد الكثيرة لكثرتها؛ وفي أرض عمّان مغاصُ اللؤلؤ الجيّد.

وفي بحر عمّان جزيرة قيس طولها اثنا عشر ميلاً في مثلها، وصَاحبُ هَذه الجزيرة تصل مراكبهُ إلى بلاد الهند ويغزوهم في غالب الأوقات ويغار على كفار الهند، ويحكى أنّ عندَه في الجزيرَة المذكورة على مرسَى البحر منَ المراكب الّتي تسمّى السّفيّات مائتي مركب، وهَذه المراكبُ من عجائب الدّنيا وليسَ على وجه الأرض ومتن البحُور مثلها أبداً؛ وهيَ أنّ المركبَ الواحدَ منها منحُوتٌ من خشبَةٍ واحدة قطعَةً واحدة، والمركبُ الواحدة منهَا تسَع مائة رجُل وخمسين، وبهَذه الجزيرة دوابّ ومواشي وَأشجَار وَفواكه.

---

[٧٠] – نهاية صفحة ٦٩ من المخطوط

اليَمَامَة: هيَ بلادُ طسم وَجديس، وهيَ بلادُ الزرقاء المعروفة بزرقاء اليمامة وأخبارهَا مشهورة منها: أنّ طسم وجديس كانا ابني عمّ وهمُ العَربُ العَاربة، وكان الملك في طسم دون جديس، وكانت جَديس أكثر من طسم.

وكان الملك في طسم اسمه عمليق، وكانَ جبّاراً ظالماً طاغياً، بلغ من طغيانه وتجبّره أنه ألَزمَ جديس أن لا تزفّ بكرٌ من بَناتها إلى بعلها؛ حتى يأتوا بهَا ليلاً كانَ أو نهَاراً ووقت زفافهَا إلى عمليق حتّى يقترعهَا ويأخذ بكارتها[٧١] ثم يمضوا بهَا إلى زوجهَا العريس، وفي صَبيحة زفافهَا يعملون وليمة لعمليق ولأصحابه من طسم.

فمكثَ زمَاناً على هَذا الحال، وكان من أكابر جديس رجل يقال له الأسود، وله أختٌ حسناء مبدعة تدعى سُعاداً وكانت بكراً، فزوّجَت برجل من أولاد عمّها؛ فلمّا حَضَرت ليلة زفافها ذهبُوا بهَا إلى عمليق فاقترعهَا على العَادة، ثمّ خرجَت من عنده ودَمها ظاهِرٌ على أثوابهَا؛ فنظرت فإذا أكابر جديس وأعيَان قومهَا وأخوهَا الأسود جلوسٌ في ناحيَة منَ الحيّ يتشاورون في أمر الوليمة للملك في صَبيحَة تلك الليلة؛ فما أحسّوا بهَا إلاّ وهيَ في وسَطهم ثمّ مزقت أثوابهَا من طوقهَا إلى أذيالها، وكشفت عن بَطنها وفرجهَا، وأظهَرت دَمهَا ونظرت يميناً وشمالاً وقالت شعراً:

لا أحَدٌ أذلّ من جديس	أهكَذا يفعَل بالعروس
يرضى بذا يا قوم بَعل حُرُّ	من بعد ما سَاق وسيق المهرُ
يقبضه الموت إذا بنفسِه	حَتفاً وَلا يُصنَع ذا بعرسِهِ

فقامَ الأسوَد أخوهَا ورمى بثوبه عليها وسَترها وبكى وأمرَ بردّهَا إلى بيتها، فلم تفعل، وقالت، وهي تحرّضُ على قتل عمليق والقوم يسمُعون:

أترضَونَ مَا يعزى إلى فتياتكم	وأنتم رجال فيكم عدَد النملِ
وتسعى سعَاد في الدّماء غريقة	جهَاراً وقد زفت عروساً إلى بعل
فلو أننا كنّا رجَالاً وكُنتمْ	نسَاءً لكنّا لا نقرّ لذا الفعل
وإن أنتمُ لم تغضبُوا بعد هَذه	فكونوا نساءً لا تعدّوا من الفحل
ودونكم طيبَ العروس فإنمَا	خلقتم لأثواب العروس وللذلّ
فبعداً وسحقاً للذي ليسَ ينتخي	ويختال يمشي بيننَا مشيَةَ الرجل

قالَ: فأخرجُوهَا من بينهم ودبّت في رُؤوس القوم خمرَةَ النخوة والمروءة فقامُوا جميعاً إلى مكان آخر، فابتدأ الأسودُ أخو سُعَاد، وقال: "يا إخوتاه ويا بني عمّاه، قد رأيتم ماذا يصنع ببناتكم، وقد اتفق لأختي مَا اتفق لمن تقدّمهَا فمَا الرأي؟"، قالوا: "مَا ترى؟".

فقالَ الأسوَد[٧٢]:" لو اجتمعَ رأيكم على واحدٍ من بينكم ووليتموهُ أمرَكم لانكشفَ عنكم العَار وانتصَفتم منَ الأعيَار"، قالوا جميعاً: "أنتَ ذلك الواحِد فلا مخالف ولا معَاند"، وتحالفوا، فقال:" ائتوني بالغنم والبقر والإبل،

---

[٧١] – نهاية صفحة ٧٠ من المخطوط

[٧٢] – نهاية صفحة ٧١ من المخطوط

وانحروا وأكثروا منَ الذبح وأوقدوا النيران وعلقوا القدورَ، وأشغلوا النساء بالطّبخ ثمّ ائتوني بسُيُوفكم تحتَ ثيابكم.

ففعَلوا فمضى بهم إلى المكان المعروف بالضيَافة وكلّ أراضيهم رمال، وكانَ من عادة عمليق أنّ كلّ بكر يفترعهَا يوقفُ وليّها خلف ظهره، وهوَ جالسٌ على السّماط في مكان الضّيَافة لتعلم طسم كلّها من هوَ وليّ العروس، وتتحققه مبَالغة في إهَانته.

قال: فدفنَ الأسود سيفه في الرمل خلف مجلس عمليق، وقال لقومه من جديس:" هكذا فافعلوا، فإذا جلسَ الملك، ووقفتُ خلفه وسيفي تحتَ قدمي؛ فإذا اشتغل بالأكل وأخذتُ سيفي وضربتُ عنق عمليق يفعل كل منكم بمن هوَ فوق رأسِه كما فعَلت، فلا يفلت أحدٌ منَ القوم".

فقالوا:" سمعاً وطاعةً"، فأصبحَ عمليق سَكران، وكذلك أعيَان قومه وأتى إلى مكان الضّيافة في أعظم زينة وهم مسرورون منشرحون، فلمَّا أخذوا مجالسهُم قدّموا الضّيَافة، فرأى عمليق ما لم يرهُ من كثرة الضّيافة، فشكر الأسودَ ويش له، فقال واحد من قوم عمليق حين مَدّ يده إلى الأكل: "ربّ أكلة تمنع أكلات"، فما استتم كلامه حتى قتل عمليق، ومن كان معَه جالساً على الأكل وحَضر الضّيافة، قتلةً واحدة وامتلأت الجفان والمناسف بدماء القتلى.

وقد قيل: "إنه قتل في تلكَ السَّاعة من طسم ما يزيد عن ثمانين ألفاً، ومَا بقي من طسم رجل إلاّ من غابَ عن الوليمة"، ووضعت جديس سيُوفها فيمن بقي مَن الرجال، ونهبَت وسَبت وفتكت في طسم فتكاً ذريعاً، وَهربَت شرذمة من طسم إلى حسّان بن تبعّ ملك حميَر باليمَن؛ فاستَغاثت به فأعانها، وتوجّه حسّان بعسَاكِره قاصداً لجديس وإعَانةً لطسم، وكانت امرأة اسمُها الزّرقاء الّتي تقدّم ذكرها تنظر الراكب من مسيرة ثلاثة أميَال.

فلمّا كانَ حسّان في أثناء الطّريق وهوَ سَائر بعسَاكِره، قال رَجل من طسم لحسّان: "أيها الملك أدام الله سعدَك[٧٣] إنّ امرأة من جديس اسمُها الزرقاء تنظر الراكب من مَسيرة ثلاثة أميَال، فربما تنظر عسَاكر الملك وتخبر قومهَا بذلك فيكيدوا لك كيداً عظيماً"، فقال حسّان: "وما الرأي عندك؟"

فقال: "الرأي أن نقطع الأشجار فيأخذ كلّ راكب أمامه شجرة، فإذا رأت الزرقاء تقول لقومهَا: "إنّ أشجاراً تسيرُ إليكم على الخيل والنجائب"، فيكذبونها ويهملون أمرنا، فنصبحهم ونبلغ الغرض".
فاقتلعُوا الأشجار وحمل كلّ واحد أمَامَه شجرة، وساقوا سوقاً حثيثاً، فرأتهمُ الزرقاء؛ فقالت لقومهَا: "إني لأرَى الشجر يسيرُ إليكم سيراً سَريعاً، وإني لأرى رجلاً من وراء شجرة يخصف نعلاً وآخر يشرب ماء وآخر ينهش كتفاً"، فكذّبوها فصَبحهم حسّان بعسَاكِره وجمُوعه فأبادَهم قتلاً وسبياً، وهربَ الأسود فنزل على طيء فأجاروه، وجيء بزرقاء اليمامة إلى حسّان فأمرَ بنزع عينيها؛ فنزعتا فإذا فيهمَا عرُوق سُودٌ مملوءَة منَ الأثمد الجيّد الخالص.

---

[٧٣] – نهاية صفحة ٧٢ من المخطوط

وأمّا السّند: فهو إقليم عظيم مجاورٌ للبَحرين غربيّ الهند، وهو قسمان، قسمٌ على جانب البحر، ويقال لتلك البلاد بلاد اللّان، والمسلمون غالُبونَ على هذا القسم، ومن مدنه المشهورة: المنصُورة وهيَ مدينة طولها ميل في ميل، وبهَا خلق كثير وتجار كثيرون والأرزاق بهَا دارّة ووزن درهمهم خمسَة دراهمَ، وليسَ بها إلا النخل والقصَب وتفاح شديد الحمُوضة، وهيَ مدينة حارّة جدّا، وسميَت هذه المدينة بالمنصُورة؛ لأن أبا جعفر المنصُور الخليفة من بني العبّاس بَنى أربع مدن على أربع طوالع، يقال إنهم لا يخربون أبداً إلاّ بخراب الدّنيا إحدَاهنّ المنصُورة هذه، وبغدَاد بالعرَاق، والمصيصَة على بحر الشّام، والمرافقة بأرضِ الجزيرَة.

والموليان: ويقال لها المليان، وهي مجاورة لبلاد الهند، وهيَ على قدر المنصورة وتسمّى فرح بيت الذهب؛ لأنّ محمّد بن يوسُف الحجّاج وجَدَ بهَا في بيت واحدٍ أربعين بهَارا من الذهب، والبهار ثلثمائة وثلاثونَ منّا.

وبهَا صَنم كبيرٌ تعظّمه أهل الهند والسّند ومَن في أراضيهم[٧٤]، ويحجّونَ إليه وَيتصَدّقونَ عليه بأموَال جمّةٍ وحُليّ وجَوَاهر وله خدام، يزعمُون أنّ لهذا الصّنم مائتا ألف سَنة يعبَد، وعيناه جوهرتان لا قيمة لهما، وعلى بابه إكليل من ذهب مرصّع بأنواع الجواهِر الفاخرة.

أرضُ الهند: أرض واسعَة عظيمة في البرّ والبحر والجنوب والشمال، وملكهم يتصل بملك الزنج في البحر، وهي مملكة المهرَاج، ومن عادة أهل الهند أنهمّ لا يملكون عليهم ملكاً حتى يبلغ أربعين سنة، ولا يكاد الملكُ عندهم يظهَرُ للنّاس أبداً إلاّ نادراً في السّنَة.
وللهند ممالك كثيرة، فمنهَا مملكة المانكير واللّاهوت، ومملكة الفتوح، وهيَ مملكَة عظيمة واسعة، ولأهلها أصنَامٌ يتوارثونها خلف عن سَلف، ويزعمُونَ أنّ لها مائتي ألف سنة تعبَد، وملكها عظيم الملك كثير الجنُود كثير الفيلة، وليسَ عند ملكٍ من ملوك الأرض ما عنده منَ الفيلة، ويقال إنّ على مربطه ألفَ فيل، منها مائة فيل بيض كالقرطاس، ومنها ما ارتفاعه خمسَة وعشرون شبراً، وقيل ماتَ له فيل فوزنَ نابه الواحد فكان أربعينَ منّاً.
ومن ممالك الهند: مملكة قمار؛ وهيَ مَملكة عظيمة واسعَة، وإليها ينسَبُ العُود القماريّ، ومنها مملكة صيمور، ولها ممالك غير ما ذكر نحوُ اثني عشرة مملكة.

تمت الجهة الجنُوبيّة، ولنشرع الآن إن شاء الله تعالى في ذكر الجهة الشماليّة وبلادها من المشرق إلى المغرب.

فأوّلُ بلاد هَذه الجهَة منَ المغرب الأقصى أرض الفرنج: وهيَ أممٌ عظيمة كثيرة لا تحصى، وَهم غالبُون على معظم جزائر الأندلس، ولهم في بحر الرّوم جزائر عظيمَة مشهُورة مثل: جزيرة صقلية وقبرص وجزيرة أقريطس وجزيرة كشميلي والجزيرَة الخضرَاء وعدّة جزائر غيرهَا.

---

[٧٤] – نهاية صفحة ٧٣ من المخطوط

فأمّا صقلية: فهيَ فريدة الزمان وأجمَع المسَافرونَ على تفضيلهَا وحسنها وعظم ملوكها وضخامة دُولها، وفي هَذه الجزيرة مائة وثلاثونَ مدينة أمهَات قواعد خارجة عن القرى والضيَاع والرسَاتيق؛ فمن مدنها المشهورة بلزم وهيَ مدينتها العظمى وكرسيّ السَّلاطين[٧٥] وموطن الجيُوش، وهيَ على سَاحِل البحر منَ الجانب الغربيّ، وهي مدينة حَسَنة المباني بديعة الإتقان، وهي على قسمين قصُور وربض، وهي على ثلاث قصبَات.

فالقصبَة الوسطى تشتمل على قصُور رفيعة ومنازل شامخة ومعَابد وفنادق وحمّامات، والقصَبتان الأخريان قصور سَامية وأبنيَة عالية وأسوَاق، وبهَا الجامِع الأعظم؛ الّذي فيه من بدائِع الصّنعَة المتقنة ومن أصنَاف التصَاوير وأنواع التزاويق ما يعجز عن وصفه كلّ لسَان، وليسَ بعدَ جامعِ قرطبة أحسَن منه.

وأمّا الربض: فهو مدينة أُخرى محدقة بالمدينة من جميع جهاتها، وبه المدينة القديمة المسَمّاة بالخالصَة؛ الّتي كانَت سُكنى السّلطان، والمياه بجميع جهات صقلية مخترقة، والعيُون بهَا مندفقة، وبها بسَاتين وجنات وفرج ومنتزهات، وخارج الربض نهر عبّاس، وهوَ نهر عظيم وعليه أرحيَة كثيرة، ومن مدنها مدينة مسيتنا وهيَ مدينة عظيمة وبجبَلها مَعدن عظيمٌ للحديد يحمل منه إلى سَائر البلاد.

ومنها أرض طبرمين: وهيَ مدينة عظيمة ذات قصُور ومنارة وبسَاتين وفواكه، وبهَا جبَل يسمّى بطور الآيات، وبهَا معدن الذهب.

ومنها سرقوسَة: وهيَ مدينة عظيمة يقصُدهَا التجّار من سَائر الأقطار، والبحر محدق بهَا من جميع جهَاتها، والدّخول إليها والخروج منها على طريق واحدة.

ومنها نوطس: وهيَ من أرفع البلاد خصباً واسعة الدّيار عامرة الأقطار.

ومنها أرض طرلنس: وهيَ مدينة أزلية، والبحر محيط بهَا من جميع جهَاتها، ويوصَل إليها على قنطرةٍ، وبهَا سَمك يعجزُ الواصفُ عنه، وببحرها يُصَاد المرجَان؛ وهوَ نبتٌ في أرض هذا البحر كالشجَر، وبهَا قنطرة عجيبَة طولها ثلثمائة ذراع في عرض عشرين ذرَاعاً.

جزيرة قبرص: وهي جزيرة كبيرة مقدار ستّة عشر يوماً، وبهَا مدن كثيرة وقرىً عامرة ومزارع وأنهار وأشجار وثمار، وبهَا معَادن الزاج القبرصي؛ الّذي ليسَ في البلاد مثله شيء، وبهَا من المواشي[٧٦] مَا يَكفي بلاد الفرنـج.

ومن مدن الفرنج المشهورة افرنسَة: وهي مدينة عظيمة مجاورة لجزيرة الأندلس، وهيَ للفرنج كرومية للروم، كرسي ملكهم ومجتمع أمرهم وبيت ديانتهم، وبهَا أممٌ عظيمة لا تحصى كثرة.

أرض الجَلالقة: وهَي شمال الأندلس؛ وهيَ أرض واسعة، وبها أمَمٌ لا تحصى كثرةً، ومدن عظيمة وقرى عامرة، والغالب على أهلها الجهل والحمق، ومن زيهّم أنهم لا يغسِلونَ ثيابهم أبداً بل يلبسُونها وسخة إلى أن تبلى؛ ويدخل أحدُهم بيت الآخر بغير إذنه، وهم مهملون في أديانهم كالبهائم بل أضل.

---

[٧٥] – نهاية صفحة ٧٤ من المخطوط

[٧٦] – نهاية صفحة ٧٥ من المخطوط

أرض الباشقرد: وهيَ بلاد الألمان وبلاد الإفرنجة، وهي أرض كبيرة واسعة وبهَا مدن وقرى عامرة.
أرض الكرج: وهيَ مجاورة لأرض خلاط، آخذة إلى الخليج القسطنطيني، ممتدة إلى نحو الشمال وهيَ أرض واسعة، وبهَا مدن عظيمَة وبلاد كثيرة وجبَال شاهقة وقلاع منيعَة وأرضهم في غاية الخصب والبركة، وبيت الملك عندهم محفوظ يرثه الرّجال والنساء.

أرض الروم: وهوَ إقليمٌ واسِع الأقطار فسيحُ الدّيار، وبه مدن عامرة وضيَاع ورسَاتيق وأشجار وفواكه وثمار؛ وبه الخير الغامر والخصب الوافر؛ وكلّها على جَانبي البحر القسطنطينيّ ومن جهة بلاد الأرمن، له أحدَ عشر عملاً، منها عمل حربية وفيه خمسُ حصُون، وعمل العصَاة وفيه ثلاثة حصُون، وعمل الأرسيق وفيه عشر حصُون، وعمل الأفشين وفيه أربع حصُون، وعمل حرسنون وفيه أربعون حصناً، وعمل البلقان وفيه ستة عشر حصناً.

وهَذه الأرض كانَت في القديم بلاد اليُونان فغلبت الرّوم عليها؛ ومن جملة أعمالها عمل كرميَان وفيه ستة عشر حصناً، وعمل خلدية وفية ستّة حصُون، وعمل ميلوقيّة وفيه عشر حصُون، وعمل الفنادق وفيه ثمانية عشر حصناً، وببلاد الروم أيضاً مائة جزيرة كلّها في البحر، وكلّها عامرة آهلة.

ومن مدن الرّوم المشهُورة قسطنطينية وَهيَ مثلثة الشكل، منها جانبان في البحِر وجَانب في البرّ وفيه باب الذهب[٧٧]، وَطول هَذه المدينة تسعة أميَال وعليها سُور حصين ارتفاعه واحد وعشرون ذرَاعاً، ويحيط به سُور آخر يسمّى الفصيل، ارتفاعه عشرة أذرع، لها مائة باب أكبرُها الباب المصمت وهوَ مموهٌ بالذهب، وبهَا القصر وهوَ من عجائب الدّنيا؛ وذلك أن فيه بديرون وهو كالدّهليز إلى القصر، وهوَ زقاق يمشى فيه بينَ صَفين من صُوَرٍ مفرّغة من نحاس بديع الصّنعَة على صُور الآدميين والخيل والفيلة والسبَاع وغير ذلك، وهيَ أكبرُ منَ الأشكال الموضوعة على أمثالها، وبالقصر وما دار به ضروبٌ منَ العجَايب.

وفي المدينة منارة موثوقة بالحديد والرّصَاص، إذا هبّت الريح مالت يميناً وشمالاً وخلفا وأماماً من أصلها، ويوضع الخزف تحتها فتطحنُه كالهباء، وفيها أيضاً منَارة من نحاس قد قلبت قطعَة واحدة وليسَ لها بابٌ، وبهَا أيضاً منَارة قريبَة من مارستانها؛ قد ألبسَت جميعها من نحاسٍ أصفر كالذهب محكم الصّنعَة وَالتخريم، وعليها قصر قسطنطين باني القسطنطينيّة، وعلى قبره صُورَة فرسٍ من نحاس، وعلى الفرسِ شخصٌ على صُورة قسطنطين وهو راكبٌ وقوائم الفرس محكمة بالرصَاص ما عدا يده اليمنى فهي مَوقوفة في الجوّ؛ وقد فتح كفه يشيرُ نحوَ بلاد المسلمينَ، ويده اليسرى فيهَا كرة.
وهَذه المنارة ترى على مَسيرة يوم في البحِر، ونصف يوم في البرّ، ويَقولونَ إنّ في يَده طلسَم يمنع العَدُوّ، وقيل إنّ على الكرة مكتوبٌ بالرّوميّ:

"ملكت الدنيا حَتّى بقيت في يدي مثل هَذه الكرة، وخرجت منها هكذا لا أملك منها شيئا."

---

[٧٧] – نهاية صفحة ٧٦ من المخطوط

وبهَا أيضاً منَارة في سُوق استبرين منَ الرّخام الأبيَض، من رأسهَا إلى أسفلهَا صُوَر مبنيّة ودَرَابزينها قطعة واحدة منَ النحاس، وبهَا طلسَم إذا طلع الإنسان عليها نظر، إلى سَائر المدينة، وبهَا قنطرة وهيَ من عجائب الدّنيا سعتها يعجزُ الواصف عن ذكرها؛ حتّى يخرج الواصف إلى حدّ التكذيب، وبها منَ النقوش ما لا يحدّه وصفٌ.

رومية الكبرى: مدينة عظيمة، دورهَا أيضاً تسعَة أميال كالقسطنطينية[٧٨]، وَلها أسوَار محكمة، لها سُورَان منيعَان من حجر، عرض كلّ سُور منهما وسمكه مقدار معَيّن، فأحدهما وهوَ الدّاخل المحيط بالمدينة عرضه أحد عشَر ذرَاعاً وسمكهُ اثنان وسبعون ذراعاً.
وهنَاك أسطوَانات من نحاسٍ أصفرَ وقواعدها ورؤوسها مفرّع منها، وبهَا نهرٌ يشقها، وَهذا النهر كلّه مفروش ببلاط من نحاسٍ كهيئة اللبن الكبار.
وداخل المدينة كنيسَة عظيمة طولها ثلثمائة ذراع وارتفاعها ثلثمائة ذراع وأركانهَا من نحاسٍ مفرّغ مغطّى كلّها بالنحاس الأصفر، وبروميَة ألف ومائتا كنيسَة وجميع شوارعهَا وأسواقها مفروشة بالرّخام الأبيَض والأزرق، وبها ألفُ حمّامٍ وألف فندق، وبهَا كنيسَة هَائلة بنيت على هيئة بيت المقدس، وبهَا مذبح، ظهره كله مرصّع بالزمرّد الأخضر؛ وعلى هَذا المذبح تمثال منَ الذهب الإبريز، طوله ذراع بالرّشاشيّ يكون سبعة أذرع ونصف ذراع بذراعنا المعهُود، وعيناه من ياقوت أحمر.
ولهذه الكنيسَة مائة باب، منها أبوابٌ عشرة مصَفحة بالذهب وباقيها مصَفحة بالنحاس المحكم، وبهَا قصر الملك المسمّى البابة، وهوَ قصرٌ عظيم أجمَع المسَافرون على أنه لم يبن مثله على وجه الأرض، وبومية أكبر من أن يحاط بوَصفها ومحاسنها، ولها مدن قواعد مشهورة منها:-

قشمير: وهيَ مدينة كبيرة تشبه روميَة في الحسن والبنيان، ويقال إنها مدينة أهل الكهف،
وأمّا أصحابُ الكهف؛ فهم في كهفٍ في رستاق بين عمُورية ونيقية، وهم في جبَل عَال علوّه نحو ألف ذراع، وله سرب من وجه الأرض كالمدرج، يتعدّى إلى الموضع الّذي هم فيه، وفي أعلى الجبَل كهف يشبه البئر ينزل منه إلى بَاب السّرب، ويمشى فيه مقدار ثلثمائة خطوة، ثم يفضى إلى ضوء هنَاك فيه رواق على أسَاطين منقورة فيهَا عدّة بيُوتٍ.
منها بيت مرتفع العتبة مقدار قامةٍ، وعليه باب من حجر، وفيه أصحاب الكهف وهم سبعة نيام على جنوبهم، وأجسَادهم مَطليّة بالصّبر والكافور، وعند أرجلهم كلبٌ راقد مستدير، رأسه عند ذنبه[٧٩]، ولم يبق منه إلاّ رأسه وعجزه، وفقار الظّهر، ووهمَ أهل الأندلس في أصحاب الكهف؛ حيث زعمُوا أنهمُ الشهَداء الّذين في مدينة لوشة، قال بعض الثقات: "لقد رأيتُ القومَ وكلبهم في هَذَا الكهف بين عمُورية ونيقية سنة عشر وخمسمائة.
القرم: مدينة عظيمة بهَا أسواق ومسَاجد وفنادق وحمامات، وهيَ فرضة مملكة الترك ومَا حولها، وبهَا اللحم والسّمك والعسَل واللّبنُ كثير جداً، وبيُوتها غالبُها خشب.

---

٧٨ – نهاية صفحة ٧٧ من المخطوط
٧٩ – نهاية صفحة ٧٨ من المخطوط

وأمّا ما على البحر النيطشي من بلادِ الرّوم فمدن عظيمة مثل أطرابزندة وجزيرية وقانية وقمانية السّوداء، وسميَت بذلك لأن لها نهر يدخل في شعب جَبل وماؤه أبيض كالزلال، ويخرج منه أسود كالدّخان، وقمانية البيضاء وتسمّى مَطلوقة وماطرخا وروسيَة والأرديبيس وقلبسين، وكلّها مدن عظام قوَاعد بلاد الروم، وبين أردسين وحصن زياد شجرة عظيمة لا يعرف أحدٌ ما هي وما اسمها؟ ولها حمل يشبه اللّوز ويؤكل بقشرِهِ وهوَ أحلى منَ العسَل.

أرض الصّقالبة: وهيَ أرضٌ كبيرة واسعَة في ناحيَة الشمال وبهَا مدن وقرىً ومزارع، ولهم بحرٌ حُلوٌ يجري من ناحيَة المغرب إلى المشرق، ونهرٌ آخر يجري من ناحيَة البلغار، وليسَ لهم بحر ملح؛ لأنّ بلادهم بعيدَة عن الشمس، ولهم على البحر مدن وبلاد وقلاع منيعَة.

أرض الجنوية: وهيَ أرض واسعَة، وبها مدن وبلادهم غربيّ قسطنطينيّة على بحر الرّوم، ومن مدنهم المشهُورة جنوة وهيَ مدينة حصينة ذات أسوَار وأبواب حديد وبهَا أممٌ عظيمة لا تحصى.

أرض البنَادقة: وهي إقليمٌ عظيم ومدينتهمُ العظمى تسمّى بندقيّة وهيَ على خليج يخرج مِن بحر الرّوم، ويمتد نحو سبعمائة ميل في جهة الشمال، وهيَ قريبة من جنوة، بينها وبين جنوة في البرّ ثمانية أيّام.

وأمّا في البحر فبينهما أمدٌ بعيد أكثر من شهرين، والبندقيّة مقرّ خليفتهم واسمه الباب وهيَ شماليّ الأندلس، ومدنهم كلّها على جانبي الخليج البندقيّ، وهيَ مدن وقرىً عَامرة ورسَاتيق.

أرضُ برجان: وهي أرضٌ عظيمة واسعة[80]، وَبهَا منَ البرجان أممٌ لا تحصى، وهي أمّة طاغية قاسيَة وبلادهم واغلة في الشّمال.

الباب والأبوَاب: وهي شماليّ أرض الفرس؛ أمّا البابُ؛ فبناهَا أنوشروان على بحر الخزر، وبهَا بسَاتين وفواكه، وبها مرسَى الخزر وغيره، عليها سلسلة تمنع الداخل والخارج.

وأمّا الأبواب: فهي شعَابٌ في جَبل القبق، واسم هذا الجبَل في كتب التواريخ القديمة جبَل الفتح، وفيها حُصون كثيرة؛ منها بابُ صُول وباب الّلان، وباب السّابران، وباب الأفقة وَباب سجسجي، وباب صَاحب السّرير، وبابُ فيلان شاه، وباب كازويان، وباب إيران شاه، وباب ليان شاه، وجبل الفتح هَذا المذكور هُوَ جبل عظيمٌ شامخ.

وزعم أبو الحسَن المسعُوديّ أنّ فيه ثلثمائة بلدٍ، كلّ بلد لأهلهَا لسَان لا يشبه الآخر.

قال الجولقي: "وكنتُ أنكرهَا حتى تحققته، وهذا الجَبل فيه كثير منَ الممالك فمنها: مملكة شرَوَان شاه؛ وهيَ مملكة واسعة لها إقليم ومدن وقرىً وعمارات.

ومنها مملكة اللكز: وهي مملكة واسعة ذات أقاليم وقرىً وعمارات وأمم عظيمة جبَّارَةً كفار لا ينقادون لأحد، ومملكة لايذان شاه، ومملكة الموقانية، ومملكة الدودانية وأهلها أخبثُ العَالم، ومملكة طبرستان، ومملكة حيدان، ومملكة عتيق، ومملكة دزنكوان، ومملكة الجندخ؛ ويقال إنّ لهذه المملكة اثني عشر ألف قرية، ومملكة اللّان ومملكة الأنجاز، ومملكة الخزيرة.

---

[80] – نهاية صفحة ٧٩ من المخطوط

ومملكة الصّطحا؛ وهم قوم جبّارون طُغاةٌ لا ينقادون لأحَدٍ، ومملكة الضَّارية ومملكة شكي وهي منفردة في آخر هَذا الجبَل.
ومملكة الصّعاليك ومملكة كشك، ويُقال إنّ أهل هذه المملكة ليسَ في الممالك أحسَن من رجالهم ولا من نسائهم ولا أكمل محاسناً ولا أجمَل أوصافاً ولا أطيب خلوة ولا مضاجعَة لنسَائها، منَ الحسن والتيه والصّلف واللذّة الزائدة الوصف؛ الّتي لم توجَد في سَائر نسَاء الدّنيا، ويبلغ الرجُل منهم سنّ المائة وقوّته في نفسِه وفي مجامعتِه باقية، وإذا جامع الواحد منهم امرأة فإنه ينسَى الدنيا ومَا فيهَا إلى أن ينفصل عن المجامعَة، ونسَاؤهَا إذا بلغت المرأة خمسين سنة أو ستين أو سبعين فلا تتغيّر [٨١] محاسنها عمّا كانت عليه وَهي ابنة عشرين سنة، فسُبحان الخالق البارئ المصُور الفتاح الرزّاق.

ومملكة السّبع بلدان، ومملكة إرَم، وفي هَذا الجبَل صحراء كالكفّ نحو من مائة ميلٍ بين جبَال أربعَةٍ ذاهبةٍ في الهوَاء، وفي وسط هَذه الصّحراء دائرة منقورة كأنها قد خطّت ببيكار منحوتة مِن حجر صَلد استدارتها خمسُونَ ميلاً، قطعُها قائم كأنه حَائط مبنيّ، بعد قعرها نحواً من ستة أميَال بالتقريب، لا سَبيلَ إلى الوصُول إلى مستوَى تلك الدّائرة، ويُرى فيها بالليل نيران عظيمة في جهَات مختلفة.
ويرى بهَا أنهار مادة ولكن كرقة الأصَابع، ويرى فيهَا بالنّهار وقت الظّهيرَة أناسٌ لطاف الأجسَام جدّا كالذباب، ويرى فيها دوابّ كالنمل، ولا يعلم منَ البشر هم أم من غيرهم، ولا يزال الضَّبابُ عليها والأبخرة تتصَاعد منها، وعند الله علمها.
ومن وراء تلكَ الدّائرة دائرة أُخرى صَغيرة قريبة القعر فيهَا آجام وغياض، وفيهَا نوع من القرود منتصبَات القامات والقدود مدورين الوجوه كالآدميّين، إلا أنهم ذوُو شعور، وهم في غاية الفهم وَالذكاء، وإذا وقع القردُ الواحدُ منهم لأحدٍ من تلك الأرض حملهُ إلى من شاء منَ الملوك فيحصُل له بواسطة ذلك الخير الكثير؛ لأنّ الملوك يرغبُون في تلك القرود لخاصيّةٍ فيهَا، ويبذلون المالَ الكثير في القرد الواحد منها.
فمن ذكائه وخاصيّته أنه يقف على رأس الملك بالمذبة ليلاً ونهاراً ينشّ عليه ولا يضجر ولا يفتر، وإذا قدّمَ إلى الملك طعَام وضع منه في إناء وقدّم إليه فإن تناوله القرد وأكله أكل الملك من ذَلك الطّعام وإن تناوله وردّه ولم يأكل منه شيئا علم الملك أنّ الطّعامَ مسمُوم.

ويُقال إنّ بينَ الخزر وبين بلاد المغرب أربع أممٍ منَ الترك يرجعُون إلى أبٍ واحدٍ، وهم ذوو بأسٍ شديد وقوة، ولكلّ أمة منها ملك وهيَ: قجلى، ويجعود، ويجناك، وأبو جردد، ويُقالُ: إنّ الفرسَ لمّا فتحت تلك البلاد بنى قياد مدينة البيلقان وبرذعة وسَدّ البرّ، وبنى أنوشروان ابنه مدينة السّايران وككرة والباب، والأبواب [٨٢]، وَعمل على أبواب جبَل القبق الّذي يقال إنه جبَل الفتح من خارجه ثلثمائة وستّين قصراً ممّا يلي أرض الخزر.
أرضُ الروس: وهيَ أرض واسعة الأقطار إلاّ أنّ العمارات بهَا منقطعة لا متصلة، وبين البلد والبلد مسَافة بعيدة، وهم أممٌ عظيمة لا ينقادونَ لأحد منَ الملوك ولا لشريعة منَ الشرَائع وعندهم معدن من الذهب؛ ولا يدخل إليهم غريبٌ إلاّ قتلوه في الوقت والحال، وأرضهم بين جبَال محيطة بهَا، وتخرج من هَذه الجبَال عيُون

---

[٨١] – نهاية صفحة ٨٠ من المخطوط
[٨٢] – نهاية صفحة ٨١ من المخطوط

كثيرة تقع كلّها في بحيرة تعرف بطوهي وهي بحيرة كبيرة في وسطها جَبل عال فيه وعول كثيرة وتبر كثير؛ من طرفها يخرج نهر ديانوس.
وغربيّ أرض الروس جزيرة دار موشة؛ وفي هذه الجزيرة أشجار أزليّة كثيرة منها أشجار إذا دار حول سَاقها عشرون رجُلاً ومدوا باعاتهم على سَاق الشجَرة الواحدة فلا يحوشونها، وأهلها يوقدون النّارَ في بيُوتهم نهاراً؛ لبعد الشمس عنهم وقلّة الضّوء.
وبهذه الجزيرة قوم مستوحشُونَ يعرفون بالبراري، رؤوسهم لاصقة بأكتافهم ولا أعنَاق لهم، ودأبهُم ينحتون الأشجار الكبار، ويتخذونَ أجوافها بيُوتا يأوُون إليها، وأكلُهم البلّوط، وبهَا منَ الحيَوان المسمّى بالببر شيء كثير، وهوَ حيَوان غريبُ الوصف ولا يوجَد ولا يعيش إلاّ في تلك الأمكنة.
والرّوس ثلاث طوائف طائفة تسمّى كركيان ومدينتهم كركانية، وطائفة تسمّى أطلاوة ومدينتهم تسمّى طلو، وطائفة تسمّى أرنى ومدينتهم تسمّى أرنى.
أرض التركش: وهي طويلة عريضة متاخمة لسَدّ يأجوج ومأجوج، ويجلبُ من جهتهمُ السّنجاب الفاخر، والصّمّور والحرير والمسك وجُلود النمورة.

أرض الخزر: وهي أرض واسعَة وبها أممٌ لا تحصى؛ ومن مُدنها المشهُورة سمندد وهيَ مدينة حسنة؛ وكانَت في القديم مدينة عظيمة وكان بهَا منَ الكروم ما يخرج عن حدّ الوصف، فخربتها الروس، وآخر أعمالها أول أعمال صَاحب السّرير، وهي مدينة عظيمة وتسمّى صَاحب السّرير؛ لأنّ صَاحبهَا اتخذ سَريرا من ذهب مرصّعاً بالجوَاهِر يقصر عنه الوصف[83]، صنع له في عشر سنين؛ فلما تغلبت الرّوم على بلده بقي السّرير على حَاله، وقيل إنه باق إلى الآن.

أتل: وهي مدينة كبيرة عامرة، وأكثر بيُوتها خركاوات ولبود، وهيَ ثلاث قطع يقسمُها نهرٌ عظيم يرد من أَعالي البلاد التركيّة ويسمّى نهر أتل، يتشعبُ من هَذا النهر شعبَة تمرّ نحو بلاد التغزغز، ويصبّ في بحر نيطش وهو بحر الروس، ويتشعبُ من هذا النهر نيّفا وسبعين نهراً، وليسَ منَ الملوك الّتي في تلك النواحي من عنده جند مرتزقة غير ملك الخزر.
برطاس: أرض طويلة مقدار خمسَة عشر يوماً، وهم متاخمون الخزر، وبيوتهم خركاوات ولبّاد، ونهرُ برطاس يأتي من نحو بلاد التغزغز، وعليه مدن كثيرة وبلادٌ عامرة، ومن بلاد برطاس تحمل جلود الثعالب السّود؛ الّتي تسمّى البرطاسي، قال المسعوديّ:" تبلغ الفروة السّوداء منها إلى مائة دينار"، وفي أرض الخزر جبل يسمّى باثرة، وَهوَ جَبل معترض منَ الجنوب إلى الشمال، وفيه معادن الفضّة السهلة المأخذ ومعَادن الرصَاص، وليسَ على بحر الخزر منَ الصّفة الشرقيّة عمارة.
أرض البلغار: وهي واسعَةٌ ينتهي قصر النهار عند البلغار والرّوس في الشتاء إلى ثلاث ساعات ونصف سَاعة، قال الجوقليّ: "ولقد شهدت ذلك عندهم فكانَ طول النهار مقدار ما أصلي أربع صَلوات، كلّ صَلاة في عقيب الأخرى مع الأَذان وركعَات قلائل والإقامة والتسبيح"، وعمارتها متصلة بعمارة الروم وهم أممٌ عظيمة ومدينتهم تسمّى بلغار وهيَ مدينة عظيمة يخرج واصفها إلى حَدّ التكذيب.

---
[83] – نهاية صفحة ٨٢ من المخطوط

أرض الغزية: وهي غربي أرض الأذكش، وهي أرض واسعَة متصلة العمار من جهة الشمال والغرب والشّرق، ولهم جبَال منيعَة وعليها حصُون حصينة، وينزل إليهم نهر من جبل مرغان، يُوجَد في هذا النهر إذا زاد التبر الكثير ويخرج من قعرهِ حجَر اللازورد، وفي غياضه التبر الكثير، وبهَا ثعالب صفر لونها لون الذهب يتخذ منها فري لملوك تلك الناحية، تبلغ الفروة منهَا[84] جُملة مِن المال، ولا يدعُون أحداً يخرج بشيء منها إلى البلاد، ومن خرج بشيء من ذلك خفية استباحوا دمه وماله، كلّ ذلك بخلاً بهَا واستحساناً لها وافتخاراً بهَا.

أرض الأذكش: وأهلها صنف منَ الترك عراض الوجوه كبار الرؤوس صغار العيُون كثيرون الشعور، وأرضهم عريضة طويلة واسعة كثيرة الخيرات والخصب، وهي شرق الغزية، وبهَا منَ المواشي واللّبن والعسَل شيء لا يوصَف، حتى إنّ الرّجل يذبحُ الشاة ولا يجدُ من يأكلها، وأكثر أكلهم لحوم الخيل وشربهم ألبانهَا.
وجنوبها بحيرة تهامة: وهيَ بحيرة عظيمة دورُها مائتان وخمسُون ميلاً، وماؤهَا شديد الخضرة إلاّ أنّ ريحَه ذكيّ وطعمه عذبٌ جدّاً، وبهَا سمك عريض جدّاً، إذا وقعَت هَذه السّمكة في شبَكة الصّيّاد، انتشر في الحال ذكره وقامَ على حيله وأنعظ إنعاظاً شديداً، ولا يزال كذلك حَتّى يخرج السّمكة من شبَكته، ولونها مرقش فيه من كلّ لون عجيب حسَن، وتزعمُ الأتراك أنّ الشيخ الهرمَ إذا أكل من لحم هَذه السّمَكة أمكنهُ أن يفتضّ الأَبكارَ لقوّة خاصيّةِ هَذه السّمَكة.
وفي وسط هذه البحيرةِ أرض كالجزيرة وفي وسط الجزيرة بئر محفورة لا يحسّ لها قعرٌ ولا منتهى، وليسَ بهَا شيء منَ الماء، وبهَذه الجزيرة أنهار كثيرة كبارٌ؛ منها تمامة وهو نهرٌ كبير عميق، وخروجه من ثلاث عيُون دفاعة، وأهل تلك البلاد يقصدونَ هَذا النهر بأولادهم يغمسُونهم فيه قبل البُلوغ والاحتلامِ، فلا يصيبهم بعدَ ذلك من أمراض الدّنيا شيء البتة، إلاّ ما جاء من قبل الموت، وإذا مرض عندهم أحدٌ من هؤلاء المغموسين؛ علموا أنّ موْته في تلك المرضَة، صحّ لهم ذلك في تجاربهم، وإذا سُقيَ العليل من مائه برأ من علته، كائنةً ما كانَت، بعدَ سبعة أيام من وقت شربه، وإذا غسَل الإنسان رأسه بالغاً كانَ أو غيره، لم يحصُل لرأسه صداع في تلكَ السنة، وقد أكثروا الكلامَ في هَذا النهر حتى إنهم قالوا أشياء يجبُ السكوتُ عنها، وقدرَة الله عزَّ وجَلّ صالحة لكل شيء[85] خارق.
وشرقيّ هذه البحيرة جبَل حراد، وهوَ جبَلٌ مرتفع لا يمكن الصُعود إليه من حيث الظاهِر بوجه منَ الوجوه؛ لأنه كالحائط القائم الأملس، وفي أسفله باب كبيرٌ فيه بيت متسع يتوصّل منه إلى جوف هذا الجَبل، فيه مدرج يصعَد منه إلى أعلىَ الجَبل حيثُ المدينة، وبوسط هذه المدينة عين نابعَة يشربون منها ويفيض باقي مَائها؛ فيصُبّ في حفير على سُور المدينة، لا يعلم أين يذهبُ ولا أين يستقرّ.
وشمالي أرض الأذكش جَبل مرغان وهوَ جَبل طوله منَ المشرق إلى المغرب نحواً من ثمانية عشر مرحلةً، وفي وسَطه موضع عال مستدير كالقبّة، وفي وسطه بركة ماءٍ، لا يقدر أحدٌ على العَوم فيها، لا من انسَان ولا من حيَوان؛ لأنّ كلّ شيء نزل فيها ابتلعته؛ حتى إنهم إذا رمَوا فيهَا أخشاباً كباراً أو صغاراً تبتلعها في الحال.

---

[84] – نهاية صفحة ٨٣ من المخطوط
[85] – نهاية صفحة ٨٤ من المخطوط

ويقال إنّ في تلك البركة أسفل الجبل مغارة يسمع فيهَا دويّ عظيمٌ هَائِلٌ، يعلو دويّه في وقتٍ وَينخفض في وقت، ومتى تقدّم أحدٌ إليها من انسان أو غيره لم يرَ بعدَ ذلك، يُقال إنه يخرج منها ريحٌ جاذبة للمعترض لها، فتأخذه إلى دَاخل المغارة، وقد حَكى صاحب كتاب العجائب والغرائب عن هذه المغارة أشياء لا يمكن ذكرها ويجبُ السكوت عنها لعَدم قبول العقل لها، ونشهدُ أنّ الله على كلّ شيء قدير.

أرضُ سحرت: وهيَ أرضٌ واسعة، وبها جَبل ارجيفا، وبها معَادن النحاس يعمل فيها أكثر من ألف صَانع لصَاحب سحرت، ويعمل في هذه الأرض من الفخار والبرام شيء عجيب، ويسَاحِل بحرهَا ألوان من الحجارة الملوّنة المثمنَة.

أرضُ خزخير: وهيَ متصلة بأرض التغزغز منَ المشرق شمالاً مما يلي البحر الصّينيّ، وهي أرض واسعَة كثيرة المياه وافرة الخصب، وبهَا نهر يجري إليهم من نحو الصّين، وعليه أرحاء وبه أنواع السّمك المسمّى بالسّطرون الّذي يفعَل في قوة الجمَاع ما لا يفعله السّقنقور وليسَ له شوك.

ويقربهَا جزيرة الياقوت ويحيط بهَذه الجزيرة جبَل صَعبُ المرتقى لا يوصَل إلى ذروته[86] إلاّ بجهد جهيد، ولا يوصَل إلى سُفل هَذه الجزيرة أصلاً لأنّ بهَا حيّات قتّالة، وبأرضها حجارة الياقوت، وأهل تلك الأرض يتحيّلون عليه بأن يذبحُوا الدّوابّ ويقطّعُوها وهي حارة ويلقونها في تلك الجزيرة، فتقع على الأحجار ويتعلّق بهَا مَا قسم، فيخطفها الطّير ويخرج بهَا منَ الجزيرة فيتبعُون محَطّ الطّير فيجدُون ما يجدُون، وهَذه الأمّة تحرق موتاهَا بالنّار.

أرضُ الكيماكية: هيَ شماليّ أرض التغزغز، وهم أممٌ عظيمة وأرضهُم عامرة كثيْرة الخصب، وبأرضهم مفاوز عظيمة، ولهم قلعة حصينة وشربهم منَ الآبار المنقورة، وجميع سَاحل الكيماكية يوجَد فيه التبرُ عند هيجان البحر فيجمَعُونه ويصَوّلونه منَ الزئبق ويسبُكونه في أرواث البقر؛ فيأخذ الملك حصّته من ذلك والباقي لصَاحبه، وأهل المدينة هذه المعروفة بكيماكية يلبسُونَ الحرير الأصفر والأحمر، ويعبُدون الشمس، لا إله إلّا الله محمّد رسُول الله.

أرضُ الخلخيّة: أرض واسعَة ولهم قلعة حصينة في رأس جبَل شاهِق، والماء قد عمّ ذلك الحصن مستديراً به من جميع جهاته وأهلها ذوُو عَدد وعدد.

أرض الخزلجيّة: شماليّ بلاد التبت وغربيّ بلاد التغزغز، وهي طويلة عريضة، وبهَا أممٌ عظيمة منَ الترك، ومدينتهمُ العُظمى تسمّى خاقان الخزلجيّة وهي في غاية الحصَانة، ولها اثنا عشَر باباً منَ الحديد الصّينيّ.

الأرضُ المنتنة: وهيَ أرض ممتدّة طولها عشرة أيّام في عرض عشرة، وهيَ خرساء الأطناب، سَودَاءُ الاهَاب، وأهلها جرد الثياب، وماؤهَا غائر ودليلها حائر، ورائحتها منتنة وأهويتها وخمة، وهيَ غربيّ الأرض الخراب الّتي خربهَا يأجوج ومأجوج، وهي بلاد موحشة.

الأرض الخراب: بلاد واسعَة الأقطار خالية الدّيار لا يدخلها سَالك، ومن دخلها وقعَ في المهَالك لكثرة وبائها ووحشة أرضها وتغيّر هوَائهَا[87] وكثرة الأمطار وعدَم السّاكن والسّالك ووجود الأخطار، وقيلَ إنها في هَذا الوقت قد عمرَت.

---

[86] - نهاية صفحة ٨٥ من المخطوط

[87] - نهاية صفحة ٨٦ من المخطوط

أرضُ يأجوج ومَأجوج: والجبَل الّذي يحيط بهّم يسمى فرنانا، وهوَ جبل قائم الجنبات لا يصعَد عليه أحدٌ، وبه ثلوج منعَقدة لا تنحلّ عنه أبداً، وبأعلاهُ ضباب لا يزُول أبداً، وهوَ مادّ من بحر الظلّمات إلى آخر المعمور لا يقدر أحدٌ إلى صُعُودِه، وخلف هَذا الجبَل من بلاد يأجوج ومأجوج عدَد لا يحصى، وَفي هَذا الجبَل حيّات وأفاعى عظام جدّا، وربّما رقي هذا الجبلَ في النادر من يريد أن ينظرَ إلى مَا وراءه فلا يَصلُ إليه ولا يمكنُه الرّجُوع فيهلك، وربّما رجَع منَ الألف واحد؛ فيخبرُ أنّه رأى خلف الجبَل نيراناً عظيمة.

يقال إنّ يأجوج ومأجُوج كَانا أخوين شقيقين تناسَلا، وكانت لهم غاراتٌ على من جاورَهم قبل وصُول ذي القرنين إليهم، فأخلوا كثيراً منَ البلاد، وأهلكوا غزيراً منَ العبَاد، وكانت منهم طائفة عفيفة ينكرونَ ذلك عليهم، فلمّا وصَل ذو القرنين وأقام بجيُوشهِ عليهم؛ شكت الطّائفة العفيفة إليه يأجوج وَمأجوج ومَا فعَلوه في البلاد والأمم المجاورةِ لهم منَ الفسَاد، وأنهم عَلى خلاف مَذهَبهم ويبرئون من معتقدهم ومفتعلهم، وشهدَت لهم قبائل كثيرة بذلك، فمال إليهم وتركهم خارج السّدّ، وأقطعهُم تلك الأراضي يعمرُونها ويأكلونها، وهم الخزلجيّة والسّنبَسيّة والخزخيرية والتغزغزية والكيماكية والجاجانية والأذكش والتركش والخفشاخ والجليخ والغر والبلغار، وأمم عظيمة يَطول ذكرُها، وسَدّ على المفسدين.

وكلّ المفسدين قصَار القدود لا يتجاوَز أحدهم ثلاثة أشبار، ووجوههُم في غاية الاستدارة وعليهم شعور مثل الزغب وآذانهم مستديرة مسترخية، تلحقُ أذنُ الرجل منهم طرف منكبيه. وألوانهم بيض وحمر وكلامهم صفير وفيهم زنا فاحش، وبلادهم ذات أشجار ومياه وثمار وخصبٍ كثير ومواشي كَثيرة[88] إلاّ أنها بلاد ثلج ومَطر وبرد على الدّوام.

حُكي عن سَلّام الترجمان، وكان عارفاً بألسُن كثيرة حتى قيل: "إنّه كانَ يعرف أربعين لغة، ويجاري فيهَا، أنّه رأى هَذا السّدّ عيَاناً، وذلك أنّ أميرَ المؤمنين الواثق بالله من خلفاء بني العبّاس بعثه إليه ليرَاهُ ويتحقق كيفيته ويخبرَهُ بصفتِه عن حقيقته، فمضَى إليه وعادَ بعدَ سنتين وأربعَة أشهُر؛ فأخبرَه أنه سَار ومن معَه؛ حتى وصَلوا إلى صَاحِب السَّرير بكتاب أمير المؤمنين فأكرمهم وأرسَل معهُم أدلاّء، فمضَوا حتى دَخلوا إلى تخوم سحرت، وسَاروا إلى أرض طويلة ممتدّة كريهَة الرائحة؛ فقطعُوهَا في عشرة أيام، وكان معهم شيء يشمونه لأجل تلك الرائحةِ، الّتي في تلك الأرض فإنها تأخذُ على القلب، وانفصَوا من تلك الأرض وَوقعُوا في أرض خراب لا حَسيسَ بهَا ولا أنيس مَسيرة شهر، وخرجُوا منها إلى حصُون بالقرب من جبَل السّد، وأهلُ تلك الحُصُون يتكلّمونَ بالعَربيّة والفارسيّة.

وهنَاك مدينة عظيمة اسم ملكها خاقان أتكش، فسَألونا عن حَالنا، فأخبرناهم:" أنّ أميرَ المؤمنين الخليفة على المسلمين أرسَلنا لنرى السّدَّ عيَاناً، ونرجع إليه بصفته"؛ فتعجّبَ هوَ ومن عنده منّا ومن قولنا أمير المؤمنين الخليفة ولم يعرفوا ما هو؟ وَبقي السّدّ عنا فرسخين مِن هذه المدينة.

ثمّ سرنا ومَعَنا أناسٌ منهم؛ حتى سرنا إلى باب بين جبَلين عظيمين عرضه مائة ذراعٍ وخمسُونَ ذراعاً، وفيه بابٌ من حديد طوله مائة وخمسُون ذرَاعاً وقد اكتنفَه عُضَادتان، عرض كل عضَادة منهما خمسٌ وعشرون ذراعاً وارتفاعهَا مائة وخمسُون ذراعاً، وعلى أعلاهَا دروند من حَديدٍ طوله مائة وخمسُون ذراعاً، وهي العتبَة العُليا، وفوقه شرّافات من حديد، في طَرف كلّ شرّافةٍ قرنان من حَديد منثنيَان إلى الشرّافة الأخرى، يتصل بعضها ببَعضٍ، وكلّ ذلك من لبِن حديدٍ مغيّب في نحاسٍ مذاب، والبابُ مصرَاعان مغلقان عَرض كلّ مصراعٍ خمسُون ذراعاً في ثخن أربعَة أذرع، وقائمتان في ذروتي الجبَلين على قدر الدّروَند.

---

[88] – نهاية صفحة ٨٧ من المخطوط

وعلى الباب[89] قفل من حَديد طوله سبعة أذرع في غلظ ذراع ونصف وارتفاع القفل منَ الأرض أربعُون ذرَاعاً، وفوق القفل بخمسَة أذرع حَلقة أطول منَ القفل بخمسَة أذرع، عليها مفتاح معلّق طوله ذراع ونصف، وَله اثنا عشر سنّة منَ الحديد، معلّق في حَلقة طولها وعرضها ذراع في ذراع بسلسِلة منَ الحديد المصَفى.

وعتبة الباب السّفلى سمك عشرة أذرُع وطُولها مائة ذراع مِن حَديدٍ مغمُوسة الطّرفين تحتَ العضَادتين، وكلّها بالذراع الرشاشي.

ورئيسُ تلك الحُصُون يركبُ في كلّ جمُعَةٍ في كبكبةٍ عظيمةٍ؛ حَتّى يأتي البابَ، وبأيديهم مرزبّات من حَديد فيَضربُون بها على ذلك الباب؛ فتدوي تلك الأرض ليسمع من خلف الباب من يأجُوج ومأجوج، فيعلمون أنّ هنَاك حفظة وحُراساً، وبعد ضرب الباب ينصتون بآذانهم مستمعين فيسمَعُونَ من ورَاء الباب دويّاً كدويّ الرعد.

ويقرب هَذا السّدّ حصن طوله عشرة أذرع في عشرة، ومع هَذا الباب من الجانبين حصنان كلّ واحدٍ منهما مائة ذراع في مائة ذراع، وبين هذين الحصنين عين ماء عذبٍ، وفي أحد الحصنين بقيّة من آلات البناء، وهي قدور من حديد ومَغارف من حديد، وهيَ فوق دكك مرتفعة، وعلى كلّ دكة أربعَة قدور، وهي أكبر من قدور الصّابون، وهناك أيضاً بقايَا منَ اللبن الحديد، وقد لصق بعضها ببَعضٍ منَ الصّدأ، طول كل لبنة ذراع ونصف في عرض ذراع وارتفاع شبرين.

وأمّا البابُ المذكور والدروند الّذي في أعلاه، والقفل، فكأنما فرغ الصَّانع من عمله الآن، وهي غير صدئة ولا بالية، قد دهنت بأدهان الحكمة المانعة من الصدأ.

قالَ سَلّام الترجمَان: "سَألتُ مَن هنَاك هَل رأيتم قطّ أحداً منهُم؟ فأخبروا أنهم رأوا منهم عدداً كثيراً فوق شرَافات السّد، فهبّت بهم ريح عاصف؛ فرمَت منهم ثلاثة، كلّ واحد منهم طوله دون ثلاثة أشبار، ولهم مخاليبُ موضع الأظفار، وأنياب وأضراس كالسّبَاع، وإذا أكلوا بهَا يسمَعُ لأكلهم حركة قوية، ولهم أذنان عظيمتان يفترشونَ الواحدة[90] ويَلتحفونَ الأخرى". فكتبَ سَلّام هَذه الصّفات كلّها في كتاب، وَرجَع إلى الخليفة الواثق بالله.

وقَد ذكَرَ بعض أهل العلم أنّ يأجوج ومأجوج يرزقون التنين، يقذفه عليهم السّحاب فيأكلونه، وإنما يقذف عليهم ذلك في أيام الربيع في كلّ عَام، فإذا تأخر ذلك عن وقته المعهُود استمطروهُ كما يستمطر النَاسُ الغيث.

وحَكى صَاحب كتاب العجائب أنّ في داخل بلاد يأجوج ومأجوج نهر يسمّى المسهر لا يعرف له قعرٌ، وإذا تقاتلوا وأسر بعضهم بعضاً؛ طرحوا الأسرى في ذلك النهر؛ فيرون عند ذلك طيوراً عظاماً تخرج إلى من يُطرحُ في ذلك النهر من كهوف هنَاك في جانبي الوادي، فتخطفهم قبل أن يصلوا إلى الماء وترتفع بهم إلى تلك الكهوف فتأكلهم هناك.

---

[89] – نهاية صفحة ٨٨ من المخطوط

[90] – نهاية صفحة ٨٩ من المخطوط

ويقال إنّ بهَذا الوادي نارا تتأججُ طول الزمان بقدرة الله تعالى، وليسَ وراء يأجوج ومأجوج إلاّ المحيط والله تعالى أعلم؛ "وما يعلم جنود ربك إلاّ هو وما هي إلاّ ذكرى للبشر"، "ويخلق مَا لا تعلمون، وعلى الله قصدُ السّبيل".

انتهى فصل البلدان والأقطار، ولنشرَع الآن في ذكر الخلجان والبحَار والجزائر والآبار وما بهَا منَ العجائب للاعتبار.

فصل في المحيط وَعجائبه

اعلم أنّ المحيطَ هُوَ البحر الأعظم؛ الّذي منه مادة سَائر البحار المتصلة والمنقطعة وهوَ بحر لا يعرف له سَاحِل، ولا يعلم عمقه إلاّ الله عزّ وجَلّ، والبحار على وجه الأرض خلجان منه، وفي هَذَا البحر عرش إبليس لعنه الله وفيه مَدائن تطفو على وجه الماء، وفيهَا أهلها منَ الجنّ في مقابلة الربع الخراب مِنَ الأرض، وفيه حصُون وفيهِ قصُور على وجه الماء طافية ثمّ تغيبُ، وتَظهرُ فيه الصّور العجيبَة والأشكال الغريبَة، ثمّ تغيبُ في الماء.

وفيه الأصنام الّتي وضعها أبرَهة ذو المنار الحميَري، قائمة على وجه البحر وهيَ ثلاثة أصنامٍ: أحدهم أخضر، وهو يومئ بيَدِه[٩١] كأنه يخاطبُ من ركبَ البحر يأمرُه بالرجوع، والصّنم الثاني أحمَر كأنّهُ يشيرُ إلى نفسه، ويخاطبُ من ركبَ هذا البحر أن يَقف عنده ولا يجاوزه، والصّنم الثالثُ أبيَض كأنه يومئ بأصبعه إلى البحر: "مَن جاء وجَاوز هَذا المكانَ هَلك"، وعلى صَدر كلّ صَنم مكتوب بالمسند: "هذا مَا وضعه[٩٢] أبرهَة ذو المنار تبع الحميَريّ لسيّدته الشمس تقرباً إليها".

وفي هَذَا البحر ينبتُ شجر المرجَان كسَائر الأشجار في الأرض، وفيه منَ الجزائر المسكونة والخالية ما لا يعلمهُ إلاّ الله تعالى.

قالَ أبو الريحان الخوارزميّ: إن المحيطَ الذي في المغرب على سَاحِل بلاد الأندلس يسمّى بالمظلم أيضاً، لا يلجُ فيه أحدٌ أبداً، وإنما يمرّ بالقرب من سَاحِله، يخرج منه خليجٌ يعرف بنيطش وطرابزندة، ماداً في جهة الشّمال، وهوَ بحر القرم يمرّ على سُور قسطنطينيّة، ويتضايق حتى يقع في بحر الشام، ثم يمتدّ نحو الشمال على محاذاة أرض الصّقالبة، ويخرج منه خليج في شمال الصّقالبة، فإذا وصَل إلى قرب أرض المسلمين وبلادهم انحرف إلى نحو المشرق، وبين سَاحله وبين أرض الترك أرض وجبال مجهولة وخراب غير مسكونة ولا مسلوكة، ثمّ يتشعَّبُ منه أعظم الخلجان وهو الخليج الفارسيّ المسمّى في كلّ اقليم ومكان منَ المحيط باسم ذلك الإقليم والمكان للمُحاذاة له، فيكون أولاً بحر الصّين ثمّ بحر التبت، ثم بحر الهند ثم بحر السّند، ثمّ بحر فارس، ثم يخرج من أصل هذا البحر المذكور خليجان عظيمان أحدُهما بحر مكران وكرمان وخورستان وعبادان، وهو الخليج الشرقيّ الشّمالي، والآخر بحر الزنج والحبَشة وسَفالة الذهب والبَربر والقلزم واليمن وبلاد السّودان، حتى ينتهي إلى بلاد مصر، وهوَ الخليج الجنُوبي الغربيّ، وفي هذا البحر أعني الخليج الشرقيّ بجملته منَ الجزَائر العَامرة والغامِرة والمسكونة والمعَطلة ما لا يعلم ذلك إلاّ الله عزّ وجَلّ.

---

[٩١] – نهاية صفحة ٩٠ من المخطوط

[٩٢] – في نسخة صنعه

وسنذكر كلّ بحرٍ على حدته، وما فيه مِنَ الجزائر والآثار والعجَائب على الترتيب إن شاء الله تعالى.

أمّا البحر الأوّل من هذا الخليج الشرقيّ فهو بحر الصّين وبحر التبت وبحر الهند والسّند، لأنه يمر أوّلا بالصّين ثم بالتبت ثم بالهند ثم بالسند[٩٣]، ثم على جنُوب اليمن، وهُناك ينتهي إلى باب المندب طولاً؛ فيكون مسَافة طوله من مبدئه من المحيط في الشرق إلى باب المندب في الغرب أربعة آلاف فرسخ، ثم يتشعبُ من هَذا البحر الصّينيّ الخليج الأخضر، وهو بحر فارس والأيلة ومكران وكرمان إلى أن ينتهي إلى أيلة حيث عبادان، فهناك ينتهي آخره ثمّ يعطف راجعاً إلى جهة الجنوب؛ فيمرّ ببلاد البحرين واليمامة، ويتصل بعمّان وأرض الشجر واليمن، وهناك اتصَاله بالبحر الهنديّ، وطول هذا البحر أربعمائة فرسخ وأربعُون فرسخاً.

ويتشعبُ من هذا البحر الصّينيّ أيضاً: خليج القلزم ومبدَؤه من باب المندب المقدّم ذكرهُ، حيث انتهى البحر الهنديّ آنفاً؛ فيمرّ في جهة الشّمال مغرباً قليلاً، فيتصل بغربيّ اليَمن ويمر بتهامة والحجاز إلى مدين وأيلة وفاران، وينتهي إلى مدينة القلزم وإليها ينسَبُ وينعطف راجعاً إلى جهة الجنوب فيمرّ في بلاد الصّعيد إلى حوم الملك، إلى عيذاب، إلى جزيرة سَواكن، إلى زيلع من بلاد البجة إلى بلاد الحبَشة ويتصل بالبحر الهنديّ، وطول هَذا البحر ألف وأربعمائة ميل والله أعلم.

البحر الثاني: الخليجُ الغربي الآخذ منَ المحيط الغربيّ المظلم وهوَ بحر الغرب والشامِ والرّوم ومبدؤهُ منَ الإقليم الرابع، ويسمّى هناك البحر الزقاق؛ لأنّ سعته هُناك ثمانية عشر ميلاً كالزقاق، وكذلك طول الزقاق أيضاً من طريق إلىَ الجزيرةِ الخضراء ثمانية عشر ميلاً؛ فيمرّ مشرّقاً في جهة بلاد البرير وشمال الغرب الأقصى، إلى أن يمرَّ بالغرب الأوسَط ويصل أرض أفريقية إلى وادي الرّمل إلى أرض برقة وأرض لوقيا ومراقيا إلى الإسكندرية، إلى شمال أرض التيه، إلى فلسطين إلى سَائر سَاحل بلاد الشام، إلى أن ينتهي طرفه إلى السّويديّة، وهناك نهايته ثمّ ينحرف مغرباً راجعاً إلى جهة الغرب فيتصل بالخليج القسطنطينيّ، إلى جزيرة بليُونس وكمشيلي، إلى أدرنت، وهناك يخرج إلى الخليج البندقيّ ويتصل إلى أرض مجاز صقلية إلى بلاد روميَة إلى بلاد سقومة ابتداءً، وطولُ هذا البحر[٩٤] ألف[٩٥] ومائة وستة وستون فرسخاً.

ويخرج من هذا البحر الشماليّ خليجان: أحدهما خليج البنادقة: ومبدؤه من شرقيّ بلاد قلودية من بلاد الروم عند مدينة أدرنت، فيمرّ في جهة الشمال عن تغريب يَسير إلى سَاحل سَنت، ثمّ يأخذ في جهة المغرب إلى أن يمر بسَاحِل البنادقة وينتهي إلى بلاد أزكالية، ومن هنَاك ينعطف راجعاً مع الشرق على بلاد جرواسيّة ولماسيّة إلى أن يتصل بالبحر الشاميّ من حيثُ ابتدأ، وطول هذا البحر ألف ومائة ميل.

والخليج الآخر: نيطش، ومبدؤه منَ البحر الشّاميّ حيث فم ايدة، وعرض فوهته رمية سهم، ويمرّ بينه مجاز رميَة سَهمٍ، فيتصل بالقسطنطينيّة فيكون عرضه هناك ستّة أميَال، ويمرّ نحوَ نيطش من جهَة الشرق، فيتصل في جهَة الجنُوب بأرض هرقلية إلى سوَاحل اطرابزنده إلى أرض اشكَاله إلى أرض لاينه، وينتهي طرف هَذا الخليج هناك حيث الجزيرة، ومن هناك ينعطفُ راجعاً إلى مطرحه ويتصل ببلاد الروسيّة وبلاد برجَان، ولا يزال حَتّى ينتهي إلى مضيق فمّ خليج قسطنطينيّة، ويتصل به ويمرّ شرقيّ مقدونية إلى أن

---

[٩٣] – نهاية صفحة ٩١ من المخطوط

[٩٤] – نهاية صفحة ٩٢ من المخطوط

[٩٥] – في نسخة ألف وستمائة وستون

يتصل بالموضع الّذي منه ابتدأ، وبين سَاحله وبين أرض الترك أرضُون وجبَال مجهُولة، وطول بحر نيطش وهوَ بحر القرم من فم المضيق إلى حيثُ انتهاؤه ألف وثلاثمائة ميل.
وبحر جُرجَان والدّيلم: فهوَ بحر الخزر، فإنه يخرج منقطعاً لا يتصل بشيءٍ منَ البحار المذكورة، وتقع فيه أنهار كثيرة وعيُون دائمة الجريان، وذكر الجولقيّ أنَ هَذا البحر مظلم القعر، وأنه يتصل ببحر نيطش مِن تحت الأرض، ويتصل بهذا البحر من جهة الغرب بلاد أدريجان ومن جهة الجنوب بلاد طبرستان، ومن جهَة الشرق أرض العرب، ومن جهة الشمال أرض الخزر، وطوله ألف ميل وعرضه من ناحية جرجان إلى موضع نهر أيلة ستمائة ميلٍ وخمسُون ميلاً، وفي كلّ بحرٍ من هذه البحُور جزائر وأمم مختلفة ونباتات وحيوَانات مختلفة وجبَال وغير ذلك. ونحن نفصل ما وصل إليه علم الناس[٩٦].

فصل في بحرِ الظلمة وهو البحر المحيط الغربيّ

ويسمّى المظلم، لكثرة أهوَاله وصعوبة متنه فلا يمكنُ أحداً من خلق الله أن يلج فيه، إنما يمرّ بطول السّاحل؛ لأنّ أموَاجَه كالجبَال الرواسي وظلامه كدر، وريحه زفر، ودوابه متسلّطة، ولا يعلم ما خلفهُ إلاّ الله تعالى ولا وقف منه بشر على تحقيق خبر، وفي سَاحِل هذا البحر يوجَد العنبر الأشهبُ الجيّد، وحجر البهت وهو حجرٌ من حمله أقبل الخلق عليه بالمحبّة والتعظيم وقضيت حوَائجه وسمع كلامُه وانعَقدَت عنه ألسنة الأضداد.

ويوجد أيضاً بسَاحِله حجارة مختلفة الألوان يتنَافسُ أهل تلك البلاد في أثمانهَا ويتوارثونها ويذكرون لها خواصّا عظيمة، وفي هذا البحر منَ الجزائر العَامرة والخراب ما لا يعلمه إلاّ الله تعالى، وقد وصَل الناس منها إلىَ سبعَة عشر جزيرة.
فمنها الخالدتان: وهما جزيرتان فيهمَا صَنمان مبنيان بالحجَر الصّلد طول كلّ صَنم مائة ذراع، وفوق كلّ صَنم صُورة من نحاس تشير بيدها إلى خلف، يعني: "ارجع فما ورائي شيء"، بناهما ذو المنار الحميريّ منَ التبابعَة، وهوَ ذو القرنين لا المذكور في القرآن.
ومنهَا جزيرة لعوس، وبها أيضا صَنم وثيق البناء لا يمكِنُ الصعُود إليه بناه أيضاً ذو القرنين المذكور، وبهَذه الجزيرة مات الباني وقبرهُ بهَا في هيكل مبنيّ بالمرمرِ والزجاج الملوّن، وبهَذه الجزيرة دوابّ هائلة تنكرهَا المسامِع.
ومنها جزيرة السعالي: وهي جزيرة عظيمة بهَا خلق كالنسَاءِ إلاّ إنّ لهم أنياباً طوالاً بادية، وعيُونهم كالبرق الخاطف ووجوههم كالأخشاب المحترقة، يتكلمون بكلام لا يفهم، ولا فرق بين الرجَال والنساء عندهم إلاّ بالذكر والفرج، ولباسهم ورق الشجر ويحاربون الدّوابّ البحرية ويأكلُونها.
وجزيرَة حسَرات: وهي جزيرة واسعَة فيهَا جبل عالي، وفي سفحه أناسٌ سُمرٌ قصَارٌ لهم لحى طوال تبلغ ركبهم، وجوههم عراض ولهم آذان كبار، وعيشتهم منَ الحشيش، وعندهم نهرٌ صَغيرٌ عذبٌ.
وجزيرة العرر: وهيَ جزيرة طويلة عريضة، كثيرة الأعشاب والنباتات والأشجار والثمار[٩٧].

---

٩٦ - نهاية صفحة ٩٣ من المخطوط
٩٧ - نهاية صفحة ٩٤ من المخطوط

جَزيرَةَ المستشكين: وتعرفُ بجزيرة التنين، وهيَ جزيرة عظيمة بهَا أشجار وأنهار وثمار، وبهَا مدينة عظيمة، وكان بهَا التنين العظيم؛ الّذي قتله الاسكندر، وكانَ من حديثهِ أنه ظهَر بهَا تنين عظيمٌ، فكادَ أَن يهلك الجزيرة وما بهَا منَ السّكّان والحيوَان، فاستغاث الناس منه إلى الإسكندرِ، وكان الإسكندر قد قاربَ تلك الأرض، وشكوا إليه أنّ التنين قد أكل مواشيهم وأتلف أموَالهم وقطع الطّريق على الناس، وأنّ له عليهم في كلّ يوم ثورين عظيمين ينصبُونهما له، فيأتي إليهما كالسّحابة السَّوداء وعيناهُ تتوقدان كالبرق الخاطف، والنّار والدخان يخرجَان من فيه فيبتلع الثورَين ويرجع إلى مكانه.

فسَار الإسكَندر إلى الجزيرة وأمرَ بالثورين فسُلخا وحَشا جُلودهما زفتاً وكبريتاً وزرنيخاً وكلساً ونفطاً وزئبقا، وجعَل مع ذلك كلاليبَ من حديد وأقامهُما فِي المكان المعهُود، فجاء التنين منَ الغد إليهما على العَادة فابتلعهُما، فأضرمت النارُ في جوفهِ وتعلّقت الكَلاليبُ بأحشَائه، وسرَى الزئبَق في جسَدِه ورجع مضطرباً إلى مقره.

فانتظروهُ منَ الغد فلم يأتِ ولم يخرج، فذهبُوا إليه فإذا هو ميّت، وقد فتح فاه كأوسع قنطرة وأعلاَها؛ ففرحُوا بذلك، وشكروا سَعيَ الإسكندر إليهم، وحمَلوا إليه هدَايا عجيبَة منها دابة عجيبَة يقال لها المعراج مثل الأرنب، أصفر اللون وعلى رأسه قرن واحد أسود لم يرهَا شيء من السبَاع الضّواري والوحوش الكاسرَةِ إلاّ هربَ منها.

جزيرة قلهات: وهي جزيرة كبيرَة، وبها خلق مثل خلق الإنسَان، إلاّ أنّ وجُوههم وجُوهَ الدّوابّ يغوصُون في البحر فيخرجُون ما يقدرون عليه منَ الدوابّ البحريَة فيأكلونها.

جزيرة الأخوين الساحرين: أحدهما شرهام والآخر شبرام، وكانا بهذه الجزيرة يقطعَان الطّريق على التجار، فمسخا حجرين قائمين في البحر، وعمرت الجزيرة بعدهما.

جزيرة الطيور: يقال إنّ فيها جنساً منَ الطّيُور في هيئة العقبان، حمر ذوات مخاليبَ تصيد دوابّ البحر، وبهذه الجزيرة ثمر يشبه التين، أكله ينفع من جميع السموم[٩٨].

حَكى الجولقيّ: أنّ ملكاً من ملُوك افرنجة أخبرَ بذلك فوجّه إليها مركباً؛ ليجلبَ له من ذلك الثمر ويُصَاد له من تلك الطّيُور، لأنه كان عالماً بمنافع تلك الطّير ودمهَا وأعضَائها ومرائرها، فانكسَرت المركبُ في البحر وهلكت السّفينة ومن فيهَا ولم يعُد إليه أحدٌ.

جزيرة الصَّاصيل: طولها خمسَة عشر يوماً في عرض عشرة، وكانَ بهَا ثلاث مدن كبارٍ مسكونةٍ عامرة، وكانَ التجار يسيرون إليها ويشترون منهم الأغنام والأحجار الملوّنة المثمنَة، فوقعَ الشرّ بين أهلها حَتّى فني غالبهُم وبقي منهم قليل، فانتقلوا إلى بلاد الرّوم.

جزيرة لاقة: وهي جزيرة كَبيَرة وبها شجر العُود كالحطب وليسَ له هنَاك قيمة ولا رائحة حتى يخرج من تلك الأرض؛ فيَكتسِب الرائحة؛ وكانَت عامرة مسكونة، والآن قد خرجت فيهَا حيّات كبار، وتغَلبَت على أرضهَا فخربَت بسَببِ ذلك.

جزيرة نورية: بهَا أشجار وأنهار، لكنها خاليَة الدّيار، وبهذا البحر دوابّ عظيمة مختلفة الأشكَال هَائلة المنظر، يقال إنّ السّمكة به يمرّ رأسُها كالجبل العظيم الشامخ، ثمّ يمرّ ذنبُها بعد مدّة، ويُقال إنّ مسَافة ما بين رأسها وذنبها أربعة أشهر.

---

[٩٨] – نهاية صفحة ٩٥ من المخطوط

بحر الصّين وجزائره وما به من العَجائب والغرائب

ويسمّى هَذا البحر بأسماء عديدة: بحر الصّف وبحر الهركند وبحر صقجي، وهوَ متصل بالمحيط مِنَ المشرق؛ وليسَ على وجه الأرض بحر أكبر منه إلاّ المحيط، وهو كثير الموج عظيم الاضطراب بعيد القعر، فيه المدّ والجزر، كما في بحر فارس؛ ويستدلّ على هيَجان هَذا البحر بأن يَطفو السّمك على وجهِه قبل هيَجانه بيوم واحدٍ، ويستدَلّ على سُكونه ببيض طائرٍ معروف يبيض على وجه الماء في مجتمع القذى، وهو طائر لا يأوي الأرض أبداً ولاَ يعرف إلا لجّة البحر.

وفي هَذا البحر مغاص اللؤلؤ يَطلعُ منه الحبُّ الجيّد الّذي لا قيمة له، وفي هَذا البحر منَ الجزائر ما لا يعلمه إلاّ الله عدداً إلاّ أن بعضهَا مشهور يصل إليه الناس، قيل إن فيه اثني عشر ألف جزيرة عامرة مسكونة وبهَا عدة ملوك، وفي بعض جزائره ينبت الذهب[٩٩] ويَكثر في بعض السّنين ويقلّ في بعضها كالنبات.

فمن جزائره جزيرة زانـج وتشتمل على جزائر كثيرة في آخر حدود الصّين وأقصى بلاد الهند عامرة خصبة ليسَ فيهَا خراب، يسَافرون فيهَا بلا ماءٍ ولا زادٍ لكثرة الخصب والعمارة، وهي نحو مائة فرسخ.

قال محمّد بن زكَريّا: وملك هَذه الجزيرة يسمّى المهرَاج، وله جبَاية تقع في كل يوم ثلثمائة منٍّ منَ الذهب، كل منّ ستمائة درهم؛ فيتحصَّلُ له في كلّ يوم ما يزيد على مائة ألف مثقال وخمسَة وعشرين ألف مثقال، يتخذ منها لبنا ويَطرحهَا في البحر وهوَ خزانته.

وقالَ ابن الفقيه: بهذه الجزيرة سكان تشبه الآدميّين إلاّ أنّ أخلاقهم بالوحُوش أشبَه، ولهم كلام لا يفهمُ، وعندهم أشجار وهم يَطيرُون من شجرةٍ إلى شجرةٍ وبها نوع منَ السَّنَانير الوحشيّة حمر منقطة ببيَاض، أذنابُها كأذناب الضّبَا؛ وبهَا أيضاً نوع من السّنانير المذكورة ولها أجنحة كأجنحة الخفاش، وبهَا أبقار وحشيّة حمرٌ منقطة ببيَاض أيضاً ولحومُهَا حَامضَة وبهَا دابة الزباد وهي كالهرَّة، وفأرة المسك.

وبهَا جبَل يُقال له النصان مشهور به، وبه حيّات عظام تبتلعُ الفيلة، وبه قردة كأمثال الجوَاميس والكباش الكبار؛ ومنَ القردة مَا هو أبيَض ومنها ما هو كالقرطاس، ومنها ما هوَ أبيَض الظّهر أسود البَطن وبالعكس؛ ومنها ما هوَ أسوَد كالفأر، وبهَا من الببّغاء وهيَ الدّرة شيء كثير بيض وحمر وصُفر وخضر، ويتكلمونَ مع الناس بأيّ لسان سمعوهُ منهم. وبهَا خلق على صُورة الإنسَان وهم بيض وسُودٌ وشقر وخضر يأكلونَ ويشربون ويتكلمون بكلام لا يفهم، ولهم أجنحة يَطيرون بهَا.

حَكى ابن السَيرافي قال: كنت ببعض جزائر الزانـج؛ فرأيتُ ورداً كثيراً أحمَر وأبيَض وأزرق وأصفر وألواناً شتّى، فأخذت ملاءة وجعَلت فيهَا شيئاً مِن ذلك الورد الأزرق؛ فلما أرَدت حملها رأيتُ ناراً في الملاءة فأحرقت جميع ما كانَ فيها منَ الورد، ولم تحترق الملاءَة، فسَألتُ الناسَ عن ذلك، فقالوا: "إنّ في هَذا الورد منافع كثيرة، ولا يمكن اخراجه من هَذا الغيط بوجهٍ أبداً.

وفي هَذه الجزيرة شجر الكافور[١٠٠] وهوَ شجر عظيم هَائِلٌ تظلّ كلّ شجرة مائة انسان وأكثر، وفي هذه الجزيرة قومٌ يعرفون بالمخرمين، مخرمة أنوفهم، وفيها حَلق فيهَا سَلاَسل؛ إذا جاءهم عدُوّ لمحَاربتهم قدموا أولئك المخرمين متسلّحين، ويأخذ كل رجل بطرف سلسلة من تلك الرّجال المخرّمة، يمنعه بهَا منَ التقدّم إلى العدُوّ، فإن انتظم صُلح بين العدُوّ وأهل الجزيرة فلا يفلتون من السّلاَسِل، وإن لم ينتظم صلحٌ لفّت تلك

---

[٩٩] – نهاية صفحة ٩٦ من المخطوط

[١٠٠] – نهاية صفحة ٩٧ من المخطوط

السَّلَاسِلِ في أعناقهم وأطلقوهم على العدُوّ؛ فيحطمون العَدُوّ حَطمة واحدة ويأكلون منهم كلّ من وقعَت أعينهم عليه، ولا يثبتُ لحَطمهم أحدٌ أبداً.

جزيرة رامي: وهيَ جزيرة عظيمة طويلة عريضة طيبَة التربة معتدلة الهوَاء، بهَا معَاقل ومدن وقرىً وطولها سبعمائة فرسخ، قالَ ابن الفقيه:" بهَذه الجزيرة عجائب كثيرة؛ منها أناس حفاة عراة، رجَال ونسَاءٌ، على أبدانهم شعُورٌ تغطي سوآتهم، ومأكلهم منَ الثمار، ويستوحشونَ منَ الناس، وينفرون منهمُ إلى الغياط، وطولُ أحَدهم أربعَة أشبَارٍ، وشعرهم زغبٌ بحمرَة، وهم لا يلحقون لسُرعة جريهم.

ويسَاحِل هَذه الجزيرة قوم يلحَقونَ المراكب في البحر سبَاحة، وهي تجري في تيّارهَا فيبيعُونهم العنبر بالحديد، ويحملون الحديد في أفواهِهم ويرجعونَ إلى الجزيرة ولا يدرى ما يصنعون به.

وحَكى الجهَانيّ: أن بهَذه الجزيرة الكركند، وهوَ حيَوان على شكل الحمار إلاّ أنّ على رأسه قرنٌ واحدٌ، وهو معقف، وفيه مَنافع كثيرة منها: أنه يصنع منه أنصبَة لسَكاكين الملُوك وتحطّ على المائدة، فإن كانَ الطّعام مَسمُوماً عرقَ ذلك النصَابُ واختلج، ويصنع منه حلية للمنَاطق تبلغ قيمة المنطقَة المحلّاة بقرن الكركند أربعة آلاف مثقال مَن الذهب، وأكثر هذه المناطق تعمل ببلاد الصّين، وفي رقبة هذا الحيوَان اعوجاج كاعوجاج رقبة الجمل أو دونه؛ وبهذه الجزيرة جواميسُ بغير أذنابٍ؛ وبهَا شجرة الكافور والبقم والخيزران، وعرقه دواء من سُمّ الحيّات والأفاعي، وبهَا طيب عطر ومعَادن كثيرة.

جزيرة الرّخ: وهذا الرخّ الّذي تعرف به هذه الجزيرة[١٠١] طير عَظيمٌ غريبٌ مهُول الهيئة، حتّى قيل إنّ طول جناحه الوَاحد نحوُ عشرةِ آلاف باع؛ ذكر ذلك الحافظ ابن الجوزيّ رحمه الله في كتابه المسمّى بكتاب الحيَوان، وكان قد وَصَل إليه رجُل من أهل الغرب ممن سَافرَ إلى الصّين وأقام به وبجَزائِرِه مدة طويلة، وحضر بأموَال عظيمةٍ، وأحضر معَه قصبَة ريشَةٍ من جناحِ فرخ الرّخ، وهوَ في البيضَة لم يخرج منها إلىَ الوجُود، فكانَت تلكَ القصَبة من ريش ذلك الفرخ تسعُ قربة مَاءٍ، وكانَ النّاسُ يتعجّبُونَ لذلك، وكانَ هذا الرجُل يعرَف بالصّيني؛ لكثرة اقامته هناك، واسمه عبد الرحمن المغربيّ، وكانَ يحدّث بالغرائب، منها ما ذكر أنّه سَافَر في بحر الصّين، فألقتهمُ الريح في جزيرةِ عظيمة كبيرةِ واسعَة؛ فخرج إليهَا أهل السّفينة، ليأخذوا الماء والحطبَ ومعهُم الفوس والحبَال والقرب وهوَ معَهم، فرأوا في الجزيرة قبّة عظيمةً بيضَاء لمّاعة برّاقةً أعلى من مائةِ ذراع، فقصَدُوها، ودنوا منها؛ فإذا هي بيضَة الرّخّ فجعَلوا يضربونها بالقوس والصّخور والخشب حَتّى انشَقّت عن فرخ الرّخ، كأنه جبَل راسخ فتعلقوا بريشةٍ من جنَاحِه، واجتذبُوه فنتفَت تلك الريشة من أصل جَناحهِ، ولم تكملُ خلقة الريش، قال: فقتلوهُ، وحمَلوا ما أمكنهم من لحمه وقطعُوا أصل الريش من حَدّ القصبَة ورحلوا.

وكانَ بعضُ من دخل الجزيرة قد طبخ منَ اللحم وأكل، وكان فيهم مشايخ بيض اللحى؛ فلمّا أصبَح المشايخ وجَدُوا لحاهم، وقد اسوَدت ولم يَشب بعد ذلك أحدٌ منَ القوم؛ الذينَ أكلُوا فكانوا يقولون إنّ العُود الّذي حرّكوا به مَا في القدر من لحم فرخ الرّخ كانَ من شجرة الشباب، والله أعلم.

قال: "فلمّا طلعت الشمسُ والقوم في السّفينةِ وهي سَائرة بهم، إذ أقبل الرخ يهوي كالسّحابة العظيمة، وفي رجليه قطعَة جبَل كالبيت العَظيم وأكبر منَ السّفينة، فلمّا حَاذى السّفينَة منَ الجوّ ألقى ذلكَ الحجر عليها

---

[١٠١] – نهاية صفحة ٩٨ من المخطوط

وعلى مَن بهَا، وكانت السّفينة مسرعة في الجري، فسَبقت الحجرَ فوَقع الحجَر في البحرِ، وكانَ لوقوعه هول عظيم في البحر، وكتب الله لنا بالسّلَامة ونجانا من الهلاك"[102].

وَمنها جزيرة القرود: وهيَ كبيرة وبهَا غياض، وقرود كثيرة، وللقرود ملك تنقاد إليه ويجعلونه على أكتافهم وأعناقهم، وهوَ يحكم عليهم حُكماً لا يَظلم به أحد أحداً، ومن وصَل إليهم في المراكب عذبوه بالعض والخموش والرجم، ويتحيّل عليهم أهل جزيرتي خرتان ومرتان فيصيدونها ويبيعُونها بالثمن الغَالي، وأهل اليَمن يرغبون فيها ويتخذونها في حوانيتهم حراساً كالعبيد، وهم في غاية الذكاء.

وجزيرة البينمان: وهيَ جزيرة عامرة وبها مدينة كبيرة، وأهلهَا ذوُو بأسٍ وشدّة؛ ومن سنتهم أنه إذا خطبَ الرجُل عندهم امرأة لا يزوّجونه، حَتّى يذهبَ فيأتيهم برأسٍ مقطوعٍ فحينئذٍ يزوّجونه امرأةً بغير صَداقٍ ولا مهرٍ، وإن أتاهم برأسَين زوّجوه امرأتين، وإن أتى بثلاث زوّجُوه ثلاثةً، وإن أتى بعشَرة فعَشرة، فيصير عندهم معَظماً مهَاباً جَليلاً، وبهَا من شجرة البقم والخيزران وقصَبُ السّكّرِ ما لا يوصَف، وبهَا ميَاهٌ جارية وأنهار عذبة وثمارٌ مختلفة.

وجزيرة واق واق: وهي جزيرة كبيرَة، وعندهم ذهبٌ كثيرٌ بلا وَصفٍ حَتّى إنهم يتخذون سَلاسِلَ الكلَاب والدّوابّ منَ الذهب، وأمّا أكابرهم فيصنعُون لبناً مِنَ الذهب، ويبنون به قصُوراً أو بيُوتاً بإتقان وإحكام.

ومن جَزائرهَا جزيرة البنان بهَا قومٌ عراة الأبدَان بيض الألوان حسَان الصُّور يأوُون إلى رؤوسِ الأشجار ويتصيّدون النّاسَ فيأكلونهم، ووراء هذه الجزيرة جزيرتان عظيمتَان فيهمَا قوم عظام الأجسَام حسَان الوجوه سُود الألوان، شعورُهم مسَلسَلة مختلفَة، وأقدامهم أطول من ذراع، لهم أخلاق صَعبَة عادية.

وهَذه الجزيرَة متصلة بالزانج والمسيرُ إليها بالنجوم، وهيَ ألف وسَبعمائة جزيرة عامرة والذهبُ بهَا كثير، وملك هَذه الجزائر امرأة تسمّى دَمهَره، وتلبسُ حُلّةً منسُوجَة بالذهب، ولها نعلان مِن ذهب، وليسَ يمشي في هَذه الجزائر أحدٌ بنعل غيرها، ومتَى لبسَ غيرهَا نعلاً قطعَت رجليه، وتركبُ في عبيدها وجيُوشها بالفيَلة والرّايات والطّبُول والأبوَاق والجوَاري الحسَان[103]، ومسكنها جزيرة تسمّى أبنويَة، وأهل هَذه الجزيرة حُذاق بالصّنائِع، حَتى إنهم ينسجُونَ القمصَانَ قطعَة واحدَة بأكمامهَا وأبدَانهَا، ويعملون السّفن الكبار منَ العيدَان الصّغار، ويَعملون بيُوتاً منَ الخشَب تسير على وَجه الماء، هَذا ما نقله الجولقيّ.

وأمّا ما ذكرَهُ عيسَى بن المبَارك السّيرافي، فإنّه قال: دخلتُ على هَذه الملكة، فرأيتها عريانة على سَرير منَ الذهَب، وعلى رأسهَا تاج منَ الذهب، وبين يديها أربعَة آلاف وصيفة أبكار حسان، وهنّ على مَذهب المجُوس وهنّ مكشوفات الروؤس، وفي رأس كلّ واحدة منهُنّ مشط من عاج مكلّل بالصَّدف، ومنهنّ من يتخذ الأمشَاطَ، اثنين وثلاثة وأربعَة إلى عشرين.

ولهذه الملكة جبَاياتٌ كثيرة تتصدق بهَا على صَعَاليك أرضهَا، ويتحلّونَ بالودَع، ويدّخرونه عندَهُم، وَفي خزائنهم، وبهَذه الجزيرة شجر يحمل ثمراً كالنسَاء بصُور وأَجسَام وعيون وأيدي وأرجُل وشعور وأبزاز وفروج كفروج النسَاء، وهنّ حسَانُ الوجوه، وَهُنّ معلّقاتٌ بشعُورهنّ، يخرجن من غلف كالأجربة الكبار، فإذا أحسَسنَ بالهوَاء والشمس يصحِنَ: "واق واق"، حَتى تتقطع شعورهن فإذا انقطعَت ماتت.

وأهل هَذه الجزيرة يفهمُون هَذا الصوت ويتطيرون منه، وفي كتاب الحوالة أنه من تجاوز هؤلاء وقع على نسَاء يخرجنَ من الأشجار أعظم منهنّ قدُوداً وأطول منهنّ شعوراً، وأكمل محاسنا وأحسَنُ أعجازاً وفروجاً،

[102] – نهاية صفحة ٩٩ من المخطوط

[103] – نهاية صفحة ١٠٠ من المخطوط

ولهنّ رائحة عَطِرة طيبَةٌ، فإذا انقطعَت شعورها، ووقعَت منَ الشجرة عاشَت يوماً أو بعض يوم، وربمّا جامعَها مَن يقطعُهَا أو يحضر قطعَها فيَجد لها لذة عظيمة لا توجَدُ في النسَاء.

وأرضهن أطيَبُ الأراضي وأكثرهَا عِطراً وَطيباً، وبهَا أنهار أحلى من ماء العسَل والسّكّر المذاب، وليسَ بهَا أنيس ولا عامر إلاّ الفيلة وربما بلغ ارتفاع الفيل في هذه الجزيرةِ أحدَ عشر ذرَاعاً، وبهَا مِنَ الطّير شيء كثير، وليسَ يعلم ما وراء هَذه الجزيرة إلاّ الله تعَالى، ويخرج من بعض هذه الجزائِر سَيل عظيم يسيلُ كالقطران يَصُبُّ في البحر فيحرق السّمك في البحر[١٠٤] فيَطفُو على الماء.

وجزيرة جالوس: وهي جزيرةِ بهَا قومٌ مستوحشون عراة يأكلون الناسَ وليسَ لهم ملك ولا دين، وأكلهم الموز والنارجيل وقصب السّكّر، وفي هَذه الجزيرة جبل ترابه فضّة كالبرادة الناعمة.

وجزيرة الموجة: وهيَ جزيرة عظيمة وبها عدّة ملوك، وأهلها بيض شقر مخرّمين الآذان كأهل الصّين، وعندهمُ الخيُول البحريّة يركبُونها، وعندهم دابة المسك ودابّة الزّباد؛ ونسَاؤهم أجمل النسَاء وأحسنُهن خلقاً وخلقاً، وأرحامهن كالحلقة لاصقة، وإذا وقفت المرأة الطويلة على قدميها، ومشت تسحَبُ شَعرَها خلفَها على الأرض، وهَذه النسَاء من أعظم النسَاء أعجَازاً وأدقهن خصُوراً، باديات الوجوه سَاحبَات الشعُور، لا يستترن من أحد أصلاً.

وجزيرة السّحاب: وهي جزيرة كبيرةٌ سميَت بهَذا الاسم؛ لأنه يَطلعُ عليها سحَابٌ أبيَض، ويعلو على المراكب في البحر، ويخرج منه لسان طويلٌ رقيق مع ريح عَاصف؛ حتى يلتصق ذلك اللسان بالبحر؛ فيغلي البحر كالقدر الفائر، ويضطربُ كالزوبعَة الهائلة، فإذا أدرك المراكب ابتلعَها، وبهذه الجزيرة تلول إذا أضرمَت فيهَا النّار سَالت منهَا الفضَّة الخالصَة.

وجزيرة هلاثي: وهيَ جزيرة كبيرة من أعظم الجزائر، وأوسعها قطراً وأعظمها عمارة، وهي معترضة منَ المشرق إلى المغرب، ولأهلها قصُور وبيُوت يتخذونها منَ الخشب على وجه الماء وأرحَاء تدور بالريح على الماء؛ وبهَا أنواع الطّيب والعطر الفاخر، وعندهُم الموز والأرز والنارجيل وقصب السّكر؛ وبهَا معَادن الذهب والفيلة البيض والكركند؛ ولها ملك عظيم مهَابٌ كثير الجيُوش والجنود؛ وله المراكب البهيّة منَ الخيل والفيَلة العجيبَة.

جزيرة القمر: وهي جزيرة طويلة عَريضة، طولها منَ المشرق أربعَة أشهُرٍ؛ وبها مدينة تسمّى: لان؛ وهي سَكن الملك، وهي مخصبَة؛ بهَا أشجار وثمار وأنهار وغياض؛ وبهَا النارجيل وقصَب السّكّر؛ وبهَذه الجزيرة تصنع ثياب الحشيش الغريبَة النوع الّتي لا نظير لها في الدّنيا ولا بهجة للحَرير والدّيباج عندهَا، ويصنع بها نوع منَ الحصرِ[١٠٥] المرقومة المنقوشة الّتي تأخذ بالأبصَار وتذهَبُ بالعُقول حُسناً وبَهجَة، تبسُطها الملوك فوق البسط الحَرير ويعمل بهَا مراكبُ منحوتة من قطعةٍ واحدة وخشبَةٍ واحدَةٍ؛ وَطول كلّ مركبٍ ستون ذراعاً بالرّشاشيّ، تحمل مائتي مقاتلٍ وتسمّى السّفيات.

وحكى بعض التجار أنه رأى هناك مائدة يأكل عليها مائة وخمسُون رجُلاً وهيَ قطعَة واحدة مستديرة، وملك هَذه المدينة لا يقوم بخدمتِه إلاّ المخنثُونَ، يلبسُون الثيابَ النفيسَة، ويتحلّون مثل النسَاء واسمُهُم

---

[١٠٤] – نهاية صفحة ١٠١ من المخطوط

[١٠٥] – نهاية صفحة ١٠٢ من المخطوط

النتبابه[١٠٦]، ويَتزوّجون بالرجَال كالنساء؛ يخدمُون الملك بالنّهار، ويرجعون إلى أزواجهم بالليل من غير أن يُعَارضوا في ذلك.

جزيرة السّعالي: وهيَ جزيرة عَظيمة بهَا شخوصٌ مشوّهَة الخلق منكرة الصّوَر، لا يدرى مَا هم، وزعمَ قوم أنها شيَاطين تتوَلّد بين الجنّ والإنس، تأكل من وقع لهم منَ الإنس.

جزيرة التمسح: وهيَ جزيرة بهَا قوم أذنابهم كالكلاب وأبدانهم أبدان الإنسَان، ولهم ملك منهم.

جزيرة أطوران: وهيَ كبيرة وبهَا أنواع منَ القردة كالحمُر عِظَماً، وبهَا الكركند الكثير، ذُكِرَ أنّ مراكبَ الإسكندَر وصَلت إليهم وإلى جزيرة أخرى بهَا قومٌ على أشكال أبدَان الإنسَان، ووجوههم ورؤوسهم كالسّباع، فلمّا قربوا منهم غابوا عن أبصَارهم، ولم يعلموا كيف ذهبُوا؟!

جزيرة النسَاء: وَهيَ جزيرة عظيمة وليسَ بهَا رجُل أصلاً، ذكروا أنهنّ يلقحنَ ويحملنَ مِنَ الريح ويلدن نسَاءً مثلهُنّ، وقيل إنّ بأرض تلك الجزيرة نوعٌ مِنَ الشجَر فيأكلنَ منه فيحملن وإنّ الذهبَ في أرضها عروق كعُروقِ الخيزران، وترابهُا كلّه ذهبٌ ولا التفاتَ للنسَاء إلى ذلك.

وذكرَ بعضهُم أنّ رجُلاً سَاقهُ الله إلى تلك الجزيرة فأرَدنَ قتله فرحمته امرأة منهن وحَملته على خشبَة وسيّبته في البحر فلعبَت به الأموَاجُ فرمته في بعضِ بلاد الصّين؛ فأخبرَ ملك تلك الجزيرة بما رأى مِنَ النسَاء وَكثرة الذهب، فوَجّه الملك مراكباً ورجَالاً معَه فأقامُوا زماناً[١٠٧] طويلاً في البحر يَطوفون على تلك الجزيرة؛ فلم يقعُوا لها على أثر.

جزاير سَرنديب: وهيَ جَزائر كثيرة، وفي هَذه الجَزائر مدن كثيرة، وفيهَا الجبَل الذي أهبط عليه آدَم عليه السَّلام، ويسمّى جبَل الراهُون وعليه أثر قدَم آدمَ عليه السّلام؛ وعَلى القدم نورٌ لماع يخطف البَصَر، وأسفَل هَذا الجبَل توجَدُ سَائر الأحجار المثمنة النفيسَة.

وبهَذا البحر مغاصُ اللؤلؤ الفَاخِر، ويجلبُ منها الدّرّ والياقوت والسّنبادج والألماس والبلّور وجميع أنواع العِطر؛ وتسافر المراكبُ فيهَا الشهر والشهَرين بين غياض ورياض، ولملك هَذه الجزائر صَنم منَ الذهب مكلّل بالجوَاهِر وليسَ عند أحَدٍ منَ الملوك ما عندَه منَ الدّرر والجوَاهِر النفيسَة؛ لأن أصنافهَا كلّها في بلاده وجبَالهِ، ويحمل إليه الخمسُ من كل ما يوجَد ويستخرج من عراق العجَم وفارس، ويُقال إنّ بهَذه الجزائِر مسَاكن وقباب بيض تلوحُ للنّاسِ من بُعدٍ؛ فإذا قربوا منها تباعدت حَتّى ييأسُوا منها.

وأمّا عجَائب هَذا البحر

فمنهَا ما ذكروا أنّه إذا كثر أموَاجه ظهَرت أشخاصٌ سُودٌ طولُ كلّ واحدٍ منهم أربعَة أشبار، كأنهم أولاد الأحَابيش، يصعدُونَ إلى المراكب من غير ضرورةٍ ولا أذىً، وظهُورهم يدُلّ على خروج ريحٍ مهلك تسمّى الخبا.

وحكي أيضاً أنهم يرونَ في هَذا البحر طائراً يطير وهوَ من نورٍ لا يستطيعُ أحَدٌ النظر إليه، فإذا ارتفع على صَاري المركب سَكنت الريح، وهَدأت أموَاج البحر وهوَ دليل السَّلَامة، ويَفقدونه ولا يعلمونَ أينَ يذهب؟

ومنَ العَجائب

---

[١٠٦] – في نسخة البشايه

[١٠٧] – نهاية صفحة ١٠٣ من المخطوط

أنّ طائراً في هَذا البحِر يسمّى خرشنة أكبر منَ الحمَام، ذكر في كتاب تحفة الغرائب أنّ هَذا الطائرَ إذا طارَ يأتي طائر آخر، يقال له كركر ويَطير فاتحاً فاهُ يتوقعُ ذرق خرشنة ليقعَ في فيه فيأكله، وليسَ له قوتٌ سوَاه ولا يذرق خرشنة هَذا إلاّ وهوَ طائر.

ومنها دَابّة المسك البحريّ، وهيَ دابة تخرج منَ البحر في كلّ سنَةٍ في وقتٍ معلوم بكثرةٍ عظيمة، فتُصَاد وتذبح فيُوجَد المسك في سُرَّتها كالدّمِ، وهَذا المسك هوَ أفخر الأنواع غير أنَّهُ[108] في مكَانه وبلده لا ريحَ له أبَداً، فإذا خرج من حَدّ بلادهِ ظهرَ ريحه وكلما بعُدَ زادَ ريحُه.

ومنها دابة تسمّى ملكان تستوطنُ جزيرةِ هناك لها رؤوس كثيرةِ ووجوه مختلفة وأنياب معقفة، ولها جناحَان وهيَ تأكل دوابّ البحر، وقيل إنها تصَاد برسم مَواكب الملوك هنَاك، إذا ركبَ الملك قادوهُ أمام موكبه ويلبسُوهُ الجلال الحرير ويزينونه.

ومنها سمَكة تزيد على خمسمائة ذراع توجَدُ عند جزيرةِ واق واق المذكورة، إذا رفعَت جَناحهَا كانَت كالجبَل العظيم، يُخاف على السّفن منها، فإذا رأوهَا صَاحوا وضربوا الطبول وصَرّخوا المكاحل النفطيّة؛ حَتى تهربَ عنهم.

ومنها سَلاحف كبار استدارةِ كل سلحفاة أربعُون ذرَاعاً بذراعهم، تبيضُ كلّ واحدَة ألف بيضَة وظهرهَا الذّبل الفاخر، وأهل اليَمن يتخذون من ظهُورها قصَعاً كباراً واجفَاناً هَائلةً لغسلهم ومأكلهم.

ومنها سَمَكة تسمّى سَيلان تقعدُ على البرّ يومَين حَتّى تموت، فإذا جعلت في القدر، وكان رأس القدر مغطّى نضجَت واستوَت، وإن كانَ رأسُ القدر مَكشُوفاً طارَت منه وتختفي فلا يعلم أين تذهبُ؟

ومنها سَمَكة تسمّى الأطم وجهُها كوجه الخنزير، وَلها فرج كفرج المرأة، ولها مكان الفلوك شعر، وهيَ طبقَة لحم وطبقة شحمٍ، ويرغبُون في أكلهَا لطيب لحمهَا.

ومنها سَرطانٌ قدر كل واحِدٍ كالترس الصّغير، تخرج منَ الماء بسُرعة حَركةٍ، فإذا صَارَ في البرّ؛ انعقَد حجَراً في الحَال.

ومنها حيّات عظامٌ تخرج منَ البحر فتبتلع الفيل العَالي الهائل، وتنطوي على أيّ شجرة عَظيمة تجذبُها أو على صخرة عظيمةٍ؛ فتتكسر عظام الفيل في بَطنها وتسمَع قعقعَة ذلك على بعدٍ.

ومنها سمَكة تسمّى هبير، من رأسِها إلى صَدرهَا مثل التّرس، ولها عيُون كثيرة تنظر بهَا وباقي بدنها طويل مثل الحيّة في مقدار ثلاثين ذراعاً، ولها أرجُل كثيرة، ومن صَدرهَا إلى ذنبهَا مثل أسنَان المنشَار كلّ سنّة منها في طول شبر كالحديد في الصلابة أو الفولاذ في القطع، ولا تتصلُ بشيء منَ المراكب إلاّ شقته، ولا تضربُ شيئاً إلاَّ قطعته نصفين ولا تنطوَى على شيء إلاّ أهلكته وتسمى أيضاً القرش[109]، وفي هَذا البحر الدّردور، وهو إذا وقعت فيه سَفينة لا تنجو منه.

حَكى بَعض التجار قال: "ركبنا في هَذا البحر ومَعنا جمع منَ التجار فهبّت علينا ريح عاصفة؛ صَرفت المركبَ عن القصد، وكانَ رئيسُ المركب شيخاً أعمى إلاّ أنه حَاذقٌ بالرّياسَةِ، وكانَ معَه في السّفينة حبَال كثيرة؛ فكان رجَاله يَقولونَ له: "لو كان موضع هذه الحبَال رُكابٌ لانتفعنا بأجرتهم"، وكانَ يَسأل التجار في كلّ وقتٍ:" ماذا ترون؟"، فيَقولون: "مَا نرى شيئاً"، ولم يَزل كذلك حَتّى قالوا له: "نرى طيُوراً سُوداً على وجه الماء"، فصَاح الشيخ ولطم وجهَه وقالَ: "هلكنا والله لا محَالة"؛ فلمّا سَألناه عَن السّبَب، قال: "سترون ذلك

---

[108] – نهاية صفحة ١٠٤ من المخطوط

[109] – نهاية صفحة ١٠٥ من المخطوط

عيَاناً"، فما كان إلاّ مقدار سَاعتَين حتى وقعنَا في الدّردور، والذي رَأيناه طيُوراً كَانَت مراكبَ قد وقعُوا فيهَا وفيهم أناس مَوتى؛ قال: فتحيّرنا وانقطَعَ رجاؤنا منَ الخلاصِ والحيَاة".

فقال الشيخُ: "هَل لكم أن تجعَلوا لي نصف أموَالكم وأنا أتحيّل في خَلاصكم إن شاء الله تعالى؟"، فقلنا: "نعم قد رضينا!" قال: "فأعطانا قنينتين قد ملئتا بالدّهن فأدليتا في البحر فاجتمعَ عليهما منَ السّمك ما لا يَعّد ولا يحصى؛ ثمّ أمَرنا أن نطرَحَ تلك الموتى الذين في المركب إلىَ البحرِ بعدَ شدّهم بالحبَال الّتي كانَت عنده في المركِب؛ ففعَلنا ورمَينا بهم وأطراف الحبَال مشدودة في مَركبنا؛ فابتلعت السّمك الموتى، ثمّ أمرَنا بالصّيَاحِ وَضرب الطّبُول والصّنُوج والأخشاب؛ ففعَلنا ذلك فتفرّقت الأسماك وأطراف الحبَال في بُطونها مشدود بهَا الموتى، وَإذا بالمركب قد تحرّك من مكانه وأقلع وجرى ولم يزَل يجري حَتّى خرجنا منَ الدّردور، فصَاح الرئيسُ: "اقطعُوا الحبَال عاجلاً"؛ فقطعنَاهَا ونجونا بقدرة الله منَ الهَلاك، فقال الرئيس للجماعة: "تلومُوني على حمل هَذه الحبَال، فانظروا كيفَ كانَت سبَباً لحيَاتكم وسلامتكم"، فحمدنا الله تعالى وشكرنا الرئيسَ لنظره في العوَاقب".

ومنها بحر الهند

وهوَ أعظم البحَار وأوسَعها وأكثرهَا خيراً ومَالاً، ولا علم لأحدٍ بكيفية اتصاله بالبحر المحيط لعَظمتِه وسَعته وخروجه عن تحصيل الأفكَار[110]، وليسَ هُو كالبحر الغربيّ، فإنّ اتصَال البحر الغربيّ بالمحيط ظاهِر، ويتشعبُ من هَذا البحر الهنديّ خليجان أعظمُهما بحر فارس ثمّ بحر القلزم، فالآخذ نحوَ الشمال بحرُ فارس، والآخذ نحوَ الجنوب بحر الزنج، قال ابن الفقيه: "بحر الهند مخالف لبحر فارس".

وفي هَذا البحر جزائر كثيرة، وقيل: إنها تزيد على عشرين ألف جزيرة، وفيهَا منَ الأمَم ما لا يَعلمهُ إلاّ الله تعالى؛ فأمّا مَا وصَل إليه الناسُ فأقلّ قليل.

فمن جزائره جزيرة كله: وَهيَ جزيرة عظيمة بهَا أشجار وأنهارٌ وثمارٌ، يسكنها ملك بني جَابة الهنديّ، وبهَا معَادن القصدير وشجرُ الكافور وهوَ شبيه بالصّفصَاف وهي تظل مائة رجل وأكثر، وبهَا الخيزرَان، وفي عجائب هَذه الجزيرَة ما يقع واصفها في حَدّ التكذيب.

جزيرة جابة: وهي كبيرَة وبهَا الموز والنارجيل والأرزّ والقصب السّكري الفائق، وبهَا العُود، ويسكنها قومٌ شقر وجوههم على صُدورهم وأبدانهم كالناس، وبهَا جبَل عظيمٌ يرى عليه في الليل نار عظيمَة ترى من خمسَة عشَرَ فرسخاً وبالنهارِ دُخان، ولا يقدرُ أحدٌ من دُنوّ ذلك الجبَل على خمسَة فراسخ إلاّ هَلك، ومَلك هَذه المدينة اسمُه جَابة، وهوَ يلبسُ منَ الحلل حلّة الذهب وتاجاً من ذهَب مكلّلاً بالدّرّ والياقوت والجوَاهر النفيسَة، ودَراهمه وَدنانيرهُ مطبوعة على صُورته وهيئتِه، وهو يعبُد الصنم، وصَلاتهم غناء وتلحين وتصفيق بالأكفّ واجتماع الجوَاري الحسَان ولعبهنّ بأنواع منَ التكسّر والتخلّع بين يدي المصَلّي، والكنيسَة الّتي فيهَا الصّنم فيهَا جَوار حسَان راقصات مُتَخَلّعاتٌ معدودة، وذلك أنّ المرأة إذا ولدَت عندَهم بنتاً حسنَة أخذتها أُمّها إذا كبرَت وألبسَتها أفخر الملابس والحليّ، وذهبَت بهَا إلى الكنيسَة، وتصَدّقت بهَا على الصّنم وحَولها أهلها وأقاربُها منَ النساء والرجال، ويسَلّمُها الخدَمة إلى أُناسٍ عَارفين بالرقص وَالتخلّع والتكَسُّر فيُعَلّمونها.

ولهذا الملك جَزائر كثيرة منها جزيرة هريج وجزيرَة سَلاهط وجزيرة مايط، فأمّا جزيرة هريج: فإنّ بهَا خسفة متسعَة نحو عشرة أميَال[111] مستديرة لا يعرف أحدٌ قعرَهَا، ولا وقف أحدٌ على قرارِه وهي من عجائب الدّنيا.

---

[110] - نهاية صفحة ١٠٦ من المخطوط

[111] - نهاية صفحة ١٠٧ من المخطوط

وجَزيرة سَلاهط: يجلبُ منها الصندل والسّنبل والكافور.

وذكر المسَافرون: أنّ بجزائر الكافور قوماً يأكلون الناسَ ويَأخذون قحوفهم؛ فيجعلُون فيهَا الكافورَ والطّيب ويعلقونها في بيُوتهم ويعبدونها، فإذا عزموا على أمرٍ وقصدٍ سجَدوا لتلك القحوف وسَألوهَا عمّا يريدون ويقصِدُون، فتخبرُهم عن كلّ ما يسألونها عنه من خير أو شرٍّ.

وبهَذه الجزيرة عين يَفور منها الماء وينزل في ثقب في الأرض فيَطلعُ لهُ رشاش فأيّ شيء وقعَ من ذلكَ الرُّشاش على وجه الأرض صَار حجراً، فإن كانَ ليلاً صَار حجراً أسوَد، وبالنهار صار حجراً أبيَض، وبآخر هَذه الجزيرة خسفة أخرى كالبيكاريّة، دورُها نحو الميل تتقد ناراً، وتعلو نارُها نحو مائة ذراعٍ بالليل، وبالنهار دخان.

وجزيرة برطاييل: وهي قريبَة من جزائر الزنج وبهَا أقوام وجوههم كالأترسَة، وشعُورهم كأذناب الخيل، وبهَا القرنفل الكثير وبهَا الكركند، وإنّ التجار إذا نزلوا بهَا وضعوا بضائعهم كوماً كوماً على السَّاحِل، ويعُودون إلى المراكب؛ فإذا أصبحُوا جاؤوا إلى بَضَائعهم؛ فيَجدُون إلى جَانب كلّ بضاعة شيئاً مِنَ القرنفل، فإن رضيَه صَاحبُ البضَاعة أخذه وانصَرف، وإن لم يرض ترك القرنفل والبضاعة وعادَ في اليوم الثاني فيجدُه قد زيد فيه، فإن رضيَه أخذه وإلاّ تركه وعَادَ في الغدِ أيضاً، ولا يزال كذلك حتى يرضى.

وذكر بعضُ التجار أنه صَعَدَ إلى هذه الجزيرة سرّاً، فرأى بهَا قوماً صُفر الوجُوه وهيَ كوجوه الأتراك، وآذانهم مخرّمة، ولهم شعورٌ كشعُور النساء، فلمّا رآهم غابوا عنه وعن بَصَرِه، ثمّ إنّ التجارَ بعدَ ذلك تردّدوا إلى تلك الجزيرة بالبضَائع مدّة طويلة فلم يأتهم شيء منَ القرنفل، فعَلموا أنّ ذلك بسَبب الرجُل الذي نظر إليهم، ورآهم ثم عادوا بعدَ سنين إلى ما كانوا عليه منَ المعاوضة بالقرنفل، وخَاصّيّة هَذا القرنفل أنّ الإنسَانَ إذا أكله رَطباً لا يشيبُ ولا يهرم ولو بلغ مائة سنة.

ولباسُ هَذه الأمّة[١١٢] وَرق شجر يُقَال له اللّوف، وأكلهم من ثمره، ويأكلون السّمك أيضاً والنارجيل، وبهَذه الجزيرة جبَال يسمعُ فيهَا طول الليل أصوات الطّبُول والصّنوج والدفوف والمزامير المطربة والصّيَاح المزعج وغير ذلك منَ الأصوات العجيبَة، وقيل إن الدّجّال بهَا، وقيل إنه بغيرهَا، وسَنذكره إن شاء الله تعالى.

جزيرة القصر: وهو قصر عظيم مرتفع أبيض من بلّور شفاف يبَان لمن في المراكب من مسَافةٍ بَعيدة؛ فإذا شاهَدُوهُ تباشروا بالسَّلامة.

ذكر قوم منَ الزنج أنه قصر مرتفعٌ شاهق لا يدري مَا داخله، وحُكي أنّ بعضَ الملوك وصَل إلى هَذه الجزيرة، وشاهدَ القصر هُوَ ومن مَعَهُ مِن جنُوده، فلما صَارُوا في الجزيرة أخذهم الخدرَان في مفاصلهم وغلبَ عليهم النوم، فبادر بعضهم إلى المراكب فنجوا وتأخر البعض فهلكوا.

وذكر أن أصحابَ ذي القرنين رأوا في بعض هذه الجزائِر أُمةً رؤوسُهم رُؤوس الكلاب، ولهم أنيابٌ خارجة من أفواهِهم، حمرٌ مثل الجمر، يخرجون إلىَ المراكب ويُحاربونهم، ورأوا بجزيرة تلك الأمة نوراً ساطِعاً؛ فإذا هوَ القصر الأبيَض البلّور، فأرادَ ذو القرنين التّوجّه إليها ورؤية القصر فمنعَه بهرَام الفيلسُوف الهنديّ من ذلك وقال: "يَا مَلك الزمان لا تفعل فإنّ من وصَل إلى هَذا القصر غلبَ عليه الخدرَانُ والنوم والثقل وقلّة الحرَكة؛ فلا يقدرُ على الخروج ويَهلك.

---

[١١٢] – نهاية صفحة ١٠٨ من المخطوط

وذكر بهرام المذكور أنّ بهذه الجزيرة شجرة إذا أكلوا من ثمرهَا زال عنهم النوم والخدرَان، وإذا كانَ اللّيل ظهرَ لذلك القصر شرّافات تسرج مثل المصَابيح الليل كلّه فإذا كانَ النهار خمدَت.

وجزيرة الورد: ذكر القاضي عيَاض رَحمَه الله تعالى في كتاب الشفا في شرف المصطفى صلى الله عليه وسلم أنّ بهَذه الجزيرة ورداً أحمر مكتوبٌ عليه بالأبيض لا إله إلاّ الله محمّد رسُول الله، والكتابة بالقدرَة الإلهيَّةِ.

الجزائر الثلاث: قال صَاحبُ تحفة الغرائب: هيَ ثلاث جزائِر متجاورات، في احداهنّ برق الليل كلّه، وفي الأخرى تهبّ رياحٌ شديدة، اللّيل كلّه، وفي الأخرى تمطر السّحابُ[113] الليل كله صيفا وشتاءاً على ممّر الليالي والأيام أبداً.

ومنها جزيرة في هَذا البحر بهَا أقوام أبدانهم أبدان الآدميّين، ورُؤوسُهم كرؤوس الدّوابّ، يخوضون في البحر فيخرجُون مَا يقدرونَ عليه من دوآبّ البحر فيأكلونها.

وجزيرة صيدون السّاحر: وكانَ صيدون ملكاً ساحراً، وطُول هَذه الجزيرة شهرٌ في شهر، وبهَا عجائب كثيرة، منها: أنَّ في وسَطها قصرٌ عظيماً على عمد عَظيمة من مَرمَرٍ ملّون، ومجلسُه من ذهبٍ مرصّعٍ بأنواع الجوَاهِر العظيمة، يشرف على جميع تلك الجزيرة.

قيل: إنّ هذا الملك صيدون كانَ سَاحراً ماهراً، وكانت الجنّ تطيعه، وتعمل الأعمال المعجزة العجيبَة، فَدَلّ عليه بعضُ الجنّ نبيّ الله سُليمان عليه السَّلام؛ فغزاه وقتله واخربَ بلده، وقتل أهلها وأسرَ جماعة منهم.

وأمّا عجائب هَذا البحر فكثيرة جدّاً

منها: سَمكة تخرج منَ البحر، وتصعَد إلى جزيرة سَلاهط، وتصعَد إلى أشجارها؛ فتمصّ فواكهَا وثمارَهَا؛ ثم تقع كالسّكران فيأخذهَا النّاسُ.

وَمنها: سَمَكة خضراء رأسُها كرأس الحيَّة من أكل لحمَها اعتصَم منَ الطّعَام والشراب أيّاماً لا يشتهيه.

ومنها: سمكة مدَوّرة؛ يقال لها كرماهي، على ظهرهَا شبه عمُود محدّد الراس قائِمٌ لا تقومُ لها سَمكة في البحر إلاّ ضرَبتهَا بذلك العمُود وقتلتها.

ومنها: سمَكة يقال لها البابه، طولها مائة ذراع وعرضها عشرون ذراعاً، وعلى ظهرها حجارة صَدَفيّة كالقرابيص، إذا تعرّضَت للمركب والسّفينةِ كسرَتها، وإذا طبخوا من لحمها في القدرِ، يذوب حَتّى يصير كلّه دهناً، وأهل تلك النواحي يَطلونَ بدهنها المراكبَ عوَضاً عن الدّهن.

ومنها: سمكة يقال لها العمدة، لها جناحان تفتحهُما في الجوّ وتنشرهما وتحمل على السّفينة؛ فتقلبّها في البحر في الحالِ، فإذا رأوهَا ضربوا الطّبُول والصّنُوج والزمُور وصَاحوا فتهرَب.

فصلٌ في بحرِ فارس وما فيه منَ الجزائر والعجائب

ويسمّى البحر الأخضر، وهوَ شعبَة من بحر الهند الأعظم وهو بحرٌ مبَارك كثير الخير دائم السلامة وطيء الظهر قليل الهيجان بالنسبةِ إلى غيره[114].

---

[113] – نهاية صفحة ١٠٩ من المخطوط

[114] – نهاية صفحة ١١٠ من المخطوط

قال أبُو عبد الله الصّيني: خصّ الله بحرَ فارسَ بالخيرات الكثيرة والبرَكات الغزيرة والفوَائِد والعجائب والظّرف والغرائب، منها مغاصُ الدّرّ الّذي يخرج منه الحبُّ الكبير البالغ، ورُبّما وقعَت الدّرة اليتيمة الّتي لا قيمة لها.
وفي جزائره معَادن أنواع اليَواقيت والأحجار الملوّنة النفيسَة ومعَادن الذهب والفضّة والحديد والنحاس والرصَاص والسّنبَادج والعقيق وأنواع الطّيب والأفاوية، فمن جزائره كيكاوُس وكنحاليوس؛ وهي جزيرة كبيرة بها خلق كثير بيض الألوان عُراة الأجسام، الرجَال والنسَاء، وربمّا استترت النسَاء بورق الشجر، وطعامهُم السمك الطريّ والنارجيلُ والموز، وأموَالهم الحديد؛ يتعاملون به كتعامل الناس بالذهب والفضّة، يتحلّونَ بالذهب، ويأتيهمُ التجار فيأخذون منهمُ العنبرَ بالحديد.
وذكروا أنّ بهذا البحر جزيرة تسمّى جزيرة القامس وأنها تغيب بأهلهَا وجبَالها وجهاتها ومسَاكنها سِتة أشهر وتظهَر ستة أشهُر.
وذكَر بعض المسَافرين أنّ البحر هاج عليهم مرّة فنظرُوا، فإذا شيخ أبيَض الرّأس واللّحيَة وعليه ثيابٌ خضرٌ ينتقل على متن البحر وهوَ يقول: "سُبحان مَن دبرَ الأمور، وقدّر المقدور، وعلم مَا في الصّدور، وألجمَ البحرَ بقدرَتِه أن يفور، سيروا بين الشمال والشّرق؛ حتى تنتهُوا إلى جبال الطّرق، واسلكوا وسَط ذلك؛ تنجُوا إن شاء الله من المهالك"؛ ففعلوا ذلك فسَلموا ونجوّا وتحققوا أنّه الخضر عليه السَّلام، ووصَلوا إلى جزيرة بها خلق طوال الوجُوه بأيديهم قضبَان منَ الذهب يعتمدونَ عليها ويتقاتلون بهَا، وطعامهم اللّوز والقسطل، فأقاموا عندَهم شهراً، وأخذوا من قضبَان الذهب شيئاً كثيراً، ولم يمنعهُم أهلُ الجزيرة مِن أخذ ذلك؛ وأقامُوا حتى هبَّت ريحهُم؛ فسَافروا على السمت الذي قال لهمُ الخضر عليه السَّلام، فتخلصُوا ونجوا بمشيئة ذي الجَلال والإكرام.
جزيرة الطّويران: وهي جزيرة خصبة ذات أشجار وثمار[115] وأعين وأنهار، وبها قوم أبدانهم أبدان الآدميّين وَرُؤوسُهم كرؤوس السبَاع والكلاب، وبهَذه الجزيرَة نهر شديد البيَاض وعلى شطّهِ شجرة عظيمة تظلّ خمسمَائة رجل، فيهَا من كلّ ثمرةٍ طيبَةٍ مشرقة بأنواع الألوان، وكلّ ثمرهَا أحلى مَن الشهد والعسَل، وطعم كلّ ثمرة لا يشبهُ طعم الأخرى، وتلك الثمار ألين منَ الزبد وأذكى رائحةً منَ المسك، وورَقها كحلل الحرير والدّيباج، وهَذه الشجرة تسير بسَير الشمس ترتفع مَن الغدِ إلى الزوَال، وتنحطّ من الزوَال إلى الغروب حَتّى تغيبَ بغيبَة الشمس.
وذكرَ أنّ أصحاب ذي القرنين وصَلوا إلى هَذه الجزيرة ورأوا تلك الشجَرة فجمعُوا من ثمرها شيئاً كثيراً ومن أوراقها ليحملوا ذلك إلى ذي القرنين فضربوا على ظهورهم بسيَاطٍ مؤلمةٍ، يحسُّونَ بوقع السّياط ولا يرونها ولا يدرون من الضارب، ويصيحون بهم ردوا ما أخذتم من هَذه الشجَرة ولا تتعرّضُوا إليهَا فردّوا ما أخذوا منها وركبوا مراكبهم وسَافروا عنها.
وجزيرة العبّاد: وهيَ جزيرة عظيمة دخلهَا ذو القرنين فوجَدَ بهَا قوماً قد أنحلتهمُ العبَادة حتى صَاروا كالجمم السّود، فسَلّم عليهم فردّوا عليه السّلام؛ فسَألهم: "ما عيشكم يا قومُ في هذا المكان؟" فقالوا: "مَا رزقنا الله تعالى منَ الأسماك وأنواع النباتات، ونشربُ مِن هَذه الميَاهِ العذبة"، فقال لهم: "ألَا أنقلكم إلى عيشةٍ أطيب ممّا أنتم فيه وأخصَب؟"، فقالوا له: "وما نصنع به؟ إنّ عندنا في جزيرتنا هَذه ما يغني جميع العَالم ويكفيهم لو صَاروا إليه وأقبلوا عليه!"، قال: "ومضا هوَ؟ فانطلقوا به إلى وَادٍ لا نهاية لطوله وعرضه، يتقد من ألوان الدّرّ والياقوت والبهرمان الأصفر والأزرق والزبرجد والبلخش والأحجار الّتي لم تر في الّدنيا، والجَواهِر الّتي

---

[115]- نهاية صفحة ١١١ من المخطوط

لا تقوّم، ورأى شيئاً لا تحمله العُقول ولا يُوصَف بعض بعضه، ولو اجتمعَ العَالمُ على نقل بعضه لعجزُوا، فقال: "لا إله إلاّ الله، وسُبحان من له الملك العظيم ويخلق الله ما لا تعلمه الخلائق، ثم انطلقوا به من شفير ذلك الوَادي حَتى أتوا به إلى مستوىً واسعٍ منَ الأرض لا تنهيه الأبصَار[١١٦]، به أصناف الأشجار وأنواع الثمار وألوان الأزهَار وأجناس الأطيار، وخرير الأنهار وأفياء وظلال ونسيم ذو اعتلال، ونزه ورياض وجنات وغياض، فلمَا رأى ذو القرنين ذلك سبّح الله العظيم واستصغر أمرَ الوادي وما به منَ الجواهر عند ذلك المنظر البهيج الزاهِر، فلمّا تعجّبَ من ذلك قالوا له: "في مُلكِ مَلِكٍ في الدّنيا بعض بعض ما ترى؟!!" قال: "لا وحق عالم السّرّ والنجوى"، فقالوا: "كلّ هَذا بين أيدينا ولا تميل أنفسُنا إلى شيء من ذلك، وأقنعنا بما نقوى به على عبَادة الربّ الخالق، ومن ترك لله شيئاً عوّضَه خيراً منه، فسر عنّا ودعنا بحالنا أرشدَنا الله وَإياك"، ثمّ ودّعوه وفارقوه وقالوا لهُ: "دونك والوادي فاحمل منه ما تريد"، فأبى أن يأخذ من ذلك شيئاً.

وجزيرة الحكماء: وهيَ جزيرة عظيمَة وصَل إليها الإسكندر فرأى بهَا قوماً لباسهم ورَق الشجر وبيوتهم كهوف في الصّخر والحَجر، فسَألهم مسَائل في الحكمة فأجَابُوهُ بأحسَن جواب وألطف خطاب، فقال لهم: "سَلوا حوَائجَكم لتقضى"، فقالوا له: "تسألك الخلدَ في الدّنيا"، فقال: "وأنى ذلك لنفسي؟ ومن لا يقدر على زيادة نفسٍ من أنفاسه، فكيفَ يبَلّغكم الخلدَ؟"، فقالُوا لهُ: "نسألَكَ صحَّةً في أبدَاننا ما بقينا"؛ قال: "وهذا أيضاً لا أقدرُ عليه"، قالوا: "فعرّفنا بقيّة أعمارنا"، فقال الاسكندرُ: "لا أعرف ذلك لروحي فكيفَ بكم؟"، فقالوا له: "فدعنا نطلبُ ذلك ممّن يقدر على ذلك وأعظم من ذلك، وهو رَبّنا وربك وربّ العَالمين"، وجعل الناسُ ينظرون إلى كثرة جنود الاسكَندر وعظمة موكبه وبينهم شيخ صَعلوك لا يرفع رأسَه، فقال له الإسكندَر: "ومالك لا تنظر إلى ما ينظر إليه الناسُ؟" قال الشيخ: "ما أعجبَني الملك الّذي رأيته قبلك حتى أنظر إليك وإلى ملكك"، فقال الإسكندر: "وما ذاك؟"، قال الشيخ: "كانَ عندنا ملك وآخر صَعلوك فماتا في يوم واحدٍ، فغبتُ عنهما مدّة ثم جئت إليهمَا واجتهدتُ أن أعرف الملك منَ المسكين فلم أعرفه!"، قال: فتركهم الاسكندر وانصَرف عنهم.

وأمّا عجائبُ هذا البحر

فمنها ما ذكرَهُ صَاحبُ عجائب الأخبار أنّ في هَذا البحر طائراً مكرِم لأبويه، فإنهما إذا كبرا[١١٧] وعجزا عن القيام بأمرِ أنفسهما يجتمعُ عليهما فرخانِ من أفراخهمَا فيَحملانهما على ظهُورهما إلى مكان حصَين ويبنيَان لهما عشاً وطياً ويتعاهَدانهما بالزاد والماء إلى أن يمُوتا؛ فإن مات الفرخان قبلهما يأتي إليهما آخران من أفراخهما ويفعلان بهما كما فعَل الأولان وَهلمّ جرّا؛ هذا دأبهما إلى أن يموت والدهما.

وفيه سمكة: يقال لها الدَّفين ولها رأسٌ مربّعٌ وفمٌ كالقمع لا تفتحه يقولون إذا أكل المجذوم من لحمهَا مطبوخاً برئ من الجذام.

وفيه سمكَة: وجهُها كوجه الإنسَان وبدنها كبدَن السّمك تظهَرُ على وَجهه شهراً وتغيبُ شهراً.

وسمَكة: تطفو على وجه الماءِ؛ فإذا رأت سمَكة أو حيوَاناً مِن دَوابّ البحر قد فتح فاه تدخل في فيهِ وتصير غذاءً له.

وفيه حيَوانٌ: يخرج منَ الماء إلى البر ويرتفع والنار خارجة من فيه ومنخريه فيحرق مَا حَوله منَ النبات؛ فإذا رأى الناسُ تلك الأرض محترقة علموا أنّ ذلك الحيوَان وقع هنَاك.

---

[١١٦] – نهاية صفحة ١١٢ من المخطوط

[١١٧] – نهاية صفحة ١١٣ من المخطوط

وسمكَة طيّارةٌ تطير ليلاً منَ البحر إلى البرِّ ولا تزال تأكل في الحشيش إلى طلوع الشمس فتعود طائرة إلى البحر.

وَفي هَذا البحر المذكور المعطب الّذي يسمّى الدّردور إذا وقعَت فيه المراكبُ تدور ولا تخرج منه على طول الأزمان والدهور، والدّردور هذا في ثلاثة أبحُر: في هَذا البحر وفي بحر الصّين وفي بحر الهند، والله أعلم.

فصلٌ في بَحر عمّان وَجزائرِهِ وَعجَائبه

وهوَ شعبة من بحر فارس عن يمين الخارج من عمان، وهو بحر كثيرُ العجَائب غزير الغرائب، وفيه مغاصُ اللؤلؤ ويخرج منه الحبُّ الجيّد، وفيه جزائر كثيرة معمُورة مسكونة؛ منها جزيرة خارك: وهيَ كبيرة عَامرة آهلة وبهَا مغاصُ اللؤلؤ.

وجزيرة خاسك: وهي بقرب جزيرة قيس، وأَهلهَا لهم خبرة بالحرب وصبر عليه في البحر، فإنّ الرّجل منهم يسبح أياماً في الماء وهوَ يجالد بالسيف كما يجالد غيره على وجه الأرض.

حكاية عجيبَة: حُكيَ أنّ بعضَ الملوك بالهند أهدَى لبعض الملوك جواري هنديات حسَان؛ فلمّا عبَرت المراكب والجواري بهَذه الجَزيرَةِ[118] خرجنَ يتفسّحنَ في مَصَالحِهنّ في أرضها فاختطفتهن الجنّ، ونكحوهنّ فولدن هؤلاء القوم.

وجزيرة سلطى: وَهيَ كبيرة وفيها قوم يسمعُ كلامهم وضجيجُهم من مسَافةٍ بعيدةٍ، ومَن وصَل إليهم يخاطبُهم ويخاطبونه غير أنهم لا يرون بأشخاصهم، ويُقال إنهم منَ الجنّ وهم مؤمنون، فإذا وصل إليهم الغريب؛ جعَلوا له منَ الزاد ما يكفيهِ ثلاثة أيام؛ فإذا أرادَ الرجُوع إلى أهلهِ حملوهُ في مركب وأوصَلوه إلى قصدِه.

وجزيرة بهَا شجر يحمل ثمراً كاللوزِ في صفته وقدرِه، يؤكل بقشره وهوَ أحلى منَ الشهد ويَقوم مقام كلّ دواء، ومن أكل منه منَ الرجَال والنسَاء يزداد ندرة وشبَاباً ولا يهرم أبداً ولا يشيبُ، وإن كان آكله طاعناً في السّنّ، وقد ذهبَت قوّته وابيَضَّ شعره عادَ في الحال إلى قوّة الشباب ونضَارته واسوَدّ شعره، وذكر أنَّ بعض الملوك بالهند زرعه في أرضه فأورق ولم يثمر.

وجزيرة الدهلان: وهوَ شيطان في صُورة إنسَان راكبٌ على طير يشبهُ النعَامة، يأكلُ لحومَ الناسِ، إذا طلع أحَدٌ منَ المراكب إلى تلك الجزيرة أخذهم ورفعهم إلى مكان لا خلاصَ لهم منه وأكلهم واحداً بعدَ واحدٍ.

وحُكيَ أنَّ مركباً ألجَأتهُ الريح إلى تلك الجزيرة، وكانوا قد سمعُوا بذلك الشيطان، فلمّا أتاهُم قاتلوهُ وصَبرُوا على قتاله صبرَ الكرام، فلمّا رأى ذلك منهُم صَاحَ بهم صَيحة سَقطوا منها مغشيّاً عليهم، فجعَل يجرّهم على وجوههم إلى موضعه المعهُود، وكانَ فيهم رجل صَالحٌ؛ فدعَا عليه فهلك وَعاد إلى موضعه طلباً لما فيه منَ الأموَال والذخَائر وأمتعة الناس.

جزيرة الصَّريف: وَهيَ جزيرة تلوحُ لأصحاب المراكب فيطلبُونها وكلّما قربُوا منها تباعدت عنهم، وربّما أقاموا لذلك أيّاماً كثيرة فلا يَصلون إليهَا، وقيل إنّ أحداً لم يدخلهَا قطّ، إلاّ أنهم رأوا فيها دَوابّا وأشخاصاً.

جزيرة الفندج: فيهَا صَنم من رُخامٍ أخضر ودموعه تسيل على ممرّ الأيام واللّيَالي فإذا دَخل الريح في جوفه صَفر صَفيراً عجيباً، ذكر المسَافرون أنه يبكي على قوم كانوا يعبدُونه من دون الله، وقيل إنّ بعضَ الملوك

---

[118] - نهاية صفحة ١١٤ من المخطوط

غزا[119] عبّاد ذلك الصّنم فأفناهم وأبادهم عن آخرهم واجتهدَ في كسر ذلك الصّنَم فلم يقدر ولم تعمل فيه الآلة، وكلما ضربوه بمعوَل عَادَ الضّربُ إلى الضّارب فقتله فتركوه وانصَرفوا.

جزيرة سرَندوسة: وهي كبيرةٌ عامرة، بهَا أنهَار أشجار وثمار، وعند أهلهَا منَ الذهب مَا لا يكيّف: فماعونهم ذهَبٌ، وآنيتهم ذهبٌ، وقدورهم ذهبٌ، وخوابيهم ذهَبٌ، وسلاحهم ذهبٌ، ولهم ملك يدفع عنهم كل من يقصدُهم أو يقصد الخروج من عندهم بشيء من ذلك.

وعجائبُ هذا البحر كثيرة

وذكر أنّ العنبر الخالصَ ينبتُ في قعرِ هذا البحر كما ينبت القطنُ في الأرض، فإذا اضطربَ البحر قذفَ بهِ، ورُبما أكل منه الحُوت العظيم الجرم فيمُوت فيَطفو على وجه الماء في اليوم الثالث فيَجذبونه أهل المراكب بالكلاليب إلى السّاحِل فيأخذون العنبر من جَوفه.

وملكان: نوع منَ السّمك يَطفو على وجه البحر في ثالث عشر كانون الثاني، يدُلّ ذلك على خروج ريح يَضطربُ لها البحر حتّى يَصِل الاضطرابُ إلى بحر فارس، ويشتدّ هيَجانه ويتكدّرُ لونه وتنعقد ظلمته بعد طفو هذا السَّمك بيَوم واحِدٍ.

ومنها الأمشور: وهوَ سَمك يأتي بالبصرة في وقتٍ مُعَيّن، فيبقى مدّة شهرين وينقطع فلا يعُودُ إلى ذلك الوقت بعينِه من العَام القابل، والجرّاف: أيضاً سَمك وأوانه مثل أوانه وانقطاعه مثل انقطاعه.

ومنها: حيَوان يعرف بالتنين شرّ من الكوسج، طوله كالنخلة السّحُوق، أحمرُ العينَين كريه المنظر، له أنيابٌ كأسنّة الرّماح، يقهَرُ الحيَوانات كلّهَا حتى الكوسج.

ومنها: سمكة خضرَاءُ أطول من ذراع؛ لها خرطوم طويل كالمنشار تضربُ به من عارضَهَا فتقده.

وفي هذا البحر دردور صغير، حكى القزوينيّ: أنّ رجَلاً من أصفهان ركبته ديون كثيرة ففارق أصفهان، وركبَ هَذا البحر صدفة معَ تجارٍ فتلَاطمت بهمُ الأموَاج؛ حتى حصلوا في الدّردور ببَحر فارس، فقال التجار للرّئيس: "هَل تعرف لنا سبيلاً إلى الخلاصِ فنسعى فيه؟"، فقال:"إن سمحَ أحَدكم بنفسِه تخلصنا"، فقال الرجل الأصفهانيّ المديونَ[120] في نفسِه: "كلنا في موقف الهَلَاك وأنَا قد كرهت الحيَاة وسئمت البقاء"، وكانَ في السّفينة جمع مِنَ التجار الأصفهَانيّين، فقال الرّجلُ لهم: "هَل تحلفونَ لي بَوفاء ديُوني وخلاص روحي وأفديكم بروحي وأوثركم بحيَاتي وتحسنوا إلى عيَالي مَا استطعتم؟"، فحلفوا له على ذلك وفوقَ مَا شرَط.

فقَال الأصفهاني للرّئيس: "مَا تأمرُني أن أفعَل فقد سَلّمت نفسي لله طلباً لخلَاصكم إن شاء الله تعالى"، فقال له الرئيسُ: "آمرُك أن تقفَ ثلاثة أيام على سَاحِل هَذا البحر وتضرب على هذا الدّهل ليلاً ونَهاراً، ولا تفترّ عن الضّرب أبداً"، قلت: "أفعَل إن شاء الله تعالى"، فأعطوني منَ الماء والزاد ما أمكن، قال الأصفهانيّ:" فأخذت الدّهل والماء والزادَ وتوجهُوا بي نحوَ الجزيرة وأنزلوني بسَاحِلها فأخذت وشرعتُ في ضرب الدهل فتحركت الميَاهُ وجرى المركب وَأنَا أنظر إليهم حَتّى غابَ المركبُ عن بصري، فجعَلتُ أطوف في تلك الجزيرة وإذا أنا بشجَرة عظيمة وعليها شبه سطح؛ فلما كانَ الليل وإذا بهدة عظيمةٍ، فنظرتُ فإذا طائر عظيمٌ في الخلقة قد سَقط على ذلك السّطح الّذي في الشجَرةِ فاختفيتُ خوفاً منه، فلمّا كانَ الفجر انتفضَ بجناحيه وَطارَ.

---

[119] – نهاية صفحة ١١٥ من المخطوط

[120] – نهاية صفحة ١١٦ من المخطوط

فلمّا كانَ الليل جَاء أيضاً وحَط عَلى مكانه البارحة؛ فدنوت منه فلم يتعرّض إليَّ بسُوء ولا التفت إليَّ أصلاً، وطار عند الصَّباح، فلمّا كانَ ثالث ليلةٍ وجَاء الطّائر على عادته وقعَد مكانه؛ فجئتُ حَتّى قعدتُ عنده من غير خوفٍ ولا دهشةٍ إلى أن نفضَ جَناحيهِ فتعلقت بإحدى رجليه بكلتا يَديّ فطارَ بي إلى أن ارتفع النهار، فنظرتُ إلى تحتي فلم أرَ إلاّ لجة ماء البحر؛ فكدت أن أترك رجله وأرمي بنفسي من شدة ما لقيت منَ التعب، فتصَبرت زمانا، وإذا بالقرى والعمارة تحتي ففرحتُ وذهبَ ما كان بي منَ الشِّدّة، فلمّا دَنا الطّائر منَ الأرض رميتُ بنفسي على صُبرةِ تبنٍ في بيدرٍ، وَطَار الطّائر فاجتَمع الناسُ حَولي، وتعجّبُوا مِنّي وحملوني إلى رئيسِهم وأحضَروا إليّ من يفهمُ كَلامي، فأخبَرتهم قصّتي فتبرّكوا بي[121] وأكرموني وأمروا لي بمال وأقمتُ عندهم أيّاماً، فخرجتُ يوماً لأتفرّج، إذ أنَا بالمركب الّذي كنتُ فيه قد أرسى؛ فلمّا رأوني أسرعُوا إليّ وسَألوني عن أَمري فأخبَرتهم فحملوني إلى أهلي وأقاموا لي بمَال له صُورة فوق الشرط، فعدت بخير وغنى وسَلامةٍ".

فصلٌ في بحرِ القلزم وَجَزائره وَمَا به مِن العَجائب

وهَذا البحر شعبَة من بحر الهند، جنوبيّه بلاد بربر والحبَشة؛ وعَلى سَاحله الشرقيّ بلاد العَرب وعلى سَاحِله الغربيّ بلاد اليمن، والقلزم اسم لمدينة على سَاحِله؛ وهو البحر الّذي غرق فيه فرعون؛ وهوَ بحرٌ مُظلم وحشٌ لا خير فيهِ باطناً ولا ظاهراً، وفي هَذا البحر جزائر كثيرة وغالبها غير مسكونة ولا مسلوكةٍ.

فمن جزائره جزيرة قريبة من أيلة يسكنها قومٌ يقال لهم بنو حداب؛ ليسَ لهم زرع ولا ضرع؛ معَاشهم منَ السّمك، ولا ماء عذب، بيُوتهمُ السُّفنُ المكسّرة، ويشحذون الماء والخبز ممّن يمرّ بهم منَ المسَافرين، وعندهم دوّارة في سَفح جبَل إذا وقع الريح عليها انقسمَت قسمين، ويلقي المركبُ بين شعبين متقابلين؛ فيثور الريح بينهُما ويخرج من كليهما متخالفين، فتنقلبُ المركبُ بمن فيها؛ وقيل: إنّ هَذا الموضع غرق فيه فرعون.

وجزيرة الجساسة: وهي دابة تجسّ الأخبار وتأتي بهَا إلى الدّجّال؛ قال تميم الداريّ رضي الله عنه؛ وكانَ مِن أصحاب رسُول الله صَلّى الله عليه وسلّم؛ وقد اختطفته الجنّ من صحن دارهِ؛ ومكثَ في بلاد الجنّ وغيرها مدّة طويلة، ورأى العَجائب وقصته طويلة مشهورَة؛ قال: "ركبنا في هَذا البحر فأَصَابتنا ريح عَاصف؛ ألجأتنا إلى هَذه الجزيرة؛ فإذا نحنُ بدآبّة استوحشنا منها، قلنا لها: "ما أنت؟"، قالت: "أنا الجسَّاسَة"؛ قلنا لها: "أخبرينا الخبرَ"؛ قالت: "إن أرَدتم الخبَرَ؛ فعَليكم بهَذا الدير؛ فإنّ به رَجلاً هوَ بالشوق إليكم"؛ فأتيناه فقال لنا: "كيفَ وصَلتم؟"، فأخبرناه الخبر؛ فقال: "ما فعَلت طبرية؟"؛ قلنا: "تدَفق الماء بين أجوافها"؛ قال: "فما فعَلت نخلات عمان؟"، قلنا: "يجنينها أهلها"؛ قالَ[122]: "فما فعَلت عين زغر؟"، قلنا: "يشربُ منها أهلهَا"، فقال: "لو نفدت لتخلصتُ من وثاقي؛ فوطئت بقدمي هَذا كل سهل وجبَل إلاّ مَكة والمدينة".

وبعضُهم يزعم أنه ابن الصّيّاد، الّذي كانَ بمكة، وكانَ يُقال ذلك بين يدَي رسُول الله صَلّى الله عليه وسَلّم؛ فلا ينكره.

قالَ ابن سَعيد: "صحبتُ ابنَ صيّادٍ من مَكة"، فقال: "ماذا لقيت منَ الناس؟ يزعمُونَ أنّي الدّجّال، ألم يَقل نبيّ الله إنه يهُودي، وقد أسلمت، وقال إنّه لا يولد له، وقد ولدَ لي، وقال: إنّ الله حَرّمَ عليه المدينة ومكة،

---

[121] – نهاية صفحة ١١٧ من المخطوط

[122] – نهاية صفحة ١١٨ من المخطوط

وقد وُلدتُ بالمدينة، وحججتُ إلى حرَم مَكة"، ثمّ قالَ في آخر قوله: "والله إنّي أعرف أين هوَ الآن وأعرف أباه وأمّه"، وقيل له يوماً: "أيسرُّك لو كنتَ ذاك؟" فقالَ: "لو عرض لي لمَا كرهته".

وقالَ نافع مولى ابن عمر رَضي الله عنهم: "لقيتُ ابن صَيّادٍ في بعض طرق المدينةِ، فقلتُ له قولاً أغضبته، فانتفخ حَتّى مَلأ الطريق، ثمّ دخلتُ بعدَ ذلك على حفصَة زوج النبّي صَلى الله عليه وسَلّم، وقد بلغها الخبر، فقالت: "يرحمك الله مَا أردت من ابن صيَّادٍ؟ أمَا علمتَ أنّ رَسُولَ الله صَلّى الله عليه وسَلّم قال: "إنما يخرج من غضبة يغضبُها.

وأمّا عجَائبُ هذا البحر

فمنها سمَكة تزيدُ على مائتي ذراعٍ تضرب السفينة بذنبها فتغرقها، ومنها: سمَكة مقدَار ذراعٍ، بدنها كبدَن السّمك ووَجهُها كوجه البُوم، ومنها: سمَكة طولها نحو عشرين ذراعاً، ومن ظهرها الدّبل الجيّد، وهي تلد كالآدميّة وترضع مثلها.

ومنها: سَمَكة تصَاد وتجفف فيبقى لحمُها مثل القطن يتخذ منه غزل وينسَجُ منه ثيابُ فاخرة، تسمّى تلك الثيابُ سمكين.

ومنها: سمَكة على خلقة البقر تلد وترضع كالبقرة، وسَمَكة عريضة عرضها أميز من طولهَا؛ يقال لها البَهاروز، يُقاربُ وز.ا قنطاراً؛ طيّبة اللحم والطّعم، وسَمكة: طولها شبران ولها رأسَان؛ رأسٌ في مَوضع رَأس العادة، ورَأس في موضع ذنبهَا، وتسمَّى الخنجَر.

وسَمك: يُقال له الفرس، وَهو نوع من كلاب الماء في البحر، في فمه سبع صُفوف أضراس وطوله عشرة أشبار[١٢٣]، وهو كثير الضرر والأذى.

فصل في بحر الزنج وهو بحر الهند بعينه

وَبلاد الزنج منه في جانب الجنوب تحتَ سهيل، وراكب هذا البحر يرى القطبَ الجنُوبيّ ولا يرى القطبَ الشماليّ، ولا بنات نعش، وهوَ متصل بالبحر المحيط، موجه كالجبَال الشواهِق، وينخفض كأخفض ما يكون منَ الأودية وليسَ له زبد مثل سَائر البحار، وفيه جزائر كثيرة ذوات أشجار وغياض؛ لكنّها ليسَت بذوات ثمار، مثل شجر الآبنوس والصّندل والسّاج والقنا والعنبَر، يصَاد ويلقط من سَاحِله، وبهَا يوجَد منه كلُّ قطعةٍ كالتلّ العظيم.

فمن جزائره المشهورة الجزيرَة المحترقة: وهيَ جزيرة واغلة في هَذا البحر، قلّ أن يصلَ إليها أحدٌ، قالَ بعض التجار: "ركبتُ في هَذا البحرِ، فدَارت بيَ الأوقات حتى حصَلت في هَذه الجزيرة؛ فرأيتُ فيهَا خلقا كثيراً، وأقمتُ بهَا زمَاناً، وتأنستُ بأهلها، وتعلمت لغتهم، فلما كان في بعض الأيام رأيتُ النّاس مجتمعين ينظرون إلى كوكب طلع مِن أفقهم، وهم يبكونَ ويلطمُون ويتوَدّعُونَ، فسَألتُ عَن السَّبب فقالوا: "إنّ هَذا الكوكبَ يَطلعُ بعد كلّ ثلاثين سنة مرة؛ حتّى إذا وصَل إلى سمت رؤوسهم يركبون البحر، ومعهم جميع ما يخافونَ عليّه منَ المال والقماش والأمتعة، فسَامت الكوكبُ رؤوسهم؛ فركبُوا البحر، وركبتُ معَهم وصحبُوا في المراكب جميع ما كانَ في الجزيرةِ مما يحمل وينقل، وسرنا وغبنا منَ الجزيرة مدّة، ثمّ عدت معَهُم، فوجَدنا جميعَ ما كانَ بهَا منَ الأماكن والبنيان والأشجار وغيرهَا قد احترق، وصَار رَماداً، فشرعُوا في العمارة ثانياً، ولا يزالون كذلك على الدّوام، في كل ثلاثين سَنَة تحترق الجزيرة ويجدّدون بناءَهَا.

---

[١٢٣] – نهاية صفحة ١١٩ من المخطوط

ومن جزائره جزيرة الضوضاء: وهيَ ممّا يلي الزّنج، حكى بعضُ التجار أنّ بهَا مدينة من حجَر أبيَض ولا سَاكن بهَا، غير أنهم يسمَعُونَ بهَا جلبة وضوضاء، يدخلها البحريّون ويشربون من مائهَا، ويحملونَ إلى المراكب، وهوَ ماء طيبٌ عذب وفيه رائحة الكافور[١٢٤]، ويقربها جبَال عظيمة تتوقد منها ناراً عظيمة في الليل وَحوَاليها حَية تظهر في كلّ سنَة مرّة واحدة؛ فيَحتالون عليها ملوك الزّنج ويصيدُونهَا، ويتخذون من جلدهَا فراشاً يجلس عليه صَاحبُ السّلّ فيبرأ.

جزيرة العور: وهيَ جزيرة كبيرة، حكى يعقوبُ بن إسحق السرّاج قال: "قال لي رَجُلٌ من أهل روميَة: "ركبت في هَذا البحر؛ فألقتني الريح في هَذه الجزيرة، فوصَلت إلى مدينةٍ أهلهَا قاماتهم كلّها ذراع وأكثرهم عُورٌ، فاجتمعَ عليّ منهم جمعٌ، وسَاقوني إلى ملكهم فأمرَ بحبسي في قفصٍ، فكسرته، فأمنُوني وترَكوا الاحتجاز عليّ، فلمّا كانَ في بعض الأيّام، رأيتهم قد استعدّوا للقتال، فسَألتهم عن ذلك فقالوا لنا عدُوّ يأتينا في كلّ سنة ويُحَارِبنا وهَذا أوانه، فلم ألبَث إلاّ قليلاً حَتّى طلعَ علينا عصَابة منَ الطّيُورِ الغرانيق، وكان ما بهم منَ العوَر من نقر الغرانيق؛ فحملت الطّيور عليهم، وصَاحت بهم، فلمّا رأيتُ ذلكّ شدَدتُ وسَطي وأخذت عصَاة وشددت عليها، وحملت عليهم، وصحتُ فيهم صيحة منكرة، ورميت منهم جماعة، فصَاحوا وطَاروا هَاربين منّي، فلمّا رأى أهل الجزيرة ذلك أكرمُوني وعظّمُوني، وأفادوني مَالاً وسَألوني الإقامة عندهم، فلم أفعَل، فحملوني في مركبٍ وَجهّزوني".

وذكَرَ أرسطاطاليس:" أن الغرانيق تنتقل من بلاد خراسَان إلى بلاد مصر؛ حيث مَسيل النيل، فتقاتل أُولئك العُور في طريقهم، وهم قومٌ في طول ذراع".

جزيرة سَكسار: وهي جزيرة عظيمة، وهم قوم لا عظامَ لأرجُلهم وسوقهم، حَكى المؤرخ ابن إسحاق قال: "لقيتُ رجُلاً في وجهه خمُوشٌ كثيرة، فسَألته عنها، فقال: كنتُ في بحر الزّنج معَ جمَاعة، فألقتني الرّيح إلى جزيرة سَكسار فلم نستطع أن نخرج منها لشدّة الريح، فأتانا قوم وجُوهُهم وجوه الكلاب، وأبدانهم أبدان النّاس، فسَبَق إلينا واحدٌ منهُم بعَصاً كانَ معَه، وَوقف جماعة مِن ورائنا؛ فسَاقونَا إلى منَازلهم؛ فرأينا فيهَا جمَاجمَ وقحوفا وسُوقا وأذرُعا وأضلاعاً كثيرة[١٢٥]، فأدخلونا بيتاً فيه إنسَان ضعيف، وَجعَلوا يأتونا بأكل كثير وَطعَام غزير وفواكه طيّبة، فقال لنا ذلك الرجل الضعيف: "إنما يُطعمُونكم لتسمنُوا وكلّ من سَمنَ أكلوه"، قال: "فجعَلتُ أقلل أكلي دون أصحابي، وصَار كلّما سَمنَ واحدٌ ذهبُوا به وأكلوه، حَتّى بقيتُ وحدي وَذلك الرجل الضعيف"، فقالَ لي الرجُل يوماً: "إنّ هؤلاء قد حضرَهم عيد يخرجُون إليه، ويغيبُون مدّة ثلاثة أيّام؛ فإن استطعتَ أن تنجوَ بنفسك فانج، وأمّا أنا فكما تراني لا أستطيعُ الحركة، ولا اقدرُ على الهروب، فانظر في تدبير لنفسِك"، فقلتُ: "جزاك الله الجنّة"، وخرجتُ فجعَلتُ أسير ليلاً، وأختفي نهَاراً؛ فلمّا رَجعُوا من عيدهم، فقدُوني فتبعُوني؛ حَتّى يئسُوا فرجَعُوا، فلمّا أيست منهم سرتُ في تلك الجزيرة ليلاً ونهاراً؛ فانتهيت إلى أشجار بهَا وثمار وفواكه وتحتها رجَال حسَان الصّور إلاّ أنّه ليسَ لساقاتهم عَظم، فقعَدتُ لا أفهمُ كلامهمُن ولا يفهمُون كلامي، فلم أشعُر إلاّ وَواحد منهم ركبَ على رقبتي وأكتافي وَطوّق برجليه عَليّ، وَأنهضني، فذهبتُ به وَجعَلتُ أعالجهُ؛ لأتخلّصَ منه وأطرحه عَنّي فلم أقدر، وجعَل يخمشُ وجهي بأظفاره المحدودَة، فجعَلتُ أدور به على الأشجار، وهوَ يأكلُ من فواكههَا وَثمارهَا، ويطعمُ أصحابهُ، وهم يَضحَكونَ عليَّ، فبينَما

---

[١٢٤] – نهاية صفحة ١٢٠ من المخطوط

[١٢٥] – نهاية صفحة ١٢١ من المخطوط

أَنَا أَطوفُ به بينَ الأشجار إذ دَخلت في عينه شوكة من شجَرة؛ فانحلّت رجلاه عَنّي فرميته عن رَقبَتيُ، وَسرت فنجّاني الله بكرمه، وهذه الخموش منه فلا رَحمَ الله عظامَه.

وأمّا عجائبُ هَذا البَحر فكثيرة

منها المنشار: وهيَ سمَكة عظيمة كالجبَل العظيم، ومن رأسهَا إلى ذنبها كالمنشَار من عظام سُود مثل الأبنوس، كلّ سنّ منها أطول مِن ذراعين، وعندَ رأسهَا عظمان طويلان، طول كل واحد عشرةِ أذرُع، تضرب بالعَظمين يميناً وشمالاً في الماء، فيسمَعُ لها صَوتٌ عظيم، ويخرج الماء من فيهَا ومناخيرها، ويَصعَدُ نحو السَّماء رميَة سهمٍ، وينعكسُ على المركب كالسّيل، وهي بعيدة عَن المركب، وإذا عبرت تحت المركب[١٢٦] قطعتها نصفين، فإذا رأوهَا أصحاب المراكب يبكون ويَضجّونَ إلى الله تعالى بالدّعاء ويتحاللونَ وَيتودّعون ويُصَلونَ صَلاة الموت خوفا منها.

وسمَكَة البال: وَهيَ سمَكة طولها من أربعمائة ذراعٍ إلى خمسمائة وسِتمائة؛ تظهَرُ في بعضِ الأوقات، طرف جناحِها كالشراع العظيم، وتخرج رأسهَا مِنَ الماء، وتنفخ فيَصعَد الماء كرميَة سهم في العلوّ، فإذا أحسَّ بهَا أهل المراكب، ضربوا الطّبُول والصّنوج، وصَاحُوا حَتى تذهَبَ، وهيَ تحُوش بذنبهَا وأجنحتها السّمكَ إلى فمهَا؛ فإذا زاد بغيها في البحر على دَوَابّه؛ أرسَلَ الله عليها سمَكة طول ذراعٍ تسمّى اللشك؛ فتلتصق بأذنها فلم تجد البال منها خلاصاً؛ فتطلبُ قعر البحر، وتضربُ برأسهَا الأرض؛ حَتّى تموتَ، فتطفُو على وجه الماء كالجبَل العَظيم؛ فيجرّونها بالكَلاليب والحبَال، ويشقّون بطنها؛ فيخرج منهُ العنبر كالتلّ العَظيم؛ لأنها تأكله وَتعرفه التجار بشوكَتِه.

فصلٌ في بحرِ المغرب وعجائبه وغرائبه

وهوَ بحر الشّام وبحر القسطنطينيّة، مخرجُه منَ المحيط، يأخذ مشرّقاً؛ فيَمرّ بشماليّ الأندلس، ثمّ ببلاد الفرنج إلىَ القسطنطينيّة، ويمتدّ ببلاد الجنوب إلى سَبتة، إلى طرابلس الغرب، إلى سَكندريّة، ثمّ إلى سَوَاحِل الشام، إلى أنطاكية.

وذكرَ في كتاب أخبَار مصرَ: أنّه بعد هلاك الفراعنَة، كانَت ملوك بني دلوكه في شقّ البحر المحيط منَ المغرب، وهوَ البحر المظلم، فتغلّبَ الماء على بلاد كثيرةٍ ومَمالك عظيمةٍ، فأخربهَا وركبَها، وامتد إلى الشّام وبلاد الروم، وصَارَ حاجزا بين بلاد مصر وبلاد الروم، على أحدى سَاحليه المسلمُون وَعلى الآخر النصارى.

وهناك مجمع البحرين وهما بحر الروم والمغرب، وعرضه ثلاث فراسخ وطوله خمسٌ وعشرون فرسخاً، والمدّ والجزر هنَاك في كلّ يوم وليلة أربع مرّاتٍ، وذلكَ أنّ البحر الأسوَدَ وهوَ بحرُ المغرب عندَ طلوع الشمس يعلو فيصُبُّ في مجمع البحرين؛ حَتّى يَدخل في بحر الرّوم، وهوَ البحر الأخضرُ إلى وقت الزوَال، فإذا زالت الشمسُ[١٢٧]، غاضَ البحر الأسودُ، وانصَبَّ فيه الماء منَ البحر الأخضر إلى مغيب الشمس، ويعلو البحر الأخضَر على الدّوام.

وَفي هَذا البحر منَ الجزائر شيء كثير: فمن جزائره جزيرة الأندلس: وقد تقدّم ذكرها.

---

[١٢٦] – نهاية صفحة ١٢٢ من المخطوط

[١٢٧] – نهاية صفحة ١٢٣ من المخطوط

وجزيرة مجمَع البحرين: وهيَ جزيرة كبيرة، وفيهَا منَارة مبنيّة بالصّخر المانع الصّلد، لها أسَاسٌ راسخ ولا بابَ لها، ولا يعمل فيها الحديد، وعلوّهَا أكثر من مائة ذراع، على رأسهَا صُورة إنسَان ملتحف بثوب؛ كأنه من ذهب ويده اليمنى ممدودة إلى البحر الأسود، كأنه يشير بأصبُعه لذلك الموضع منَ العدُوّ.

وجزيرة صقلية: وهي جزيرة عظيمة بهَا أنهَار وأشجار وثمار ومزارع، وبهَا جبلٌ يقال له جبَل البرَكات، يظهَر منه في النّهار دخان، وبالليل نار، يَطير منه شرارٌ إلى البحر؛ فتصير حجارة سُودًا مثقبة تحرق كلّ شيء صادفته، وتطفو على وجه الماء، ويأخذهَا النّاسُ فيستعملونها في الحمّاماتِ لحدة الأرجل.

جزيرة إقريطش: وهيَ في بحر الرّوم، وبهَا معَادن الذهب.

جزيرة طاوزاق: وهوَ ملك له أربعة آلاف امرأة، وليسَ له وَلدٌ، وعندهم شجرٌ إذا أكلوا منه أفادَهمُ القوّة في الجماع، وأطاق الواحد منهم أن يجامع في اليوم مائة مرة وأكثر.

الجزيرة السيّارة: أخبر البحريّون أنهم رأوها مراراً كثيرة فيهَا أشجار وعمارات وجبَال؛ كلّما هبّت الريح عليها من المغرب، سَارَت لنحو المشرق، وكلّما هبّت منَ المشرق، سَارَت لنحو المغرب، وحجَارتها خفاف فترى الحجر؛ تظنّ أنه قنطار فيكون رطلاً واحداً.

وذكَرَ بعض اليهُود أنّ مركبهُم انكسَر على هَذه الجزيرة، فأقاموا أيّاماً لم يَكن غذاهم إلاّ السّمك، ووقعُوا في جزيرة حجارتها وجبَالها ووهادهَا وترابها كلّها ذهبٌ، وكانَ قد سَلم معهم زورق المركب فأوسَقوهُ من ذلك الذهب فوق طاقته، وسَافروا فلم يَسيرُوا إلاّ قليلاً حتى عَطبَ الزورق، ولم ينج إلاّ من قدرَ على السّبَاحة.

جزيرة تنيس: وهيَ في بحر الروم، وفيهَا مدن كثيرة ويخرُج إليها منَ البحر نوع منَ السّمك فيقيمُ بهَا يوماً وينقطع، ويظهَر نوع آخر ويقيم يوماً وينقطع، ويظهَر نوعٌ[128]، ولا يزال كذلك إلى آخر السّنة تتمة ثلثمائة وستينَ نوعاً، ثمّ يعُودُ النوع الأول كالعَادة.

وجزيرة النوم: بهَا أشجار وثمار وأزهَار، من شمّ شيئاً منها نامَ من سَاعته.

جزيرة خالطة: قال أبو حَامد الأندلسيّ: "رأيت هَذه الجزيرة وبها منَ الغنم شيء لا يحصى، كالجراد المنتشر لا ينفر من الناس، يأخذ أهلُ المراكب منها ما شاؤوا، وبهَا أشجار وثمار وأعشاب، وليسَ بهَا إنس ولا جان.

جزيرة الدّير: ذكرَ البحريّون أنها بقرب قسطنطينيّة، وفيهَا دير غائبٌ في البحر؛ فينكشفُ عنه الماء يوماً في السنَة، وتحجّ أهل تلك النواحي إليه، ويبقى ظاهِراً إلى وقت العصر، ثم يزيد الماء فيغَطيه إلى العَام القابل.

جزيرة الكنيسَة: ذكَر أبو حامد الأندلسيّ أنّ بهَذه الجزيرة جَبل على شاطئ البحر الأسْوَد، عليه كنيسَة منقورة في الصّخر في الجبَل، وعليها قبة عظيمة، وعلى تلك القبّة طائر غراب، يَطير ويحُط ولا يزال عليها، ومقابل القبة مسجد يزوره المسلمون، ويقولون إنّ الدّعاء فيه مستجاب، وقد شرط على أهل تلك الكنيسَة ضيافة من يزور ذلك المسجد من المسلمين، فإذا قدمَ زائِر للمسجد، أدخل الغراب رأسَه إلى داخل الكنيسَة، وصَاح صيحات بعَدد الزوّار، إن كان واحداً فواحدة، أو اثنين فاثنين، أو عشرة فعشرة، لا يخطئ أبداً، فينزل أهل تلك الكنيسَة بالضّيافة إليهم على عدّتهم لا يزيدون ولا ينقصون، وذكَر القسّيسونَ أنهم ما زالوا يرَون ذلك الغراب ولا يدرون من أين مأكله ومشربه؟ وتعرف تلك الكنيسَة بكنيسَة الغراب.

ومن عجائب هذا البحر

---

[128] – نهاية صفحة ١٢٤ من المخطوط

ما ذكره أبو حَامِد أنه قال: "لمّا غاض بحر الروم، انكشف عن مدن وعمارات لا توصَف، وبه الشيخ اليهُوديّ، وهوَ حيوان كالإنسان وَله لحيَة بيضَاء وبَدَن كبَدن الضّفدَع، وشعره كشعر البقرِ، وهوَ في قَدر البَغل، يخرج منَ البحرِ في كلّ ليلة سبتٍ، فلا يزال في البرّ حَتى تغيبَ الشمسُ، فيثبُ وثبَة فلا يلحقه أحَد، وهوَ يثبُ كما يثبُ الضفدع.

وحدّث عبد الرحمن بن هارون المغربيّ قال: "ركبتُ هَذا البحر، فوصَلنا إلى موضع[129] يُقال له الرطون، وكان مَعنا غلام صقلبيّ، ومعَه صنّارة؛ فدَلاّهَا في البحر؛ فصَادَ سَمكة قدر الشبر، فنظرنا فإذا مكتوبٌ خلفَ أذنها الواحدة: لا إله إلاّ الله، وفي قفاهَا وخلف أذنها الأخرى: محمّد رسُول الله".

البغل: وهوَ سمكة كبيرة، قال أبُو حَامِد الأندلسيّ: "رأيتُ هَذه السّمكةَ بمجمع البحرين مثل الجبَل العظيم، وقد لازمتها سمَكة أكبر منها في الظّلمات، فهربت المسماة بالبغل منها، وجدّت الأخرى في طلبها، ولمّا عاينَ البغل منها الجدّ، صاحَت صَيحةً عظيمةً، مَا سُمعَ أهوَل منها، فكادَت قلوبنا أن تنشق من الخوف واضطرَبَ البحر لها، وكثرت أموَاجُه وخفنَا الغَرق، وأتت السّمكة الطالبة لتعبُر خلف البغل منَ الظّلمات إلى مجمَع البحرين فلم تقدر لعظمهَا".

حوت موسى عليه السَّلام: قال أبو حَامد: "رأيتُ سمَكة تعرف بنسل الحوت في مدينة سبتة، وهوَ الحوتُ المشويّ، الّذي صحبَه مُوسى ويوشع حين سَافرا في طلب الخضر عليهما السَّلام، وهي سمَكة طولها ذراع وعرضها شبر واحدٌ، جانبها شوك وعظام وجلد رقيق على أحشَائها، ورأسُهَا نصف رأسٍ بعينٍ واحدَة، فمن رآهَا من هَذا الجانب استقذرها، ونصفها الآخر صحيحٌ بهجٌ، والناسُ يتبرّكون بهَا، ويهدونها إلى الرؤساء، سيّما اليهُود".

سمكة كأنها قلنسُوة سَوداء؛ قال أبو حامد: "رأيتُ هَذه السّمكة وفي جَوفهَا شبه المصَارين، ولا رأسَ لها ولا عين، ولهَا مرارة كمرارة البقر سوداء، فإذا صَادهَا أحدُ تحركت، فيسوَدّ ما حولها منَ الماء حتى يبقى كالحبر الدّخّاني، وأظنّه من مرارتهَا، فيؤخذ ذلك الماء، ويكتبُ به في الورَق وهو أحسَنُ منَ الحبر وأعظم سوَاداً وأثبت وأجود وأبص منه".

وسمَكَة يقال لهَا الخطّاف: على ظهرهَا جَناحَان، تخرج منَ الماء وتطير حيثُ شاءَت ثمَّ تعودُ إلى الماء.

وسمَكة تعرف بالمنارة، وهذه السمَكة تخرج ببَدنها مِنَ الماء، وتقف على عجزهَا كالمنارة ثمّ ترمي نفسهَا على المركب العظيم؛ فتغرقه وتهلك أهله، فإذا أحَسُوا بهَا ضربوا الطّبول والبُوقات وصرّخُوا مكاحل النفط فتهرب عنهم[130].

وسمكة كبيرَة إذا نقصَ عَنهَا الماء بَقيت على الطّين ملقَاةً، وَلا تزال تضطربُ إلى مقدار ستِّ سَاعَات، ثم تنسَلخ من جلدهَا ويَظهرُ لها جَناحَان من تحت إبطها؛ فتطير مع عظمتها إلى بحر آخرَ، وهَذا من أعظم عجائب القدرة.

ومنها التنانين: وهيَ كثيرة في هَذا البحر، ولا سيّما عند طرابلس واللاّذقيّة.

فصل في بحر الخزر

وهوَ بحرُ الأتراك، وهوَ في جهَة الشمال، شرقيه جرجان وطبرستان وعلى شماله بلاد الخزر، وغربيّه اللاّن وجبَال القبق، وعلى جنوبه الجبَل والديلم، وهوَ بحر واسِع ولا اتصَال له بشيء منَ البحار، وهو بحر صَعب

---

[129] – نهاية صفحة ١٢٥ من المخطوط

[130] – نهاية صفحة ١٢٦ من المخطوط

خطر المسلك سَريع الهلاك شديد الاضطراب والأمواج، لا جزرَ فيه ولا مدّ، وليسَ فيه شيء منَ اللآلئ والجوَاهِر.

ذكَر السمرقنديّ في كتابه: أنّ ذا القرنين أرَادَ أن يعرف سَاحِل هَذا البحر، فبعَث قوماً في مركبٍ، وأمرَهم بالمسير فيه سنَةً كاملةً؛ لعَلّ أن يأتوهُ بخبَر سَاحِله؛ فَسَارُوا بالمركب سَنَةً كاملةً؛ فلم يرَوا شيئاً سوَى سَطح الماء وزرقة السّماء، فأرادوا الرجوع، فقال بعضهم: "تَسيرُ شهراً آخر لعلنا أن نرجعَ بخبر"، فسَاروا شهراً آخر؛ فإذا هم بمركب فيه أناس، فالتقى المركبان، ولم يفهَم أحدُهم كلامَ الآخر، فدفع قوم ذي القرنين إليهم امرأة وأخذوا منهم رَجلاً، ورجَعُوا إلى الإسكندر، وأخبروه بالأمر، قال: فزوّج الإسكندرُ الرجل بامرأة من عسكره، فأتَت بوَلدٍ يفهمُ كلامَ الوَالدين، فقال له: "سَل أباك مِن أينَ جئت؟"، فسَأله فقال: "جئت من ذلك الجانب"، فقيل له:" فهَل هناك ملك؟"، قال: "نعم أعظم من هَذا الملك"، قيل: "فكم لكم في البحر؟"، قال: "سَنتين وشهرَين".

وقيل: إنّ دور هَذا البحر ألفان وخمسمائة فرسخ، وطوله ثمانمائة فرسخ وعرضه ستمائة فرسخ، وهوَ مدَوّر الشكل، إلى الطول أميَز.

ويهَذا البحر عجَائب كثيرة

منها: ما ذكرهُ أبو حَامد عن سَلّام الترجمان رسُول الخليفة إلى مَلك الخزر، قال:" لمّا توجهتُ من عند الخليفة إليهم أقمتُ عندهم مدة، فرأيتهم يوماً قد اصطادوا سَمكة عظيمة فجذبُوها بالكلاليب والحبال[١٣١]، فانتفَخَت أذُنُ السّمكة فخرجَ منها جارية بيضَاء حمرَاء طويلة الشعر اسوده، حسنة الصّورة طويلة القامة كأنها القمر المبدر، وهيَ تَضربُ وجهَها وتنتف شعرَهَا وتصيحُ، وفي وسَطها غشَاء لحميٌّ كالثوب الضَّيق من سُرَّتها إلى ركبتها كأنه إزار مشدُودٌ عليها، فما زالت كذلكَ حَتّى مَاتَت.

ومنها التنين: ذكروا أنّه يرتفع من هَذا البحر تنين عظيمٌ يشبه السّحاب الأسوَد، وينظر إليه النّاس، وزعمُوا أنها دآبّة عظيمَة في البحر تؤذي دوَابه؛ فيبعثُ الله عليها سَحاباً من سحب قدرته، فيحملُها ويخرجُهَا مِنَ البحر، وهيَ صفة حيّة سوداء لا يمرّ ذنبُها على شيء منَ الأبنية العظام إلاّ سحقتهُ وهَدَمَته، والأشجار إلاّ هَدّتها، ورُبما تنفسَت؛ فاحرقت الأشجار والنبات.

قال: فيلقيها السّحاب في الجزائر التّي بهَا يأجُوج ومَأجوج، فتكونُ لهم غذاءً، ورُويَ عن ابن عبّاس رَضي الله عنهما هَذا القول.

وحُكيَ أنّ الإسكندر لمّا أن فرَغ منَ السّدّ، وأحكمه سرّ بذلك سرُوراً عظيماً، وأمرَ بسَريرٍ، فنصبَ له على السّدّ فرقي عليه، وحمد الله تعالى وأثنى عليه، ثم قال: "يَا رَبَّ الأرباب ومسَهّل الصّعَاب، أنتَ ألهمتَني لسَدِّ هَذا المكَان؛ صَوناً للبلاد، ورَاحة للعبَاد، وقمعاً لهذا العدُوّ المطبُوع على الفسَاد، فأحسِن لي المثوبة في يوم المعَاد، وردّ غربَتي وأحسِن أوبتي"، ثمّ سجَد سجدة أطال فيهَا، ثم استوى على فراشِه، واستلقى على ظهرهِ لانتعاشِه، وقال: "الآن قد استرحت من سَطوة الخزر ومقاساة الأتراك".

ثم أغفى غفوة، فطلع طالع منَ البحر، حَتّى سَدّ الأفق بطوله، وارتفعَ كالغمامة العظيمة السّوداء، فسَدّ الضّوءَ عن الأرض، فبادرت الجيوش والمقاتلة إلى قسيهم، واشتدّ الصّياح، فانتبهَ الاسكندر، ونادى: "ما الّذي نابكم؟ ومَا شأنكم؟"، فقالوا: "الذي ترى"، قال: "أمسكُوا عن سِلاحكم وكفّوا عن انزعاجكم، لم يكن الله عزَّ وجَلّ ليلهمَني لما أراد ويغرّبني عن أهلي ومسقط رأسي في البلاد لمصالح الخلق والعبَاد مدّة عشرين

---

[١٣١] – نهاية صفحة ١٢٧ من المخطوط

سَنة وسِتة شهور، ثمّ يسلّط عليّ بهيمة من بهَائم البحر المسجور[١٣٢]، فكفّ الناس عن السّلاح، وأقبل الطّالع نحو السّدّ، حتى علاه وارتفع عَليه رميَة سهم، ثمّ قال: "أيّها الملك، أنا سَاكن هذا البحر، وقد رأيت هذا المكانَ مسدوداً سبع مراتٍ، وفي وحي الله عزَّ وجلّ أنّ ملكاً عصره عصرك وصورته صُورتك واسمه اسمك، يسُدّ هذا الثغر سَداً مؤبّداً، فأحسَنَ الله معُونتك وأجزل مثوبتك وردّ غربتك وأحسَنَ أوبتك، فأنتَ ذلك الملك الهمَام، وعليك مِنَ الله السَّلام، ثمّ غابَ عن بصَره، فلم يعلم كيف ذهب.

وليَكُن هذا آخر الكلام على البحَار والجزائر والعجائب

فصلٌ في ذكر المشاهير مِن الأنهار وعجائبها

قيل: إنّ الأمطار والثلوج إذا وقعت على الجبَال تنصَبُّ إلى مغارات بهَا، وتبقى مخزونة فيهَا في الشتاء، فإن كانَ في أسَافل الجبَال منافذ ينزل الماء من تلك المنافذ، فيحصُل منها الجدَاول، وَينضمّ بعضها إلى بعضٍ، فيحدُث منها الأنهار والغدرَان والأودية، فإن كانت المغارات الّتي هيَ الخزانات لهذه الميَاه في أعَالي الجبَل، استمرَّ جريانه أبداً من غير انقطاعٍ؛ لأنّ الميَاهَ تنصَبُّ إلى سَفح الجبَل، ولا تنقطع لاتصَال الامتداد منَ الأمطار والثلوج، وإن انقطعت لانقطاع المدَد بقيت الميَاهُ بهَا واقفة، كما ترى في الأودية منَ الغدران الّتي تجري في وقتٍ وتنقطع في وقتٍ.

قال بطليموس في كتاب جغرافيا[١٣٣]: "أنّ بهَذا الربع المسكون مائتي نهر طوَال، كلّ نهرٍ منها من خمسين فرسخاً إلى ألف فرسخ، فمنها ما يجري منَ المشرق إلى المغرب، ومنها ما يجري بالعكس، ومنها ما يجري منَ الشمال إلى الجنوب، ومنها ما يجري بالعكس، وكلّها تبتدئ منَ الجبال، وتصُبُّ في البحَار بعدَ انتفاع العَالم بهَا، وفي ضمن مَمرّهَا تتصَوّر بطائح وبحيرات، فإذا صبّت في البحر المالح، وأشرقت الشمسُ على البحار، فتصعَد إلى الجوّ بخاراً، ثمَّ ينعقِدُ غيوماً وأندية كالدّولاب الدّائر، فلا يَزَل الأمر كذلك إلى أن يبلغ الكتابُ أجَله، فسبحانَ المدَبّر لمملكتِه ببَدائِع حكمته، لا إلهَ إلاّ هوَ.

فأوّل ما نبدأ بذكر

نهر أتل: وهوَ نهر عظيمٌ في بلاد الخزر[١٣٤]، يقارب دجلة، ومجيئه من أرض الروس وَبلغار ومصبّه في بحر الخزر، وقد ذكر الحكماء أنه يتشعبُ من هذا النهر خمسٌ وسبعون شعبَة، كلُّ شعبة منها نهرٌ عظيم، وعمُوده لا يتغيّر ولا ينقصُ ذرّة لغزارة مائه وقوّة امتداده، فإذا انتهى إلى البحر يجري فيه يومين ولونه بائن من لون البحر، ثمّ يختلِط ويجمدُ في الشتاء لعذوبته، وفي هَذا البحر حيوانات عجيبَة.

حكى أحمد بن فضَلَان رسُول المقتدر من خلفاء بني العبّاس إلى بلغار، قال: "لمّا دخلتُ بلغار سمعت أنّ عندَهم رجلاً عظيما في الخلقة، فسَألتُ الملك عنه، فقال: "نعم، ما كانَ من بلادنا، ولكن قومٌ خرجوا إلى نهر أتل وكانَ قد مدّ وطفا، ثمَّ أتوا وقالوا أيّها الملك إنّه قد طفا على وجه الماء رَجُل كأنه من أمّة بالقرب منّا، فإن كانَ ذاك فلا مقامَ لنا، فركبت معهم حتى صرتُ إلى النهر؛ فإذا برَجل طوله اثنا عشر ذرَاعاً ورأسه كأكبر ما يكون منَ القدور، وأنفه نصف ذراع وعيناه عظيمتان، وكلّ أصبع أطول من شبر، فأخذنا نكلمه وهو لا يزيد على النظر إلينا، فحملتُه إلى مكاني وكتبتُ إلى راسو كتاباً وبيننا وبينهم ثلاثة أشهر أستخبرُهم

---

١٣٢ – نهاية صفحة ١٢٨ من المخطوط

١٣٣ – جغرافياء البطليموس

١٣٤ – نهاية صفحة ١٢٩ من المخطوط

عن أمرِه، فعرَّفوني أنّ هَذا الرجل من يأجوج ومأجوج وقالوا: "إنّ البحرَ يحُول بيننا وبينهم"، فأقامَ بين أظهُرِنا مدة، ثمّ اعتل فمات".

نهر أذربيجان: قال صَاحب المسَالك والممالك الشرقيّة: "إنّ هذا يجري ماؤه ويستحجرُ؛ فيصير صَفائح صَخر فيستعملونه في البناء".

نهرُ أشعار: قال صَاحبُ تحفة الغرائب: "إنّ هذا النهر يخرج من موضعٍ يقال لَهُ: فج عروس ويفيض تحتَ الأرض، ثم يخرج من مكان بعيدٍ، ثمّ يفيض ثانياً بين أرض منادرةِ وبطَليُوس ويخرج وينصَبُّ في البحر".

نهر جيحُون: قال الاصطخري: نهر جيحون يخرج من حدود بدخسان، ثمّ تنضمّ إليه أنهار كثيرة من حدود الجبَل ودخس، فتصير نهراً عظيماً، ويمرُّ على مدن كثيرة حتى يصل إلى خوَارزم، ولا ينتفع به شيء منَ البلاد في ممرّه إلا خوارزم، ثمّ ينصبُّ في بحيرة خوارزم الّتي بينها[١٣٥] وَبين خوارزم ستة أيام، وهَذا النهر يجمدُ في الشتاء عند قوّة البرد، فيجمد قطعاً، ثمّ تصير القطع قطعاً على وجه الماء؛ حَتّى يلصق بعضُها ببَعضٍ إلى أن تصيرَ سَطحاً واحداً على وجه الماء، ويثخنُ حَتّى يصير سمك ذراعين وثلاثة أذرع، ويستحكم حَتّى تعبرُ عليه العَجلات والقوَافل المحمّلة، ولا يبقى بينه وبين الأرض فرق، والماء يجري تحتَ الجمد فيحفر أهل خوارزمَ بالمعَاول آباراً يستقون منها، ويبقى كذلك شهرين، فإذا انكسر البرد تقطع قطعاً كما بدأ أوّل مَرة ويعُود إلى حَالته الأولى، وهو نهر قتال قل أن ينجو منه غريق.

نهر حصن المهديّ: قال صَاحب تحفة الغرائب: هو بينَ البصرة والأهوَاز، وهوَ نهرٌ كبير ويرتفع منه في بعض الأوقات مَنارة يسمَع منها أصوَات كالطّبل والبُوق، ثمّ تغيبُ ولا يعرف شأن ذلك.

نهر خزلج: وهوَ بأرض الترك، وفيه حيّات إذا وقعَت عينُ ابن آدمَ عليها يغشى عليه.

دجلة: هي نهر بغدَاد، مخرجه من أصل جبَل بقرب آمد عندَ حصن ذي القرنين، وكلّما امتدّ انضمّ إليه ميَاه جبَالُ ديار بكر، وبآمد يخاض فيه بالدّوابّ، ويمتدّ إلى ميَاه فارقين، وإلى حصن كيفا وإلى جزيرة ابن عمرَ وإلى الموصل، وتنصبُّ فيه الزّيادات، ومنها يعظم أَمرُه ويستمر ممتدّاً إلى بَغدَاد إلى واسط إلى البصرة، وينصَبُّ في بحر فارس، ومَاء دجلة أعذبُ الميَاه وأكثرها نفعاً؛ لأنّ ماءهُ من مخرَجه إلى مصَبه جَارٍ في العمارات.

وعن ابن عبّاسٍ رضي الله عنهُما قال: أوحَى الله عزَّ وجَلّ إلى دَانيال عليه السَّلام:" أن أجر لمصَالح عبَادي نهراً واجعَل مصَبَّه في البحر، فقد أمرّت الأرض أن تطيعك"، قال: فأخذ خشبَة فجرّها في الأرض والماء يتبعُه، وكلّما مرَّ بأرض يتيم أو أرملةٍ أو شيخ ناشدَه الله فيحيد عنهم، وهو الدّجلة، وهوَ نهرٌ مبَارك كثيراً مَا ينجو غريقه.

وحُكيَ أنهم وجدُوا فيه غريقاً، فأخذوه فإذا فيه رمق، فلمَّا رجَعَت روحه إليه، سَألوهُ عن مكانِه الّذي وَقع منه فأخبرَهم فكانَ من موضع وقوعه إلى مَوضع نجاته خمسَة أيام.

نهر الذهب[١٣٦]: وَهو بأرض الشام وبلاد حلب، زعم أهل حلب أنه وادي بَطنان، ومعنى قولهم نهرُ الذهب لأنه جميعه يباع أوّله بالميزان وآخره بالكيل، فإنّ أوّله يزرَع عليه الحبُوب والبزور وآخره ينصَبّ إلى بَطيحة، فرسخين في فرسخين، فينعقدُ ملحاً.

---

[١٣٥] – نهاية صفحة ١٣٠ من المخطوط

[١٣٦] – نهاية صفحة ١٣١ من المخطوط

نهر الرسّ بأذربيجان؛ وهوَ شديد الجري، ويأرضه حجارة بعضها ظاهرة وبعضها مغطّاة بالماء؛ ولهذا السّبَب لا تجري فيه السُّفُن، وهوَ نهر مبَارك كثيراً ما ينجو غريقه.

حكى ديسَم بن إبراهيم صَاحب أدربيجان قال: "كنت مجتازاً على قنطرة الرّس بعسكري، فلمّا صرت بوسط القنطرة رأيتُ امرأة ومعَها طفل في قماطه، إذ صَدَمتهَا دآبّة؛ فانقلبَ الطّفل من يدهَا إلى الماء، فما وصَل إلى الماء إلاّ بعد زمان لبعد مَا بين ظهر القنطرة ووجه الماء، ثمّ غاصَ الطّفل وطفا عَلى وجه الماء، وسَلم من تلكَ الأحجار والقرابيص، وَجرى مَع الماء والأمّ تصيح، وللعقبان أوكار على حروف النهر، فأرسَل الله عزّ وجل عقابا منها فانقضَّ على الطّفل ورفعَه بقماطه، وخرج به إلى الصّحراء، فصحتُ بأصحابي إليه، فركضوا في أثر العقاب، فإذا العقاب قد اشتغل بحل القماط، فلمَا أدركوهُ وصَاحوا عليه طار العقاب، وترك الطّفل فوجدوهُ سَالماً مُوَقى، فرَدّوه إلى أمّه وهوَ سَاكتٌ.

نهرُ الزَّاب: وهو نهرٌ بين الموصل وإربل، يبتدئ من أدربيجان ويَنصَبُّ في دَجلة، يقال له الزاب المجنون لشدّة جريه/ قالَ القزوينيّ: "شربت مِن مَائه في شدّة القيظ فإذا هوَ أبرَد منَ الثلج والبرَد، وذلك لشدّة جريه وعدم تأثير الشمس فيهِ".

نهرُ زمرود: وهوَ بأصفهان، موصُوف باللّطافة والعذوبَة، يغسَل فيه الثوب الخشنُ فيعُود أنعمَ منَ الخزّ والحرير، وهوَ يخرج من قرية يُقال لها ما كانَ، ويَعظم بانضمام الماء إليّه عند أصفهان، ويسقي بسَاتينها ورَسَاتيقها، ثمّ يغورُ في رملٍ هناك، ويَظهَر بكرمان، ويجري وينصَبُّ في بحر الهند، ذكَروا أنهم أخذوا قصبة وعلموها وأرسَلوها في مَوضع غوَرَان الماء فخرجَت بكرمَان.

نهر سبحة[١٣٧]: وهوَ نهر بين حصن منصُور ويكسُوم، لا يتهيّأ خوضه لأنَّ قرارهُ رمل سَيّال، وعَلى هَذا النهر قنطرة وهيَ إحدى عجائب الدنيا، لأنها عقدٌ واحد منَ الشطّ إلى الشطّ مقدار مائتي خطوة من حجر صَلدٍ مُهندم، طول كلّ حجَرٍ عَشرة أذرع.

حكيَ أنّ عند أهل تلك البلد بالأرض لوحاً عليه طلسمٌ، فإذا انعابَ من تلك القنطرة مكان أدلوا ذلك اللوح إلى موضع العيب؛ فينعزل الماء عنه ويحيد فيصَلّح ذلك الموضع بلا مشقة، ويرفع اللوح فيعُود الماء إلى مكانه.

نهر سلق بإفريقية الغرب، وهوَ نهر كبيرٌ يجري فيه الماء بعد كل ستة أيّام يَوماً واحداً، وهذا دأبه دَائماً، وقيل هوَ نهر صقلاب.

نهرُ طبريّة: هوَ نهرٌ عظيم، والماء الّذي يجري فيه نصفُه بارد ونصفه حَار، فلا يختلط أحدُهما بالآخر، فإذا أخذ منَ الماء الحارّ في إناء وضربه الهواء صَار بارداً.

نهر العاصي: هوَ نهر حماة وحمص، مخرجه من قدس ومصبّه في البحر بأرض السويدية من أنطاكية، وسمّيَ العَاصي لأنّ أكثر الأنهار هناك تتوجّه نحوَ الجنُوب وهَذا يتوجّه نحوَ الشمال.

نهر الفرات العظمى: هوَ نهر عظيمٌ عذب طيّب ذو هيبَة، مخرجُه من أرمينية ثمّ يمتدّ إلى قاليقلا بالقرب من خلاط، وإلى ملطيّة وإلى شميصَات وإلى الرّقة، ثم إلى غانة، إلى هيت، فيَسقي هنَاك المزارع والبسَاتين والرسَاتيق، ثم ينصّب بعضه في دَجلة، وبعضُه يَصيُر إلى بحر فارس.

وللفرات فضائل كثيرة: روي أنّ أربعَة أنهار من أنهار الجنَّة: سيحون، وجيحون، والنيل، والفرات.

وعن عليّ رضي الله عنه قال: "يا أهل الكوفة إنّ نهركم هذا ينصَبّ إليه ميزابان منَ الجنّة".

---

[١٣٧] – نهاية صفحة ١٣٢ من المخطوط

وروي عن جعفر الصَادق رَضي الله عنه أنه شربَ من ماء الفرات، ثمّ استزاد وحمدَ الله تعالى، وَقال: "ما أعظم بَركته، لو عَلم الناسُ مَا فيه منَ البرَكةِ لضَربُوا على حَافته القباب، مَا انغمسَ فيه ذو عاهَةٍ إلاّ وبرئ".

وعن السّدّيّ أنّ الفُراتَ مَدَّ في زمن عمرَ رضي الله عنه فألقى رمّانةً عظيمَة فيهَا كرّ منَ الحَبّ[138] فأمَر المسلمون أن يقسمُوها بينهم وكانوا يرَون أنها منَ الجنة.

نهر القورج: هوَ نهر بين القاطول وبغداد، وكانَ سَبَبُ حفرهِ أنّ كسرى أنوشروان مَلك الفرس لمّا حَفر القاطول ضرّ بأهل الأسَافل، فخرجَ أهل تلكَ النوَاحي للتظلّم، فرآهم فتّى رجله على دآبّته ووَقف، وكانَ قد خرج متنزهاً فقال بالفارسيّة: "ما شأنكم أيهّا المساكينُ؟"، قالوا: "لقد جئناك متظلّمين"، قال: "ممّن؟"، قالوا: "مِن مَلك الزمَان كسرى أنوشروان"، فنزَل عن دابتِه وجَلسَ على التراب، وقال بالفارسيّة: "زنهار"، أي مسكينان، فأتي بشيء ليجَلسَ عليه، فأبى وأدناهم منه، ونظر إليهم وبَكى، وقال: "قبيحٌ وعَارٌ على ملك يَظلم المسَاكين، ما ظلامتكم؟"، قالوا: "يَا ملك الزمان حفرت القاطول فانقطعَ الماء عنّا، وقد بارت أراضينا وخربَت، فدعا كسرى بمُوبذانه، وقالَ له: "ما جزاء مَلك أضرَّ برعيتِه من غير قصدٍ؟"، قال الموبذان: "جزاؤهُ أن يجلسَ على التراب كما فعَل ملك الزمَان، ويرجع عن الخطأ إلى الصواب، وإلاّ سَخطت عليه النيران"، فقال: "قد رَجعتُ عمّا وقعتُ فيه، فهَل ترضون بسَدٍّ مَا حَفرت؟"، قالوا: "لا نكلّفُ الملك ذلك"، قال: "فمَا تريدون؟"، قالوا: "مرنا أن نجريَ ما دونَ القاطول؛ لنحييَ أرضنَا"، فقال: "لا أكلفكم ذلك"، ثمَّ أمَرَ أصحابَه وجنوده بالإقامة في مجلسِه وَقال: "لا أبرَحُ من مكَاني حَتّى أرى نهراً يجري دونَ القاطول، يسقي أراضي هؤلاء المسَاكين، والجاني أولى بالخسَارة"، فما برحَ مِن مكَانه ذلك؛ حَتى أجرى لهم نهراً دُون القاطول بناحيَة القورج، وسَاقوا الماء إلى أراضيهم وعمرَت، وسقوا منها أنفسهم ومواشيهم، فهَذا كانَ عدله في رعيته وهو كافر يعبُد النيران.

نهرُ الكر: هُوَ بين أرمينية وأرّان، وهوَ نهرٌ مبَارَك وكثيراً ما ينجُو غريقه، قالَ بعض الفقهاء نقجوَان: "وَجدنا غَريقاً في الكرّ، يجري به الماء، فبادَر القوم إليهن فأدرَكوهُ على آخر رَمقٍ، فلمّا رَجعَت إليه روحُه، قال: "في أيّ موضع أنا؟"، قالوا: "في نقجوان"، قال: "إني وقعتُ في الموضع الفلانيّ"، فإذا مسير ذلك المكان ستة أيّام، فطلبَ منهم طعَاماً، فذهبُوا ليأتوهُ به؛ فانقَضَّ[139] عليه جدَار فمات".

نهر مهران: وهوَ بالسّند، عرضه عرض جيحُون، يجري منَ المشرق إلى المغرب، ويقع في بحر فارس، قيل إنه يخرج من جبَل يخرج منه بعض أنهار جيحُون، وهو نهر عظيم فيه تماسيح كنيل مصر، إلاّ أنها أضعف وأصغر، وهو يمتدّ على الأرض ويزرع عليه كما يزرع علىَ النيل، وينقصُ ويزيد كالنيل حذو النعل، ولا يوجد التمسَاح قط إلاّ بنهر مهران والنيل.

نهر مكران: هوَ نهر عَظيم عليه قنطرة، قطعَةً واحدة، من عبَر عليها يتقيأ جميع ما في بَطنه، ولو كانوا ألوفا، وإن وَقفوا عليها زمانا هَلكوا منَ القيء.

نهر اليمَن: قال صَاحبُ تحفة الغرائب: "بأرض اليمَن نهر من طلوع الشمس يجري من المشرق إلى المغرب، ومن غروب الشمس يجري منَ المغرب إلى المشرق".

---

[138] - نهاية صفحة ١٣٣ من المخطوط

[139] - نهاية صفحة ١٣٤ من المخطوط

نهر هند مند: وهوَ بسجستان، ينصَبُّ فيه ألف نهرٍ، ولا تبينُ فيه زيادة، ويتشعبُ منه ألف نهر ولا يظهَرُ فيه نقصَان، بل هوَ في الحالين سَواءٌ.

نهر العمود: وهوَ بالهند، عليه شجرة باسقة مِن حديد، وقيل من نحاس، وتحتهَا عمود من جنسِهَا؛ ارتفاعه عشرة أذرع، وفي رأس العَمود ثلاث شعبٍ غلاظ مستوية محدودةٍ كالسيُوف، وعنده رجل يقرأ كتاباً ويَقول للنهر: "يا عَظيم البركة وسيل الجنَّة، أنتَ الّذي خرجتَ من عين الجنَّة، فطوبى لمن صَعد في هذه الشّجرة، وألقى نفسَه على هَذا العَمود"؛ فيصعَد ممن حوله رَجُلٌ أو رجَال فيلقون أنفسهُم على ذلك العَمُود؛ فيقَطَّعُون ويقعُونَ في الماء؛ فيدعون لهم أهلوهم بالمَصير إلى الجنّة.

وفي الهند نهرٌ آخر؛ ومن أمرِهِ أن يحضرَه رجال بسُيُوفٍ قاطعةٍ، فإذا أراد الرجُل من عبّادهم أن يتقرَّب إلى الله تعالى بزعمهم أخذوا له الحليّ وَالحلل وأطواق الذهب والأسورة بالكثرة، ويخرجون به إلى هَذا النهر فيَطرحونه على الشطّ، فيأخذ أصحاب السيُوف مَا عليه منَ الزينة والأطوَاق والأسورة ويَضربونه بالسّيُوف؛ حتى يصَير قطعتين، فيُلقون نصفه في مكان ونصفه في مكان آخر بالبعد عنه، ويزعمُونَ[١٤٠] أنّ هَذا النهرَ وَما قبله خرجا منَ الجنَّة.

نهر النيل المبَارَك: ليسَ في الدّنيا نهر أطول منه، لأنه مسيرة شهرين في الإسلام وشهرين في الكفر وشهَرين في البرّية وأربعَة أشهُر في الخراب، ومخرجُه مِن بلاد جبَل القمر خلف خطّ الاستواء، ويسمّى جبَل القمر، لأنّ القمر لا يَطلع عليه أصلاً لخروجه عن خطّ الاستواء وميله عن نوره وضوئه، يخرج من بحر الظّلمة ويدخل تحت جبال القمر، قالَ رسُول الله صَلّى الله عليه وسَلم: "إن النيل يخرج منَ الجنَّةِ ولو التمستم فيه حين يخرج لوجَدتم من ورقها".

وكان عبقام وهوَ هرمس الأوّل قَد حملته الشيَاطين إلى هَذا الجبَل المعروف بالقمر، ورأى النيل كيفَ يخرُج منَ البحر الأسوَد ويدخل تحتَ جبَل القمر، وبَنى في سَفح ذلك الجبَل قصراً فيه خمسٌ وثمانون تمثالاً من نحاس، جعَلها جامعة لما يخرج منَ الماء مِن هَذا الجبَل معَاقد ومَصَابّ في إحكامٍ مدبّرةٍ، يجري الماء منه إلى تلك الصُّورَ والتماثيل، فيخرج من حلوقها على قياسٍ معلومٍ وأذرع معدودةٍ، فتصبّ إلى أنهار كثيرة، فيتصل بالبطيحتَين ويخرجُ منهما حتى يصل إلى البطيحَة الجامعَة، وعلى هَذه البطيحة بلاد السّودان ومدينتها العظمى طرمى[١٤١]، وبالبطيحة جبَل معترض يشقها، ويخرج نحو الشمال مغرّبا ويخرج النيل منه نهراً وَاحداً، ويفترق في أرض النوبة، ففِرقَةٌ إلى أقصَى المغرب، وعلى هَذه الفرقة غالبُ بلاد السّودان، والفرقة الّتي تنصَبّ إلى مِصر منحدرةً من أرض أسوان تنقسمُ في مجرى البلاد على أربَع فرقٍ، كلّ فرقةٍ إلى ناحيَةٍ، ثمّ تصُبُّ في بحر الإسكندريّة، ويقال إنّ ثلاثة منها تصُبُّ في البحر الشّاميّ، وفرقة تصُبّ في البحَيرة الملحة الّتي تنتهي إلى الإسكندَريّة، والأذرع الّتي صنعَها عبقام هي ثمانية عشَر ذراعا، كلّ ذراع اثنان وثلاثون أصبعاً، ومَا زادَ على ذلك فهو صَائر إلىَ رمَال وغياض لا منفعَة فيهَا، وَلولا ذلك لغرقت البلاد.

وذكَروا أنّ سيحون وجيحُون والنيل والفرات كلّها تخرج من قبة من زبرجدة خضراء من جبَل عال هنَاك وتسلك على البحر المظلم، وهي أحلى من العسل[١٤٢] وأذكى رَائحة مِنَ المسك ولكنّها تتغيّر بتغيّر المجاري،

---

[١٤٠] – نهاية صفحة ١٣٥ من المخطوط

[١٤١] – في نسخة دارمي

[١٤٢] – نهاية صفحة ١٣٦ من المخطوط

وليسَ في الدنيا نهر يَصُبُّ منَ الجنوب إلى الشمال ويمدّ في شدّة الحرّ حَتّى ينقصَ له الأنهار كلّها، ويزيد بترتيب وينقصُ بترتيب، غير النيل.

وسببُ مدّه أنّ الله تعالى يبعَثُ إليه الريح الشماليَّ فتغلب عليه منَ البحر المالح؛ فيصيرُ كالسّكر له فيزيد حتى يعمّ البلاد، فإذا بلغ حَدّ الريّ بعَث الله عليه ريح الجنوب، فأخرجته إلى البحر، ولما كانَ زمنُ يوسُف عليه السَّلام اتخذ بمصر مقياساً يعرَف به مقدار الزيادة والنقصَان؛ فإذا زادَ على قدر الكفاية يستبَشرون بخصب البلاد، وهوَ عمُود قائم في وسط بركةٍ على شاطئ النيل، ولها طريق يدخل إليها منه الماء، وعلى ذلك العمُود خطوط معروفة بالأصَابع والأذرع، وكانَت كفايتهم في ذلك الوقت أربعَة عشرَ ذرَاعاً، فإذا استوَى الماءُ كما ذكرنا في الخلجان والوهَادي يملأ جميع أرض مصرَ، فإذا استوَفت الأرض ريّها انكشفت تربتَها وزرع عليها أصنَاف الزرع وتكتفي بتلكَ الشربة الواحدة، وليسَ في الدّنيا نهر يشبهُه إلاّ نهر الملتان وهوَ نهر السّند، شعر في المعنى:

إنّ مصراً لأطيب الأرض طرّا ليسَ في حسنها البَديع التباس

وإذا قستها بأرض سِوَاهَا كانَ بيني وبينك المقياسُ

وحُكيَ أنَّ رَجلاً من ولد العيص بن إسحاق بن إبراهيم الخليل عليهمُ السَّلام يسمّى جائدا لما دخل مصرَ ورأى عجائبهَا آلى على نفسِه أن لا يفارق سَاحِل النيل إلى منتهاه أو يمُوت، فسَار ثلاثين سنَة في العَامِر وثلاثين سنَة في الخراب، حَتى انتهى إلى بَحر أخضر، فرَأى النّيل يَشُقّ ذلك البحر؛ وأنّه رَكب دآبّة هنَاك سَخرهَا الله له فغدت به زمانا طويلا، وأنه وقع في أرض من حديدٍ، جبَالها وأشجارهَا حديد، ثمّ وقع في أرض من نحاسٍ، جبَالها وأشجارهَا نحاس، ثم وقعَ في أرض من فضّةٍ جبَالها وأشجارها فضّة، ثمّ وقع في أرض من ذهبٍ جبَالها وأشجارهَا ذهبٌ، وأنه انتهى في مسيرهِ إلى سُور مرتفعٍ من ذهبٍ، وفيه قبة عالية من ذهب[١٤٣] لها أَربعَة أَبوَاب، والماء ينحدرُ من ذلك السُور، ويستقرّ في تلك القبّة، ثمّ يخرج منَ الأبوَاب الأربعَة، فمنها ثلاثة تغيضُ في الأرض، والرابعُ يجري على وجه الأرض وَهوَ النّيل، والثلاثة سيحُون وجيحُون والفرات، وأنّه أتاه ملك حسَنُ الهيئَةِ، فقال له: "السّلام عليك يا جَائد، هذه الجنة، ثمّ قال له: إنه سيَأتيك رزق مِنَ الجنّة فلا تؤثر عليه شيئاً مِنَ الدّنيا"، فبينما هوَ كذلك إذ أَتاهُ عنقود منَ العنَب فيه ثلاثة ألوان: لون كاللؤلؤ ولون كالزبرجَد الأخضر ولون كالياقوت الأحمَر، فقالَ له الملك: "يا جائد هَذا من حصرم الجنَّة"، فأخذه جائد ورجع، فرأى شيخا تحتَ شجرة من تفاحٍ؛ فحدّثه وآنسَه وقال له: "يا جَائد ألا تأكل من هَذا التفاح؟"، فقالَ: "إنّ معيَ طعَاماً مِنَ الجنَّة، وإني لمستغن عن تفاحك"، فقال له: "صَدقت يا جائد، إنّي لأعلم أنه منَ الجنَّة، وأعلم من أتاكَ بهِ وهوَ أخي، وهَذا التفاح أيضاً منَ الجنَّة"، ولم يزل به ذلك الشيخ حَتّى أكل منَ التفاح، وَحين عضّ عَلى التفّاحَة رأى ذلك الملك وهو يعُضّ على أصبُعهِ؛ ثمّ قال له: "أتعرف هَذا الشيخ؟"، قال: "لا"، قال: "هُوَ والله الذي أخرجَ أبَاك آدَمَ منَ الجنّة، ولو قنعتَ بالعنقود الذّي معَك لأكل منه أهل الدنيا مَا بقيت الدنيا وَلم ينفذ، وهوَ الآن مجهُودك إلى مكانك"، قال: فبَكى جائد وندم وسَار حَتّى دخل مصر، وجعَل يحَدّث النّاسَ بما رأى في مَسيرهِ منَ العجَائب.

بحيرة تنيس: قيل إنها كانت جنات عظيمة وبسَاتين، وكانت مقسُومة بين ملكين أخوين مِن ولد اتريب بن مصر، وكانَ أحدهما مؤمناً والآخر كافراً، فأنفق المؤمنُ من ماله في وجوه البر والخير، حَتّى إنّه باع حصّته في الجنَّات والبسَاتين إلى أخيه الكافر، فزادَ فيها ألفاً مِنَ الجنَّات والبساتين، وأجرى خلالها أنهَاراً عذبة،

---

[١٤٣] – نهاية صفحة ١٣٧ من المخطوط

فاحتاجَ أخوه المؤمنُ إلى مَا في يده؛ فمنعَه وسبَّه وجعَل يفتخر عليه بمَاله ويَقول له: "أنا أكثر منك مَالاً وأعزُّ نفراً"، فقال له أخوهُ المؤمنُ: "إني مَا أراك شَاكراً الله تعالى، ويوشك أن ينتزعهَا منك"، فقال: "هَذَا كلام لا أسمعُه[١٤٤]، ومن ينتزع منّي ذلك؟"، فدعَا المؤمنُ عليه فجاءَ البحر وأغرق ذلك كلّهُ في ليلةٍ واحدة؛ حَتّى صَارَت كأن لم تكن.

وقد ورد في الكتاب العزيز ذكر قصّتها في سُورَةِ الكهف في قوله تعالى:"واضرب لهم مثلاً رجُلين جَعلنا لأحدهما جنتين من أعناب وحَففناهُما بنخل وجعَلنا بينهُما زرعاً" إلى قوله: "خير ثواباً وخير عقبا".

وكان لتنيس مائة باب، ويُقالُ إنّ هَذه البحَيرة تصير عذبة ستة أشهُر، ثم تصير ملحاً أجاجا ستة أشهر، وهَذا دأبُها أبداً بإذن الملك القادر.

ويمدينة قليوب بحيرة: ظهَرَ بهَا في سَنة منَ السِّنين نوع منَ السَّمك كانَت عظامهَا ودهنها تضيء في الليل المظلم كالسّراج من أخَذ مِن عظامهَا عظمة في يدهِ أضَاءَت معَه كالشمعة الرائقة إلى منزله وحيثُ شاء، وَأغنت النّاس عن إيقادِ السّرج في بيُوتهم، وإذا دهنَ بدُهنها أصبعاً مِن أصَابعهِ، فكذلك تضيء أصبُعه كالسِّراج الوهّاج، حَتّى حُكي أنّ بعضَ النّاس تلوّثت أصَابعُه من ذلكَ الدّهن فمسحَ بهَا في حَائط بيتِه، فبقي أثر الدّهن في الحائط، فكانَ ذلك الأثر يضيء في الحائط كأربع شمعَات، ثمّ انقطع مجيء ذلك النوع منَ السَّمك فلم يوجَد بهَا شيء منها إلى يومنا هذا.

نهر الرّمل: هُو نهرٌ في أقصى بلاد المغرب، جار كالأنهار لا ينقطع جريانه وَمن نزل فيه هَلكن ويُقال إنّ ذا القرنين وصَل إليه وَرآه ونظرَ إلى الرمل وجرَيانه، فبينما هوَ ناظرٌ إليه إذ انكشفَ الرمل وانقطعَ الجريان، فأمرَ أُناساً مِن أصحابه أن يعبروا فيه فعَبروا ولم يعُودُوا إليه وهَلكوا، فنصبَ ذو القرنين هنَاك شخصاً قائماً كالمنَارةِ مِن النحاسِ الأصفر وأحكمهُ وكتبَ عليه: "ليسَ وراء هَذا شيء فلا يتجاوزه أحد".

وَليَكن هَذا آخر الكلام في ذكر الأنهار وعجَائبهَا.

فصلٌ في عجائب العيُون وَالآبار

منها عين أدربيجان: قال في كتاب تحفة الغرائب: قيل: يؤخَذ قالب لبن، فيُمكنُ في الأرض ويُصَبّ فيه من مَاء هذه العين، ويصبرونَ[١٤٥] عَليه مقدار سَاعةٍ فيصير الماء لبنا من حجرٍ صَلد ويبنون به ما شاؤوا وأرادوا.

عينٌ بقرية من قرى قزوين: تسمّى ادرند بهسَند، إذا شربَ الإنسانُ منها حَصَل له إسهَال مُفرط، ويمكنُ الإنسَان أن يشربَ من ذلكَ الماء عشرة أرطال لخفّته وعذوبته، وإذا حمل ذلك الماء إلى خارج حد تلك القرية بَطلت الخاصيّة.

عينُ باذخاني: قال صَاحب تحفة الغرائب: بدامغان قرية تسَمّى كهر بهَا عين تسمّى باذخاني، إذا أراد أهل هذه القرية هبُوب الريح أخذوا خرقة حيض ووضعُوها في العين فتتحرك الريّاح؛ ومَن شربَ من مَائها ولو جرعة انتفخ بَطنه كالطّبل؛ ومَن حمل ذلك إلى مكان آخر انعقد حجراً.

عينُ ابلانستان: قال صَاحب تحفة الغرائب: ابلانستان قرية بين جرجان وأسفراسي، فيها عين تسمّى بهَا، ينبعُ منها ماء كثير فينتفع بمائها خلق كثير، وتنقطع في بعض الأوقات شهراً، فيخرج أهل تلك الأرض

---

[١٤٤] – نهاية صفحة ١٣٨ من المخطوط

[١٤٥] – نهاية صفحة ١٣٩ من المخطوط

رجالها ونسَاؤها في أحسَن زينة وأجمل هيئةٍ بالدّفوف والصّنُوج والشبّابات وأنواع الملاهي ويرقصُون عند تلك العين ويلعَبُون ويَضحَكون فلا يرجعُون إلاّ وقد مدّت العين بالماء الكثير مقدار مَا يدير رحَاتين.

عين باميان: قال في كتاب تحفَة الغرائب: بأرض باميَان عين ينبع منها ماء كثير بصَوت عظيم وجلبة، ويشمّ منها رائحة الكبريت، من اغتسَل من مائها زال عنه الحكة والجرب والدّمامل، وإذا جعل في إناء من مائها وسدّ الإناء سدّا محكماً وترك يوماً صَار كالطّين، وإن قربَ منَ النار اشتعَل والتهبَ.

عينُ جاج: قال صَاحبُ تحفة الغرائب: بقرب جاج عقبة على رأسهَا عين ماء إذا كانت السّماء صَاحية لا يرى فيهَا قطرةِ ماء، وإذا كانت السّماء مُغيّمة تراها مملوءة طافحة.

وبناحيَة باميَان جبَال فيها عيون لا تقبل أبداً شيئاً منَ النجاسَات وإذا ألقى فيهَا أحدٌ شيئاً منَ النجاسات هَاج الماء وعَلا وفار، فإن لحق الّذي ألقاهَا أغرقه.

عين زغر: وهيَ طرف البحَيرة المنتنة بالشّام، بينها وبين بيتِ المقدس ثلاثة أيّام[١٤٦]، وَزغر اسم ابنة لوط عليه السّلام، وهيَ العين الّتي أورَدنا ذكرها في حديثِ الجسَّاسةِ والدّجّال، وغوَرانُها مِن علامات السَّاعة.

عين سيَاه سنك: قال في تحفة الغرائب: بجرجَان موضع يسمّى سيَاه سنك به عين على تلّ يأخذ الناسُ منها الماء للشّرب وهوَ عذبٌ طيّبٌ، وَفي الطّريق إلى العين دودة معروفة بين أهلها فمن أخذ من ذلك الماء وأصَابت رجلهُ تلك الدّودة وهوَ ذاهبٌ بالماء صَار الماء مرّاً علقما؛ فيريقه ويمضي إلى الماء ثانياً.

عينُ الأوقات: وهي في المغرب، لا تجري إلاّ في أوقات الصّلوات الخمس في أوّلها ثمّ تنقطع، ولبثه بقدر ما يتوضأ الناس.

عينُ شيرم: وهيَ بين أصفهان وشيراز، بهَا مياه مشهورة وهيَ من عجائب الدّنيا، وذلك أنّ الجرادَ إذا نزلت ووقعت بأرض، يحمل إليها من تلك العين مَاء في ظرفٍ أو غيره، فيتبع ذلك الماء طيُور سُودٌ تسمّى السَّمرمر، ويقال لها السّودانيّة، بحيث أنَّ حَامِل الماء لا يَضعهُ إلى الأرض ولا يلتفتُ وراءه، فتبقى تلك الطيُور على رأس حَامل الماء في الجوّ كالسّحابة السَّوداء إلى أن يَصِل إلى الأرض الّتي بهَا الجراد، فتصيحُ الطّيُور عليها وتقتلُها، فلا ترى منَ الجراد متحركاً بل يموتون من أصوات تلك الطّيور إذا سمعوها.

عين شيركيران[١٤٧]: وهي من قرى مراغة، فيهَا عينان تفوران مَاء، أحدهما بارد عذب والآخر حَار مالح وبينها مقدار ذراع.

عينُ العقاب: قالَ صَاحبُ تحفة الغرائب: بأرض الهندِ عين برأسِ جبَل إذا هرمَ العقابُ وضعف تأتي به أفراخه حملاً إلى تلك العَين وتغسله فيهَا ثمّ تضعُه في شعَاع الشمس، فيسقط ريشُه وينبتُ له ريش جديد، ويذهَبُ هرَمه وضعفه وترجع إليه قوّته وشبابه.

عينُ غرناطة: قال الأندلسيّ: بقرب غرناطة كنيسَة عندهَا عين ماء وشجر زيتون، يقصدُها النّاسُ في يوم معلوم مِنَ السّنة، فإذا طلعت الشمسُ في ذلك اليوم فاضَت تلك العين، ثمَّ يَظهَرُ على تلكَ الشجَرةِ زهر الزيتون ثمَّ ينعَقِدُ زيتوناً في الحال والوقت، ويكبر ويسوَدّ في يومهِ[١٤٨] ذلك وَيأخذه النّاسُ، ويأخذون من ماء تلك العين، كلّ أحد بمقدرته ثمّ يدّخرونَ ذلك الزيتون والماء للتّداوي، ولذلك فيما بينهم منافع عظيمة.

عين غزنة: وهيَ بقرب مدينةِ غزنة، عين إذا ألقي فيها شيء منَ القاذورات والنجاسَات يتغيّر الهواء في الحال، ويَظهَر البرد والريح العَاصف والمَطر والثلج، فيبقى ذلك الحال حَتّى تزول عنها تلك القاذورات،

---

[١٤٦] – نهاية صفحة ١٤٠ من المخطوط

[١٤٧] – في نسخة شين كيزان

[١٤٨] – نهاية صفحة ١٤١ من المخطوط

وزعمُوا أنّ السّلطان محمُود بن سبكتكين السّلجوقيّ تغمّده الله برَحمته لمّا أراد فتح غزنة كانَ كلّما قصَدَهَا ألقى أهلهَا في العين شيئاً منَ القاذورَات، فتقوم القيامة لشدّة الريح والبرد والمطر؛ فيرجع بعسكره بغير قصدٍ كالمكسُور، فصَلّى ليلةً منَ الليالي ودَعَا، فقال: "إلهي إن كانَ قصدي في فتحِ هذه البلاد حُصُول الدّنيا فاثن عزمي عن ذلك، وخذ بناصيتي إلى الخير، وإن كانَ قصدي الثّوابَ والأجر والآخرة وتقوية شوكة الإسلام؛ فاجعَل لي إلى فتح هَذه المدينة سبيلاً، وأرح عبَادَك المسلمينَ المجاهدين في سَبيلك"، ثم سجَد سجدَة ونامَ في سجُوده ووجهُه على الثرى[149]، فأتاه آتٍ وخاطبه بكلام مبين قائلاً: "يا ابن سبكتكين، إن رمتَ الخلاص من هَذه المحنَة؛ فأرسِل جنوداً لحفظ العين وقد افتتحت غزنة فسَعيُك مشكور وفعلك مبرور"، فانتبه وأرسَل مقدما لحراسة تلك العين، ثمّ زحفَ على غزنة فافتتحهَا كطَرفة عين.

عينُ الفرات: بقرب أردن الروم، من اغتسَل من مائها أيّام الرّبيع أمنَ من مرض تلك السّنَة.

عين نهَاوند: قال صَاحبُ تحفة الغرائب: بالقرب من نهَاوند عين في شعب جبَل وتحتَ الشعب وَطأة، فكلّ من احتاج إلى الماء ليسقيَ أرضَه؛ مَشى إلى العَين، ودخل الشعبَ، وهوَ يقول بصَوتٍ عَال: "أنا محتاج إلى الماء"، ثم يغمسُ رجله في العين ويمشي نحو زرعه، والماء يمشي خلفه، حتى يسقي أرضه، فإذا انقضَت حَاجته يرجع إلى الشعب، وهوَ يقول: "قد اكتفت أرضي ورَبحتم أجري"، ثم يَضربُ برجله الأرض؛ فينقطع الماء عنه[150] وهَذا دأبُ الماء ودَأب أهل تلك الأرض، وهَذه من أعجَب العَجائب.

وليَكُن هَذا آخرُ الكَلامِ على عجَائِب العيُون

فصلٌ في الآبار وَعجائِبهَا

بئر أبي كود: بقرب طرابلس، من شرب من مائها تحمق، وهوَ مثلٌ يُقال بينهم للأحمق: "شرب من بئر أبي كود".

بئر بابلَ: قال الأعمشُ: كانَ مجَاهِد يحبُّ أن يسمَعَ الأعاجيبَ ويقصدُهَا، وكانَ لا يسمَعُ بشيء من ذلكَ إلاّ توجَّه إليه وعَاينَه، فأتى بابل فلقيَه الحجّاج، فقال له: "مَا تصنَع هَا هنَا؟"، قال: "أريدُ أن تسَيرَني إلى رَأس الجالوت، وأن تريني مَوضع هَاروت ومَاروت"، فأمرَ به فأرسِل إلى رجل من أعيان اليهُود، وقال: "اذهب بهَذا فأدخله على هَاروت وماروت لينظر إليهما"، فانطلق به حَتّى أتى موضعاً، فرَفع صَخرة فإذا هوَ شبه سرداب، فقال له اليهُوديُّ: "انزل مَعِيَ وانظر إليهما ولا تذكر اسمَ الله تعالى"، قال مجاهد: "فنزل اليهُوديّ ونزلت معه ولم نزل نمشي حَتّى نظرت إليهما، وهما كالجبَلين العظيمين منكوسَين على رُؤوسهمَا، والحديدُ في أعناقهما إلى رُكبتيهما"، فلمّا رآهما مجاهدٌ لم يملك نفسَه أنْ ذكر اسمَ الله تعالى؛ قال: فاضطَربا اضطراباً شديداً حَتى كادَا يقطعَان ما عليهما مِنَ الحديد، فهَربَ مجاهِد واليهُوديّ حَتّى خرجَا، فقال اليهُوديّ لمجاهد: "أمَا قلت لك لا تفعَل، كدنا والله نهلك".

قالَ المفسّرون: إنّ رجَلاً أرادَ أن يتعلّم السّحر، فأتى أرضَ بابل ودَخل عليهما فقالَ:" لا إله إلاّ الله، فاضطربا اضطراباً شديداً، وقالا له: "ممّن أنتَ؟"، قالَ: "من بني آدمَ"، قالا: "من أيّ الأمم؟"، قال: "من أمة محمّد"، قالا: "أوَ بعث محمّد؟"، قال: "نعم"، فاستبشرا بذلك وفرحَا؛ فقال الرّجل: "لِمَ تفرحَان؟"، قالا: "قد قرب فرَجُنَا، فإنّ محمّدا نبيُّ السَّاعة وقد قربَت"، قال لهما: "أريد أن أتعلّم السّحر"، قالا له: "اتق الله ولا تكفر"، قال: "لا

---

[149] – في نسخة التراب

[150] – نهاية صفحة ١٤٢ من المخطوط

بدّ من ذلك"، فعَاودَاهُ ثلاثا، فلم يرجع، فقالا له: "امض إلى ذلك التنّور، فَبُل فيهِ"، قال ففعَل، فخرج منه نور حَتى صَعَدَ إلىَ السَّمَاء[151] ونزَل دُخان أسوَد فدخل في فيه، فقالا له: "فعَلتَ؟"، قال: "نعم"، قالا: "فمَا رأيتَ؟"، فأخبرَهُما، فقال أحدُهما: "النور الّذي خرجَ منك هُو نور الإيمان"، وقالَ الآخر: "الدخان الّذي دخل فيك هوَ ظلمة الكفر، اذهب فقد علمت".

وحُكيَ أنّ امرأةً جاءت إلى عَائشة رضي الله عنها باكية تطلبُ النبيَّ صَلّى الله عليه وسَلم، فلم تجده، فقالت لها عائشة: "ممّ تبكينَ، ومَا الّذي تريدين منه؟"، قالت: "أُريدُ أن أسأله عن شيء في السّحر"، فقالت: "ومَا هوَ؟"، قالت: "إنّ زوجي سَافر عنّي وغابَ مدّة طويلة، فجاءت امرأة إليَّ، وقالت: "أتريدين مجيئه؟"، قلتُ: "نعم"، قالت: "فاعملي مَا أقول لك"، قلتُ: "نعم"، فغابَت وأتتني عند العشَاء بكبشين أسوَدَين، فركبت واحداً وأركبتني الآخر، فلم نلبث إلاّ قليلاً حَتّى دخلنا على هَاروت وماروت فقالت لهما: "إنّ هَذه المرأة تريد أن تتعلّم السّحر"، فقالا لها: "اتقي الله ولا تكفري وارجعي"، فأبيتُ وقلتُ:" لا بدّ من ذلك"، فأعادا عليّ ثلاثاً، فأبيتُ وقلت: "لا بدّ من ذلك"، فقالا: "فاذهَبي فبُولي في ذلك التنّور"، قالت: "فذهبتُ ووَقفتُ على التنّور، فأدرَكني خوف الله تعالى، فلم أفعَل، ورَجعتُ إليهمَا، فقالا: "فعلت؟"، قلتُ:" نعم"، قالا: "فمَا الّذي رأيت؟"، قلتُ: "لم أرَ شيئاً"، قالا: "لم تفعَلي شيئاً"، اذهبَي فبُولي فِي التنّور"، فذهبت، فقالا: "ما رأيت؟"، قلتُ: "لم أرَ شيئاً"، قالا: "اذهَبي فافعَلي"، قالت: "فذهبتُ وأنا أرتعِدُ، ففعَلتُ، فخرج منّي فارسٌ مقنّع بحديد، فصَعدَ إلىَ السّماء"، فرجعت إليهما وأخبَرتهما"، قالا: "فذلك الإيمانُ خرجَ من قلبك، اذهَبي فقد تعلّمت"، فخرجتُ أنا والمرأة، وقلتُ لها: "والله مَا قالا لي شيئاً"، قالت: "بلى تعلّمتِ، خذي هذِه الحنطة فابذريهَا"، فبذرتها فنبتت، قالت: "افركي"، ففركتُ، قالت: "اطحَني"، فطحنتُ، قالت: "اخبزي"، فخبزتُ، ووَالله لم أفعَل بعدَ ذلكَ شيئاً أبداً".

بئر بَدر: وهيَ بين مَكة والمدينة فِي الموضع الّذي كانت فيه وقعَة بدرٍ بين النبيّ صَلّى الله عليه وسَلّم وكفار قريش، ورَمى منهُم جمَاعة في القليب وهوَ هَذا البئر.

حكي عن بعض الصّحابة رضي الله عنهم أنه رأى في اجتيازه هناك شخصاً مشوها[152] خرجَ منَ البئر هَارباً، وخرج في أثره آخر ومعَه سَوط يلتهبُ ناراً، فصَاح به وضربَه ورَده إلى البئر، وأنا أنظر إليهمَا.

بئر برهوت: وهيَ بقرب حضرموت، قال رسُول الله صَلّى الله عليّه وسَلّم: "إنّ فيها أرواح الكفار والمنافقين"، وهيَ بئر عادية في فلاة مقفرة وواد مظلم، وعن عليّ رضي الله عنه قال: "أبغض البقاع إلى الله برهُوت، فيه بئر ماؤهَا أسود منتن تأوي إليهَا أرواح الكفار.

حكى الأصمُعيّ عن رجُل من أهل الخير: أنّ رجُلاً من عظماء الكفار هَلك، فلمّا كانَ في تلكَ الليلة مرَرت بوادي برهوت، فشممنَا ريحاً لا يوصَف نتنُه على خلاف العَادة، فعَلمنا أنّ روح ذلك الكافر الهَالك قد نقلت إلى البئرِ.

ورَوى بعضهم قال: "بتّ بوادي برهُوت، فكنتُ أسَمعُ طول الليل، قائلاً ينادي: "يا دَومة يا دومة إلى الصباح"، فذكرتُ ذلك لرجل من أهل العِلم فقال: "دومة هوَ اسم الملك الموَكل بتلك البئرِ لتعذيب أرواح الكفار".

---

[151] – نهاية صفحة ١٤٣ من المخطوط

[152] – نهاية صفحة ١٤٤ من المخطوط

بئر قضاعة: وهيَ بالمدينة الشريفة، رويَ أنّ رسُول الله صَلّى الله عليه وسَلّم أتى بئرَ قضَاعَة، فتوضّأ منَ الدّلو، وردّ مَا بقيَ إلى البئِر وبصَق فيها وشربَ من مَائها، وكانَ مِلحاً فعَادَ عذباً طيباً، وكانَ إذا أصَابَ الإنسَانَ مرضٌ في أيّامه صَلّى الله عليه وَسَلّم يَقول :"اغسلوهُ من بئر قضاعة"، فإذا غسل فكأنما نشط من عقال، وقالت أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما: "كنّا نغسل المريض من بئر قضَاعة ثلاثة أيامٍ فيعَافى".

بئر ذروان: بالمدينة المشرّفة، روىَ أنّ رَسُول الله صَلّى الله عليه وسَلّم مرض، فبينما هو بينَ النّائم واليقظان؛ إذ نزل ملكان فقعَد أحدُهما عندَ رأسِه والآخر عند رجليه، فقال الّذي عند رأسه: "مَا وجعُه؟"، قال الّذي عند رجليه: "طبّ"[153]، قال: "ومَن طبّه؟"، قال:" لبيد بن الأعصَم اليهُوديّ"، قال:" فأين طبّه؟"، قالَ: "كَريَّة تحتَ صخرةٍ في بئر ذروان"، فانتبه رسُول الله صَلّى الله عليه وسَلّم، وقد حفظ كلامَهُما، فوَجّه عليّاً وعمّاراً مع جَماعةٍ منَ الصَّحابة، فأتوا البئر فنزحُوا مَا بهَا مِنَ الماء، وانتهوا إلى الصّخرة، فقلبوها فوجدوا الكرية[154] تحتَها، وفيها وتر فيه أحدَ عشر عقدة، فأخرجُوها وحَلّوا العقدَ، فزالَ وجَعُ النّبيّ صَلّى الله عليه وسَلّم، فأنزل الله عليه المعوّذتين أحدَ عَشر آية، فحلّ بقراءتها العقد المعقودة في الوتر.

بئر زمزم: لمّا ترك إبراهيم الخليل صَلّى الله عليه وسَلّم إسمَاعيل وهَاجر بموضع الكعبَة وانصَرف، والقصّة مشهُورةٌ، قالت له هَاجر: "يا إبراهيمُ الله أمرَك أن تتركنا في هَذه البرّيّة المحرّة وتنصرف عنّا؟"، قال: "نعم"، قالت: "حَسبُنا الله إذاً فلا نضيع"، فأقامَت عند ولدها حَتّى نفد ماء الركوة، فبقيَ إسماعيل يتلظّى مِنَ العَطش، فتركته، وارتفعَت إلى الصَّفا تلتمسُ غوثاً أو ماءً فلم تر شيئاً، فبَكت ودَعَت هُنَاك واستسقت ثمّ نزلت حَتّى أتت المروة، وتشوّفت ودعَت مثلما دعَت بالصَّفا، ثمّ سَمعَت أصواتَ السّباع، فخافت على وَلدها فسَعَت إليه بسُرعةٍ، فوَجدَته يفحَصُ برجليه الأرض، وقد انفجر من تحت عقبه الماء، فلمّا رأت هَاجَر الماء، حَوّطت عليه بالتراب من خوفها أن لا يسَيل، فلَو لم تفعَل ذلك لكانَ الماء جارياً، قال رسُول الله صَلّى الله عليه وسَلّم: "يرحم الله أمّ إسماعيل، لو تركت زمزمَ، لكانَت عيناً جَاريَة"، وقال صَلّى الله عليه وسَلّم: "ماء زمزم لما شربَ له"، ولكم أبرأ الله به من مرضٍ عجزت عنه حُذاق الأطِبّاء.

قالَ محمّد بن أحمَد الهمذَانيّ: كانَ ذرع زمزمَ من أعلاهُ إلى أسفله أربعين ذراعاً، وفي قعرها عيُونٌ غير واحدَة، عين حذاء الركن الأسود، وعين حذاء أبي قبيس والصَّفا، وعين حذاء المروة، ثمّ قلّ ماؤها في سنَة أربع وعشرين ومائتين، فحفَر فيهَا محمّد بن الضّحّاك تسعَة أذرُع فزاد مَاؤهَا، وأوّل مَن فرش أرضَها بالرخام المنصُور ثاني الخلفاءِ العبّاسيّين.

حَكى المسعُوديّ: أنّ ملوك الفرس يزعمُون أنّ جدَّهمُ الخليل عليه السَّلام، وأنهم كانوا يحجّون البيتَ ويَطوفون به تعظيماً لجدّهم، وآخر مَن حجّ منهُم أزدَ شير بن بابل، طاف بالبيت ورموه بالزمزمة على زمزم، وهيَ قراءتهم عندَ صَلاتهم.

بئر أويس: وَهيَ بالمدينة الشّريفة، وروي أنّ فيهَا عيناً منَ الجنّة؛ وكانَ رسُول الله صَلّى الله عليه وسَلم[155] يستطيبُ مَاءهَا ويبَارك فيهَا، ورُوي أنّه بصَق فيهَا.

---

[153] – أي سحر

[154] – نهاية صفحة ١٤٥ من المخطوط

[155] – نهاية صفحة ١٤٦ من المخطوط

بئر المطرية: هيَ بئر قرية من قرى مصر، وبهَا شجر البلسَان، وسَقيها من البئر، والخاصيّة في البئر لا في الأرض، ذكرَ أنّ عيسى عليه السَّلام اغتسَل فيها، والأرض الّتي ينبتُ فيهَا هَذا الشجر نحو ميل في ميل محُوطة عليها، وليسَ في الدُّنيا موضع ينبتُ فيه البلسَان إلاّ هَذه القرية.

البئر المعظمة: ويسمّى بئر العَظائم؛ وهيَ بالقاهِرة عند الركن المحلق، يقال إنها من آبار موسى عليه السَّلام.

وحُكيَ أنّ طاسَة لفقير وقعَت في بئر زمزم وعليها منقوش اسم ذلك الفقير، فرجَع الفقير مَع الركب المصريّ إلى القاهرة، فجاء إلى البئر المعَظّمة ليتوضّأ منها للتبَرّك، فطلعَت الطّاسَة بعَينها في المستقى، وشهدَ له جمَاعة مِنَ الحجّاج أنهم شاهَدُوا وقوعها في بئر زمزم.

وليَكُن هَذا آخر الكلام على عجَائب الآبار

فصل في عجائِب الجِبال وما بهَا مِنَ الآثار

قالَ الله تعالى: "أفلا ينظرون إلى الإبل كيفَ خلقت* وإلى السَّماء كيفَ رفعَت* وإلى الجبَال كيفَ نصبَت* وإلى الأرض كيف سُطحت"، فلو قال قائل: "ما وجه النسبَةِ بين الإبل والسَّماء والجبَال والأرض، والنسبَة بينهُنّ غير ظاهِرة؟"، فالجَوابُ: أنّ القرآنَ نزل على النّبيّ صَلّى الله عليه وسَلّم، وبينَ ظهرانيهم، ونزل بلغاتهم، ومنَ المعلومِ أنّ أجَلّ أموَال العرب وأعظمها الإبل؛ فبَدأ بذكر الإبل لاستمالة قلوبهم، إذ مُدحَت عَظائم أموَالهم، ثمّ ذكر السَّماءَ إذ الإبل لا بلاغ لها إلاَّ بالنبات، ولا يَكونُ النّباتُ في الغالب إلا بالمطر، والمطرُ لا ينزل إلى الأرض إلاّ مِنَ السَّماء؛ ثمَّ ذكر الجبَال؛ لأن العرَب وأهل الباديةَ ليسَ لهم حُصون ولا قلاعٌ يتحصّنُوَن فيهَا من أعدائهم إذا راموهم، فكانت الجبَالُ حصُوناً لهم وقلاعاً، وبهَا لهمُ الماء والمرعى؛ ثمّ ذكر الأرضَ وتسطيحهَا؛ لأنّ العرَبَ في أكثر الدّهرِ يرحلونَ وينزلونَ في الأراضي السّهلة الوطيّة لإراحَة الإبل الّتي هي سُفن البرّ، ومنها معَاشهم وبلاغهم، وهذه حكمة إلهيّة[١٥٦]، ومن بعض معَاني هَذه الآية الشّريفة هَذا الوجه، وهوَ وجه حسَن.

فأعظم جبَال الدنيا قاف: وهو محيط بهَا كإحاطة بيَاض العين بسَوادها، وما وراء جبل قاف فهو من حكم الآخرة لا من حكم الدنيا، وقالَ بعض المفسِّرين: إنّ الله سبحانه وتعالى خلق من وراء جبَل قاف أرضاً بيضَاءَ كالفضَّة الجلية، طولها مَسيرة أربعَينَ يوماً للشمس، وَبها ملائكة شاخصون إلى العرش، لا يعرف الملك منهم من إلى جانبه، من هيبَة الله جَلّ جَلاله، ولا يعرفون ما آدَم ومَا إبليس، هكذا إلى يوم القيامة، وقيل: إنّ يوم القيامة تبدل أرضنا هَذه بتلك الأرض، والله سُبحانه وتعالى أعلم.

جبَل سَرَنديب: هوَ جبَل بأعلى الصّين في بحر الهند، وهوَ الجبَل الّذي أهبط عليه آدَمُ عليه السَّلام، وعليه أثر قدمه غائصٌ في الصّخر، طوله سبعون شبراً، وعلى هَذا الجبَل ضوء كالبرق، ولا يتمكنُ أحَدٌ أن يَنظرَ إليه، ولا بدّ كلّ يوم فيه منَ المطر، فيغسل قَدَم آدم، وحوله من أنواع اليوَاقيت والأحجار النفيسَة وأصناف العطر والأفاويه ما لا يوصَف، وإنّ آدمَ خَطا من هَذا الجبَل إلى سَاحِل البحر خطوة واحدَة وهيَ مَسيرة يومين.

جبَل أوليان: هوَ بأرض الروم وفي وسَط هَذا الجبَل درب، مَن دخله وَهو يأكل الخبز من أوّل الدّرب إلى آخِره لا تضرّهُ عَضة الكلب، ومن عَضَّه الكلب الكلب وعبَر بينَ رجلي هَذا الرجل برئ وأمن منَ الغائلة.

---

[١٥٦] – نهاية صفحة ١٤٧ من المخطوط

جبَل أبي قبيس: هوَ جبَل مُطلّ على مَكة، زعمُوا أنّه مَن أكلَ عليه رأساً مشويّا أمِنَ مِن وَجَع الرأس.

جبَل اروند: بالقرب من همدَان، وفيه ماء إذا شربه المريض تعَافى، حكي أنهُ دخل على جَعفر الصَّادق رضي الله عنه رَجل مِن همدَان، فقال له جعفرُ: "من أين أَنتَ؟"، قال: "من هَمدان"؛ فقال: "أتعرف جبلَها راوند؟"، فقال له الرجُل: "جعلت فداك اروند؟" قال: "نعم"، قال: "إنّ فيه عيناً من عيُون الجنّةَ".

جبَل سبستان: فيه ماء ينبت فيه قصبٌ كثير، فما كانَ في الماء من القصَب فهو قصَبٌ من حجَر، وما كان خارجاً عن الماء، فهو قصَبٌ على حقيقته[١٥٧]، وَمَا رميَ في الماء منَ القصب الخارجي ورقه صَار حجراً في الحال.

جبل أسبره: وهو بناحية الشاس ممّا وراء النهر، قال الأصطخري: هناكَ جبال فيهَا منَافع كثيرة منَ الذهب والفضَّة والفيروزج والحديد والنحاس والصّفر والآنك والنفط والزئبق، وفيه حجَر أسود يحرق ويبيّض به الثيابُ ولا يقوم شيء مقامه.

جبَل التر: على ثلاث مراحل من قزوين، وهوَ جبَل شامخ لا تخلو قلته منَ الثلج لا صيفاً ولا شتاءً، وعليه مسجدٌ تأويه الأبدال، ويتولّد من ثلجه دود أبيض إذا غرز فيه أدنى شيء يخرج ماء أبيَض صَافي يرى دابة وليسَ هو حيوَان.

وبالأندلس جبَلٌ فيه عينان بينهما مقدار شبر واحدٍ، إحداهما في غاية البرودة والعذوبة، والأخرى في غاية الحرارة والملوحَة، ولهما رائحة عَطرة طيبة.

وبه جبَلُ البَرانس: وفيه معدن الكبريت الأحمَر والكبريت الأصفر والزئبق، ومنه يحمل إلى سَائر البلاد، وفيه معدن الزنجفر وليسَ في جميع الأرض معدن للزنجفر إلاَّ هُناك.

جبَل القدس: قال صَاحبُ تحفة الغَرائب: بأرض القدس جَبَل فيه غار كالبيت تزوره الناس، فإذا أظلم الليلُ أضَاء البيت وليسَ فيه ضوء ولا سرَاج ولا كوة ولا طاقة.

جبل ثبير: وهوَ بمكة بقرب منى، وهوَ جبَل مبَارك يقصده الزوّار، وعليه اهبط الكبشُ الّذي فدي به إسماعيل عليه السَّلام.

جبَل الزّوراء: وهوَ بقرب مَكة، وفيه الغار الّذي كانَ فيه النبي صَلّى الله عليه وسَلّم وأبُو بكر الصَّديق رضي الله تعالى عنه لمّا خرجَا مهَاجرين.

جبَل الجُوديّ: بقرب جزيرة ابن عمرَ منَ الجانب الشّرقيّ الّذي استَوت عليه سَفينَة نوحٍ عليه السَّلام، وَبنى نوحٌ به مسجداً وهوَ إلى الآنَ باقٍ تزورُه النّاس.

جبَل جوشن: غربيّ حَلب، وفيه معدن النحاس، قيل: إنه بطل منذُ عبر عليه سبي الحسَين بن عليٍّ رضي الله عنهما، وكانَت زوَجة الحسَين مثقلة بالحمل فطرحَت هناك، وبهِ مشهَد مبَارك يعرَف بمشهَد الطّرحِ، وطلبت من صنّاع النحاس ماء للشرب؛ فمنعُوهَا وسبُّوها، فدعت عليهم فامتنع الريح من ذلك الحين[١٥٨].

جبَلا حَارث وحويرث: هما بأرض أرمينية، لا يقدرُ أحدٌ على ارتقائِهمَا أصلاً، قالَ ابن الفقيه السّيرافيّ، كان على نهر الرّسّ بأرمينية ألف مدينة عامرة آهلة، فبَعثَ الله عزَّ وجَلّ إليهم نبيّاً دعَاهم إلى الله فكذّبُوهُ وآذوهُ، فدعا عليهم فحوّل الله الحارثَ والحوَيرث مِنَ الطّائف وأرسَلهما على المدن وأهلها، فهم تحتَ هذين الجبَلين حتى السَّاعة.

---

[١٥٧] – نهاية صفحة ١٤٨ من المخطوط

[١٥٨] – نهاية صفحة ١٤٩ من المخطوط

جبَل حراء: هُوَ على ثلاثة أميَالٍ من مكة المشرّفة، كانَ رسُول الله صَلّى الله عليه وسَلّم يأتيه للخلوَةِ، ويعبُد الله فيه قبل نزول الوحي عليه، وأتاهُ جبريل هَناك.

جبَل جودقور: وهوَ بين حَضرموت وعمان، حكى أحمد بن يحيَى اليمنيّ أنّ في ناحية قورشق في جَبل يُقال له جود قور، غوره مقدار خمسَة أرماحٍ وعرضُه قليلٌ؛ فمن أَرادَ أن يتعلّم السّحر فليَأخذ ماعزاً أسوَد ليسَ فيه شعرة بيضاء ويذبحه ويسلخه ويقسمُه سَبعة أجزاء يعطي منها جزءاً واحداً للمقيم بذلكَ الجبَل، وستة أجزاء ينزل بهَا إلى الغار، ثم يأخذ الكرش يشقها وينطلي بما فيهَا، ويلبسُ الجلد مقلوباً ويدخل الغارَ ليلاً، وشرطه أن لا يكون لهُ أبٌ ولا أمّ، فينامُ في الغار تلك الليلة؛ فإن أصبحَ جسمه نقيّاً من حشو الكرش مغسُولاً فقد قبل وحصَل له السّحر، وإن وجده بحاله لم يقبل ولا يحصُل له القصد، فإذا خرج منَ الغار بعد القبُول لا يحَدّث أحداً ثلاثة أيّامٍ يصير سَاحراً مَاهِراً.

جبَل الحيّات: بأرض تركستان، فيه حيّات من نظر إليها مات النّاظر لوقته إلاّ أنها لا تتجاوز هَذا الجبل أبداً.

جَبل نهاوند: بقرب الريّ يناطح النجُوم ارتفاعاً، قال مَسعُود ابن مهَلهل: هذا الجبَل لا يفارق أعلاه الثلج لا ليلاً ولا نهاراً، لا صيفاً ولا شتاءً البتّة، ولا يقدر أحدٌ أن يَعلوه، زعمُوا أنّ سُليمان بن داود عليهما السَّلام حبَس فيه صخر المارد، وزعمُوا أنّ أفريدون الملك حبسَ فيه بيُورآسف الّذي يُقال له الضّحّاك، ومن صَعدَ إلى هذا الجبل لا يصل إلى هَذا الجبَل إلاَّ بمشقةٍ شديدة ومخاطرة بالنفس.

قالَ مسعود بن مهلهل: صَعَدت إلى نصفهِ بمشقةٍ شديدةٍ، ومَا أظن أحداً وصَل إلى ما وصَلت إليه[١٥٩]، فرأيتُ هُناك عيناً كبريتا وحَولها كبريت مستحجر، إذا طلعَت الشمسُ اشتعَل ناراً، وسَمعتُ من أهل تلك الناحيَةِ أنّ النمل إذا أكثرت من جمع الحبّ على هَذا الجبَل استشعَر الناسُ بعدَه بجدبٍ وقحطٍ؛ وأنه متى دامَت عليهمُ الأمطار والأنداء وتضرّرُوا بذلك صبّوا لبنَ الماعز على النار؛ فتنقطع الأمطار والأنداء في الحال والحين، وجربته مراراً فوَجدته صحيحاً كما قيل، وأمّا ذروة هذا الجبل متى انكشفت من الثلج وقعَت في تلك الأرض فتنة عظيمة على ممرّ الأيام لا تنخرم أبداً، بل تكون الفتنة في الجهة المنكشفة دونَ غيرهَا.

قال محمّد بن إبراهيم الضّراب: عرف والدي معدن الكبريت الأحمَر، فاتخذ مغارف طوالاً من حديدٍ، فأدخلها فيه فذابت ولم يحصل على قصدٍ، وقال له أهل تلك الناحيَةِ: "هذا المكان لا يدخل فيه حديد إلاّ ذابَ في وقته"، وذكروا أنّ رجُلاً جَاءَهم من خراسَان ومعَه مغارف طوال من حديدٍ، ولها سوَاعد قد طلاها بأدوية حكميّة، فأخرجَ بهَا منَ الكبريت الأحمر شيئاً كثيراً لبعض ملوك خراسَان.

وذكَر محمّد بن إبراهيم أنّ الأمير موسَى ابن خضر كانَ والياً على الريّ إذ ورَد عليه كتابٌ منَ المأمون بن الرشيد أمير المؤمنين يأمره بالشخوص إلى هَذا الجبَل وتعرف حَال المحبُوس به، قال: "فوافينا حَضيض الجبَل، وأقمنا أيّاماً لا نرى الاهتداء لصُعُودهِ، حتّى أتانا شيخ مُسِنٌّ طاعنٌ وهوَ ذو همّةٍ عاليةٍ، فسَألنا، فعرّفناه أمرَ الخليفة، فقال: أمّا هَذا فلا سبيلَ إليه أصلاً، وإن أردتم صحّة ذلك أرَيتكم عيَانا، فاستحسَن الأمير موسى كلامه، وقال: هوَ القصد، فعند ذلك صَعَد الشيخ بين أيدينا ونحنُ في الأثر فأوقفنَا على موضع فبالغنا في حفرهِ؛ حتى انكشفَ لنا عن بيت منقور منَ الحجَارة، وفيه تمثال شخصٍ على صُورة عجيبَةٍ، يَضرب بمطرقةٍ على أعلاهُ سَاعة بعدَ ساعةٍ من غير فتورٍ، فاستخبَرنا الشيخ عن شأنه، فقال:

---

[١٥٩] – نهاية صفحة ١٥٠ من المخطوط

"هَذا طلسَم موضوع على بيُورآسف الضَّحّاك المحبُوس هَا هُنَا لئلاّ ينحلّ من وثاقِهِ[160]"؛ ثمَّ أمرَنا أن لا نتعرّض إلى الطلّسَم وأن نرُدّه إلى مَا كان عليه ففعَلنا؛ ثمَّ دعَا بسَلاسِلِ وسَلالِمَ طوال، فربَط بعضَها إلى بعض بالحبَال وكلبها من أسَافلها وأوسَاطها وأوثقها بالسَّلاسِلِ فارتفعت مقدار مائة ذراع ونقبَ موضعاً على رأس السَّلالم فظهَر بابٌ من حديد عليه مسَامير كبار جدّاً مذهبَة الرؤوس، فوصَلنا إلى عتبتهِ، فوجدنا على الأسكفة كتابة بالفارسيّة كأنما كتبت الآن بالذهب مدهونة بأدهَان التأبيد تنطق الكتابة عن كلام مَعناه أنّ على هَذه القلة سبعة أبواب من حديدٍ، على كل مصرَاع منها أربعَة أقفال من حديد؛ وعلى العضَادة مكتوب: هذا سجن لهذا الحيوَان المفسد، وله أمَدٌ ينتهي إلى غاية فلا يتعرّض أحدٌ إلى هَذه الأقفال بمكروه، فإنه مَتى فتح أقفالها وَلو قفلاً واحداً هجمَ على هَذه البلاد آفة لا تندفع أبدا، فقال الأمير موسى: "لا أتعرّضُ لشيء حتى أستأذنَ أميرَ المؤمنين"، فجاء الجوابُ برَدّ البيت إلى ما كان وترك ذلك على حَاله.

جبل الربوة: وهيَ على فرسخ من دمشق، ذكر بعض المفسّرين: أنها المراد بقوله تعالى: "وآويناهما إلى ربوةٍ ذاتِ قرارٍ ومعين"، وهوَ جبَل عَالٍ على ثلثه مسجدٌ حسَنٌ بين بسَاتين وأشجارٍ ورياض ورَياحين من جميعِ جوَانبهِ؛ وله شبابيك تطلّ على ذلك كلّه.

ولمّا أرادوا إجراء نهر ثورا وقعَ هذا الجبَل في طريقه معترضاً، فنقبوهُ من تحته وأجروا الماءَ منَ النقب، وعلى رأسهِ نهر يزيد، وهوَ ينزل من أعلاهُ الماء إلى أسفله؛ وفي هَذا الجبَل كهفٌ صَغير، زعمُوا أنّ عيسَى بن مريمَ عليهما السَّلام ولد فيهِ، قالَ القزوينيّ: "رأيتُ في هَذا المسجد في بيتٍ صغير حجراً كبيراً حجمه كحجم الصّندُوق ذا ألوان مختلفة عجيبَةٍ، وقد انشق نصفين كالرمّانة المنشقة وبينَ الشقين من أعلاه فتح ذراع، وأسفله ملتئم لم ينفصل شق عن الآخر، ولأهل دمشق في هذا الجبَل أقاويل كثيرة أضربنا عنها.

جبَل رضوى: قالَ عرامة بن الأصبع: هو من المدينة[161] على نحو سَبع مَراحِلَ، وهوَ جبَل منيف ذو شعابٍ وأودية، وهو أخضر يرى منَ البعد، وَبه أشجار وثمار وميَاه كثيرة؛ تزعمُ الكيسَانيّة أن محمّد ابن الحنفية رضي الله عنه حَيّ، وأنه مقيم به بين أسَدٍ ونمرٍ يحفظانه، وعنده عينان نضّاختان تجريان مَاءً وعسَلاً، وأنّه سيعود بعدَ الغيبَة؛ فيَملأ الأرضَ عدلاً كما ملئت جَوراً؛ وكان السّيد الحميَريُّ على هَذا المذهب وهوَ القائل: أَلا قل للرّضيّ فدتك نفسي أَطلتَ بذلك الجبَل المقاما

ومن رضوى يقطع حجر المسَنّ ويحمل إلى جميع البلاد.

جبَل الرقيم: وهوَ المذكور في القرآن، قيل هوَ اسمُ القرية الّتي كانَ فيها أصحابُ الكهف؛ وقيل: اسمُ الجبَل، وهوَ بالرّوم بين أرقية ونبقية.

حكى عبَادة ابُن الصَّامت رضي الله عنه قال: أرسَلني أبو بكر الصّدّيق رضي الله عنه إلى ملك الروم رسُولاً لأدعوَه إلى الإسلام؛ فسرتُ حتى دخلت بلادَ الروم، فلاحَ لنا جبل يعرف بأهل الكهف، فوصَلنا إلى دير فيه، وسَألنا أهل الدّير عنهم، فأوقفونا على سرب في الجبَل، فوَهبنا لهم شيئاً وقلنا: "نريد أن ننظر إليهم"، فدخلوا ودَخلنا معهم، وكان عليه بابٌ من حديدٍ، فانتهينا إلى بيت عظيم محفور في الجبَل، فيه ثلاثة عشر رجُلاً مُضطجعينَ على ظهورهم كأنهم رقود، وعلى كلّ واحد منهم جبة غبرّاء وكساء أغبرُ قد غطّوا بهما من رؤوسِهم إلى أقدامهم، فلم ندر ما ثيابهم أمن صُوف أم من وبرٍ، إلاّ أنها كانَت أصلبَ منَ الديبَاج،

---

[160] – نهاية صفحة ١٥١ من المخطوط

[161] – نهاية صفحة ١٥٢ من المخطوط

فلمسنَاهَا فإذا هيَ تتقعقع منَ الصَّفاقة، وعلى أرجلهم الخفاف إلى أنصاف سُوقهم متنعلين بنعل مخصُوفةٍ، وخفافهم ونعالهم في جَودة الخرز ولين الجلود ما لم يرَ مثله.

قال: فكشفنا عن وجوههم رجُلاً رجلاً؛ فإذا هُم في وضَاءة الوجوه وصَفاء الألوان وحسن التخطيط، وَهم كالأحياء، وبعضهم في نضَارة الشباب، وبعضهم شائب، وبعضهم قد خطّه الشيبُ، وَبعضُهم شعُورهم مضفورة، وبعضهم شعورهم[١٦٢] مَضمُومة، وهم على زيّ المسلمين، فانتهينا إلى آخرهم فإذا فيهم وَاحدٌ مَضروبٌ على وجهِه بسَيفٍ كأنما ضربَ في يومه، فسَألنا عن حالهم، ومَا يعلمونَ من أمرهم، فذكروا أنهم يدخلون عليهم في كلّ عَامٍ يوماً، وتجتمعُ أهل تلك النّاحيَة على الباب فيدخل عليهم مَن ينفضُ الترابَ عن وجُوههم وأكسيتهم ويقلّم أظفارهم ويقصّ شوَاربهَم ويتركهم على هيئتهم هَذه.

قلنا لهم: هَل تعرفونَ من هم؟ وكم مُدة ما لهم هَاهُنَا؟ فذكروا أنهم يجدُون في كتبهم وتواريخهم أنهم كانوا أنبياء بُعثُوا إلى هَذه البلاد في زمان واحدٍ قبل المسيح بأربعمائة سنَة.

وعن ابن عبّاسٍ رضي الله عنهما أنّ أصحابَ الكهف سبعَة وهم مكسلمينا، كمليخا، مرطونس، يمبنونس، نارينونس، ذوانوانس، كسيططيونس، وكلبهُم قطمير.

جبَل نانك: قال صَاحبُ تحفة الغرائب: بأرض نانك، وهم طائفة منَ الترك ببلاد تركستان ليسَ لهم زرع ولا ضرع، وَفي جبَالهم ذهبٌ كثير وفضّة كثيرة، وربما يقع لهم كلّ قطعة كرأس الشاة منَ الذهب والفضَّة، فمن أخذ القطع الكبار مات في الحال واليوم، ومن أخذ منَ القطع الصغار انتفع بهَا من غير ضرر يمسُّه، ومَن ذهبَ بقطعةٍ كبيرة إلى بيته ماتَ هوَ وأهل بيته إلاّ أن يرجعَ بهَا من أثناء الطّريق، وإذا أخذ الغريبُ منَ القطع الكبار فلا بأس عليه ولا سُوء.

جبَل سَاوة: وهوَ على مرحَلة منها وهوَ شامخ جدّاً، وفيه غار شبه إيوان يسَع سبعَة آلاف نفسٍ، وفي آخر الغار قد برَز في صدر حَائطه أربعة أحجار متفرّقةٍ شبه ثدي المرأة يتقاطر الماء من ثَلاثةٍ منها، والرابع يابسٌ لا يقطر منه شيء، يزعم أهل تلك الأرض أن كافرا مَصّه فيبسَ، وتحتَه حوضٌ يجتمعُ الماءُ فيهِ، وهو مَاء طيّبٌ لا يتغيَّرُ بطُول مكثِه، وعلى باب الغار نقب ذو بَابين يدخل النّاسُ من أحَدهما ويخرجُون مِنَ الآخر، يزعمُونَ أنّه من لم يَكن ولرشده لا يقدر على الخروج منه، قالَ القزوينيّ: "رأيتُ رجُلاً دَخله ومَا خرج حتى عاين الهَلاك"[١٦٣].

جبَل سيلان: بقرب مدينة أردبيل من أدربيجان، وهوَ من أعلى جبَال الدّنيا، قال رسُول الله صَلَّى الله عليه وَسلّم: "مَن قرأ "فسُبحانَ الله حين تمسُون وحين تصبحُونَ" إلى "وكذلك تخرجون" كتبَ الله له منَ الحسَنَات بعَدد كلّ ورَقة ثلج تقعُ على جبَل سيلان"، قيل: "ومَا سيلان يا رسُول الله؟"، قال: "جبل بأرمينية وأدربيجان، عليه عين من عيُون الجنّةِ وفيه قبرٌ مِن قبور الأنبياء".

قال أبو حَامِد الأندلسيّ: على رأس هَذا الجبل عين عظيمة معَ غاية ارتفاعه، ماؤهَا أبرد منَ الثلج، وكأنما شيبَ بالعسَل لشدة عذوبتهِ، وبجوف الجبَل ماء يخرج من عين، يَصلق البيض لحرارته، يقصدُهَا الناسُ لمصَالحهم، وبحَضيض هَذا الجبَل شجَر كثير وَمراعي وشيء من حشيشٍ لا يتنَاوَله إنسَانٌ ولا حيَوان إلاّ ماتَ لسَاعتِه.

---

[١٦٢] – نهاية صفحة ١٥٣ من المخطوط

[١٦٣] – نهاية صفحة ١٥٤ من المخطوط

قال القزويني: ولقد رأيتُ الجبَل والدّوابّ ترعى في هَذا المكان؛ فإذا قربَت مِن هَذا الحشيش نفرت وولّت منهزمة كالمطرودة، قال: وَفي سَفح هَذا الجبَل بلدة اجتمعتْ بقاضيهَا، واسمه أبو الفرج عبد الرحمن الأردَبيليّ، وسَألته عن حَال تلك الحشيشة، فقال: "الجنّ تحميهَا"، وذكر أيضاً أنه بنى في قرية مسجداً، فاحتاج إلى قوَاعدَ كبار حجريّة لأجل العَواميد، فأصبحَ فوَجَد علَى باب المسجد قواعد منحوتة منَ الصّخر محكمة الصنعَة كأحسَن مَا يَكون.

جبَل السماق: وهوَ بأعمال حلب، يشتمل على مدن وقرىً وقلاع وحُصُون، وأكثرهَا للاسماعيليّة والدّرزية، وهوَ منبَتُ السّماق، وهوَ مكانٌ طيبٌ كثير الخيرات.

جبل السّم: قال الجهَاني: إنّ أهل الصّين نصَبُوا قنطرة من رأسِ جبَل إلى جبَل آخر في طريقٍ آخذةٍ إلى تبت، من جَاز على تلك القنطرة يؤخذ بأنفاسِه ويلتهبُ قلبه ويثقُل لسَانه، ويموتُ في الغالب منَ المارّين جماعة مستكثرة، وأهل التبت يسمّونه جبَل السّمّ.

جبَل الشبّ: بأرض اليمن، على قله جبل ماء يجري من جانب إلى جَانب وينعقد شبّا، والشبّ اليَمانيّ من ذلك.

جبل الصّوَر: قال صَاحبُ تحفة الغرائب: بأرض كرمان جبلٌ[١٦٤]، مَن أخذ منه حجراً وكسرَهُ يرى في وسَطه صُورة إنسَانٍ قائماً أو قاعداً أو مضطجعاً؛ وإن سَحقتَ الحجَر ناعماً وحَللتَه في الماء وتركته حَتّى يرسبَ ترى في الراسب منه ما رأيته في الحجَر منَ الصُّورة وهيئتها، وَهذا من أعجب العجَب.

جبَل الصّفا: هوَ ببَطحاء مَكة، والواقف على الصَّفا يرَى الحجَر الأسوَد قبالتهُ، والمروة تقابله، يُقال: أنّ الصَّفَا اسم رجُل والمروة اسم امرأة، زنيَا في الكعبَة فمسَخَهُما الله تعالى حجرين، فوضع كل واحد على الجبل المسمّى باسمه لاعتبار الناس.

وجَاء في الحديث: "أنّ الدابة التي من أشراط السّاعة، تخرج منَ الصَّفا"، وكانَ ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما يضربُ بعصَاه حجر الصّفا ويقول: "إنّ الدّابة لتسمعَ قرعَ عصَايَ هَذه".

جبَل صقلية: هوَ في وسَط بحر الروم، وهوَ بحرُ المغرب، أعلاهُ مَسيرة ثلاثة أيّامٍ، فيه أشجار كثيرة منَ البندق والصنوبر والأرز، وفي أعلاهُ منَافسُ كثيرة يخرج منها الدّخانَ والنّار؛ وربما سَالت النار، فأحرقت جميعَ ما مرت عليه وتجعَله مثل خبَث الحديد، وعلى قلة هَذا الجبَل السّحاب والثلوج صيفاً وشتَاءً لا يفارقه؛ وزعم أهل الروم أنّ الحُكماءَ كانوا يدخلونَ إلى هذه الجزيرة، ليرَوا عجَائبهَا، وكيف اجتماع الضّدّين الثلج والنار؛ وفيهَا معدِن الذهب وتسمّيه أهل الروم جزيرة الذّهب.

جبَل الطّاهِرة: هوَ بأرض مصر، قال صَاحبُ تحفة الغرائب: بهَذا الجبل كنيسَة فيها حوض يجري منَ الجبَل ماء عذبٌ، يجتمعُ في ذلك الحوض، فإذا امتلأ من جميع جوانبه ترده الناسُ؛ فإذا وَرَد الحوضَ جنبٌ أو امرأة حائِض وقف الماء وانقطعَ جريانه ولا يجري، حَتّى ينزح جميع ما فيه من الماء، ويغسَل الحوض غسلاً بالغاً فيجري بعد ذلك.

جبَل طبرستان: قالَ صَاحب تحفة الغرائب: بهذا الجبَل ضربٌ منَ الحشيش يسَمَّى جومَاثل، من قطعَه وهوَ ضاحِك غلبَ عليه الضّحك في عمرهِ، ومن قطعَه باكياً غلبَ عليه البكاء، ومن قطعهُ رَاقصاً غلب عليه الرقص[١٦٥]؛ وكذلك على أيّ صفةٍ كانَ وقطعَه استمرَّ على تلك الصّفة.

---

[١٦٤] – نهاية صفحة ١٥٥ من المخطوط

[١٦٥] – نهاية صفحة ١٥٦ من المخطوط

جبَل طور سيناء: هوَ بين الشام ومدين، قيل: إنه بالقرب من أيلة، وهوَ المكلم عليه موسى عليه السَّلام، كان إذا جاء موسَى عليه السَّلام للمناجَاةِ ينزل غمام فيدخل في الغمام، ويكلّم ذا الجلال والإكرام؛ وهو الجبَل الّذي دُك عند التجلّي، وهناك خرّ موسَى صَعقا؛ وهَذا الجبَل إذا كسرَت حجارَته يخرج من وسَطهَا صُورَة شجرة العوسج على الدّوام، وتعظّم اليهُود شجرة العوسَج لهذا المعنى، ويقال لشجرة العَوسج شجرة اليهُود.

جبَل طور هارون: هوَ جبَل مُشرف على بيت المقدس، وإنما سمّي جبَل طور هارون؛ لأنّ موسَى عليه السَّلام بعد أن عبدَت بنو إسرائيل العجل أراد المضيَّ إلى مناجاة الربّ العَلي، فقال له هَارون: "احملنِي مَعك فإنيَ لستُ بآمنٍ أن تحدث بنو إسرائيل أمراً بعدَك"، فغضبَ موسَى وحمَله، فلمّا كانا ببعض الطّريق؛ إذا همَا برجلين يحفِران قبراً فوقفا عليهما، وقالا: "لمن القبر؟"، قالا: "لرجل في طول هَذا وهيئته"، وأشارا إلى هَارون، ثمّ قالا له: "بحَق إلهك إلاّ ما نزلت لنعرف القياسَ"، فنزع هَارون أثوابه ونزل القبر، واضطجعَ فيهِ، فقبَضه الله في الحال، وانطبق القبر على هَارون، فانصَرف مُوسَى بثيابه حَزيناً باكياً، فلمّا صَار إلى بَني إسرائيل اتهمُوهُ بقتل أخيه، فدعا موسَى ربّه، حَتّى أرَاهم هَارون في تابوت في الجوّ على رأس ذلك الجبَل.

جبَل فرغانة: قال صَاحب تحفة الغرائب: ينبت بهَذا الجبَل ضربٌ منَ النبات على صُورَة الآدميّين، منها ما هوَ على صُورة الرجل، ومنها ما هُوَ على صُورة المرأة، وتوجَد هَذه الصّور مع بعض الطّرقيّين[١٦٦] يتكلّمُون عليها، ويقولون: "إنها تزيد في المحبَّة والقبُول، وأكلهَا يزيد في البَاهِ"، ولا تقلعُ حتى يربَط فيهَا حبل طويل ويربَط طرفه في رقبة كلبٍ، ثم ينفر الكلبُ فيقطعُ الصّورة من أصلها، وتقع صيحة على الكلب فيمُوت في الحال.

جبل فاسيون: هوَ جبَل مشرف على دمشق، فيه آثار الأنبياء، وهوَ معَظّم منَ الجبَال، وفيه مغاراتٌ وكهوف ومعَابد للصالحين[١٦٧]، وفيه مَغار يعرف بمغارة الدَّمِ، يُقال إنّ قابيلَ قتل هَابيل هنَاك، وهناك حجرٌ يزعمُون أنّه الحجَر الّذي فلق به هَامتَه، وفيه مغارة أخرى يسمّونها مغارة الجوع، يَقولون إنّ أربعين نبيّاً ماتوا بهَا منَ الجوع.

جبَل الهند: قال صَاحبُ تحفة الغرائب: بأرض الهند جبَل عليه صُورة أسَدَين والماء يجري من أفواههمَا، فيَروي قريتين، فوقع بينَ أهل القريتين خصُومَة على الماء، فقال أهل إحدى القريتين: "توسّع فمَ الأسَد الّذي يصبّ إلى أرضنا حَتّى يكثر الماء على أراضينَا"؛ فكسرُوا فمَ الأسَد؛ فانقطع الماء أصلاً من ذلك الأسَد، وخربت تلك القرية وانتزحَ أهلها، والأسَد الآخر على حَاله، والقرية الأخرى عامرة.

جبل تلاسيم: قرية من قرى قزوين، قالَ القزوينيّ: حدّثني من صَعَدَ هَذا الجبَل قال: "عليه صُوَر كل حيَوَان منَ الحيوَانات على اختلاف أجناسها، وصُور الآدميّين على أنواع أشكالها عدد لا يحصى، وقد مسخُوا حجارة، وفيهَا الراعي متكئ على عصَاهُ والماشيَة حوله كلها حجارة، والمرأة تحلبُ بقرة وقد تحجّرتا وَالرجل يجَامع امرأته وقد تحجّرا، والمرأة ترضع ولدها وهلّم جرّا، هَكذا.

وهَذا آخر الكَلامِ على الجبال وعجائبهَا

فصلٌ في ذِكرِ الأحجَار وخواصِّها ومعرفة منافعهَا

---

[١٦٦] – بمعنى الطارقين

[١٦٧] – نهاية صفحة ١٥٧ من المخطوط

الحجَر الأبيَض: إذا حككته على حجر صَلب وَخرج محَكّه أبيض فلا يعبأ به، وإذا كانَ محكّه أصفر، فمن حمَله وتكلّم بما شاءَ وأخبَر بما شَاء وقع الأمر كما تكلّم وأخبَر، وإن خرج محكه أحمرَ؛ فحمله فكلّ شيء يقوم فيهِ يصعَدُ معَه، وإن خرج المحك أغبرَ، فكل من استعَان بحامله أعين به، وإن خرج أخضر وعلق في بستان أو زرع أو كرم أو نخل أمن منَ الآفات، وإن خرج مسَودّاً ينفعُ مِنَ السّمُوم القاتلة حكّاً وشرباً.

الحَجَرُ الأحمر: إذا حُك وخرج محَكه مبيَضّاً نجحت أمور حَاملهِ، وإن خرج مسوَدّاً، فأيّ شيء حدّث حَامله به نفسَه قدرَ عليه، وإن خرج محكّه مغبَرّاً أو مُصفرّاً، فمن حمَله أحبَّه الناس، وإن خرَجَ[168] المحك مخضرّا، فكلّ من حَمله لم يؤثر فيه السّلاح.

الحجَر البنفسَجيّ: إذا حُك فخرج محَكه مبيَضّا، فكلّ من حَملهُ زال عنه الهمّ والغمّ والحزن، وإن خرجَ مُسودّاً فكلّ من حمَله لم تنجح مقاصده، وإن خرجَ مصفرّا فكلّ من حمَلهُ أتاه كلّ شيء وصَعد معَه، وإن رمىَ في بئرٍ أو عينٍ؛ قلّ ماؤهَا، فإن خرج محمراً يرى حَامِله كلّ خير، وإن خرج مخضراً يزكو زرع حامِله وتنمُو غنمه، وإن خرجَ مغبراً فكلّ مَن اكتحل به علىَ اسم أحدٍ أحبَّهُ، رجلاً كانَ أو امرأة.

الحجَرُ الأخضر: إذا حُك وخرجَ محكه مبيَضّا، فمن حمَله دَرّت عليه الخيراتُ والبركات، وإن خرجَ مسوَدّاً فكذلك، وإن خرجَ مُصفرّاً، فكلّ دوَاء يصفه لمعلولٍ أو مريضٍ ينفعُه ويشفى، وإن خرج محمراً فحامله لا يزال ترد عليه الصّلات والعَطايا منَ الأكابر، وإن خرج مغبراً، فحامله متى وضعَ يده على رأس مريض، وذكر شيئاً من أسماء الله تعالى، شفاه الله وقام من مَرضه بإذن الله تعالى.

الحجَرُ الأسود: إذا حكّ وخرجَ محَكّه مبيَضاً نفع من جميع السمُوم القاتلة حَكّا وشرباً، وإن خرج المحكّ مسوَداً، فكل من حمله زاد عقله وحسُن رَأيه وقضيت حوائجهُ عندَ الملوك والسّلاطين، وإن خرج مخضراً، لم يؤثر في حَامِله سُمٌّ أصلاً.

الحجَرُ الأغبر: إذا حُكّ وخرج محَكّه مبيَضّاً فسُحقَ كالكحل، واكتحل به انسَان على اسم رَجل أو امرأة، وقعَت محبَّة المكتحل في قلب مَن سمّاهُ وأحبّه حُبّاً زائداً، وإن خرج مخضَرّاً أو مسوَدّاً، واكتَحلَ به أكرمه كلّ مَن رآه، وإن اكتحلت به النساء أحبّهنّ أزواجهُنَّ، وإن خرَج مصفرّاً أو محمراً وحمله انسَانٌ أفلحَ حَيثُ توَجّه.

الحجَرُ الأصفر: إذا خرجَ محَكه مبيَضّا، حصَل لحامله من الخلق كل ما يروم، وإن خرجَ مخضراً فإنّ حَامِله لا يغلبُ في الكلامِ والخصُومة، وإن خرج مسوَدّاً، فمن حمله وذكرَ اسم شخص يَرَاهُ، لا يزَال يتبعُه حيثُ شاءَ حَتّى لا يكاد ينقطعُ عنه.

حجَرُ السّامور[169]: هوَ الّذي يُقطع به جميعُ الأحجَار بالسهُولة، قيل إنّ سُليمانَ ابنَ داوُدَ عليهما السّلام لما شرع في بناء بيت المقدس استعمل الجنَّ في قطعِ الصّخُور، فشكا الناسُ إليه من صُداع سمَاع قطع الصّخور وشدة جلبتهم، فقال سُليمان للجنّ: "أتعرفون شيئاً يقطع الصّخر من غير صَوتٍ ولا جلبة"، فقال بعضهُم: "نعم يا نبيَّ الله، أنا أعرفه، وهو حجر يسمَّى السَّامور، ولكن لا أعرف مكانه"، فقال: "احتالوا في تعرّفهِ"، فاستدعى آصف بن برخياء وزيره بإحضَار عش عقاب وبيضه على حَاله من غير أن يخربوا منه شيئاً، فجيء به فجعَله في جَامٍ كبير غليظ من زجاج، وأمرَ بردّه إلى مكانه من غير تغيير، فأعيدَ، فجاء العقابُ ورأى ذلك فضَربَ الجامَ برجله ليرفعَه فلم يقدر، فاجتهدَ فما أفادَ، فغابَ وجَاءَ في اليوم الثاني بحَجر في رجله وَألقاه عليه فقسم الجام الزجاج نصفين.

---

[168] – نهاية صفحة ١٥٨ من المخطوط

[169] – نهاية صفحة ١٥٩ من المخطوط

فأمر سُليمان بإحضَاره فحضَر، فقال له: "من أينَ لك هَذا الحجَر الّذي ألقيته في عشّك؟"، فقال: "يا نبيّ الله من جبَل بالمغرب يُقال له السَّامُور"، فبعَثَ بالجنّ مَع العقاب إلى ذلك الجبَل فأحضَروا له من حجَر السَّامُور كالجبَال، فكانوا يقطعُون به الحجارَة من غير صَوتٍ ولا صُداع، وأسكت الناس.

حجَرُ حامي: هوَ حجرٌ شديد الحمرَة منقط بنقط سُود صغار، يوجَد ببلاد الهند، مَن أزال عنه تلك النقط وسَحقه وألقاه على الفضَّة صَارَت ذهباً خالصاً.

حجَرُ الخطاف: يوجَدُ في عشّ الخطّاف حجرَان، أحدُهما أحمرُ والآخر أبيَض، فالأبيَضُ يبرئ حَامِلَهُ منَ الصَّرع، والأحمرُ يقوّي القلب ويذهبُ الجزعَ والخوف والفزَع عن حَامِله.

حجَرُ الرحَى: يؤخذ من حجَر الرحى السّفلانيّ قطعة وتعلّق على المرأة الّتي تسقط الأولاد فلا تسقط بعدَ ذلك.

حجَرُ الصّنونو: هوَ حجرٌ يوجَد في عِشِّ الصّنونو تنفع حكاكته منَ اليرَقان، والحيلة في تحصيله أن يعمد الإنسانُ إلى فراخ الصّنونو فيلطخها بالزعفران المذاب بالماء[170] وَيدَعها؛ فإذا رأتهمُ الأمّ تظنّ أنّ بهم يرَقانا فتغيبُ وتأتي بهَذا الحجر وتضعه عندهم فيأخذه الطّالبُ له.

حجَرُ القيء: وهوَ حجرٌ بأرض مصرُ، إذا أمسَكه الإنسَان،

غلبَ عليه الغثيان حَتّى يلقيَ ما ببَاطنِه، فإن لم يرمه هَلك منَ القيء.

حجَر المطر: هوَ حجر يوجَد ببلاد الترك، إذا وضعَ في الماء غيّمت الدّنيا ووَقع المَطر والثلجُ والبَرد إلى أن يرفعَ منَ الماء، قالَ القزوينيُّ: "رأيتُ من شاهَد هذا وأخبرَني به".

حجَر الحيّة: وهوَ حجرٌ يوجَد في رأسهَا في حُكم بندقةٍ صَغيرةٍ؛ وحجرُها ينفع الملذوغ تعليقاً ويقطعُ نزف الدّم وعسرَ البول ويقوّي الفكر، وإن علق في رقبة المصرُوع زال عنه الصّرع.

حجرُ السّبج: وهوَ حجرٌ أسود شديد الرّخاوة يجلبُ منَ الهند شديد البَريق ينكسِر سَريعاً، إذا ضَعف بصَر الإنسَان يديم النظر إليه ينفعه؛ وإن حمله منَع عنه العين السوء، ويجلو البصَر اكتحالاً؛ وإذا جعل على الرأس أزال الصُّداع.

حجُر السّنباذج: يجلو الأسنَانَ ويدمل القروحَ.

حجرُ آلماس: هوَ حجرٌ في لون النوشادر الصَّافي لا يلصق بشيء منَ الأحجار، وإذا وضع على السّندان وضربَ عليه بالمطرقة غاصَ فيهما أو في أحدهما ولم يتكسَّر، وإذا ضربَ بالأسرب تكسّر، وَلو تكسّر ألف قطعة لا تكونُ مقطّعاته إلاّ مثلّثة، يضَعُوا منها قطعَة في طرف المثقب ويثقبُون به الأحجَار الصَّلبة وَالجواهِر، وإن ألقىَ في دَم تيسٍ وَقربَ منَ النار ذابَ لوقته، وهوَ سمّ قاتِل.

حجَر الجزع: هُو حَجرٌ صَلبٌ له ألوانٌ كثيرة، فمن حمَله أورثه الهَمّ والغمّ والحزن وأراهُ أحلاماً رديئة، ويعسر قضَاء الحوائج، وإن علق على صَبيّ كثر بكاؤه وفزعُه وسَال لعَابه وعظم نكده، ومن سُقي منه مسحُوقاً قلّ نومُه وثقل لسَانه، وإن وضع بين جَماعةٍ حصَلت بينهم فتنة وخصُومَة وعَداوة، وليسَ فيه منفعة إلاّ أنه يسهّل الولادة على الحامِل.

حجَرُ البحر: هوَ حجرٌ أسوَد خفيف خشن، من استصحبَه[171] في رُكُوب البحر أمِنَ منَ الغرَق، وإن وضع في قدر لم تغل أبداً.

---

[170] – نهاية صفحة ١٦٠ من المخطوط

[171] – نهاية صفحة ١٦١ من المخطوط

حجرُ الدّجاجَة: وهو يوجَد في قوانصِ الدّجاج، إذا وضع على مصروعٍ أبرأه، وإن حمله انسَان فإنه يزيدُ في قوة باهه، ويَدفع عن حَامِله عين السّوء، ويوضع تحتَ رأسِ الصّبيّ فلا يفزع في نومه.

حجَر البهت: وهوَ أبيَض شفاف يتلألأ حسناً، وهوَ مغناطيسُ الإنسَان، إذا رآهُ الإنسَان غلبَ عليه الضحك والسّرور، وتقضى حَوَائجُ حَامله عند كلّ أحدٍ.

حجرُ المغناطيس: أجودهُ ما كانَ أسوَد مشرب بحمرةٍ، ويوجَد بسَاحِل بحر الهند والترك، وأيّ مركب دخل هذين البحرين فمهما كانَ فيه منَ الحديد طار منه مثل الطّير حتى يلصَق بالجبَل، ولهذا لا يستعمل في مراكب هذَين البحرين شيء منَ الحديد أصلاً، وإذا أصَابَ هذا الحجَر رائحة الثوم بَطَل فعله، فإذا غسل بالخلّ عادَ إلى فعله، فإذا علق هذا الحجرُ على أحَدٍ به وجَع نفعَه، خصُوصاً مَن به وجع المفاصِل ووجع النقرس ويزيد في الذُّهن، ويعلّق على الحامل فتضع في الحال، وقد قيل فيه:

قلبي العَليل وأنتَ جالينوسُه فعَسى بوصلٍ أن يزول رسيسه

يشتاقك القلبُ العليل كأنّه إبر الحديد وأنت مغناطيسه

وقَد قيل في المعنَى دُوبيت:

من آدم في الكون ومن إبليس؟ من عرش سُليمان ومن بلقيس؟

الكلّ إشارة وأنتَ المعنى يا من هوَ للقلوب مغناطيس

وأمّا الأحجارُ الصَّلبة ذواتُ الجوَاهِر

الياقوت: هوَ حجرٌ صَلبٌ شديد اليبس رزين صَافٍ، منه أحمر وأبيَض وأصفر وأخضر، وهوَ حجرٌ لا تعمل فيه النار لقلة دهنيته، ولا يثقبُ لغلظ رطوبته، ولا تعمل فيه المبَارد لصُلوبته، بل يزدادُ حسناً على ممر الليَالي والأيام، وهوَ عزيز قَليل الوجود سيّما الأحمَر وبعدَه الأصفر. على أنّ الأصفر أصبر على النار من سَائر أصنافِهِ[172]، وَأمّا الأخضر منه فلا صَبر له أصلاً، ومن تختم بهَذه الأصناف أمِنَ مِنَ الطّاعُون وإن عمّ النّاسَ، ومن حمَل شيئاً منها أو تختم به كان معَظّماً عند الناس، وجيهاً عند الملوك.

الدرّ واللؤلؤ: يتكوّنُ في بحر الهند وَفارس. وزعمَ البحريّون أنّ الصَّدف الدّرّيّ لا يكونُ إلاّ في بحرٍ تصُبُّ فيه الأنهَار العَذبة، فإذا أتى الربيعُ كثر هبُوب الريح في البحر ورُفعت الأموَاج ويَضطرب البحر، فإذا كان الثامنُ عشرَ من نيسَان خرجَت الأصداف من قعُور هَذه البحار ولها أصوات وقعقعَة، وبوسَط كلّ صَدَفة دويبَة صغيرة، وصَفقاتي[173] الصّدفة لها كالجناحين وكالسّور تتحصَّنُ به من عدوّ مسلّط عَليها وهوَ سَرطانُ البحر، فربّما تفتح أجنحتها لشمّ الهوَاء فيدخل السَّرطان مقصّهُ بينهما وَيأكلها، وربّما يتحيّل السّرطان في أكلها بحيلةٍ دقيقةٍ، وهوَ أنّه يحمل في مقصّه حجراً مدوّراً كبندقة الطّين، ويراقبُ دابة الصَّدفِ حتى تشق عن جَناحيها، فيلقي السّرَطان الحجَر بين صفحتي الصَّدَفةِ فلا ينطبق فيأكلها.

ففي اليوم الثامن عشر من نيسان لا تبقى صَدفة في قعُور البحُور المعروفة بالدّر واللؤلؤ إلاّ صَارَت على وجه الماءِ وتفتحت، حتى يَصيرَ وجه البحر أبيَض كاللؤلؤ، وتأتي سحَابة بمَطر عظيم ثم تنقشع السّحَابة، وقد وقع في جَوف كلّ صَدَفةٍ مَا قدّر الله منَ القطر، إمّا قطرة واحدة وإمّا اثنتان وإمّا ثلاثة، وهلم جرّا إلى المائة والمائتين وفوق ذلك، ثمّ تنطبق الأصداف وتلحمُ وتموت الدابة التي كانَت في جوف الصَّدَفةِ في

---

[172] – نهاية صفحة ١٦٢ من المخطوط

[173] – بمعنى جانبيها كما في القاموس

الحال وترسُبُ الأصداف إلى قرار البحر وتلصق به وينبتُ لها عروق كالشجرةِ في قرار البحر، حتّى لا يحرّكها الماء فيفسدُ مَا في بَطنها، وتلحم صَفقاتا الصَّدَفَةِ الحاماً بالغاً حَتّى لا يدخل إلى الدّرِّ ماء البحر فيصَفِّره.

وأفضَل الدّرّ المتكوّن في هَذه الأصداف القطرةِ الوَاحدة ثمّ الاثنتان ثم الثلاثة، وكلّما كثر العدَد كانَ أصغر جسماً وأحَضّ قيمة، وكُلّما قلّ العدَدُ[174] كانَ أكبر جسماً وأعظم قيمة، والمتكوّن من قطرة واحدة هي الدّرّة اليتيمة الّتي لا قيمة لها والأخوان بعدَها، فالصَّدَفة تنقلبُ إلى ثلاثة أطوار، في الأوّل طور الحيَوانيّة فإذا وقع القطر فيهَا وماتت الدوَيبَة صَارَت في طور الحجريّة، ولذلك غاصَت إلى القرار، وهَذا طبع الحجَر وهو الطّور الثّاني، وفي الطّور الثّالث وَهوَ الطّور النباتيّ تشرّش في قرار البحر وتمدّ عُروقا كالشّجرة، ذلك تقدير العزيز العليم، ولمدّة حمله وانعقاده وقتٌ معلومٌ وموسمٌ يجتمعُ فيه الغوَّاصُون لاستخراج ذلك، هَذا في البحر.

وأمّا في البرّ ففي الثامن عشر من نيسَان في كلّ عام تخرج فراخ الحيّات الّتي ولدنَ في تلك السّنَة، وتصير من بطن الأرض إلى وجههَا، وتفتح أفواههَا كالأصداف في البحر نحوَ السَّماءِ، كما فتحت الأصدَاف كفُوفهَا فما نزل من قطر السّماء في فمهَا أطبقت فمهَا عليه، ودخلت في جوف الأرض، فإذا تمَّ حمل الصّدَف في البحر لؤلؤاً ودرّاً، صَار ما دخل في فم فراخ الحيات داءً وسمّاً، فالماء واحدٌ والأوعيَة مختلفة، والقدرة صَالحة لكلّ شيء، وقَد قيل في هَذا المعنى:

أرَى الإحسَان عند الحرّ ديناً وعند النذل منقصَة وذمّا

كقطر الماء: في الأصداف درٌّ وفي جَوف الأفاعي صَار سمّا

البلخش: هوَ حجرٌ صَلبٌ شفاف كالياقوت في جميع أحواله ومنافعه.

الدّهنج: هوَ أخضر كالزّبرجَد، ليّن المجسّ، يتكوّن في معدن النحاس، وهوَ أنواع كثيرة؛ ومن عجيب أمرهِ أنّه يَصفو بصَفاء الجوّ ويَتكدَّرُ بكدورته، ومن عجيب أمرهِ أيضاً أنّه إذا سُقي الإنسَانُ من محكه فعَل فعل السمّ، وإذا سُقي منه شارب السّمّ نفعَه، وإذا مسحَ به موضعَ اللذغة بَرأ، ويطلَى بحكاكته البرَصُ فيزيله؛ وينفع من خفقان القلب، ويهيّج على حَامِله شهوَة الجماع.

الزبرجد: هوَ حجرٌ أخضر شفاف يشبه الياقوت الأخضَر وليسَ كقوّته ولا فعله ولا قيمته.

الزمرّد: هوَ حجرٌ أخضر شفاف يدخل في معَالجة أدوية من سُقي السّمّ، وفي إكحال بيَاض العين[175]، وَحمله يَقطع نزف الدّمِ، ووضعه في الفم يقطعُ عَطش الماء ويُبَرّدُ حَرارة القلب، ومنه جنسٌ يُقال له الذبابي، خاصّيتُه أنّ حَاملهُ لا يقع عليه الذباب، ومنه جنسٌ إذا نظرَت إليه الأفاعي سَالت أحداقهَا على خدودهَا.

حجرُ الباهت: هوَ حجرٌ أبيض شفاف يتلألأ حسناً، وهوَ مغناطيسُ الإنسَان، إذا أبصَره الإنسَان غلبَ عليه الضحك والسّرور، ومن أمسَكه معَه قضيت حوائجهُ وعقدَت عنه الألسُن، ويسمّى حجرَ البهت.

حجرُ الفيروزج: هوَ حجَر أخضر مشوبٌ بزرقة، يوجد بخراسَان وهوَ كالدهنج يَصفو بصَفاء الجوّ، ويتكدّر بكدورته، ينفع العينَ اكتحالاً والتختم به ينقصُ الهيبَة إلاّ أنّه يورث الغِنى والمال، وعن جعفر الصَّادق رضي الله تعالى عنه أنهُ قال: "ما افتقرَت يَدٌ تختمت بالفيرُوزج".

---

[174] – نهاية صفحة ١٦٣ من المخطوط

[175] – نهاية صفحة ١٦٤ من المخطوط

المرجان: ينبت في البحر كالشجر وإذا كلسَ تكليسَ أهل الصّنعَة عقد الزئبق، فمنه أبيَض ومنه أحمر ومنه أسوَد، وهوَ يقوّي البصَرَ كحلاً وينشف رطوبته بخاصيّة فيه لذلك.

العَقيق: وهوَ معروف، من تختم به سَكنَ غضبُه عند الخصُومَة وسَكن ضحكه عند التعجّب، والسّوَاك بنحاتته يجلو وسخَ الأسنان ورائحتها الكريهَة، وينفع من خروج الدم منَ اللثة، ومحرقه يقوّي السّنّ وينفع منَ الخفقان، وقالَ صَلّى الله عليه وَسَلم: "من تختّم بالعقيق لم يزل في خير وبَركةٍ وسرُور".

الكهرَباء: هو حجرٌ أصفر مائل إلى الحمرة، ويُقال أنّه صمغ شجر الجوز الروميّ، ينفع حَامِله منَ اليرَقان والخفقان والأورام ونزف الدّم، ويمنع القيء، ويعَلق على الحامِل فيحفظ جنينها.

البَللور: وهو حَجرٌ أبيَض شفّاف أشف منَ الزّجاج وأصلب، وهوَ متجمّع الجسم في موضع بخلاف الزجاج، وهو يصبَغ بألوان كثيرة كالياقوت، واستعمال آنيتهِ ينفع منَ إلتهاب في القلب، والأغبَرُ إذا علقَ على من يشتكي وجع الضّرس أبرأه في الحال.

الزّجاج: معروف، وهوَ يقبل الألوان ويجلو الأسنَان، ويجلو بيَاض العين وينبت الشّعر[176] إذَا طلي بدهن الزئبق.

اللازورد: وهو حجَر أزرق ينفع العينَ اكتحالاً إذا خلط في الأكحال، ومن تختم به نبل في عيون الناس، وهوَ يسقط الثآليل حملاً وحكّاً وينفع أصحابَ الماخوليَا.

وَأمّا غير ذلكَ مِنَ المعَادِن

حجرُ اليشم: هو حجرُ الغلبة، من حمله لا يغلبه أحد في الحروب ولا الخصُومات ولا المحَاججَة، ومَن وضَعَه في فمه سَكنَ عَطشُه، ولهذا اتخذه الملوك في حَوايصهم ومنَاطقهم وأسلحتهم.

التوتياء: هوَ حجر منه أخضر ومنه أصفر ومنه أبيَض، يجلبُ من سوَاحل الهندن وأجوَده الأبيَض الخفيف الطّيّار ثمّ الأصفر ثمّ الفستقيّ الرقيق، وهوَ بارد يابسٌ يمنَعُ الفضُول منَ النفوذ إلى عروق العين وطبقاتها، وينفع من الرطوبة وينشف الدّمعَة ويزيل الصّنَان منَ الجسَد.

الأثمد: هوَ الكحلُ الأسود، أجوَدُه الأصفهانيّ، وهوَ باردٌ يابسٌ ينفع العين اكتحالاً، ويُقوّي أعصَابها ويمنع عنها كثيراً منَ الآفات والأوجَاع سيّما الشيُوخ والعَجائز، وإن جعل معَه شيء منَ المسك كانَ غاية في النفع، وينفعُ من حَرق النار طلاء معَ الشحم، ويَقطع النزف ويمنع الرعاف إذا كانَ من أغشيَة الدّماغ، وقالَ رسُول الله صَلى الله عليه وسَلّم: "خير أكحالكم الأثمد، ينبتُ الشعر ويجلو البَصَر".

الملح: هوَ حَارّ يابسٌ، وهوَ يدفعُ العفُونات كلّها، ويجلو كآبة اللون طلاءً، ويُذيبُ الأخلاط الغليظة والبَلغم والعفن والحامَ والسّوداءَ، ويأكل اللحم الزائد ويحسّن اللون أكلاً، ويضمد به معَ بذر الكتّان للسع العقرب، ومعَ العسَل والخلّ لنهش أمّ أربعة وأربعين، وينفع منَ الجرب والحكة البلغميّة والنقرس، ويمنع من أوجَاعِ المعدَة الباردة، ويحدّ الذهنَ، ويشدّ اللثة المسترخية، ويسهل خروج الثقل، إلاّ أنّه يضرّ بالدّماغ والبصَر والرئة، قالَ رسُول الله صَلّى الله عليه وسَلّم لعَليّ رضي الله عنه: "يا عليّ ابدأ بالملحِ واختم بالملح، فإنه شفاء من سبعين داء"، والله سُبحانه وتعَالى أعلم[177].

فصلٌ في النبات وَالفوَاكه وَخواصّها

---

[176] – نهاية صفحة ١٦٥ من المخطوط

[177] – نهاية صفحة ١٦٦ من المخطوط

اعلم وفقنا الله تعالى جميعاً إلى التفكر في عجائب صَنعته وغرائب قدرته أنّ عقول العُقلاء وأفهَام الأذكياء قاصرة متحيّرة في أمر النباتات وعجائبهَا وخواصّها وفوائدهَا ومضارّهَا ومنافعهَا، وكيف لا وأنتَ تشاهدُ اختلاف أشكَالها وتباين ألوانهَا وعجائبَ صُوَر أوراقها وروائح أزهَارهَا، وكلّ لون من ألوانها ينقسمُ إلى أقسَامٍ، كالحمرة مثَلاً: ورديّ وأرجوَانيّ وسَوسَنيّ وشقائقيّ، وخمريّ وعنّابيّ وعقيقيّ، ودَمَويّ، ولكيّ وغير ذلك، معَ اشتراك الكلّ في الحمرَة.

ثمّ عجائب روَائحها ومخالفة بعضها بعضاً، واشتراك الكلّ في طيب الرائحةِ، وعجائب أشكال ثمارهَا وحبُوبهَا وأوراقها، ولكلّ لون وريح وطعم وورَق وثمرٌ وزهرٌ وحبّ وخاصيّة لا تشبهُ الأخرى، ولا يعلم حقيقة الحكمة فيهَا إلاَّ الله تعالى، والّذي يعرفه الإنسَان من ذلك بالنسبَة إلى مَا لا يعرفه كقطرة من بحرٍ.

حَكى المسعُودي: أنّ آدم عليه السّلام لمّا أهبطَ منَ الجنّة خرجَ ومعَه ثلاثون قضيباً مودعة أصناف الثمار؛ منها عشرة لها قشر، وهي: الجوز واللوزُ وَالفستق والبندق والشاهبَلّوط والصّنوبر والرمّان والنارنج والموز والخشخاش، ومنها عشرَةٌ لا قشر لها، ولثمرهَا نوىً، وهيَ: الرطب والزيتون والمشمش والخوخ والإجاص والعنّاب والغبيراء والدراقن والزعرور والنبق، ومنها عشرة ليسَ لها قشر وَلا نوىً، وهي التفاح والكمثري والسّفرجل والتين والعنب والأترج والخرنوب والبطّيخ والقثّاء والخيار.

النخل: هوَ أوّل شجرة استقرت على وَجه الأرض، وهيَ شجرَة مبَاركة لا توجَد في كلّ مكان، قالَ رسُول الله صَلّى الله عليه وَسَلّم: "أكرمُوا عمّاتكم النخلَ"، وإنما سُميَت عمتنا لأنها خلقَت من فضلة طينة آدَمَ عليه السّلام، وَلأنها تشبهُ الإنسان من حيثُ استقامة قدّهَا وَطولها وامتياز ذكرهَا من بين الإناث، واختصَاصهَا باللقاح، ورائحة طلعهَا كرائحة المَنيّ، ولطلعها غلاف[١٧٨] كالمشيمة الّتي يكون الولد فيهَا، ولو قطع رأسُها مَاتَت، ولو أصَابَ جمارَها آفة هلكت، والجمار منَ النخلة كالمخ منَ الإنسان، وعليها اللّيف كشعر الإنسَان، وَإذا تقاربَت ذكورها وإناثها حمَلت حملاً كثيراً، لأنهَا تستأنسُ بالمجاورَة، وإذا كانت ذكورُهَا بينَ إناثهَا ألقحتهَا بالريح، وربما قطع إلفها منَ الذكور فلا تحمل لفراقِه، وإذا دام شربهَا للماء العذب تغيّرت، وإذا سُقيت الماءَ المالح أو طرح الملح في أصُولها حسُنَ ثمرُهَا، ويعرض لها أمراض مثل أمراض الإنسَان، منها الغمّ، وعلاجه أن يُقطع من أسفلها قدر ذراعين ثمّ تحلل بالحديد، والعشق: وهوَ أن تميل إلى شجرة أُخرى ويخف حملها وتهزل، وعلاجهَا أن يشدّ بينها وبينَ معشُوقها الّتي مَالت إليه بحبل أو يعَلّقُ عليها سُعفة منها، أو يجعَل فيهَا من طلعهَا.

ومن أمراضها منع الحمل، وعلاجه أن تأخذ فأساً وتدنو منها وتقول لرجل مَعك: "أنا أريد أن أقطعَ هذه النخلَة لأنها منعت الحمل"، فيقول ذلك الرجُل: "لا تفعَل فإنها تحمل في هَذه السّنة"، فيقول: "لا بدّ من قطعها"، ويضربها ثلاث ضربَات بظهر الفأس، فيَمسكه الآخر ويقول: "بالله لا تفعَل فإنها تثمرُ في هَذه السّنَة، فاصبر عليها ولا تعجَل وإن لم تثمر فاقطعها"، فتثمرُ في تلك السنَة وتحمل حملاً طائلاً.

ومن أمراضها: سُقوط الثمرَة بعدَ الحمل وَعلاجه أن يتخذ لها منطقةً منَ الأسرب فتطوّق به فلا تسقط بعدَهَا، أو يتخذ لها أوتاداً من خشب البلّوط ويدفنهم حَولها في الأرض.

---

[١٧٨] – نهاية صفحة ١٦٧ من المخطوط

ومن عجيب أمرهَا أنكَ إذا أخذتَ نوى ثمر من نخلةٍ واحدة وزرعت منها ألفَ نخلةٍ، جاءت كلّ نخلةٍ منها لا تشبهُ الأخرى، قال صَاحبُ كتاب الفلاحة: إذا نقعتَ النوى في بَول البَغل وزرعتَ منهَا ما زرعتَ جاءت نخله كلّها ذكوراً، وإن نقعتَ النوى في الماء ثمانية أيّامٍ وزرعته جَاء بسرُه كلّه محمراً؛ وإنّ نقعتَ النوى في بول البقرِ أيّاماً وجففته ثلاثَ مرّاتٍ وزرعته جَاءت كل نخلة تحمل حملاً[179] قدر نخلتين، وإذا أخذتَ نوَى البسر الأحمَر وحشوته في ثمر الأصفر، وزرَعته جَاء بسرهِ أصفر، وكذلك بالعكس، وكذلك فلاحة النوى المتطاول والنوى المدوّر، وكَيفيَة غرسهِ أن تجعَل طرف النوى الغليظ ممّا يلي الأرضَ ومَوضع النقير إلى جهَة القبلة.

وحُكيَ أنّ بعضَ الرؤسَاء أهديَ له عرق واحِدٌ فيه بسرة حمرَاء وبسرَة صَفراء، وحكي أنّ قرية بنهر معقل كانَت نخلهَا تخرج الطّلعَ في السّنَة مرّتين، وحكي أنّ بالسّكن من أعمال بغداد نخلة تخرج كلّ شهر طلعَة واحدة على ممرّ السّنين، وكانَ في بستان ابن الخشاب بمصرَ نخلة تحمل أعذاقهَا، في كلّ عذق بسرة، نصفها أحمَر ونصفها أصفر، والأَعلى أحمر، والأسفل أصفر؛ والعذق الآخر بالعَكس: الفوقاني أصفر والتحتاني أحمر.

وعن بعض ملوك الروم أنه كتبَ إلى عمرَ ابن الخطّاب رضي الله عنه: "قد بلغني أنّ بِبَلدِك شجرةً تخرج ثمرة كأنّها آذان الحمرُ، ثم تنشقّ عن أحسَن منَ اللؤلؤ المنظوم، ثمّ تخضَرّ فتكُونُ كالزّمرّد، ثمّ تحمرُّ وتصفرُّ فتكون كشذور الذهب، وقطع الياقوت، ثمّ تينع فتكون كأطيب الفالوذج، ثمّ تيبَسُ فتكون قوتا وتدّخر مؤونة، فـ لله درّهَا شجرةً، وإن صَدَق الخبرُ فهذه من شجر الجنَّة"، فكتب إليه عمرُ رضي الله عنه: "صَدقت رسُلك، وإنها الشجرة الّتي ولد تحتها المسيح، وقال: "إني عبد الله فلا تدّع مع الله إلها آخر".

ووصَف خالد بن صفوان النخل فقال:

"هي الراسخات في الوحل، المطعمات في المحل، الملقحات بالفحل، الميناعات كشهد النحل، تخرج أسفاطا غلاظاً وَأوسَاطاً كأنما ملئت حللا ورياطا، ثمّ تنشق عن قضبَان لجين وعسجد كالشّذر المنَضّد، ثم تصير ذهباً أحمرَ بعدَ أن كانَت في لون الزبرجَد".

ومن خوآصّ النخلة أنّ مضغ خوصهَا يقطع رائحة الثوم وكذلك رائحة الخمر، شعر:

كأن النخيل الباسقات وقد بدت — لناظرهَا حسناً قباب زبرجد
وقد علقت من قبلها زينةً لهَا — قناديل ياقوتٍ بأمراسِ عسجدِ[180]

النارجيل: وهوَ الجوز الهنديّ، زعمَ أهل اليَمن والحجاز أنّ شجر النارجيل هوَ شجر المقل، لكنها أثمرَت نارجيلاً بطيب طباع التربة والأهويَة، وأجَودُهُ الطّريّ ثم جديد عامه الأبيَض، وهوَ حَارّ يابسٌ يزيدُ في الباه وقوّة الجماع وينفع من تقطير البول، ودهن العتيق منه ينفع البواسير والريح ويقتل الدّودَ شرباً، ولبن الطّريّ منه كثير الحلاوة، وليفه يتخذ منه حبَال للسُّفن.

الإجاصُ والقراصيَا: هما أخوَان كالمشمش والخوخ الزهريّ، والإجاص نوعان: أحدهما يستعمل في الأدوية وأصغر منه، وهوَ الّذي يقال له الخوخ التلباشري، وهوَ أحلى من الأول، والقراصيَا أيضاً نوعان: أحدُهما البرقوق وهوَ حُلو أغبر والآخرُ أسود حامض.

قال صَاحبُ كتاب الفلاحَة: من أراد أن يكونا بلا نَوىً فليَشقّ أسَافل قضبَانهما شقا متوَسّطاً وقتَ غرسهمَا، وليخرج مِن أجوَافهما مخهُما، وهوَ صُوفة وسَط القضيب، إخراجاً بلطف، ويضمّ بعضها إلى بعضٍ ويربُطهَا

---

[179] – نهاية صفحة ١٦٨ من المخطوط
[180] – نهاية صفحة ١٦٩ من المخطوط

بشيء منَ الحشيش أو البرديّ، ويغرسهُما معَ بصَل العنصل فإنهما يثمران ثمراً بلا نوىً، وكذا يفعَل بالرمّان فيخرج حبّه بلا نوىً.

العنَّاب: منه بريٌّ ومنه بستَانيّ، وهو كثير الحمل، ولشجرِهِ شوك، ومتى أحرق في أصله شيء من شجر الجوز حمَل حملاً كثيراً، وَكذلك إن أحرق في أصل الجوز شجر العنّاب، وهوَ معتَدلٌ بين الحرارةِ والبرُودة والرّطوبة واليبُوسَة، ينفع من حدّة الدَّمِ لتغليظه له، وينفع الصَّدر والرئة ويحبسُ الدّمَ، والماء المطبوخ فيه العنّاب نافع، فإنه يبرّد وَيرَطّبُ ويسَكنُ الحدّة واللذعة الذي في المعدة والأمعَاء والسُّعَال من حَرارة، وتليين خشونة الصَّدر والحنجرَةِ إلاّ أنه يوَلّد بَلغماً، وهوَ عسِر الهضم قليل الغذاء.

الزيتون: نوعان: منه بستانيّ وبريّ، والبريّ هوَ الأسوَد، وشجرته شجرة مبَاركة لا تنبتُ إلاَّ في البقاع الشريفة الطّاهِرةِ المباركة، قالَ رسُول الله صَلى الله عليه وسَلّم: "إنّ آدَمَ وجَدَ ضربَانا في جسمه ولم يعهده؛ فشكَا[١٨١] إلى الله عزَّ وجَل فنزل عليه جبريل بشجرةِ الزيتون فأمرَهُ أن يغرسَهَا، ويأخذ من ثمرهَا ويعصره ويستخرج دهنَه، وقال له: "إنّ في دُهنه شفاءً من كلّ داءٍ إلا السَّام"؛ ويُقال إنها تعمّر ثلاثة آلاف سَنَة، ومن خواصّها: أنها تصبر عن الماء طويلاً كالنخل، ولا دُخانَ لخشبهَا ولا لدهنها، وإذا لقط ثمرتهَا جنبٌ فسَدَت وقلّ حملها وانتثر ورقها، وينبغي أن تغرسَ في المدن لكثرةِ الغبار، فإنّ الغبار كلّما علا على زيتونها، زادَ دسَمه ونضجه، وإذا دَققتَ حَولها أوتاداً من شجر البلُّوط قويَت وكثُرت ثمرتها.

وإذا علّق مَن لسَعَه شيء من ذوات السّموم مِن عرُوق شجر الزيتون برأ لوقته، وإذا أخذ ورقة ودق وعصر ماؤهُ على اللّذغة منع سَرَيانَ السّمّ، وكذلك مَن سُقي السّمَّ وبادر شربَ عصَارة ورَقها لم يؤثر فيه السّمّ، وإذا طبخ ورقها الأخضر طبخاً جَيّداً ورُشَّ في البيت هربَت منه الذّبابُ والهوَامّ، وإذا طبخ بالخلّ وتمضمَض به نفع من وجَع الأسنَان؛ وإذا طبخ بالعسَل حتى يصيرَ كالعسَل وجعل منه على الأسنَان المتآكلة قلعها بلا وجع.

ورمادُ ورَقها ينفع العينَ كحلاً ويَقومُ مقامَ التوتيا، وصَمغها ينفع منَ البوَاسير إذا ضمدَ به، وإذا نقع وَرقها في الماء وجعل فيه الخبزُ، إذا أكله الفأر ماتَ لوَقته، وصمغ الزيتون البريّ ينفع منَ الجرَب والقوباء ووجَع الأسنان المتآكلة إذا حشيَت به، وهوَ منَ الأدوية القتّالة.

والزيتون المملح يقوّي المعدة ويَضرّ بالرِّئة. والأسود منه يورث سهراً وصُداعاً وخلطاً سَوداوِيّاً، والخل يكسر نصف شرِّهِ، قالَ رسُول الله صَلّى الله عليه وسَلّم: "عليكم بالزيت فإنه يسهلُ المرّة، ويذهبُ البلغم، ويشدّ العَصَبَ ويمنع الغثيّ ويحَسّن الخلق، ويُطيّبُ النفسَ وَيذهبُ الهمّ"، وقالَ صَلى الله عليه وسلم: "كلوا الزيت وادّهنوا به، فإنه يخرج من شجرة مبَاركة، وهوَ حَارّ رطبٌ موَافقٌ لوَجَع المفاصل وعرق النسَا، ويسهل معَ ماء الشعير شرباً[١٨٢] ويتقيأ به مع الماء الحارّ فيكسرُ عاديّة السّموم لذغاً وشرباً.

وزيت الزيتون البرّيّ: ينفع منَ الصُّداع واللثة الدّاميَة مضمضة، وَيشدّ الأسنَانَ المتحرّكة، ونواه يبخر به لأوجَاع الضّرس وأمراض الرئة، وقد قيل في الزيتون:

انظر إلى زيتوننا	فهو شفاء المهج
بدَا لنَا كَأعين	قد كحلت بالدّعج

---

[١٨١] – نهاية صفحة ١٧٠ من المخطوط

[١٨٢] – نهاية صفحة ١٧١ من المخطوط

التمرُ هندي: هوَ ألطف منَ الإجاص وأقلّ رطوبة، وأجوَدهُ الجديد الطّريّ، وهوَ باردٌ يابسٌ، يسهل المرّة الصَّفراء ويمنع حدّتهَا ويُطفِئها وينفع منَ القيء والعَطشِ ومن الحميات والغثي والكرب، إلاّ أنه يَضرّ بالصّدر وأصحاب السُّعَال.

الغبيراء: خشبها أصبر من كلّ خشب على الماء، كالأرز والتوت، وزهرتها إذا شمّتها المرأة هَاج بهَا شهوَة الجماع حتّى تطرح الحيَاء، والتنقل بثمَرها يبطئ السّكر ويحبسُ القيء وينفع من إكثار البول.

الخوخ: هوَ أخو المشمش وما شاكلهُ في كلّ أمُوره إلاَّ في البقاء، فإنّ المشمش أطول عمراً منه؛ لأن الخوخ أكثر مَا يحمل أربع سنين، والحرّ والبرد يهلكه، وهوَ نوعَان: اشعريّ وزَهري.

قالَ صَاحبُ كتاب الفلاحة: إذا أخذ القضيبُ من شجر الخوخ ونقع في بَول انسَان سبعة أيامٍ، ثم تثقبُ سَاق شجرة الصّفصَاف ثقباً نافذاً متسِعاً بحيثُ يدخل فيه قضيب النصَب وتدخل القضيب في ذلك الثقب حتى يخرج منَ الجانب الآخر، ثم تُطيّن الموضع المثقوب وتقطعُ مَا فضل منَ القضيب منَ الجانبين، بعدَ ذلك بسبعَةِ أيّامٍ، فإنه يثمر ثمراً بلا عجم، وإذا أردت تلوين ثمرتها؛ فشقّ النّوَاة فإن أردتَ لونها أحمرَ فضَع في النوَاة زنجفراً مسحُوقا ناعماً، وإن شئت أصفرَ فزعفرانا، وإن شئت أخضر فزنجاراً، وإن أردتَ أزرق فلازورد ونيلاً، وإن شئت أبيض فاسفيدَاجاً، ثمّ تردّ قشرة النواة على القلب ردّا مُوافقاً وتعصُبها وتزرعها، فإنّ ثمرتها تجيء على اللون الذي وضعتَ في النواة بلا مغايرة، وإذا حفرتَ أصل الشجرة في أوّل كانون وثقبته[١٨٣] وجعَلت فيه قصبَة من قصَب السّكر ثمّ تتركها خمسَة أيّام ثمّ تسقيها، فإنها تحمل حملاً حُلواً، وكذلك طعمُ نوَاهُ.

وخاصّيَّة ورَق الخوخ أنّه يقطع رائحة النورة منَ الجسَد إذا سحق ناعماً ووضَعه في الدّلوك معَ ماء الليمون والشيرج، ويقتل الدّود الذي في باطن الإنسَان إذا طليت به السّرة، ويقتل دودَ الأذن إذا قطر فيه من عصَارتها، والخوخ بارد رطب وهو يزيد في الباه ويضرّ بالمبرودين ويشهّي الطّعام ولا يحمض في المعدَةِ، بخلاف المشمش.

المشمش: هوَ شجر يسرع إليه الفسَاد، عسر النشوء، إلاّ أنه إذا نبت طال مكثه، قالَ صَاحب كتاب الفلاَحة: من أرَادَ أن تعظمَ هذه الشجرة عنده؛ فلينزع أكثر ثمرتها عند أوّل نشوئها وحملها، ولا يترك عليها منَ الحمل إلاّ شيئاً قليلاً في أغصَان قويّة منها، وهيَ تشبه الخوخ في جميع أحوَاله وإن فعَلت بهَا جميع ما ذكرته في الخوخ من الألوان والأصبَاغ قَبلَ ذلك، وإن أردتَ المشمشَ بلا نوىً فاقطع وسَط سَاق شجرتها حتى تبلغ قلبهَا، ثم اضرب في ذلك الموضع وتداً من خشب بلّوط، فإنّ تلك الشجَرة تحمل مشمشاً بلا نوىً، ومتى رَكبتَ اللوز في المشمش اكتسَبَ من طعمه وحَلاوته.

وأمّا خاصّيته فعَن أنسِ بن مالك رضيَ الله عنه عن رسُول الله صَلّى الله عليه وسَلّم: أنّ نبيّا منَ الأنبياء بعثَه الله إلى قومه، وكانَ لهم عيدٌ يجتمعُونَ فيه في كلّ سنة، فأتاهُم النّبيُّ في ذلك اليوم، ودعاهم إلى الله تعالى، فقالوا له: "إن كنتَ صادقاً فادعُ لنا ربّك يخرج لنا من هَذا الخشَب اليابس ثمرة على لون ثيابنا – وكانت ألوانها مزعفرة – ونحنُ نؤمنَ لك"، فدَعا ذلك النبيّ ربّه عزّ وجَلّ، فاخضَّر الخشَبُ وأورَق وأثمرَ بالمشمش الأصفر، فمن أكلَ منه ناوياً للإيمان وجَدَ نواه حُلواً، ومَن أكلَ على نية أن لا يؤمِنَ وجَدَ نوَاهُ مرّاً.

---

[١٨٣] – نهاية صفحة ١٧٢ من المخطوط

ووَرقها إذا مضغ أزال وجَع الضّرس، والمشمشُ باردٌ رَطبٌ، ورطبةُ سَريع العفونة يولد الحميّات بسُرعةٍ ويبرّد المعدة ويفسدُ الطّعَام الذي في المعدة، وقديده إذا نقع أزال الحميَّات، ونواه إذا نقع وأكل أحدث غشيّاً[184] وَكَرباً وغثيانا، ودهنُ لبّ المرّ منه له منَافع.

حكيَ أنّ طبيباً مرَّ برجل يغرسُ شجر المشمش، فقال له:" ما تصنعُ؟"، قال: "أعمل لي ولك"، قال الطّبيبُ: "كيفَ ذلك؟"، قال: "أنتفع أنا بالثمرة وثمنها، وتنتفعُ أنتَ بمرض من يأكلها".

التفّاح: هُوَ أصناف، حلو وحَامض وعفصٌ ومزّ، ومنه ما لا طعم له، وهَذه الأصناف في التفاحِ البستانيّ، وذكر أنّ بأرض اصطخر تفاح، نصف التفاحة حَامِض ونصفها حلو، ومتى ركب التفاح في الرّمّان يحمرُّ ويحلو، ومَتَى صُبَّ في أصله أو في أصل الدّرّاقن بول النّاس احمرّ ومتى غرسَ في أصلها ورد أحمر يحمرُّ، ومتى طرحت زهرتها تسقي الخمر، ومتى صُبَّ في أصل الشجرَة منَ التفاحِ بول أمره بَرئت من سَائر أمراض الشجر، ومَتى غرسَ في أصلها العنصُر أو حَولها لم تدوّد ثمرتها، ومتى أردت أن تكتبَ على التفاح الأحمَر بالأبيَض؛ فاكتب عليها وهيَ خضراء بالمداد" لا إله إلاّ الله"، أو ما شئت، وتركته إلى أن يحمّر، ثمّ مسَحتَ المداد؛ فتخرج الكتابة ومَا تحتَها أبيَض ليسَ به حمرة.

وكذلك إذا قصّيتَ ورقة وفيها مَا شئتَ منَ النقوش، وألصَقتها على التفاحَة قبل احمرَارهَا تجدُ النقش بعدَ الاحمرَار أبيَض، وإذا قلَّ ثمرُها أو نثرت زهرتها أو ورقها؛ فعلّق عليها صَفيحَةً من رصَاصٍ وأرخهَا حتى يبقى بينها وبين الأرض شبرٌ، وإذا خرجَت الثمرة وصَلحت ارفع عنها الصّفيحَة.

خاصيّة هذه الشجَرة: عصَارة ورقها تسقى لمن سُقي السّمّ ونهشه حيّة أو لدغه عقربٌ، مع حليب ماعز، فلا يؤثر فيه السّمّ ولا النهشَة ولا اللدغة.

وشمّ زهر التفاحِ يُقَوّي الدّماغ، وأجودُه الشّاميّ ثمّ الأصفهانيّ، والتفاح الحامض بارد غليظ مضرّ بالمعدَة ومنسيّ الإنسَان، ليسَ فيه نفع ظاهِر، والحلو منه معتدل الحَرارة والبرُودة، وشمّه وأكله يقوّي القلبَ ويُقوّي ضعف المعدة، وهوَ نافع منَ السّموم وقشرُه رديءٌ الجوهر مضرّ بالمعدة، ولا يؤكل بقشره وكثرة أكله بقشرهِ تحدث وجَعاً في العصَب، وإذا أردت التفاح[185] يبقى مدّة طويلة فلفّه في ورَق الجوز واجعَلهُ تحتَ الأرض أو في الطّين.

الكمّثرى: هوَ أنواع كثيرة وسَائرهَا يبلغ عروقها الماء تحتَ الأرض، قال صَاحبُ كتاب الفلاحَة: من أحرق شيئاً من شجر الدّلب وشجر اللوز بالسّوية في أصُول شجر الكمثرى، أخرجَ حملاً في غير أوانه، ومن ركبَ الكمثرى على التين أخرج كمثرى حُلواً لطيفاً دقيق البشرة سَريعَ النضج، ومن أرادَ أن لا يقربَ ثمرتها دود فليَطلي سَاقهَا بمرَارة البقَر، وزهره يؤثر في تقوية الدمَاغ، وأجوَده الذكيّ الرائحة الكثير الماء الرقيق البشرة، الصَّادق الحَلاوة، الشديد الاستدارَة، وهوَ باردٌ يابسٌ، وأكثر الفاكهة غذاءً، سيّما الحلو منه، وحُلوُهُ مُليّنٌ، وحَامضه قابضٌ جدّاً، وهوَ يقوّي المعدَة ويَقطع العَطش ويسَكن الصَّفراء، إلاَّ أنّه يحدث القولنج ويضرّ بالمشايخ، وإذا دخل الغذاء منع بخارَ المعدَة أن يترَقّى إلى الرّأس، وهَكذا الموز، وحبُّه يقتل دود البطن.

---

[184] – نهاية صفحة ١٧٣ من المخطوط

[185] – نهاية صفحة ١٧٤ من المخطوط

السَّفَرجَل: هوَ أصناف، حلوٌ وحَامض ومزّ وعفص، وهوَ حيَاة للنفس، قال صَاحبُ كتاب الفلاحة: إذا أرَدتَ أن تتخذ تماثيل منَ السّفرجل فخذ عُوداً وانحته على أيّ تمثال أردتَ، ثمّ خذ من طين الفخار فلبّسه لذلك القالب الّذي عملته، ثم اتركه حَتّى يجفّ بَعضَ الجفاف، وَيكونُ القالبُ الّذي وضَعتَه في الفخّار قطعتين، ثم تنزَعُ العُودَ المنحُوتَ منَ القالب الفخّار وتطبقه على السَّفرجلة وهي كالجوزة أو دونها، وتعصبُه بخرق مِن قطن تعصيباً وثيقاً وتشدّ خيطاً منَ العصَابة إلى غصن آخر من فوق السّفرجَلة المذكورة؛ بحَيثُ لا تثقل فتسقط، فإذا بدا صَلاح السَّفرجل، اقطع الخيط وحُلّ العصَابة وفك القالبَ تجد السّفرجَلة قد تكوّنت على الهيئة الّتي وضعتها منَ الصّور والأشكال، وهوَ مما يخرق العقل.

ورَماد ورَق السّفرجل يفعَل في العَين فعل التوتياء، وكذلك رَمَاد خشَبِه، ولزهرِهِ خاصّيّة عظيمة عَجيبَة في تقوية الدّماغ وتفريح القلب، وللسَّفرجل منافع[186] كثيرة غير أنّ في تفله قبض فينبغي أن يؤكل بلا تفل.

رَوى يحيىَ بن طلحة عن أبيه قال: "دَخلتُ على رسُول الله صَلّى الله عليه وسَلّم وبيَده سَفرجَلة، فألقاها إليَّ، وقال: "دُونكها فإنّها تحيي الفؤادَ وتنقيه"، وروى الفضل بن عبّاس أنّه صَلّى الله عليه وسَلّم كسَر سَفرجلة وناوَل منها جعفر بن أبي طالب، وقال له: "كل فإنّه يُصَفّي اللون ويحسّنُ الوَلد".

ومن عجيب أمرِهِ أنّه إذا قطع بسِكين نشفَ مَاؤهُ، وإذا كسرَ كانَ رطباً مائيّاً، وهوَ باردٌ يابسٌ، يزهرُ اللون ويسُرّ النفسَ ويدرّ البول ويمنع منَ القيء والخمار، ويسَكنُ العَطش ويُقوّي المعدة وَيحبسُ نزف الدّم، والحامل إذا دامَت على أكله، سيّما في شهرهَا الثالث، كانَ ولدهَا حسَن الوجه ذكيّ الفهم ورائحته تقوّي الدّماغ والقلبَ، وإذا طبخ بالعَسَل نفع من عسر البول.

والكثرة من أكله تولد القولنج والمغص ووجع العصَب، وفي أكله بعد الطّعام إطلاق للبَطن، وإذا وضعتَ السّفرجَلة في موضعٍ فيه أنواع الفواكه أفسَدت الكلّ، وإذا أردت السّفرجل أن يقيم زماناً فضعه على نشَارة الخشَب أو على التبن.

التين: هُو أصناف، قال صَاحبُ كتاب الفلاحَة: إذا أرَدتَ غرسَه؛ فاجعَل قضبَان النصب في الماء المالح يوماً، ثم اجعَله تحتَ خثىّ البقرِ، واغرسه فإنّ شجرته تطيبُ جدّاً وثمرته تنبل وتزكو حلاوتها، وإذا سَقيتها مَاء الزيتون لا يسقط من ثمرتها شيءٌ.

ومن عجيب أمر التين أنّ الطّيُور إذا أكلته وذرَقته على الجدَار النّديّ والأماكن النّدية ينبت أيضاً وتشجر وتثمر، ومن أخذ منَ السّقمُونيا غصناً وعمدَ إلى شجَر التين، وسَلَخ منها موضعاً وركَبَ فيه غصناً منَ السّقمُونيَا كتركيب سَائر الأشجار وليكن ذلك إذا بلغت الشمس من الجدي ستّ درجات أو سبعة أو ثمانية ودَارَ حول شجرة التين سبع دورات ثمّ وضعَ الغصن عندَ فرَاغ سَابع دورة في شجرة التين وعصب التركيب، فإنها تنبتُ تيناً كالدّواء المسهل، من أكلَ منها تينتين كان كشرب شربَة[187]، وإذا غسلت شجَرة التين بالماء الحارّ هلكت، وخشبها ينفع من لسع الرتيلاء نقيعاً بالماء وشرباً ومسحاً وتعليقاً، ولبنُ عيدانه إن قطرَ على موضع اللسعَة لم يسر السّمّ في الجسَد، وقضبَانها تهري اللحم في القدر إذا طبخت معَه، وإذا نثر رماد خشب التين في البسَاتين هَلك منهَا الدّودُ، وإذا دُق ورَق التين معَ الفجّ منه على عَضَّة الكلب الكلب نفعته، وعُصَارة ورقها تقلع آثار الوشم.

---

[186] – نهاية صفحة ١٧٥ من المخطوط

[187] – نهاية صفحة ١٧٦ من المخطوط

قالَ رسُول الله صلى الله عليه وسَلّم، وقد وضع بين يديه التين: "لو قلتُ إنّ ثمرة نزلت منَ الجنَّة لقلتُ هذه، كلوهَا فإنها تقطع البوَاسيرَ وتنفع منَ النقرس، وعن ابن عباسٍ رضي الله عنهُما: "أقسمَ الله بهذه الشجَرة؛ لأنها تشبه ثمار الجنّة، لا قشر لها ولا نوى وهيَ على قدر اللقمة.

وأجوده المائل إلى البيَاض ثم الأصفر ثمّ الأسوَد، وأجود أصنَافه الوزيريّ، والتين حَارّ رطبٌ، وهوَ أغذى من سَائر الفوَاكه وأسرع نفُوذاً، وهوَ يصلح اللّون الفاسدَ ويوافق الصَّدر، ويسَكنُ العطش الّذي منَ البلغمِ المالح، ويمنعُ الاستسقاء، وينفع من لسع العَقرب والرتيلاء وأكله أمان منَ السّمُوم، وإذا استعمل منه على الريق عشرة معَ قلب الجوز كان له نفع عظيم ومعَ اللّوز فكذلك، والغرغرة بمائه مَطبُوخاً يحلّل الخوَانيق، ولبنه يذيبُ الجامدَ منَ الدّماء والألبان، ويلطَخ بلبنه الدّماميل فتنضج ويقطر على الثّآليل فيقطعها، وعلى الجراحات الّتي عَليها اللّحم الفَاسِد فينقيها، والإكثار مِن أكله بالخبز يورث القمل في البدَن، ودُخان التين يهرَبُ منه البق والبعُوض.

العنبُ: الكرمَة أكرمُ الشجَر، وثمرُها أشرف الثمر، وللنّاسِ بفلاحتها عنَاية عظيمة لما في العنَب منَ الخاصّيّة، وقد صَنَّفوا كتباً فيما يتعلّق بفلاحة الكرم الدّوالي؛ لأنها أقلّ عَملاً وأخفّ مؤنه وأكثر حملاً وأجوَد عَصيراً، ومن عجيب أمرهَا أنك إذا أخذتَ من قضبَانها الّتي فيهَا قوّة الحمل وغرستها تأتي في أوّل سَنتها بالعناقيدِ، ويكون بينَها[١٨٨] وبَين الغرسِ شهرين، وهَذا الأمر لا يتفق في شيء منَ الشجرَ أصلاً.

قالَ صَاحبُ كتاب الفلاحَة: إذا أرَدتَ أن ترى منَ الكرمة عجباً من كثرةِ النفع وقوّة الأصل وزيادة الحمل وسُرعة الإدرَاك؛ فخذ قضبَان غرسها من شجرة قريبَة العَهد ثمَّ اغرسهَا في النصف الأوّل منَ الشّهر والطخ رأسَ القضيب بخثىّ البَقرِ وابذر في جورة غرسها شيئاً مِنَ البلّوط والنانخواه والباقلّاء؛ فإنّ شجرتها تكونُ في غاية العجَب ومخالفة لسَائر الكروم، وإذا أخذتَ قضيباً منَ العنب الأبيض وقضيباً مِنَ الأسوَد وقضيباً مِنَ الأحمَر وشققتهم؛ بحيث لا يقعُ شيء من قشورها، ولففتَ بعضَهُم ببعضٍ وغرستهم؛ فإنّ القضبان كلّها تخرج سَاقا واحداً، وتحمل الألوانَ الثلاثَ شجرة واحدَة.

وإذا أردتَ أن تسَودّ العنبَ الأبيضَ فاحفر عن أصل الكرمة واسقها شيئاً منَ النفط الأسوَد، فإن أرَدتَ أن لا يقعَ في الكرم دُودٌ؛ فاقطع طاقاتها بمنجل قد لطخ بدم ضفدَع أو دم دُبّ.

وإذا أردت أن يسلم منَ البرد؛ فدخن الكرم بزبل بحيث يصل الدّخان إليها جميعَها، وانثر عليها ثمرة الطّرفاء، وإذا حملت الكرمة فأخذت من نوَى الزبيب أو العنب وطمرَ في أصلها أسرَع إدراك ثمرهَا.

وعَصيرُ كلّ عنَبٍ على لون أرضه لا لون حبّه، ومَاء الكرم الّذي يتقاطر من قضبانهَا بعدَ كسحهَا يجمَع ويسقى للمشغوف بالخمر بعد شرب الخمر من غير علمه؛ فإنّه يبغضُ الخمرَ قطعاً، ويَنفع للجرب شرباً ويُدَق ورَقهَا ناعماً ويُضمدُ به الصُّدَاع يسَكنه.

وأصنافُ ثمرهَا كثيرة وأعجبُها عيُون البَقرِ: وهي كَالجوز، وأصَابع العذارى: وهي كالأصبع المخضُوبة، ورُبّما بلغ العنقود منه طول ذراعٍ، والعنبة أوقية بالمصريّ، ويقالُ: إنَّ في بعض الكتب المنزلة: "أتكفرون بي وأنا خالق العنب؟"، وقشر العنَب بارد يَابسٌ.

---

[١٨٨] - نهاية صفحة ١٧٧ من المخطوط

والعنبُ جيّد الغذاء مقوّي للبدَن، يسمنُ بسُرعةٍ ويوُلد دَماً جيّداً وينفع الصَّدر والرئة، والمقطوف لوقته ينفع ويحرّك البَطن[١٨٩] وَيقوّي شهوة الجماع، ويقوّي مَادة المنيّ، وحبّه ينفع من لسع الهوآم والأفاعي دقا وضماداً.

الحصرم: أجود ماء الحصرم المعتصر باليد، وهوَ باردٌ يابسٌ، ينفعُ منَ الصَّفراء ومنَ الحرارة الملتهبة ويولد رياحاً ومغصاً ويَضرّ بالعصَب والصَّدر.

الزبيب: أجوده الكثير اللحم الصادق الحَلاوة، وقيل إنه أهدي إلى رسُول الله صَلّى الله عليه وسَلّم الزبيب فقال: "بسم الله كلُوا، نعم الطّعام الزبيب، يشدّ العصَب ويذهب الوصب ويطفئ الغضَب ويرضي الربّ ويطيّب النكهة ويذهب البلغم ويصَفّي اللون، والزبيبُ حَارّ رطبٌ وحبّه بارد يابسٌ، والزبيبُ تحبّه المعدَة والكبدُ، وهوَ جيّد لوجَع الأمعَاء وينفع الكلى والمثانة، ويعين الأدوية على الإسهال إذا أخذ منه عشرةِ دراهمَ، ونزع عجمُها أطلق البطن، والقليل اللحم منه يقوّي المعدَة ويحبسُ الدّم ويضرّ الكلى.

القشمش: هو زبيب صغير حُلو أحمر وأخضَر وأصفر، ويحكى عن أصحابه أنهم قالوا: مَا زبب من قشمشنا في الشمس جَاء أحمرَ، وما زببَ معَلّقا جَاء أصفر، وما زبّبَ في البيُوت جَاء أخضرَ، وَهوَ كالزبيب غير أنه لا عجم له.

الخمر: أوّل من استخرج الخمر جمشذ الملك؛ فإنّه توَجّه مرةٍ إلى الصّيد، فرأى في بعض الجبَال كرمَة وعليها عنب فظنَّها مِنَ السُمُوم، فأمرَ بحملهَا حَتّى يجرّبهَا ويُطعم العنبَ لمن يستحقّ القتل، فحملوها، فتكسرت حبّاتُها، فعَصَرُوهَا وجعَلوا مَاءَهَا في ظرفٍ، فما عادَ الملك إلى قصرهِ إلاَّ وقد تخمرّ العَصيرُ، فأحضَرَ رَجُلاً وجبَ عليه القتل، فسَقاه من ذلك فشربَه بكره ومشقةٍ، فنَامَ نومَةً ثقيلةً، ثم انتبهَ، فقال: اسقوني منه، فسَقوهُ أيضاً مراراً، ولم يحدُث فيه إلاّ السّرور والطّرب، فسقوا غيره وغيره، فذكروا أنهم انبسَطوا بعدمَا شربوا ووجدوا سُروراً وطرباً، فشربَ الملك فأعجبَه ثمّ أمرَ بغرسهِ في سَائر البلاد.

وقيلَ إنّ ملك السّريان وهوَ أحدُ الأخوَينِ اللّذينِ اشتركا في الملك رأى يوماً طائِراً، وقد قصَدَت حَيّة فراخَه، فرمى الملك الحيَّة بسهم فقتلهَا[١٩٠]، فغابَ الطّائر وأتى بثلاث حَبّات عنبٍ في منقاره ورجليه ورَماهم بين يدَي يدَي الملك، فعَلم الملك أنها مكَافأة له على فعله؛ فزرعهم فعلقوا وأينعُوا وأثمروا، فلم يجسر الملك على استعماله خوفا من أن يكون قاتلاً أو مضرّاً، فعصَرهُ وأودعه في الآنيَة، فغلى وقذف بالزيد وفاحَت رائحته، فتعجبَّ الملك لذلك، فسَقى منه لشخص وجبَ عليه القتل، فطرب ورقصَ وأظهَر سُروراً، ثمّ نام نومَة طويلة، ثمّ انتبهَ وذكر ما حدث له من السّرور والطّرب، فسرّ به الملك وأمرَ بغرسهِ في البلاد.

والأسود منَ الخمر بَطيء الانحدَار رديء الكيموس قويّ الحرارة، والأبيض قليل الحرارة سَريع الانحدار، ومن لازم شربَها حصَل له خلل في جوهر العقل، ووجع في الكبد والطّحال، وقلّة شهوَة الغذاء وضعف في الباه وفسَاد في الدّماغ، ويحدث النسيَان والبخر في الفم، والرعشة والزبع[١٩١] وضعف البصَر والعَصَب والحميّات والسّكتة والصّرع وموت الفجأة، وشربُها على الريق بعد التعب يحدث خفقانا في القلب وقسَاوة وإلتهابا وأوجَاعاً، وممّا يمنع السّكر بزر الكرنب برُبّ الحصرُم وأكل الفالوذج وشم اللينوفر، وأعظم ذمها كونها

---

[١٨٩] – نهاية صفحة ١٧٨ من المخطوط

[١٩٠] – نهاية صفحة ١٧٩ من المخطوط

[١٩١] – هو شدة الغضب

مفتاحاً لكلّ شرّ وجالبة لكلّ سُوء وضرّ، ومميتة للقلب ومسخطة للربّ، نسأل الله تعالى أن يتوبَ علينا وعلى كلّ عاصٍ، وأن يلهمنا رشدنا ويأخذ بنواصينا إلى الخير بمحمّد وآله.

الخَلّ: المتخذ منَ الخمر، بارد يابسٌ، يمنعُ انصبَاب الموَادّ إلى داخل البدَن ويلطفُ ويعينُ على الهضم وخصُوصاً مَعَ وجود الشيب، والتغرغر به يمنع سيَلان الخلط إلى الحلق، ويمنع نزف الدّم، وينفع منَ الجرب والقوَابي وحرق النار، ووضعُه على الرأس يمنع الصّداع الحارّ، وهوَ صَالحٌ للمعدة الحارّة ويفتق الشهوة ويبرّدُ الرحمَ وينفعُ المنهُوش، وشربُه مسخنا ينفعُ لمقاومة السّمُوم والأدوية القتالة.

التوت: وهوَ الفرصَاد، وهوَ أعزُّ الأشجار، لأنّ دود القزّ لا يأكل إلاَّ منه، قال المعتصِم لعمّال البلاد: "استكثروا من غرس التوت؛ فإنّ شعبهَا حَطب وثمرهَا رُطب، وورَقها ذهب"، وهوَ أنواعٌ[192]: والأسوَد منه باردٌ يابسٌ، وإذا وقع الأسود منه على لسع العقرب سَكنَه في الحال، والأبيَضُ منه حَارّ رطبٌ رَدِيء الغذاء مفسد للمعدة، لكن يُدِرّ البول.
الرّمّان: هيَ منَ الأشجار الّتي لا تقوى إلاّ بالبلاد الباردة المعتدلة، روي عن ابن عبّاسٍ رضي الله عنهما أنه قال: "مَا ألحقت رُمّانة قطّ إلاّ بحبَّةٍ منَ الجنّة"، وعَن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه أنّه قال: "إذا أكلتم الرمّان فكلوهَا ببعضِ شحمهَا فإنّه دباغ للمعدة، وما من حبَّةٍ منه تقيمُ في جَوف مؤمن إلاّ أنارَت قلبَه، وأخرجت شيطانَ الوسوسَة عنه أربَعين يَوماً، وأجوَده الكبار والحلو والمليسي، وهوَ حَارّ رطبٌ يُليّنُ الصّدر والحلق ويجلو المعدة وينفع منَ الخفَقان ويزيد في الباه، وقشره تهربُ من الهوَام.
الأترج: هيَ شجرة حَارّة ولا تنبتُ إلاَّ في البلاد الحَارّة، وتقيم نحوَ عشرين سنَة، ومتى مسَّتهَا حَائض أو أخذ من ورَقها جنبٌ فسَدَت شجَرته، وقشر الأترج حَارّ يابسٌ ولحمه حَارّ رطبٌ، وحماضه بارد يابسٌ، وحبّه حارّ رطبٌ، وأجودُه الكبار، وهوَ يصلح لفساد الهوَاء والوباء، ولحمُه رديء للمعدَة، ويشهّي الطّعَام وينفع منَ الخفقان ويُسهّل الصَّفراء.

النّارنج: شجرة لا يسقط ورَقها كالنخلة؛ قال صاحبُ كتاب الفلاحَة: إذا زرعت النرجسَ تحتَ شجرة النارنج تبدّلت حمُوضتها بالحَلاوَة، ودواء مرض شجرة النارنج أن تسقى دم إنسَان من فصَادٍ وغيره مخلوطا بالماء، خاصيّة وَرقها إذا مضغ طيّبَ النكهة، ويذهب رائحة الثوم والبصَل والخمر، ورَائحة زهرهَا تنفع الدّماغ وتقوّي القلب، وتحلّل موَاد الرّياح الباردة.

الليمون: هُو نبات هنديٌّ، ولا يصحُّ ويَقوى إلاّ بالبلاد الحارّة، وورقه وقشرُه حَارّ يابسٌ، وحماضه بارد يابسٌ، وماؤه كذلك، ينفعُ مِنَ الصَّفراء ويسكن العَطش ويقوّي المعدة والشهوَة ويَضرّ بالصَّدر والعَصب، وهوَ مشاكلٌ للأترج في أفعَاله، وله خاصيّة عظيمة في دفع السّمُوم ونهش الحيّات والأفاعي، ومن عجيب ما حَكى عنه أبو جعفر بن عبد الله الصّينيّ قال: "كانت لي ضيعة على نهر الدير[193] بالبصرة، وكنتُ أقيمُ بهَا وَبجوَاري بستان ظهَرت فيه حَيّة أطوَل من عشرة أشبَار في عرض جراب ودوره، وكثرت جناياتها وأذاهَا،

[192]– نهاية صفحة ١٨٠ من المخطوط
[193]– نهاية صفحة ١٨١ من المخطوط

فطلبتُ حَوّاءً ليصيدَهَا أو يقتلها، فجاء رَجُل فدَللته نحوَ وكرهَا فبخّر بدُخنةٍ كانَت معَه؛ فلم يشعُر إلاّ والحيَّة قد خرجت إليه، فلمّا رآهَا الرجُل تهَوّل وهَاله أمرُهَا، فوَلّى فنهشَته فماتَ في الحال،

واشتهرَ أمرهَا وهَابهَا الناسُ وامتنع الحوّاوُنَ منَ الحُضور إليها، فجاءَني رَجل بعدَ مدة، وقال: "قدّ بلغني أمر الحيَّة وفسَادهَا وتعَاظم أذاها فدُلّني عليها"، فقلتُ: "قد قتلت حوّاءً"، فقال: "هوَ أخي وقد جئت لآخذ بثأره أو أموت كما مات، فأرنيهَا"، فقلتُ لهُ: "اعبُر البستان"، وَجلست في طاقة تطل على البستان، أنظر ما يكون منه، فأخرجَ دهناً كانَ معَه، فأدّهنَ به وصَلّى ودَعا ودَخنَ كما دَخنَ أخوهُ، فخرجَت إليه هَايشة، فما تزعزع عن مكانه، فلمّا قربت منه هجمَ عليها وطلبهَا فهربَت منه، فتبعَهَا وقبضَ عليها، فالتفتت إليه ونهشته فماتَ من وقته.

فترك الناسُ الضيعَة ورحَلوا من أجلهَا، وقالوا:" لا مقام لنا في جيرة هذه السخطة"، فجاءني بعدَ أيامٍ رَجل آخر، فسَألني عنهُما وعن الحيّة فأخبَرته بما كان، فقال: "والله هما أخوَايَ، وجئت لآخذ بثأرهما أو أمُوت كما ماتا ولا بدّ لي منها"، فأريتُه البُستَان وجلستُ في الطّاقة لأنظرَ مَاذا يصنع؟!!، فأخرج دهناً وادّهنَ به ودَخّنَ كأخويه فخرجَت إليه، فطلبهَا، فوقفت له تحاربُه، ثم تمكنَ من قفاهَا، وقبضَ عَليها فالتفتت وعَضَّت إبهامه، فحزمهَا وجَعلها في سلّة كبيرَة أحضَرهَا معَه وَبادرَ إلى إبهَامه فقطعَهَا وأشعَل ناراً وكواهَا، فحملناهُ إلى الضّيعَة فرأى ليمونة بكفّ صَبيٍّ، فقال: "أعندكم من هَذا شيءٌ؟"، قلنا: "نعم"، قال: "ائتوني بما تقدرون عليه"، فأتيناه بكثير منه، فجعَل يقضم وَيأكل ويدهن به مَوضعَ اللسعَة، وبَاتَ فأصبحَ سَالماً، فقال: "ما خلّصَني الله سُبحانَهُ إلاَّ بهَذا الليمون، وقطعَ رأسَ الحيَّة وذنبهَا ورَمى بهمَا، وغلى على بدَنها وطبخهُ وأخذ دهنَه ومضى.

اللوز: أجوَده الطّريّ الكثير الدهن[194]، وهوَ معتدل الحرارة والرطوبة، يغذي غذاءً حَسناً ويسَمّن وينفع الصّدر والسُّعَال ونفث الدّم، ويليّن البطنَ خُصُوصاً إذا كانَ معَ التين، وينفع من عَضَة الكلب الكلب، والمرّ منه حَارٌّ يابسٌ، وهوَ جيّدٌ للشرى[195] مع الشّراب، ودهنه ينفعُ من وجَع الأذن ويمنع صداع الرأس، وأكله قبل السّكر يمنع السّكر، وهوَ يقوّي البصَر ويفتح سُدَد الكبد والطّحال والكِلى.

الجوز: ينبتُ بنفسِه ولا يَصحّ إلاَّ في البلاد الباردة، وهو حَارٌّ يابسٌ بطيء الهضمِ إلاّ أنّه ينصَلحُ معَ التين، ودُهنُه ينفع منَ الحمرَة، وقشره يحبسُ نزف الدّم ويُضمد به لعَضَّة الكلب الكلِب، وكثرة أكلهِ يورث ثقلاً في اللسَان.

البندق: حارّ مع يبُوسَة، وإذا خطّ على العقرب حلقة بعُود البندق لا يقدر أَن يخرج منها، وهوَ يزيد في الباه وشهوَة الجماع معَ السكر مدقوقاً، وينفعُ من نهش الهوَامّ خصُوصاً معَ التين أكلاً وضماداً، وإذا طليَ مدقوقاً على نافوخ الطّفل الأزرق العينين ردّهما سُوداً.

الشّاهبلّوط: ينفع لإدرار البول، وينفع منَ السّمُوم ونزف الدّم.

الفستق: حارّ يابسٌ أشدّ حرارة منَ الجوز، يفتح سُدَدَ الكبد ويقوّي فمَ المعدة، ويمنعُ الغثيان، ومن نهش الهوَام والسّعال البلغميّ ولذغ العقارب ويزيد في الباه.

---

[194] – نهاية صفحة ١٨٢ من المخطوط

[195] – هو بثور صغار حمر حكاكة تحدث دفعة

الصّنَوبر: حارّ يابسٌ يمنَعُ الرطوبات منَ البدَن ويزيد في الباه مَع عقيد العنب.
الفلفل: حَارّ يابسٌ فيه جذبٌ وتحليل وهوَ عدُوّ البلغم اللزج، ويلطّف الأغذِيَة، ويشهّي الطّعام ويدرّ البول وينفع ظلمة البصَر.
القرُنفل: حَارّ يابسٌ يُطيّبُ النكهة ويحدّ البصَر، وينفع منَ الغشاوة ويمنَع القيء والغثيان ويُقَوّي الكبد، وقدر ما يؤخذ منه نصف مثقال مع مثليه سُكّر نبات مسحُوقان منخُولان.
خولنجان: حَارّ يابسٌ، يحلّل الرّياح وَينفع منَ القَولنج ووجَع الكلى ويهيّجُ الباه، ويُطيّبُ النكهة ويهضم الطّعامَ ويُصلح المعدَة ويَطرد البلغم والرطوبة المتولّدة في المعِدَة، وينفع من عرق النسا ولمن لا يضبط البول.
الزنجبيل: هوَ كالفلفل في منافعه[196].
المصطكا: حَارّ يابسٌ مليّن، وهوَ يجبُر العظَام المكسُورة، ومضغه يجلبُ البَلغم منَ الرأس وَينقيه ويطيّبُ النكهة وينفع منَ السُعال البلغمي وينفعُ مِن أورَام الكبد ونزف الدّم وفسَاد الرحم تحملاً.
خيَار الشنبر: معتدل في الحَرارة والبرُودة، عسَله يسهل المرة المحترقة، ويطفئ حدة الدّم ويسَكن وهجَه ويُذهبُ الوَرَم العَارض منه، وينفع منَ الأورام الحارَّة في الأحشاء خصُوصاً في الحلق إذا تغرغرَ به ممرساً في مَاءِ عنَب الثعلب، وإذا سُقيَ مَع التربد أخرج رُطوبَاتٍ عجيبَةٍ، وإذا سُقي معَ التمر هنديّ أخرج الأخلاط الصّفراويّة ونفع المحمُومين، وإذا سُقي مع الهندبا نفعَ منَ القولنج ووجع المفاصل واليَرقان، وَهوَ يُسهّلُ من غير أذىً حَتى الحوامل، وهوَ يَضرّ بالسُّفل، وبدَله نصف وزنه من ترنجبيل، وثلاثة أمثاله شحم الزبيب مع تربد.

السَّرو: شجرة حَسنة الهيئة قويمة السَّاق، يُضربُ بهَا المثل في استّقامة قدّهَا ومشق قامتهَا وَخُضرة ورَقها، وهوَ أخضر صيفا وشتاءً.
التدخين بأغصَانها في البيت يَطرد البق، وطبيخه بالخلّ يسَكنُ وجَع الأسنَان ويجعَل من نشارته بنادق، وتطرح في الدقيق الدرمك يبقي زماناً طويلاً لا يفسُد، ووَرقه يشربُ معَ الشراب ينفع من عسر البول، وإذا دُقّ ورَقها رَطباً وجعل على الجراحة ألحمهَا، ورَمادها ينفع من حرق النّار وسَائر القروح درواً، وجوزهَا يَطرد البقّ إذا دخنَ به.
البطّيخ: منه بستَانيٌّ ومنه بريّ، والبرّي هوَ الحنظل والبستانيُّ ثلاثة أصنَاف: هنديّ وهوَ الأخضر، وخراسَاني وهوَ العبدلّي، وصينيّ وهوَ الأصفر، ثمّ الأصفر ثلاثة أصنَاف: صينيّ وحلبيّ وسمرقنديّ، وفلاحَتها كلّها واحدة، والطّعُوم والأشكَال مختلفة، وإذا نقع بزر البطّيخ في العسَل واللبَن جَاءَ في غاية الحلاوة، وإذا نقع في مَاء الورد شممت من بطّيخه رائحة الورد، ومَتى دخلت المرأة الحائضة في المقثاة فسَدَت وتغيّر طعمهُ، وإذا أصَابَ بزر البطّيخ أو القثاء رائحة الدّهن جَاء كُلّه مزاً[197]، وإذا وضع رأسُ حمار في وسَط المبطخة دفع عنها جميع الآفات وأسرعَ نباتها وحملها وإدراكها.
وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن البطّيخ كَان أحبَّ الفاكهة إلى رسُول الله صَلى الله عليه وسَلّم، وقالَ رسول الله صَلى الله عليه وسلم: "تفكهوا بالبطّيخ وعضوا منه، فإنّ ماءه رحمة، وحلاوتهُ من حلاوة الجنَّة،

---

[196] – نهاية صفحة ١٨٣ من المخطوط
[197] – نهاية صفحة ١٨٤ من المخطوط

ومن أكل لقمة منَ البطّيخ كسب الله له ألف حسَنة ومحا عنه ألف سيئة، ورفع له ألف درجة، لأنه خرج منَ الجنَّة.

وعن وهب بن منبّهٍ أنه وجد في بعض الكتب أنّ البطّيخ طعام وشراب وفاكهة وجلاء وأشنان وريحان وحَلاوة ونقل، ينقي المعدة ويشهّي الطّعامَ ويصَفّي اللّونَ ويزيد في مَاء الصُّلب ويدرّ البول ويسهّل الحام.

الصّينيّ: وهو الأصفر، وهوَ ثلاثة أصنافٍ، وأطيبُه وأحلاه السمرقندي وأجوَده العبدلّي، وهوَ باردٌ رطبٌ يدرّ البول ويقلع الكلف والبهق الرقيق والوسخ، وبزرهُ أقوى جلاء من جرمه، وقشره يلصق على الجبهَة؛ فيمنعُ النوازل من العين، ولحمه ينفع من حصَاة الكلى والمثانة، وهوَ يستحيل إلى خلط ويرخي الجسَد، ويحدث هيضة، وإذا فسَد في الجوف فهو كالسمّ.

القرع: قالَ رسُول الله صَلّى الله عليه وسَلّم: "إذا طبختم فأكثروا القرع فإنّهُ يسَكنُ قلبَ الحزين"، ومن خواصّه أنّ الذبَاب لا يقعدُ عليه، ولمّا خرج يونسُ عليه السَّلام من بَطن الحُوت؛ خرج كالطّفل حين يخرج من بَطن أُمِّه، فأنبتَ الله سُبحانه وتعالى عليه في الحال شجرة من يقطين؛ لئلاّ يقعَ عليه الذباب فيؤذيه، فمكثت الشجرة حتى تصَلبت بشرته وقويَت أعضاؤه فأيبَسها.

والقرعُ بارد رطبٌ، ويسمّى الدّبّاء، وكانَ النبي صَلّى الله عليه وسَلّم يتتبّع الدّبّاء، وهوَ يغذي غذاء يَسيراً وينحدر سَريعاً، وهوَ جيّد للصَّفراء وعصَارته تسكّن وجَع الأذن مع دهن وَرد، وينفع من أورام الدماغ، وسَليقه ينفع منَ السّعال ووجع الصَّدر من حرارة، ويقطع العَطش، إلاّ أنه يفسدُ في المعدة ويضرّ بأصحاب السّوداء والبلغم ويضرّ بالأمعَاء.

القثّاء والفقوس والعجّور: فالقثّاء بارد رَطبٌ يسكن الحرارة[198] وَالصّفراء ويدرّ البول ويسَكن العَطش ويوافق المثانة وشمه ينعش المغشيّ عليه، وأكله ينفع من عضّة الكلب الكلب؛ وبزره يدرّ البول ويحسنُ اللونَ طلاءً ويَطفئ الحرارة، لكنّه رديء الكيموس، يهيّجُ الحميّات ويؤلم المعدة، وكذلك الفقوس والعجّور.

الخيّار: بارد رطب، ينفع منَ الحميّات المحترقة ويدرّ البول، إلاَّ أنه يحدث العَطش، وشمّه ينفع المغشيّ عليه من حَرارة، ويحدث وجعاً في المعدة والخواصر.

الباذنجان: حارّ يابسٌ ينفع من نزف الدّم ويورث أخلاطاً رديئة وخيالات فاسدة، ويولّد السّوداء والسّدد ويسوّد البشرة؛ ويفسد اللون، ويُصَفرُهُ ويولد الكلف والصّداع.

الأرُز: بارد يابسٌ، يحبس البَطن حبساً ليسَ بالقويّ، وإن لم تغسل عنه الحمرة الّتي عليه، وإلاّ عقل البطنَ، وأنفع ما أكل باللبَن الحليب، وأكله يزيد في النضارة بوجه الآكل ويخصب البَدن ويري أحلاماً صَالحة.

السّمسم: حارّ رطب مغذ مليّن محلّل ينفع للسَّوداويين ولوجع الصَّدر والخشونة في الحلق ويزيد في المنيّ.

الحمّص: حارّ رطبٌ مليّن يدرّ البول ويهيّج البول، وينفخ ويغذي أكثر منَ الباقلّاء، ويجلو النمش ويحسّنُ اللّون أكلاً وطلاء، وينفع منَ الأورَام الحارّة الصّلبة ومن وجع الظهر ويُصَفي اللّون.

الكمّون: حَارّ يابسٌ يقتل الدّود ويَطرد الريح ويحلّل، وإذا غسل الوجه بمائه صَفاهُ، وكذلك أكله بقدر يَسير، ويدمل الجرَاحات ويقطع الرعاف مسحُوقا مع خلّ، وإذا مضغ وقطر ريقه في العين نفع الطَّرفة والدّم السَّائل منَ العين.

الكمون الكرماني: وهوَ الشونيز الأسوَد، حَار يابسٌ يقطع البلغم جلاء، ويحَلل الرياح والنفخ ويقطع الثآليل وينفع الزكام البارد، ويجعَل مدقوقاً في خرقة كتان ويُطلى به جبهة من بهِ صُداع بارد.

---

[198] – نهاية صفحة ١٨٥ من المخطوط

كراويا: حَار يابسٌ يَطرد الريح ويخففه، وينفع الخفقان ويقتل الديدان ويدر البول، وقدر ما يؤخذ منه درهم.

فصلٌ في البُقول الكبار [١٩٩]

القلقاس: حَارّ يابسٌ رَطبٌ يزيد في الباه ويُولّد الرياح.

القنبيط: حار يابس يفتح السّدد، ويشفي منَ الخمار وينفع من ضربة السّكرِ ويوَلّد رياحاً.

اللّفت: حَار رطب يغذي غذاءً كثيراً ويولّد المنيّ ويدر البول، ويشهّي الطّعام إذا طبخ مَرَّتين وطيب بالخلّ والخردَل، وماؤه ينفع البصَر وهوَ يحرّك شهوَة الجماع.

الفجل: حَارّ رَطبٌ يقطعُ رائحة الثوم ويُقوّي الباه ويُنقي المعدَة، وماؤه إذا قطرَ في العين جَلاهَا، وبالشراب ينفعُ من نـهش الأفاعي، وإذا طرح ماؤهُ على العقرب ماتت لسَاعتها، ومَن أكل فجلاً ولسَعته عقربٌ فلا يضرّه.

الجزَر: حَارّ رَطب، ينفعُ من ذات الجنب والسُّعَال المزمن ويهيّج الباه.

البصل: حَارّ يابسٌ ملطّف محمّر للبشرة، يجذبُ الدّمَ إلى خارج الجسَد كالخردَل، ويزيدُ في الباهِ وينفع من تغيّر المياه ويفتق الشهوَة ويلين الطبع ويحسّن اللون ويحد البصَر.

الثوم: حارّ يابسٌ يسَخنُ المعدة إسخانا ظاهراً، ويضرّ بالمحرُورين، وينفعُ أصحابَ الأمزجة الباردة الرطبة، وينفع الأبدان المشرفة على الوقوع في الفالج، ويخففُ المنيّ ويفتح السّدد ويحَلل الرياح ويُطلق البطن ويقوم في جميع الأوجاع الباردة مقام الترياق الأكبر، وله منافع كثيرة.

الهليون: حار رطب يفتح السّدد وينفع القولنج البلغميّ والرّيحيّ، وينفع عسر البول.

فصل في البقول الصغار

الهندباء: قالَ عليّ بنُ أبي طالب رضي الله عنه: "في كل ورَقةٍ من الهندباء وزن حبّةٍ من مَاء الجنّة"، وهوَ بارد رَطبٌ، وهوَ يفتح السّدَد ويرَوّق الدَم، وينفعَ الكبد والعُروق.

النعنع: حَارّ يابسٌ وفيه قوّة مسخنَة، وهوَ ألطف البقول المأكولة جوهراً، وعصَارته تنفعُ من سَيَلان الدّمِ منَ الباطن، ويُقوّي المعدّة ويسَخنها ويسَكن الفواق الكائن عن امتلاءٍ، ويهضم إذا أخذ منه اليَسير.

الزعتر البرّيّ: سريع النبات بعيد منَ الآفات، وهوَ حارّ يابسٌ محلل ملطّف يسَكن وجع الضرس [٢٠٠] مَضغا، وينفع من أوجاع الوركين والكبد والمعدة، ويخرج الدود وحبَّ القرع، وَينفع المغص وعضّة الكلب الكلب.

الكرفس: حارّ يابسٌ، يُحلّل النفخ ويفتح السُّدَد ويسَكنُ الأوجَاع؛ ويُطيّبُ النكهة وينفع من ضيق النفس ويدرّ البول، ويهيّج شهوَة الجماع منَ الرجَال والنسَاء، وطبيخهُ معَ العدَس يتقيّأ به من سقي السمّ ينفعُه.

اسفاناخ: بارد رطب مليّن ينفع السُّعال والصَّدر والصّفراء، وينفع أوجَاعَ الظهر الدّمويّة وهوَ سَريع الانحدار مُضِرّ بأصحاب الأمزجة الباردة.

الشومر [٢٠١]: وهو الرازيانج، حَارّ يابسٌ يسَخن إسخاناً قويّاً ويُحَلل الرّياحَ، ويفتح السّدد ويحدّ البَصَر ويفتت الحصى منَ المثانة.

الشبت: حَارّ رطبٌ مسَخّنٌ مجفف منضج للأخلاط الباردة يسَكن الأوجاع ويفش الأورام وينفع الفواق.

---

[١٩٩] – نهاية صفحة ١٨٦ من المخطوط

[٢٠٠] – نهاية صفحة ١٨٧ من المخطوط

[٢٠١] – في نسخة الشمر

فصلٌ في حَشائش مختلفة

حبّ الرشاد: حارّ يابسٌ، وأكلهُ يزيد في الذهن والذكاء ويهيّج الباه، وعصَارته تنفع من نهش الهوَام شرباً ومعَ العسَل ضماداً، ودخانهُ يَطرد الهوَامّ.

حرمَل: صَالحٌ لأوجَاع المفاصل، وفيه قوة مسكِرة كاسكَار الخمر، وينفع مِنَ القولنج شرباً وطلاءً، ويزره ينقع في الخلّ ويرَش في البيت فيَطردُ الذبابَ.

سنا: أجوَدُه الحجازيّ، وهوَ حَارّ يابسٌ، يسهّل الصّفراء والسّوداء وينفي الفضُول، وقدر ما يؤخذ منه خمسة دراهم.

بسفايج: أجوَده الغليظ الأخضر الملس، وهوَ حَارّ يابسٌ محلّل للنفخ والريح والرطوبة ويسهل بلا مغص ولا كرب وينفع من نزف الدّم.

شيرخشك: هوَ حَارّ باعتدال وهوَ أقوى فعلاً منَ الزنجبيل.

مرّيَطارخ: حارّ يابسٌ مفتح للسّدَد، محلل للريّاح وينفع مَع الشّراب شرباً للسع العَقارب وللمعدة المسترخيَة.

أشنان: هوَ حَارٌ يابسٌ مفتح محلّل، ووَزن نصف درهم منه يحلّ عسر البَول، ودرهم يدر الحيض، وثلاثة دراهمَ تسهل مائيّة الاستسقاء، وهو يجلو الأسنان، ودُخان الأخضَر يهرّبُ الهوَامّ.

فصلٌ في البُزور[٢٠٢]

بزرُ قطونا: بارد رَطبٌ يُطفي الحرارة والعَطش وَيسَكنُ الصَّفراء.

بزر مرو: حارّ رطبٌ يسهّل البلغم وقدر ما يؤخذ منه زنة درهمين.

بزر بصل: حَارّ يابسٌ، يحرّك الباه منَ الأمزجة البَاردة.

بزرُ اللفت: حَارّ رطبٌ يزيد في قوّة الجماع، وقدر ما يؤخذ منه وزن درهمين.

بزر الجزر: حارّ يابسٌ يُهَيّج الباهَ ويدرّ البول والحيض، وينفعُ من لسع الهوَامّ شرباً وَضماداً.

بزر السَّداب: حَارّ يابسٌ يُقاومُ السّمُوم إذا استعمِلَ معَ التين وَالجوز.

بزر الرازيانج: حار يابسٌ قابضٌ مفتح مسَكنٌ للأوجاع، محلل للرّياح يدرّ البول والحيض.

بزرُ الفجل: حارّ يابسٌ، ينفعُ من نهش ذوات السّمُوم وينفع من وجَع المفاصل، ويُحلّل ورمَ الطّحال ويُسهّلُ خروج الطّعام.

بزر الهندباء: معتدل بين الحرّ والبرد ينفع منَ الحميّات الصّفراويّة ومن سُدد الكبد واليرَقان، وقدر ما يؤخذ منه نحو مثقال.

بزر قثاء: بارد رطبٌ يجلو ويدرّ البول، وقدر ما يؤخذ منه عشرة درَاهمَ، وإذا دق ودهنَ به البدَن حسّنَه.

حبُّ الرّمان الحامض: باردٌ يابسٌ يمنع القيء والغثيان، وينفع منَ الموَاد الصّفراوية.

بزرُ هليُون: حَارّ رطب يدرّ المنيّ ويُحرّك شهوة الجماع، وقدرُ ما يؤخذ منه درهمان.

فصلٌ في خوَاصّ الحيَوانات

خوَاصّ البغل، وأعضاؤه وأجزاؤه: شحم أذنه إذا سُقيَت منه المرأة لا تحبَل أبداً، مخّه إذا طعم منه الإنسَان تناقصَ عقله وفهمُه، وحَصَل له التوَهم والنسيَان والسهو، قلبُه تأكله المرأة فلا تحبل، حَافرهُ إذا أحرق وأذيبَ بدهن الآس وطليَ به رأسُ الأقرع أنبتَ الشّعر، خصيتَه تجفف بملحٍ وتوضع في جلد أو حريرٍ وتعلّقُ في رقبة فرسٍ أو جَمل فإنّه لا يُصيبُه سُوء ما دامَت مُعلّقة عليه، بوله إذا شربته المرأة طرحَت جنينها

---

[٢٠٢] - نهاية صفحة ١٨٨ من المخطوط

الميّت، وإن شمّه المزكومُ وبَصَق عليه وكبّه في طريق، فمَن داسَ عليه انتقل الزكام إليه، ويبرأ المزكوم الّذي كبّه، الزنبور الذي يوجد في دبُر البغل، يجَفف ويبَخرُ به صَاحبُ البَواسير يبرأ، جلد جبهتهِ إذا أحرق[٢٠٣] في مكان لا يحصُل فيه اتفاق ولا صُلحٌ ولا يتمّ فيه شيءٌ منَ الأمُور.

خواصّ الحمار وأجزاؤه: مخّه يسقى لمن غلبَ عليه النسيان، سنّه إذا وضع تحتَ رأس مَن قلّ نومُه نامَ، كبده يجففُ ويعلّق على من به حمّى الربع تزول عنه، طحاله يجففُ ويدّخر، فإن قلّ لبنُ ثدي المرأة سحق بماء وطليَ به الثديُ يكثر اللّبنُ فيه، حَافره يسحقُ بعدَ حرقه ويُطلى به جبهَة من به صَرع أيّاماً يزُول عنه، ويخلط بالزيت ويُطلي به الخنازير يجَفّفهَا.
قال بلنياس: "يشق حَافر الحمار ويحشى قطرانا وكلساً ويحرَق بشيرج زنج، ويطلى به البرصُ يقلعُه، ولو كانَ عتيقاً، وإذا تدخنت المرأة المطلقة بحافر الحمار أسرع خروج ولدهَا حيّاً سَالماً بسهُولةٍ، وكذلك إذا كان الجنين ميتاً أخرجَه، يؤخذ من ذنبه ثلاث طاقاتِ شعر حين ينزو على الأتان ويشدّ على سَاق الرجل ينتَشر ذكرهُ ويستوي على سُوقه وينعَظ في الحال.
لحمه: من أكل منه أمنَ من آفات السّمُوم فلا يؤثر فيه سمّ أبَداً، وينفع صَاحبَ الجذام نفعاً جيّداً، دمُه يُطلى به البواسير مراراً تسقط، لبنُ الحمارة يسقى للصّبيّ الّذي يكثر بكاؤهُ يزول عنه ذلك، ومن ضربَ بالسيَاط ضرب الموت يسلخ له جلد حمار في الحال ويلبسُ به جسمه وينام فيه ليلة فإنه يزول عنه ألمُ الضّرب ويأمنُ عاقبته، جلدُ جبهتهِ يُعلّقُ على المصروع يزول عنه، ويلقى شيء من شعر ذنبه في نبيذ قومٍ يسكرون فيقعُ بينهم الشرّ والخصُومَة والعربدة، عصَارة روثه تسقى لمن في مثانته حصَاة يفتتها.

خواصّ أجزاء حمَار الوحش: مخّه يسحق بدهن الزنبق ويُطلى به البهَق يزول مرارته، قال ابن سينا: "إنها تقلعُ القوباء منَ الجسم"، لحمه مَدقوقاً ينفع النقرس طلاء مع دهن الورد، شحمه جيّد للكلَف طلاء، حَافرُه يتخذ خاتماً ويُعَلّق على أصحاب الجنون والصّرَع في رأس الشهر يزول عنهم ذلك، ويكتحل به محرقا ينفعُ من ظلمة العين والغشاوة، ورَوثة يَرمي في تنّور الخبَّاز يسقط جميعَ أقراصه، وإذا سحق وخلط ببيَاض البيض وانتشقه المرعُوف انقطع عنه الرعاف، والله سُبحانه وتعَالى أعلم[٢٠٤].

فصل في حَيوَانات النعم

خوَاصّ أجزَاء الإبل: ليسَ للبعير مرارة وإنما على كبده شيء يشبهُهَا، وهيَ جلدة فيها لعابٌ يكتحل به فينفعُ من الغشَاء العتيق، ويُطلى بهِ الرقبة فينفعُ الخوانيق، كبدُه إذا داومَ أكله نفعَ من نزول الماء في العين، شحمه متَى وضع في موضعٍ هربَت منه الحيّات، سنَامه يذاب ويُطلى به البوَاسير يسَكنُ وجَعَه، كرشه فيه غدّة إذا أخرجَت منه استحجرت، وإذا سُحقت بالخلّ ابيَضّت، وهيَ من أنفع الأشياء للسّمُوم القاتلة، عظمه يسحقُ ويذابُ بالزيت ويُطلى به رأس المصروع يزول صَرعُه، شعرُه يشَد على الفخذ الأيسَر يمنع سَلسَ البول، ويشدّ على فخذ الصّبيّ الّذي يبُول في الفراش يزول عنه، وَبره يذَرّ على الأنف محرُوقا يحبسُ الرعاف والدم السائِل منَ الجراحات، كذلك إذا ذُرّ عليها، لبنُها نافعٌ منَ السّمُوم كلّهَا والمضمَضَة به تنفع

---

٢٠٣ – نهاية صفحة ١٨٩ من المخطوط

٢٠٤ – نهاية صفحة ١٩٠ من المخطوط

الأسنَان المأكولة، ويزيل صُفرة الوَجه أكلاً وطلاءً، بعره: قال ابن سينا: "يقطع الرعاف ويزيل أثر الجدريّ ويَقطع الثآليل".

خواصّ البَقر: قرنه يحرق ويجعَل في طعَام صَاحب حمّى الربع يزُول عنه، ويشربُ في شيء منَ الأشربة يزيدُ في الباه ويقوّي القضيبَ ويشدّه ويورث الإنعاظ وينفخ به في منخر الراعف ينقطعُ دمُه، قرناه تحرقُ حَتّى تصيرَ رمَاداً، ويذاب بالخلّ ويُطلى به موضع البرص مستقبلاً به الشمس؛ فإنه يزول، مخّه طريّاً يذابُ بدهن ويقطر في الأذن الوجعَةِ يَسكنُ وجعُها.
لسان الثور الأسود يجففُ ويسحق ويمزج به حمَاض الأترج ويستف منه مقدار مثقال فلا يخاصِم أحَداً إلاّ غلبَه وألزمَه، مَرارته ببزر الجرجير وبزر الفجل ومَائه يعرض للنار ليقوي ويشتدّ ويُطلى به الكلف فإنه يزول إذا لزم ذلك، ويخلط بمرارته ورَق الغبيراء مدقوقا وتتحمل منه المرأة فإنها تحمل، وفي مرارته حجرٌ قدر عدَسة تجعَل في مَاءِ الشهدَانج وماء الفرفخ، ويستعِطُ منه صَاحبُ الصّرع يزول صَرعه، وتطلى الشجَرة بمرَارة البقر لا يتولّد فيها الدّود، وتخلط مَرارة البقر ببَعر الفَأرِ[٢٠٥] ويتحمل بهَا صَاحبُ القولنج يزول في الحال.

مرارة البقرة السّوداء يكتحل بهَا مَن به ظلمة العين يحتدّ بصره، وإذا أردت أن ترى عجباً فخذ جرّةً مِن فخار وادفنها في الأرض إلى عُنقها واطل باطنها بشحم البقر فإنه لا يبقي في ذلك الموضعِ شيء منَ البرَاغيث حَتّى يدخل فيهَا.
خصيَة العجل تجفف وتشربُ مسحوقة بشراب تهيّج الباه وتعين على الجماع إعانة عظيمة، قضيبه يجَفف ويسحق ويرمى على البيض النيمرشت ويحشى منه فإنّه يزيدُ في الباه، كعبه يحرق ويدلك به السّنّ يبيّضها ويذهبُ وسخها، لبنه يزيل صُفرة الوَجه، وإذا شربَ منه مخيضاً نفع البوَاسير، سمنها يطلى به لسع العقرب يبرأ لوقته، والعتيق منه نافع للجراحات، دمه يطلى به الورَم يسكن وجعه.
قالَ بلنياس: "بول الثور يخلط مع بول الإنسَان ويوضع على أصَابع اليدَين والرجلين يذهبُ بحمّى الربع وقلّما يحتاج إلى ثلاث مراتٍ، وهذا مِنَ العجائب"، أختاء البقر يضمد بها لسعَة الزنبور يسَكنها.

خواصّ أجزاء بقر الوَحش: مخّه يُطعَم منه صَاحبُ الفالج ينفعه نفعاً بيّناً، قرنه من استصحبَه مَعه نفرت عنه السّبَاع، ويدَخنُ به في البيت فتهربُ من ريحه الحيّات، رماده يدرّ منه على السّنّ المتآكل يسكن الوجَع، دمه ترياق للسمُوم كلّها، شعره يبخر منه البيت يهرَبُ منه الفأر.

خواصّ أجزاء الجاموس: الدّودة الّتي في دماغه إذا علّقت على أحدٍ لا ينام ما دامَت معَه، لحمه يولد القمل، شحمه يذابُ بالملح الأندرانيّ ويُطلى به على الكلف والنمش والجرب والبرص يزيله.

خوَاصّ أجزاء الضأن: قرن الكبش: إذا دفنَ تحتَ شجرةٍ باكرت بثمرتها قبل كلّ الأشجار وَكثر حملها، مرارة الضّأن يكتحل بهَا مع العسَل ينفع من نزول الماء في العين، ومن إزالة البيَاض ينفع نفعاً عجيباً، مخه

---

[٢٠٥] – نهاية صفحة ١٩١ من المخطوط

يورث البلَه وأصحابُ الصّرع إذا أكلوا منه يشتدّ صَرعهم، عظمهُ يحرق بنار حَطب الطّرفاء ويخلط رمَادُه بدهن الشمع المتخذ من دُهن الوَرد ويُطلى به موضع الشجّ والهشم يُصلحه، وقال بلنياس: "إذا تحملت المرأة صُوف النعجَة قطع الحبَل".

خَواصّ أجزاء المعز: قال بلنياس: "قرن ماعز أبيض يسحَقُ[٢٠٦] وَيشَدّ في خرقةٍويجعَل تحت رأس النّائمِ فإنّه لا ينتبهُ ما دَامَ تحتَ رأسِه.

مَرارة التيس بعدَ نتف الشعر منَ الجفن كحلاً يمنعه من النبات، ومرارة تيسٍ مَعَ مرارة بقرة مخلوطان يلطخ بهمَا فتيلة من قطن عتيق ويجعَل في الأذن يزيل الطّرش الحادثَ، طحاله يقطعُه صَاحب الطّحال بيَده ويعلّقه في بيتٍ هوَ فيه؛ فإذا جَفّ الطّحال زال ألَمُ المطحُول، لحمه يورث النسيَان ويُحرّك السّوداء، قال بليانس: "دم التيس يفتت حجر المغناطيس، وتسقى إبرة بدم تيس ويثقبُ بها الأذن فلا تلتئم أبداً، وجلدهُ إذا سُلخ وهوَ حَارّ ووضع على جلد الملسُوع أو المنهُوش منَ الحيّات والأفاعي أو المضروب بالسّياط دفع عنهمُ الآفة والألم.

لبنُ الماعز ينفعُ منَ النوَازل ويحسّن اللّون شرباً، سيّما معَ السّكر، ويُطلي ببَعره الجرب مع السّكر في الحمامِ ثلاث مرات فإنّه يذهب به، لبنه علاج للنسيَان معَ السّكر ودواء للبلغم والوسوَاس والخيالات الفاسدة والأحلام الرديئة ويهيّج الباه.

أنفحة الجدي والخرفان تجلب الفضول من أعماق البدَن، بول الجدي يغلى حَتّى يثخن ويخلط بمثله من سُكّر ويُطلى به الجرَبُ في الحمّام ثلاثَ مراتٍ يزول، قال ابن سينا: "بعر الماعز يحلل الخنازير بقوّةٍ وإذا حملته المرأةُ بصُوفةٍ منَع سيَلان الدم منَ الرحم، وبعر المعز والضّأن مَعَ الخلّ يوضع على حرق النار بدهن ورد وشمع ينفعُه.

خوَاص أجزاء الغزال: قرنه ينحتُ ويدخنُ به لطرد الهوَامّ: لسانه يجففُ في الظلّ، ويُطعَم للمرأة المسَلّطة الملسنَة على زوجهَا تزول سلاطتها، مرارته تقطر في الأذن الوجعَة يزول وجَعُها، بعر الظّبي وَجلده يحرقان ويجعَلان في طعَام الصّبيِّ ينشأ ذكيّاً فهيماً حَافظا فصيحاً.

خواص أجزاء سبَاع الوحوش

الأسَد: خواصّ أجزائِه: سنّه من استصحبَه يأمنُ من وجَع السّنّ وألَمه، ويُعلّق على الصّبيّ تنبتُ أسنَانه بسهُولةٍ، مرارته تسقى للإنسَان يصير جريئا جسُوراً مقداماً، وهيَ تزيلُ الصّرع حملاً، وتنفع دَاءَ الثعلب، والاكتحال بهَا يمنع سيَلانَ الدّمِ منَ العين، شحمه يطلى به البوَاسير والأورام الحارّة ينفعُها، ويُطلى به الوجه[٢٠٧] وَالبدَن فلا يقربُه شيء منَ السّباع، وإن جُعل في بيتٍ يهربُ منه العَقارب والفأر، وإن ألقي في مَاءٍ مَاءٍ لا يشربه شيء من الدّوابّ، شحمه الذّي بين عينيه يذاب ويمسَح به الرجل وجهَه يَهابه كل من يَراهُ

---

[٢٠٦] – نهاية صفحة ١٩٢ من المخطوط

[٢٠٧] – نهاية صفحة ١٩٣ من المخطوط

وينقاد إليه، لحمه ينفع من الفالج والاسترخاء، دمه إذا طلي به السَّرطان أزاله، وكذلك جميع السّلع والأورام التّي تحدُث في الإنسَان، وإذا مزجَ به الحليبُ وطليب به البرصُ أزالهُ، خصيته تولد العقر في الرّجال، فمن أكل منها لا تحَبل منه امرأة أصلاً، برثنه[٢٠٨] يحمله الإنسَان معَه فلا يقربُه شيء منَ السّباع وهَابه كلّ من رآه، وإذا طرحَ في الماء وشربَ منها الغنم أصَابهَا هزال ولم تسمَن بعدَها أبداً، جلده ينام عليه صَاحب حمّى الربع يوم نوبته، ويغطّى بالثياب حتى يعرَق تزُول عنه، ودَوام الجلوس عليه يذهبُ البوَاسير، ويذهب أيضاً الخوف من قلب الخائف، ولو اتخذ من جلده طبل دهل لا يقف لسمَاعه فرس أبداً، وإذا حمل جلد جبهته إنسان تحتَ عمامةٍ كانَ مهَاباً موَقرا معَظَّماً عند الملوك والسَّلاطين معَاملاً بالإكرام والتبجيل.

النمرُ: فمن خواصّ أجزائه: إذا دفنَ رأسُه في مكانٍ، اجتمعَ فيه كل فأر في تلك الأرض، مرارته من اكتحل بهَا نوَّرَ بصَرهُ وَمنعَ نزُول الماء في العين، شحمه يذاب ويجعَلُ عَلى الجراحات العتيقة ينظّفها ويبرئها، لحمُه من أكله ولو خمسَة دراهم منه لا يَضرُّه السمُومات الحيَوانيّة والنباتيّة، قضيبه يُطبخ ويشربُ مِن مَرقهِ ينفعُ الحصَى في المثانة ومن تقطير البول، جلدُه يتخذ منه مقعَد يجلسُ عليه صَاحبُ البوَاسير والشقاق تزول عنهما، ومن حمَل شيئاً من جلده هَابه كلّ من رآه.

الفهد: من خواصّ أجزائه: لحمه يورث حدّة في الذهن وذكاء وفهماً وقوّة في البدَن والأعضَاء، دمه من شرب منه غلبَت عليه الفصَاحة والبَلاغة، برثنه إذا وضع في مكان لم يبق فيه فأر أصلاً.

الكلبُ: فمن خواصّ أجزائه: عينا الكلب الأسوَد الميت متى دفنتا تحتَ جدَار انهدَم سَريعاً، وإن حَملهما إنسانٌ معه لا ينبح عليه كلبٌ أصلاً، نابُه يشدّ على الكلب العقور لا يعود يعقر أحداً ما دامَ[٢٠٩] عليه، ويُشدّ على الصّبيّ ينبتُ سنه بلا وجَعٍ ولا ألمٍ، ومن كان كثير الهمترة والهذيان والكلام في نومه وحمله لا يعُود لما ذكر.

وناب الكلب الكلب الّذي قد عَضّ إنسَاناً يشدّ في قطعَة جلدٍ ويُربَط في عضُد إنسَانٍ يأمَنُ من عَضَّة الكلب الكلب مَا دَامَ حَاملاً لذلك.

لسَانُ الكلب الأسوَد يمَلّح ويخرز ويحمل فلا ينبح على حَامِله الكلاب وهذه الخاصيّة تعلمها اللصُوص، مرارته تنفع من ظلمة العين اكتحالاً، كبده يُطعَم مشويا لمن عضّه الكلبُ الكلبُ، شحم الكلب يُطلى به الخنازير يحلّلها، سيّما ما كانَت في الحلق، مخّه أيضاً يفعَل ذلك، قضيبُه يجفّفُ ويستصحبُه الإنسَان يبتلى بانتصَاب الذكر ما دامَ حَامِله، شعرُه يشدّ على المصروع يخفّ صرعُه، وشعرُ الأسوَد البهيم منَ الكلام أشدّ نفعاً للمصرُوع، بوله يَقلَعُ الثآليل إذا طلي به، قالَ ابن سينا: "قراد الكلاب ينفع في النبيذ ويسقى صَاحب القَولنج يزيله في الحال إذا كانَ القراد أبيَض اللّون، زبل الكلب الأسود تحمله المرأة تأمنُ من إسقاط الجنين.

الذئبُ: فمن خواصّ أجزائِه: رأسُه يُعَلق في برج الحمام لا يقربه سنور ولا حيّة، ويدفن رَأس الذئب في زريبَة الغنم يمرض كل غنم في الزريبَة ويموت غالبُها، نابه من استصحبَه لا يسكر أبداً ولو شربَ دنّاً منَ الخمر،

---

[٢٠٨] – هو بضم فسكون فضمَ مخلبه

[٢٠٩] – نهاية صفحة ١٩٤ من المخطوط

وإذا علّق نابه على الفرس سَبَق الخيلَ، عينه اليمنى منَ حملهَا لا يفزعُ بالليل، عينه اليسرى من حَملهَا لا يغلبه النوم، مرارته يُطلى بها بينَ الحاجبَين يبقى مكرماً بين الخلق، ويَشَدّ على الفخذ الأيمن في أوّل الشهر يزيل الصّرع عن المصروعين؛ وإذا تحملت منها المرأة الّتي لا تحمل حمَلت، والاكتحال بهَا ينفع من نزول الماء في العين ومنَ الغشاوة، دمه يخلط بدهن الجوز ويقطر في الأذن يزيل الطرش، وإذا سُقيت منه المرأة لا تحبل أبداً، خصيته تؤكل مشويّة لتقوية الباه وتهييج الجماع، عَظمه: يحرق ويُدَق ويدَرّ حول الزريبَة لا يقربُ من غنمهَا ذئبٌ أصلاً.

الضّبعُ: وخواصّ أجزائه: رأسُه يجعَل في برج يكثر فيه الحمامُ جدّاً، لسانه من حَمله معَه لم ينبح عليه كلبٌ ولم يُغلب عندَ المخاصَمة والمحاجَجَة[210]، وَإذا علّق على باب دار فيها عرس أو دعوَة لا يقع فيها شرّ ولا مكروهٌ ولا خلف، ويزداد فرحهم واتفاقهم، نابه من استصحبَه لم ينسَ شيئاً أبداً، مرارة الضّبعَة العرجاء تمنع من نزول الماءِ في العين اكتحالاً وتجلو البصَر منَ الظّلمة، قالَ بلنياس: "يخلط مرارة الضبع بدم العصَافير ويطلي به الإنسانُ عينه يأمن من نزول الماء فيهَا مدّة حيَاته، قلبُه يعلّق على صَبيّ يبقى فهيماً ذكيّاً، شحمه يُطلى به الحوَاجب يكونُ فاعله محبُوباً إلى النّاس، يده اليمنى من استصحبهَا قضيت حوائجه عند الملوك، وتشدّ على عضد المرأة وسَاقها يسهل عليها الولادة، برثنه يُعَلق على شجرة لا يقربُها أذىً، قضيبه يجفف ويسحقُ ويستفّ منه الرجل قدرَ دانقين يهيّج به شهوة الجماع بحيث لا يملّ ولا يفترّ ولو أتى عشرين امرأة، وإن سُقيت المرأة الفاجرة من ذلك تابت وتركت الفجُور، وقال بلنياس: "فرجها وجلدة سرّتها إن شدّا على رَجل لم تنظر إليه امرأة إلاّ أحبته، وإن شدّا على امرأة فلا ينظرهَا أحدٌ إلاّ أحبّها، وإن شدّ فرجُها على المحمُوم زالت عنه الحمّى، جلده يتخذ منه غربالاً يغربل به القمح ثمّ يزرعه يأمنُ الفسَاد والجرَاد، قالَ ابن سينا: "من عضّه الكلب الكَلب فإذا فزعَ منَ الماء يسقى في إداوة من جلد ضبع، وقيل إذا أخذت شيئاً من جلد ضبُع وشددتَ فيه شيئاً من وَرق الشيح وربَطتَه في خرقة ويعلّق على الإنسَان فإنّ النساء تتبعه ويرى من ذلك أمراً عجباً، الشّعر الّذي حَول فقحته ينتف ويحرق ويسحق بزيت ويدهنُ به صَاحبُ الأبنَة يزول مرَضَه.

الدّبّ: فمن خواصّ أجزائِه نابه يلقى في لبَن المرضعَةِ ويسقى للصّبيّ تنبتُ أسنَانه بسُهُولة من غير ألَمٍ، عيناه تعلقان على صَاحب حمّى الربع في خرقة حريرٍ أو كتان تزول عنه، مرارته تنفعُ من ظلمة العين اكتحالاً، شحمه يزيل البرَصَ طلاءً، دمُه يخلط بدهن البيض ويُطلى به الموضع الّذي ليسَ به شعر ينبتُه.

خوَاصّ الثعلب: رأسُه إذا وضعَ في برج حمَام هربَت كلها، نابه يشَدّ على الصّغير الذي به ريح الصّبيَان يذهبُ فزع النوم وتحسُنُ أخلاقه، ويُعلّق على من يشكو ألماً بأسنانه يزول عنه، مرارته تنفخ في أنف المصروع فلا يصرع في ذلك الشهر[211]، ويكتَحل به يَمنع نزول الماء في العَين، لحمه ينفع اللّقوة والفالج والجذام إذا داومَ عليه، شحمه يذابُ ويُطلى به النقرس ينفع في الحال ويزول وجعُه.

فصلٌ في خواصّ أجزاء سبَاع الطيور

---

[210] – نهاية صفحة ١٩٥ من المخطوط

[211] – نهاية صفحة ١٩٦ من المخطوط

العقاب: مرارته تنفع منظلمة العين اكتحالاً ويطلى بها ثدي المرأة إذَا انعقد اللبن فيه يسكنُ ألم ذلك ويكثر لبَنها، دمُه يجفف ويخلط بالإهليلج الأصفر مسحُوقا ويكتحل به فإنهُ ينفع من جرب العين، ولو طلي به من خارج نفعَه أيضاً، مخّه يذابُ بالزيت ويُطلى به رجل النقرس يزول أَلمه، وكذلك وجع المفاصل.

الباز: مرارته من اكتحل بهَا يأمنُ من نزُول الماء في العين، وقال ابنُ سينا: "مرائر الجوَارح كلّها تنفعُ من ظلمة البصَر اكتحالاً، عظمه يدَق بعدَ الحرق ويذَرّ على الموضع المحروق منَ البدَن ينفعُه.

خوَاصّ أجزاء النسر: مرارته تقطر في الأذن تذهبُ بالطّرش الحادث والعتيق، والاكتحال بهَا يجلو البصَر، لحمه يُطبَخ ويخلط بالورس والملح والكمون والعَسَل ويسقى للسع الهوَامّ المسمومة، شحمُه يذابُ ويقطر في الأذن مراراً يذهبُ بالطّرش.

الشوحة وهي الحدأة، مرارتها إذا جففت وسحقت ودرت في سلال الحيّات ماتت الحيّات، وتنفع منَ النهُوش واللذوغ طلاءً.

خواصّ أجزاء الحبارى: داخل قانصتها تجفف وتسحقُ معَ الملح الأندرانيّ والخبز المحرق أجزاء سَواء، ويكتحل به فإنه يزيل البيَاض الذي في العين اكتحالاً، وقال ابن سينا: "بيض الحبَارى نافعٌ للقوابي وحَرق النار".

خواصّ أجزاء الطّاوُوس: مخّه مع السّذَاب والعسَل ينفع منَ القولنج وأوجاع المعدَة، مرارته يسقى منها وزن دانق للمبطون، دمه من سُقي منه اعتراهُ جُنُوّن، لحمه يزَيدُ في الباه وينفع من وجَع الركبتين، شحمه يُطلى به العضو المبرود، عظمه من صحبَه يأمنُ من عين السُّوء، مخلبه يشَدّ على المطلقة تضعُ في الحال، يُشد على فخذهَا، وكذلكَ إذا بخّر به تحتَ ذيلها وضعَت سَريعاً.

خوَاصّ أجزاء الدّجاج: تطبخ الدّجاجَة البيضَاء بعَشرِ بصَلاتٍ[212] وكفّ سمسم مقشراً حتى تتهرّي وَيؤكل لحمُها ويشربُ مرقهَا، فإنه يزيدُ في الباه زيَادة لا ينكرهَا أحَد، وتقوّى الشهوَة ويلذ الجماع للرجُل والمرأة، ومداومَة أكل الدّجاج يوَلّد البوَاسيرَ والنقرس[213]، شحمه يُطلى به الكلف الأحمر في الوَجه ينفعُه ويُزيله، وينفعُ منَ الشّقاق العَارض في القدَم من البرد، مرارتها تمنع من نزول الماء في العين اكتحالاً، قانصتها قال بلنياس: "تشوى وتطعَم لمن يبول في الفراش يذهبُ عنه ذلك، بيضها ينقع في الخلّ ثلاثة أيّامٍ ثم يترك في الشمس ليجف ويُطلى به البهَق يذهبُ به، والبيض النيمرشت ينفعُ في تكثير مَادة المنيّ وإسخانه وزيادة الشهوة عجباً، دهن البيض يُطلى به النقرس يسكن وجَعَه وألمه، ذرقها ينفعُ القولنج إذا شربَ بخلّ أو نبيذٍ، وينفعُ صاحَب الحصاة، قالَ بلنياس: "ذرق الدّجاجَة يلصَق على باب قومٍ يقع بينهم شرّ وخصُومَة".

خوَاصّ أجزاء الكركيّ: ذرقه يسحقُ بالماء ويبَلّ به فتيلة ويجعَل في الأنف ينفعُ كلّ قرحَةٍ في الخيشُوم، عينه تسحقُ ويكتحل بهَا الإنسَان فلا ينام، مرارته تنفع من نزول الماء في العين اكتحالاً، لحمه وشحمه يُطبخان ويقطر مرقهُمَا في الأذن يزيل اَلطّرش، مخّه يذابُ بخلّ العنصُل[214] ويسقى لوجع الطّحال في الحمّام ينفعُه، قانصته تجفف وتسحقُ ويسقى منها زنة درهمين لمن به وجع الكليتين والمثانة بماء الحمّص ينفعُه.

---

[212] - نهاية صفحة ١٩٧ من المخطوط

[213] - ورم ووجع في الكعبين وأصابع الرجلين

[214] - بالضمّ بصل الغار

خواصّ أجزاء الهدهد: قنزعته تعلّق على من به وجَعُ الرأسِ يَزول، قال بلنياس: "مَن أخذ عينه وجَففها وجعَلها في دُهن، ودهنَ به وجهَه فلا يراه أحدٌ إلاَّ أحبّه حُبّاً مَا عنه مزيد، وتجعَل عينه تحتَ رأسِ إنسَان فلا يَنام ويغلب عليه السّهرُ مَا دامَت تحتَ رأسِه، وإذا شَدَدتها على أحدٍ يذكر جميعَ ما كانَ نسِيَهُ، وتعلّق على صَاحب الجذام تنفعه نفعاً بيّناً، لسانه يحملهُ الإنسان معَه لا يَظفر به عدُوّ ما دامَ معَه، وإذا علّقَت عينُه معَ لسَانه على إنسَان يدفع عنه غلبة السّهو والنسيَان ويزيد في فهمه وذكائه وحذقه، قلبه إذا علق على إنسَان زادَ في قوّة الباه وشهوة الجماع، وإذا شوي ودُق[٢١٥] معَ السّكر وجعل فوق رغيفٍ وأكله شخصَان انعقد بينهما محبة لا انصرام لها بحَيث لا يصبرَ أحدُهما عن الآخر لحظة واحدة، مرارته يسعَط بهَا صَاحبُ اللقوة ثلاثة أيام في مكان مظلم ينفعُه نفعاً مسرعاً، جناحه الأيمن يجعَل تحتَ رأس النائم، يثقل في نومه، ولو دُخنَ بجناحِ هُدهدٍ في برج حَمام هربَت منه الحمام، ومن وضع عَلى أذنه ريشة منَ الهدهد وخاصَمَ أو حَاكم كانَ هوَ الغالبُ في خصُومتِه وحُكومته، لحمه يقدّدُ في الظّلِّ ويسحقُ ويُخلط في الدّقيق ويتخذ منه خبيصاً ويَطعمُه لمن أراد، فإنهُ يحبُّه محبّة عظيمَةً، عظمه يدخنُ به في البيت تموتُ من دُخانه الهوَام الأرضيّة والنمل والعَقرب وأشباههُما، أظافره تحرق وتدَق وتسقى للمرأة الّتي لا تحمل فإنّها تحمل إذا باشرهَا الرجل عقيبَ الشرب.

خواصّ أجزاء العقعق: دماغه يخلط بالغالية ويسعَط به صَاحب اللقوة والفالج يذهب ما به، دمه يجفف ويخلط بماء الوَرد ويسقى للصّبيّ الّذي لا يتكلم ينطَلق لسانه بالكلام، دمه طريّا: يطلى به الموضع الّذي فيه نصل أو شوكة يخرجهَا بسهُولة، مخه يطعم للصّبيّ بالسكر يبقى فصحياً ذكيّاً فهيماً حَافظاً، ريشه يحرق ويدَقّ ويدرّ في عش النمل لا يبقَى في الموضع شيء منه، محّ بيضِها يكتحَل به بعدَ الحمّام مرّتين أو ثلاثة فإنّه يزيل بيَاض العين بالكليّة.

خواصّ أجزاء الخفاش: وَهوَ المسمّى بطير الليل، رَأسُه يترك في برج الحمام يألف الحمامُ إلى ذلك البرج وينمُو

فيه، وإذا ترك تحتَ رأس إنسَان فإنه لا ينام، دماغه: قال ابن سينا: "يكتحل به يزيل الماءَ منَ العين، قلبُه يُعَلّق على من هَاجت به شهوة الجماعِ يسَكنها، دمه يزيل الغشاء من العين اكتحالاً، ويُطلى به الإبط والعَانة بعد النّتف فإنه لا ينبُت بعدَ ذلك بهمَا شعرٌ، ذرقه يزيل الظّفر منَ العين وكذلك البيَاض اكتحالاً، ويُلقى في عشِّ النمل فيهربُ منه، ويُطلى به العُضوُ الّذي ينبتُ عليه الشّعر وهوَ لا يختار نباته بالزرنيخ والنّورة مراراً فإنّه لا ينبتُ على ذلك شعرٌ وتعمى منَابتُ الشّعر.

خواصّ أجزاء البوم: مرارته يكتحل بهَا تنفعُ من ظلمة العَين اكتحالاً، وزعمُوا أنّ إحدى عينيه تنوّم[٢١٦] والأخرى تمنع النوم عَن حَاملهَا، والطّريق إلى معرفة حاليهما أنك ترميهمَا في إناء فيه ماء، فالغائصَة في الماء هيَ المنوّمة والفايشة هي المسهّرة، وتخلطَ عيناه بالمسك وتحمل؛ فمن شمَّ رائحةَ ذلك المسك أحبَّ الحَامِل محبّة أكيدَةً وَهيّجت بالشّامِّ روحَانية المحبّة، قلبه يُطعم لصَاحب الفالج مشويّا ينفعُه، مرارته تخلط برمادٍ مِن خشَب بلوطٍ وتطعمُ لمن في مثانته حَصىً تفتتهُ، وتخلط برمَاد خشَب الطّرفاء ويأكله من يبُول في

---

[٢١٥] – نهاية صفحة ١٩٨ من المخطوط

[٢١٦] – نهاية صفحة ١٩٩ من المخطوط

الفراش يزول عنه، كبده سمّ قاتل، لحمه يورث الغثيان وَالقيء، عظمه يبخر به بين ندمان الخمر يقع بينهم خصُومات وفرقة وتشتيتٌ في الحال.

خواصّ أجزاء الخطّاف: ريشُ رأسهِ يجعَل تحت رأس إنسَان فإنه لا ينام، يجفّفُ قلبه ويسحق ويسقى للإنسَان فإنه يعين على الجماع بما لا يمكنُ وصفه.

وهَذا آخر الكَلام في الخواص

فصلٌ في خصَائِصِ البلدَان

لم تذكر في ترجمة العنوان لأبي منصُور الثعَالبيّ رحمة الله تعالى عليه، فمنها:-

الشام جَعلهَا الله دارَ الإسلام على التأبيد والدّوام، ومن خصَائصهَا: أنها كانَت موَاطنَ الأنبياء عليهمُ السّلام ومعدن الزهّاد وعشّ العبَّاد، ومن خصَائصها التفاح الّذي يُضرَبُ به المثل في الحسن والطّيب والرائحة، ومنها الزّجاج الّذي يشبّه به كلّ شيء رقيق، فيقال على ألسنة الأنام: "أَرق من زجاج الشام"، ومن خصَائصهَا غوطة دمشق وأطيَبُ نزهِ الدّنيا، أربع: غوطة دمشق، ونهر الأيلة، وشعب بوان، وصغد سمرقند.

مصر: خلّدَ الله ملك سُلطانها؛ ومن خصَائصهَا كثرة الذهب والدنانير، وكانَ يقال في المثل السَّائر مَا معناه: "من دَخل مصر ولم يستغن فلاَ أغناهُ الله"، ومنها الكتانُ الّذي يبلغ قيمة الحمل منه مائة ألف دينار، ويقال له: دق مصر، وهوَ منَ الكتان المحض لا غير، ومثل هَذا لا يُوجَدُ في الدّنيا، وحمير مصر موصُوفة بحُسن المنظر وكرَم المخبر حتّى لا يخرج من بلد أمثالها ولا أفهم منها، ومن خصَائصها الأهرمات ووصفهَا يعجز عنه اللسَان، ومنها الثعَابين لا تكون إلاّ بمصر وهي عجيبة الشأن[٢١٧] في إهلاك بني آدمَ والحيوَان وليسَ لها عدُوّ إلاَّ النمس، وهي إحدى العجايب لأنها دُويبة متحركة إذا رأت الثعبَان دنت منه من غير خوف ولا جَزعٍ فينطوي الثعبَانُ عليها ويريد أن يأكلها فيزفر النمس زفرةٍ ويقدّ الثعبانَ قطعتين أو قطعاً، ولولا النمسُ لأكلت الثعابين سكّانَ مصر، والنمسُ بمصرَ أنفع لأهلها منَ القنافد لأهل سجستان، ومن خصَائصها النيل والمقياس، حكيَ أنه ليسَ في الدّنيا أكبر من نيلهَا نهرا ولا أحكم من مقياسهَا أمرا، ومن عيُوبها أنّ أهلهَا يكرهون المطرَ كراهيةً شديدة حَتى يخرجون في ذكر كراهيته إلى ما لا فائدة في ذكره لأنّ المطر لا يوافقهم ويهلك زرعهم وخصّت بالتماسيح الّتي هيَ أخبثُ حيوَان في الماء وليسَ فيها منفعَة بوَجه مِنَ الوجُوه.

اليمن: من خصَائصهَا السّيُوف والبرُود والقرود، والزرافة الّتي فيها شبهٌ من الناقة، والثور والنمر، ومن خصَائصهَا العقيق الّذي ملأ الدنيا كثرةً.

البَصرَة والكوفة وكَانَ يُقال: "الدنيا بصرة ولا مثلك يا بغداد"، وكانَ جعفر بن سُليمان يَقول: "العراق عين الدّنيا والبصرة عين العرَاق والمربدُ عينُ البصرة وداري عين المربد"، وقالَ الحافظ في المدّ والجزر بالبصرة: "ما قولكم وظنكم بقوم يأتيهمُ الماءُ صبَاحاً ومسَاءً؛ فإن شاؤوا أذنوا له وإن شاؤوا حجبُوهُ"، ويحكى أنّ أميرَ المؤمنين هَارون الرشيدَ قال لجعفر بن يحيى وزيرهُ وهما بالكوفة في آخر الليل: "قم بنا يا جعفر نتنسَّم هوَاء الكوفة قبل أن تكدّره العَامة بأنفَاسهَا"، ومن أصدَق مَا قيل: "الكوفي لا يُوفي".

---

[٢١٧] – نهاية صفحة ٢٠٠ من المخطوط

بغدَاد: قال أحمَدُ ابنُ طَاهِر: "هيَ جنّة الأرض وواسطة الدّنيا وقبّة الإسلام ومدينة السَّلام وغرة البلاد وَدار الخلفَاء ومعدن الظرائف واللّطائف، وبهَا أرباب النهايات في العلوم والدّرايات والحكم والصّنَاعات هوَاؤُها ألطف من كل هوَاء، ومَاؤهَا أعذب من كلّ ماء وَنَسيمُها أرَق من كلّ نسيم، لم تزل مؤاطنَ الأكاسرَة في سَالف الزمَان، الّذينَ أظهروا المعدلة في الرعايا ووَطروا الأقاليم والبلدان وَمنازل الخلفاء الأعلام[218] في دَولة الإسلام، ومن عجائبها أنها على كونها حضرة الخلفاء ومقرّهَا، لا يمُوت فيها خليفة، قالَ عمارة بن عقيل فيها:-

قضى رَبّها أن لا يمُوتَ خليفة بهَا، وبما قد شاءَ في خلقة يقضي

الأهوَاز: ومن خصَائِصها أنّ لها ثلاثَ بلادٍ كلّ واحدَة منها مخصوصَة بشيء لا يوجَد مثلهُ في البلاد، منها عسكر مكرم الّذي لا يكون أحدٌ يقاومه؛ ومنها السّكر الّذي لا يعَادله شيءٌ في الدّنيا طيباً وكثرة إلاَّ بهَا، ومنها تستر الّتي بهَا طراز الدّيباج الفاخر، وهوَ موصُوف معَ ديباج الروم، ومنها السوس الّتي بهَا طراز الخز النفيسَة الملوكيّة، ومن عيوب الأهوَاز العقاربُ الجرّارات القاتلة، وَلا يوجَد بهَا أحدٌ محمّر الوجه، لا رجُل ولا أمرأة ولا صَبيٌّ أصلاً.

فارس: من خصَائصهَا ماء الورد الذي لا يوجَدُ مثله في سَائر الأرض طيباً، والجُوريُّ منه منسُوبٌ إلى إحدَى بلادهَا، والموميَات الّتي تمتحن بأن تكسَر رجل ديك ثمّ يسقى منه وزن شعيرة فإن كانَ خالصاً انجبرَ الكسر حَتى كأنّه لم يَكن.

أصفهان: هيَ موصُوفة بصحّة الهوَاء وجودة التربَة وعذوبة الماء؛ وقلّمَا تجتمعُ هذه الصّفاتُ في بَلدة، ويحكى أنّ الحجّاجَ وَلّى بعضَ خواصّه أصفهان؛ وقال له: "ولّيتكَ بلدَة حجرُها الكحل، وذبابهُا النحل، وحشيشها الزعفران.

الريّ: من خصَائصهَا الثياب المسَيرة والمقاريض الوسيقة.

طبرستان: يقال إنه قد شانها مَازانَ غيرها من كثرة الأشجار والخضرة والمياه، ومن خصَائصهَا النّارنج والأترج.

جرجَان: وهي جبَليّة سهلية برّية بحرية، يعُدّونَ مائة نوع من أنواع الرياحين والبقول وَالحشايش الصّفراويّة والثمار والحبُوب السهليّة والجبَليّة الّتي هيَ مبذولة بها يتعيش منها الغرَباء والفقراء باجتنائها وبيعها وجمعهَا فيها حبّ الرمّان وبزر قطونا، والتينُ مبَاح لهم، ومن خصَائصهَا: العنابُ الّذي لا يكون في سَائر البلدان مثله، وتلاقى حتّى في الصّيف والشتاء في أسوَاقها من الخيار والفجل والجزر ومنَ الرياحين كالخزامىَ والخيريّ والبنفسج والنرجس والأترج والنارنج[219]، وهيَ مجمع السّمك وطير الماء والدراج والحجَل؛ حَتى يُقال لها بغداد الصّغيرة إلاّ أنها وبية مختلفة الهوَاء كثيرة الإيذاء، قتالة الغرباء، ويُقال: "إنَّ جرجَانَ مقبرة لأهل خراسَان"، وكان أبو تراب النيسَابوريّ يقول: "لمّا قسمَت البلاد بين الملائكة وقعت جرجَانُ في قسم مَلك الموت" أي لكَثرة الموتى بهَا.

نيسَابور: يُقال إنّ كلّ بلدةٍ مَوسُومةٍ بسَابور فهيَ جَليلة نفيسة، كسابور من فارس وجند سَابور منَ الأهوَاز، وقرى سَابور منَ الهند، ولا كنيسَابور الّتي هيَ سرّة خراسَان وغرّتها، ويُقال إنّ كلّ بلدةٍ لها اسمان فناهيك بهَا شرفا وعظمة، كمكّة يقالُ لها بَكة، والمدينة يُقال لها يثرب، ومصر يقال لها الفسطَاط، وحلب

---

[218] – نهاية صفحة ٢٠١ من المخطوط

[219] – نهاية صفحة ٢٠٢ من المخطوط

يقال لها الشهبَاء، وبغداد يقال لها مدينة السّلام، وبيت المقدس يقال لها إيلياء؛ ودمشق يقال لها الشام، والريّ يُقال لها المحمّديّة؛ وأصفهان يُقال لها حي واليهودية أيضاً، وسجستان يقال لها زرنج، وخوارزم يقال لها كاته، ونيسَابور يقال لها أبرشهر، وكان المأمونُ يقول: "عين الشام دمشق، وعين الروم قسطنطينيّة، وعين العرَاق بغدَاد، وعين خراسَان نيسَابور، وعين ما ورَاء النهر سمرقند"، وكانَ عمَرُ ابن الليث صَاحب نيسَابور يَقول: "ألا أقاتل عن بلدة حشيشها البرسَاس، وحجرُها الفيروزج، وترابها طين الأكل الّذي لا يوجَد مثلهُ في الأرض، ويحمل من زورن نيسَابور إلى أدنى الأرض وأقصَاهَا ويتحف بهاَ الملوك والسّادات، وأمّا الفيروزج: فلا يكون إلاّ بنيسابور، ورُبما بلغ فيمة الفصّ المثقال والمثقالين وفوق ذلك، وقد جمع الخضرة والنّضارى والخاصيّة، وكونه لم يتغيرّ بالماء الحار، وتبلغ القطعَة المتميّزة منه مائة دينار، ولمّا دخل إليها أحمَد بنُ طاهِر قال: "يا لها من بلدة جَليلةٍ، لو لم يكن لها عينان، وكانَ ينبغي أن يكونَ ميَاههَا الّتي في باطِن الأرض على ظاهِرهَا، وأن يكونَ مسَالخها الّتي على ظاهِرهَا في باطنها"، وأنشد:

ليسَ في الأرض مثل نيسَابور   بلد طيّبٌ ورَبّ غفور

طوس: من خصَائصهَا الشيح الّذي لا يكون إلاّ بهَا، والحجر الأبيَضُ[220] الّذي يتخذ منه القدُورُ والمقالي والمجامِر، وقد يتخذ منه كل ما يتخذ من الزجاج: كالأقداح والكيزان وغيرها، وقيل: "قد أَلاَنَ الله لأهل طوس الحجر كما أَلان لداودَ عليه السّلام الحديد.

هراة: مدينة عظيمة ينشد فيهَا:

هراة أرض خصبُها واسِع   ونبتها التّفاح والنرجسُ

مَا أحَدٌ منها إلى غيرها   يخرج إلاّ بعدَ ما يفلسُ

ومن خصَائِصها: الكشمش وهوَ نوع منَ الزبيب الّذي لا يوجَد ببلد غيرهَا مثله، والطّائفيّ أيضاً وهوَ نوع فاخِر منَ الزبيب، وهوَ الذي يقال فيه:

وَطائفي من الزبيب بهِ   تنّقل الشرب حين تنتقل

كأنّه في الإنَاء أوعيَة   منَ البحاري ماؤها عسَلُ

مرو: وهيَ مدينة جليلة بناهَا ذو القرنين؛ ويقال لها أم خراسَان، ويُنشدُ فيها:

بلدٌ طيبٌ وماء معين   وثرى طيبه يفوح عبيرا

وإذا المرءُ قدر السَّير منه   فهو ينهاه باسمه أَن يَسيرَا

بلخ: وإليها ينسَبُ جيحُون، ويُقال له نهرُ بلخ، ويُقال: "العيش في الصّيف ببلخ كتصحيفه"، ومن خصَائصهَا النيلُوفر والبنفسَج والبجاد.

سجستان: يقال "مَاؤهَا وشل ولصّها بَطَل"، ويروى عن أفاعيها عن شبَيب بن شيبَة أنّه قال: "صغار أفاعيهَا سُيُوف وكبارُها حتوف"، ومن شروط أهلها أن لا يصيدوا شيئاً من قنافدهَا أصلاً لأنها تأكل أفاعيهَا وحيّاتها، وقد ذكرنا أفاعي سجستان مع ثعابين مصر آنفاً، وجرارات الأهوَاز، وعقارب شهر زور، كما يذكر حكماء اليُونان، وصَاغة حرّان، وحاكة اليمن، وأطباء جند نيسَابور، ولصُوص طوس، ورماة الترك، وسحرة الهند.

بست: يقال "إنّ هوَاءها كهوَاء العراق وماءها كماء الفرات"، وسُئل بعض الفضلاء عنها فقال: "صفتها تثنيتها" يعني أنها بستان.

[220] – نهاية صفحة ٢٠٣ من المخطوط

غزنة: هي مخصُوصَة بصحّة الهوَاء وعذوبة الماء، فالأعمار بها طويلة والأمراض بهَا قليلة، وما ظنك بأرض تنبتُ الذهب ولا تولد الحيّات ولا الحشرات المؤذية؟ فهي أزكى أرض وأطيبها وأنظفها، ومن خصَائِصها[221] أن يخرج منها الرجَال الأنجاد الأجلاد، وكانَ أبو مسلم يكتب إلى داودَ صاحب غزنة:" أن أنفذ إليّ الرجَال من زوالستان، والخيل من طخارستان"، ومن منَاقبها أنَها قليلة الثمار لأنّ كثرة الثمار تقترن بكثرة الأمراض، وكلّما كانت الثمار أقل ببلدة كانت الأمراض بهَا أقلّ، والهوَاء بهَا أصحّ والتّربة أخف والماء أهنأ وأمرأ.

بلاد الهند: ناهيك بهَا ديار يأتي من بحرهَا الدّر، ومن جَبلها الياقوت، ومن شجرهَا العُود، ومن وَرقها العطر والكافور؛ وأنشد الثعَالبيّ في غلام هنديّ:

هَذا غزال الهند في الغزلانِ	كمثل عود الهند في العيدَان
وجه بديع الحسن في الغلمانِ	مُصَوَّرٌ من حَدَقِ الحسَانِ
كأنه في ناظر الإنسَانِ	إنسَان عين الحسن في الزمان

ومن خصَائصِهَا الفيل والكركند والتبر والببّغاء والطّاووس والعاج والسّاج والتوتيا، والقرنفل والسّنبل والتنبل والنارجيل، وجوز الطّيب والسيُوف والحراب والذهب والعطر، وهيَ أكثر خصَائصَ من كلّ البلدان على الإطلاق.

سمرقند: لمّا أشرف عليها قتيبَة بن مسلم قال: "كأنها السّماء في الخضرة، وكأنّ قصُورهَا النجُوم اللّامعَة، وكأنّ أنهارها المجرة، وكانَ يقول: "سَمرقند جَنة في الأرض ترعاهَا الخنازير"، ومن خصَائصها الكواغد الّتي أزرَت بكواغد الأرض في الطّول والعرض، والجلود الرقاق الّتي لا توجدُ في الدّنيا، وكانَ الأوائل يكتبون كتب العُلوم والحكمة والتواريخ فيها لحسنها ولينها واقامتها، وقالَ الشاعِر:

للناس في أُخراهمُ جنة	وجَنّة الدّنيا سَمرقند
يا من يسَاوي أرض بلخ بها	هَل يستوي الحنظل والقندُ

الصّين: ومن خصائصهَا الظّروف الصّينيّة، ولهم الفخار الفَاخر الذي لا يُوجَد في غيرهَا، ولهمُ الإبداع في خرط التماثيل وإتقانها، وَعمَل التصَاوير والنقوش المدهشة كالأشجار والوحُوش والطّيور والأزهار والثمار وصُور الإنسَان على اختلاف الحالات والأشكال والهيئات[222]، حَتّى لا يغادرُهم شيء إلاّ الروحُ والنطق، ثمّ لا يرضونَ بذلك حَتّى إنَّ مصَوّرَهم يفصّل بين الشخص الضّاحك منَ الغضب والضَّاحك مِنَ العجب والضَّاحك منَ السّرور والضَّاحك منَ الخجل، ولهم الحريرُ المثمن، وبها المماطر الّتي لا تبلّ بالمطر، ولهمُ السّتَائِر[223] الّتي يستتر بها الفارس والفرس في الحرب ولا تؤثر السّهام فيها ولاَ الجروح، ويَكونُ زنة كلّ واحدةٍ منها دون الرّطل الشّاميّ، ولهم منَاديل العمر التي إذا اتسخَت ألقيَت في النار فتعُودُ جديدة ولم تحترق.

بلادُ الترك: هيَ بلاد توازي ببلاد الهند في كثرة خصَائصِهَا كالمسك والسمّور والسّنجاب والقَاقم والفنك، والثعَالب السّود والحذنك واليشم، والحزجَار الذي يتخذُ مِن ذنبه وعرفه المطارد.

فأمّا تبت فهيَ أيضاً من بلاد الترك، وقد خصّت بجوهرٍ شريف وعرض لطيف، أمّا الجوهر فالذهبُ الّذي ينبت فيهَا، وأمّا العَرض فمن أقامَ بهَا اعتراه الفرح والسّرور، ولو ماتَ له عشرَةٌ منَ الأولاد لا يعتريه حزن

---

[221] – نهاية صفحة ٢٠٤ من المخطوط

[222] – نهاية صفحة ٢٠٥ من المخطوط

[223] – جمع ستر بالتحريك الترس

ولا همّ ولا يدري مَا سببُ ذلك، وإنّ الغريبَ الّذي يَدخلها لا يزال مسروراً منبَسِطاً حتى يخرج منها، وهَذه خصوصيّة عظيمة.

خوارزم: تناسبُ بلاد الترك أيضاً في الخصَائِص، ويجلبُ منها السّمُور والوبَر الفاخر والسّمُوك المملحة والبطّيخ الغَريب النوع والطّعم والحَلاوة، وهيَ أشدّ بلاد الله بَرداً وشتاءً، حَتّى إن جيحُونَ يجَمدُ معَ عمقه وعظمته؛ فتمشي على متنه الجامد القوَافل والعجل والفيُول[٢٢٤]، وربما بقي جَامداً مدّة تزيد على الشهرَين لكنّها تصير كالأرض اليابسة الجلدة.

انتهت خواصّ البلدان، وهنا نبذة تناسِبُ هذا المكان

حُكيَ أنَّ أبا عليّ الهاشميّ وأبا دلف الخزرجيّ كانا يوماً في مجلس أُنسٍ عند عضد الدّولة بن بويه، وكانا شاعرين بليغين، فقال أبُو عليٍّ لأبي دلف: "صَبَّ الله عليك الحمَّى الخيبريّة والدمَامل الجزريّة والقروح البلخيّة"، فقالَ له أبو دلفٍ من غير ترَوّى: "يا مسكين قد بلغ عظمك السّكين أتنقلُ التمرَ إلى البَصرَة والعطر إلى اليَمن؟ لا بل صَبَّ الله عليك ثعابين مصر[٢٢٥] وأفاعي سجستان، وعقارب شهرزور، وجرّارات الأهواز، ووباء جرجان، وصَبّ عليّ برود اليَمن ومقصّب مصر، وتفاصيل إسكندريّة وحلل الصّين، وخزوز الكوفة، وأكسيَة فارس، وشربناف أصفهان، وسقلاطون الروم ونصَافي بغداد، ومنير الريّ وطوز نيسَابور، وملحم مرو، وسنجاب فخرير، وسمُور بلغار وثعالب الخزر، وفنك كاشغر، وحواصل هراة وقندس التغزغز وتكك أرمينيَة، وجوارب قزوين، وأفرَشَني بسط شيراز، وأخذ منِي خصيَان الخطا وغلمان الترك وسَرَاري بخارى ووصَايف سمرقند، وحَملني على نجايب نجد وعنَاق البادية وحمير مصر وبغال برذعة، ورَزقني تفاح الشّام وموز اليَمن، ودبس أرجان وتين حلوان وعناب طبرستان، وإجاص بست ورمّان الريّ وكمثرى نهاوند ومشمش طوس، وسَفرجل خلاط وبطّيخ خوارزم، وأشمني مسك تبت وعود الهند وكافور قنصُور وأترج المريد ونارنج البصرة ومنثور الصّغد ونوفر السّروان، وورد جورا، ونرجس الدّشت، وشاه شيرغم ترمد"، فلمّا سمعَ عضد الدّولة ذلك ضحك وتعجبَ منَ استحضَاره خوَاصّ البلدان في الحَال، وأمرَ له بخلعَةٍ سَنيّة ومَال، والله تعالى أعلم بالصَّواب.

يتلوه نبذة من أخبار ملوك الزمان السّالفة منقول من كتاب الذهب
المسبُوك في سيَر الملوك للإمام الحافظ العَلّامة أبي الفرج
بن الجوزّي، تغمده الله برحمته

قالَ: حَكى بعض علماء التاريخ أنّ قيصَر ملك الشام والروم أرسَل رسُولاً إلى ملك فارس أنوشروان صَاحب الإيوان، فلمّا وصَل ورأى عظمة الإيوان وعظمة مجلس كسرى على كرسيّه والملوك في خدمته، وميّز الإيوان فرأى فيه اعوجَاجاً في بعض جَوانبه، فسأل الترجمانَ عن ذلك فقيل: "ذلك بيت لامرأة عجُوز كرهَت بيعَه عندَ عمارة الإيوَان، فلم يرَ ملك الزمَان إكراههَا على البيع؛ فأبقى بيتها في جَانب الإيوان، فذلك ما رأيت وسَألت"، فقال الروميّ: "وحق دينه إنّ هَذا الاعوجاج أحسَن من الاستقِامة[٢٢٦]، وَحق دينه إنّ هذا الذي فعَله ملك

---

[٢٢٤] – في نسخة القفول

[٢٢٥] – نهاية صفحة ٢٠٦ من المخطوط

[٢٢٦] – نهاية صفحة ٢٠٧ من المخطوط

الزمان لم يؤرّخ فيما مَضَى لملك ولا يؤرخ فيما بقيَ لملك"، فأعجبَ كسرى كلامَه وأنعَم عليه وردّه مسروراً محبوراً.

ولمّا افتتح كسرى بلاد العَجم وأحكم البنيان وشيّدَ الحصُون ومهّد البلاد ونشر العدل والإنصَاف في الحاضر والباد، وجند الجنُود وحشد الحشود، سَار إلى نحو الجزيرةِ وآمد، وَفتح ما هنَاك منَ البلادِ إلاّ آمد فإنه عجز عنها لتشييد بنائها وتمكين سُورهَا، فرحل إلى الفراتِ وافتتح حلب وأعمالها وكثيراً منَ الشّام، وغدر بقيصَر ملك الشامِ والروم؛ وقتل ابن أخته بحمص ثم سَارَ إلى أنطاكية وقتل صَاحبهَا وافتتحهَا، فخافه قيصَر وهَادنه وحَمل إليه الجزية، وكانَ ذلك في زمن النبي صَلّى الله عليه وسَلم، وفي ذلك نزل قوله تعالى: "الم* غلبت الروم* في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سَيغلبون"، وللقضيّة قصّة مشهُورة ليسَ هَذا موضع ذكرهَا، قال: وحمل كسرى منَ الشام من أعَاجيب الرخام وبَدائع المرمر وأنواع البلاط المجزّع والأحجار البهجَة، فبَنى بالعَراق مدينة تسمّى برومية وزخرفهَا بأنهى مَا قدرَ عليه، وكانَ أرادَ أن يَصنع ذلك بآمَدِ فلم يقدر على أخذهَا وفتحها؛ فجعَل رومية على هيئتها وشكلها، واشْتدّ سلطان كسرَى وعظم ملكه حَتّى هَابته ملوك الأرض وهادنته وحَملت إليه الجزية، وتزوّج بشاه روزا ابنة خاقان ملك الترك ولم يكن في زمَانها أكمل منها محَاسنا، ولا أبدع صُورة وشكلاً.
وكتبَ إليه ملكُ الصّين: "من يقفور ملك الصّين صَاحب قصر الدّرّ والجوهر، الّذي يجري في سَاحة قصره نهران يسقيان العُودَ والكافور، الّذي يوجَدُ ريحُ قصرهِ عن فرسخين، وتخدمُه بناتُ ألف مَلك؛ والّذي في مربطه ألف فيل أبيَض، إلى أخيه كسرى أنوشروان"، وأهدى إليه فارساً هُوَ وفرسُه مِنَ الدّرّ المنضود، وعينا فرسهِ منَ الياقوت الأحمر؛ وأهدى إليه ثوبا مِن الحرير الصّينيّ، فيه صُورة الملك كسرى وهوَ جالسٌ على كرسيّه في إيوانه، والتاج على رَأسِه والملوك في خدمته، والخدام[٢٢٧] بأيديهم المذاب المصَوّرة المنسُوجة بالذهب في أرض لازوردية، في صُندوق مرصّع بأنواع اليوَاقيت الفاخرة الّتي لا قيمة لها، وأهدى إليه جَارية خطائية تغيبُ في شعرهَا الحالك إذا أسبَلته، يتلألأ جمالاً وبهَاءً، وغير ذلك مِن ظرف الصّين وأعاجيبه.

وكتبَ إليه ملك الهند: "من ملك الهند وعظيم أراكنة الشرَف، صَاحب قصر الذهب وَالزمرّد والياقوت والزّبرجَد، الّذي أبوَابُ قصره مِنَ الزمرُّد الذبابيّ، إلى أخيه كسرى أنوشروان ملك فارس"، وأهدَى إليه ألف مَنّ العُود الهنديّ الّذي يذوبُ على النار كالشمع ويختم عليه كما يختم على الشمعِ فتبين فيه الكتابة، وأهدَى إليه جَاماً منَ الياقوت البهرَمان يَفتح شبراً في شبرٍ، سمكه عرض أصبعين، وأهدَى إليه أربعينَ دُرةً يتيمة، كلّ واحدة تزيد على ثلاثة مثاقيل، وأهدى إليه عَشرة أمنان كافور كالفستق وأكبر، وجَاريَة طولها عشرة أشبَار إلى صَدرها، وخمسَة أشبار إلى فرقها، تضربُ أهدَاب عينيها على خدّيها فكأنَ بين أجفانها لمعَان كلمعَان البرق من بيَاض مقلتيها وسَوَاد سَوادهما معَ صَفاء لونها ودقة تخاطيطها وإتقان شكلهَا مقرونة الحاجبَين، وكان كتابه في لحاء شجر الكادي والكتابة بالذهَب، وهَذا شجر يكونُ بأرض الصّين والهند، وهوَ نوع من نبات الطّيب عجيبٌ ذُو لونٍ أبيَض كالفضّة مصقول كالمرآة، ينطوي كالورَق ولا يتكسّر، وريحه أعطر شيء مِنَ الطّيب.

---

[٢٢٧] – نهاية صفحة ٢٠٨ من المخطوط

وأهدى إليه مَلك تبت من عجائب بلاده مائة جوشن تبتيّة ومائة قطعةٍ تخافيف كالبَرانس كل واحدة منهَا تستر الفارسَ وفرسَه ومائة ترسٍ تبتيّة، لا تعمل في هَذه الأتراس والجوَاشن والتخافيف عوَامِل الرمَاح ولا بوَاتر الصّفاح ولا شدائد نصُول الجراح، وزنة كل قطعة من هَذه المذكورات ما بينَ أربعين دِرهماً إلى السّتين درهما، وَأهدَى إليه أربَعة آلاف مَنّاً من المسك التبتي، وتسعين غزالاً من غزلان المسك في الحيَاة ومائدة عظيمة مِنَ الذهب الأحمَر[٢٢٨] مرَصّعَة بأنواع الدّرّ والجواهِر يدور حَولها نحو من ثلاثين رَجُلا، قد كتبَ على حَافتها: "أشهَى الطّعام ما أكله الآكل من حلّه وجَادَ عَلىَ ذي الفاقة مِن فضله، مَا أكلته وأنتَ تشتهيه فقَد أكلته، وما أكلته وأنتَ لا تشتهيه فقَد أكلك".

وكانَ لكسرى خواتيم أربعة: خاتم للخراج، فصّه ياقوتٌ أحمرَ يتقدُ كالنّار، نقشه: "العدل العدل"، وخاتم للضّيَاع، فصّه فيزوزج نقشه: "العمارة العمارة"، وخاتم للضَّرب والعقوبة، فصُه من زمرّد، نقشهُ: "التأنّي التأنّي"، وخاتم للبرد فصّه درّة بيضاء، نقشه: "العجَل العجَل"، وكانَ له مائدة أهدَاهَا إليه قيصَر ملك الرّوم من العنبر، فتحها ثلاثة أذرُع، على ثلاث قوائم منَ الذهب مفصّصَة بأنواع الجواهر، أحَد الأرجل الثلاثة سَاعد أسَد وكفه، والآخر سَاق وعل، والثالث كفّ عقاب ومخلبه، وثلاثونَ جاماً من الجزع اليَمانيّ، فتح كلّ منها شبر فِي شبر، وكانَ عنده خمسَة آلاف دُرّة، زنة كل واحدة منها ثلاث مثاقيل.

وكانَ يقول:- "خير الكنوز معروف أودعته الأحرار، وعلم توارثته الأعقاب، وأطول الناس عمراً من كثر علمه فانتفعَ به من بعده".

وكانَ لكسرى عشرة آلاف غلام منَ التّرك والخطا وهم في غاية الحسن والجمَال واستقامة الصّور والتخطيط، في آذانهم قروط الذهب الأحمر فيها الدّرّ والياقوت معلّقا، ولباسهُم أقبيَة الدّيباج المدثر عشرة صنوف، كلّ صنفٍ منها على قدّ واحد وزيّ واحد ولون واحدٍ من ملابسِ الدّيبَاج، ولا يزالون كذلك وكلّمَا التحى واحد منهم أو مَاتَ أتي بغيرهِ مكانه في الوَقت والحال، وكانَ على مربطه تسعَة آلاف فيل، منهَا ألفان وسبعمائة فيل أشدّ بيَاضاً مِنَ الثلج، ومنها مَا ارتفاعه أربعونَ شبراً، مَاتَ منها فيل فوزن أحَدُ نابيه مائتان وأربعُون منّاً بالبَغدادي.

وَلمّا مَلكَ الاسكندرُ فارس والمغرب والشّام وبنى اسكندريّة ودمشق وغيرهما وأحَاديثه طويلة ارتحل نحوَ الهند والسّند والصّين فوطئ أرضَها وذلّل مُلوكها، وأهديت إليه الهدَايا منَ التّرك والتبت وغيرهم[٢٢٩] إلىَ أن أنهَى مَطلع الشمس منَ العمران، وكان معلّمه أرسطاطاليس، فبلغه أنّ بأقصَى الهند ملك عادل من ملوكهم وهوَ ذو حكمةٍ وديانة وسياسة وقد أَتى عليه مئاتٌ منَ السّنين وهوَ قاهِرٌ لطبيعَتِه مميت لشهوات نفسِه، يتجمل بكلّ خلق كريم ويظهرُ بكلّ فعل جميل، فكتبَ إليه الإسكندرُ يقول: "إذا أتاك كتابي هَذَا فلا تقعُد وَلو كنت مَاشياً، حَتّى تأتني وإلاّ مزّقتُ ملكك، وألحقتك بمن مَضى"، فلمّا ورَدَ الكتابُ على ملك الهند كتبَ جوَابَ للإسكندر بأحَسن خطاب وألطف جواب، ولقبهُ بملك مِنَ الملوك العَادلة وأعلم الإسكندرَ في جوَابه أنّه "قد اجتمع عنده أشياء لم تجتمع عند ملك من ملوك الدّنيا، من ذلك ابنة لم تطلع الشمس على أحسَن صُورة وهيئة منها، ومنها فيلسُوف يخبرك عن مرادك من قبل أن تسأله؛ ومنها طبيبٌ لا تخشى معَه من الأدواء

---

[٢٢٨] – نهاية صفحة ٢٠٩ من المخطوط

[٢٢٩] – نهاية صفحة ٢١٠ من المخطوط

والأمرَاض والعَوَارض إلاّ ما جاء من قبل الموتِ، ومنها قدح إذا ملأته شربَ منه عسكرك بجمعه ولا ينقصُ منَ القدح شيء، وإنّي مهدٍ جميعَ ذلك إلى ملك الملوك وصائر إليه".

قالَ: فلمّا قرأ الإسكندر جَوَابَه وسمعَ بذكر هَذه الأشياء قلق إليها قلقاً عظيماً، فأرسَل إليه جماعة منَ الحكماء أن يشخصُوه إليه إن كانَ كاذباً وأن يخيروه في المقام إن كانَ صَادقاً ويأتوهُ بهذه الأربع، فمضى القومُ إلى ملك الهند فتلقّاهم أحسَن لقاء وأنزلهم أرحبَ منزل وأكرمَهم أعظم إكرام مدّة ثلاثة أيّام، فلمّا كان اليوم الرابع جلسَ لهم مجلساً خاصّاً وأقبَلَ على الحكماء وباحثهم في أصُول الحكمة والفلسَفة والعلم الإلهيّ والمبادئ الأوَل والهيئة والأرض ومسَاحتها والبحَار وغيرهَا، حَتى ملأ صدُورهم منَ العلم والحكمة، ثمّ أخرجَ ابنته إليهم وأبرزهَا عليهم فلم يقع أحدُهم على عضو من أعضَائها فأمكنه أن يتعدّى ببَصَره عن ذلك العضوِ إلى غيره، وشغله تأمّل ذلك العضو وحسن تخطيطه واتقان صنعه، فخافوا على عقولهم الزوَال، ثمّ رجَعُوا إلى نفوسهم عند سَترهَا وقد اندهشوا، وسَيّر صحبتهمُ القدح والطّبيبَ والفيلسوف، وودعهُم مسَافة من الأرض[230] بعدَ أن خيّروه في المقام.

فلمّا وَردَ ذلك على الإسكندرَ أمَر بإنزال الطّبيب والفيلسُوف في دَار الضّيَافة والإكرام، ونظر إلى الجارية فطاشَ عقله عند مُشَاهدَتها وشغف بهَا، وكانَ الإسكندر إذ ذاك ابن خمسَة وعشرين سَنة، وكانَ من أحسَن الناس خلقا وخلقا، وأكثر الملوك إنصَافاً وعَدلاً، وأغزر الخلق معرفة وحكمة، وأعظم الملوك هيبَة وصيتاً، فأمَر القيّمة بإكرامها واحترامهَا وتعظيمها وتقديمها على سَائر حرمه وأهله، ثمّ قصّت الحُكَماءُ ما جرى بينهم وبين ملك الهند منَ المباحث، فأعجبَ الإسكندر وامتحنَ القدحَ بأن ملأهُ ماءً فشربَ منه جميع عسكره ولم ينقص منه شيء، وسيّر في الحال إلى الفيلسُوف يمتحنه فيما قيل عنه بإناء مملوءٍ من السّمن بحيث لا يمكنُ أن يزادَ فيه شيء، وقال للرسُول: "سر به إلى الفيلسوف وضَعه بين يدَيه ولا تخبره بشيء أصلاً"، فلمّا وصَل به وضَعَه بين يديه ووقف ولم يكلّمه، فأخذه الفيلسُوف بيَده ونظرهُ وتأمّله بإيقاد بصيرتِه فأخذ إبراً صغاراً كثيرة وغرزهَا في السّمن حتّى بقي وجه السّمن كالقنفد، وسَيّرهَا إلى الاسكندر، فلمّا رآهَا الإسكندر ووقف عليها حرّك رأسَه ثمّ أمرَ فجعَل منَ الإبر كرة حديد وسَيّرها إلى الفيلسوف، فلما وقف الفيلسُوف عليها ضربَ منها مرآةً مصقولةً ترد صُورة من تأملها منَ الأشخاص لشدّة تلألئهِا وصَفائهَا وزوال درَنها، وأمرَ بردّهَا إلى الإسكندر، فجعَلها الإسكندر في طستٍ فيه ماء وسيّرها إلى الفيلسوف، فلمّا نظرها الفليسوف جَعلهَا كرة مقعّرة حَتى طفت على وَجه الماء وَسيّرها إلى الإسكندرَ، فلمّا رآهَا الإسكندرُ ثقبهَا ومَلأهَا تراباً وردّهَا إلى الفيلسُوف، فلما رآهَا الفيلسُوف تغيّر لونه ودمَعت عينه وسَيّرها إلى الإسكندَر على حالها من غير أن يحدث في التراب حَادثة.

قال: فلمّا كانَ منَ الغد جَلسَ الإسكندر جلوساً خاصّاً وأمرَ بإحضَار الفيلسُوف، فلمّا أقبل نحوَ الإسكندر، رآه الإسكندر شابّا حسَناً كأحسَن الناس، فتعجَّبَ من حسنه وهيئته، فحَطّ الفيلسُوف يده على أنفه ثم أتى بتحيّة الملوك، فأشار الإسكندرُ[231] إليه بالجلوس على كرسيّ وضعه له بين يديه فجلسَ حيث أمرهُ، ثم قال لهُ الإسكندر: "ما بالك لما نظرتُ إليك وضعتَ أصبُعك على أنفك؟"، فقال: "أيّها الملك المعظّم دامَ لك الملك وَالنِّعَم، لمّا نظرتَ إلي استحسَنت صُورَتي وخطر بخاطرك هَل حكمة هَذا الشابّ على قدر صُورتِه، فوَضعت اصبُعي على أنفي أخبر الملك: "أنّه ليسَ في الهند مثلي"، فقالَ: "صَدقتَ قد خطر ذلك بخاطري".

---

[230] – نهاية صفحة ٢١١ من المخطوط

[231] – نهاية صفحة ٢١٢ من المخطوط

ثمَّ قال له الاسكندر:" يا رئيسُ فحدّثني بما كانَ بيني وبينك منَ الرسَائل"، فقال: "أيّها الملك أرسَلتَ إليّ بإناءٍ مملوءٍ من سمن لا يمكنُ أن يزادَ فيه، تخبرُني أنك قد امتلأت منَ الحِكم فلَا يمكنُ أن يزادَ على حكمتك شيء"، فأخبَرتك: "أنّ عندي من دقائق الحكم ولطَائفها مَا ينفذ في حِكمتك كما نفذت الإبرُ في السّمن"، ثم أرسَلتَ إليَّ بالإبَر كرة، فأخبرتني: "أنّ نفسَك قد علَاهَا من وسخ الصَّدَأ بقتل الأعداء وسَفك الدّمَاء ما قد علا هَذه الكرةِ"، فأخبَرتك: "أنّ عندي منَ الحيلة والملاطفة ما تجعَل نفسك مثل صَفاء هَذه المرآة حَتّى تشرق على الموجودات" ، ثمَّ أعلمتَني بالطّستِ والماء: "أنّ الأيام والليَالي قد قصُرَت عن ذلك"، فأخبرتك: "أنّي سَأعمَل في الحيلة على إيصَالك إلى العلم الكثير في العمر القصير، كما شرفت الحديد الّذي من طبعه الرسُوب في الماء على وجه الماء"، فقلبت المقعّر ومَلأته تراباً، تخبرُني: "بالموت والقبر"، فلم أغيّره مخبراً للملك: "أن لا حيلة في الموت".

فتعجّبَ الاسكندَر وقال: "والله ما غادرَ ما خَطرَ بخاطِري، ثمَّ أمرَ له بخلعٍ وأموَال كثيرة فأبى وقال: "أنا راغبٌ فيمَا يزيد في عقلي، فكيف أدخل على عقلي ما ينقصُه؟ أيّها الملك أحسِن إلى أهل الهند وكف عن معَارضتهم".

وقيل: إنّ القدَح الّذي شربَ منه عسكر الاسكندر ومَا نقصَ منه شيء هو قدح آدَم أبي البشر عليه السّلام، معمُول من ضرب الخواصّ والروحَانيّة، وشاهدَ منَ الطّبيب مِن لطائفِ صَنائعِه مَا بهرَ عقله، ومن عجائب علاجه وتلَطّفه[٢٣٢] في إزالة الآفات والأدواء.

وقيل: مرّ ببَابل فأخبرَ عن غار هنَاك وبه آثارات عظيمة، فأتاه ووقف على بَابه فإذا عليه مكتوب بالسُّريَانيّ: "يا من نال المنى وأمنَ الفنا وقد وصَل إلى هنا، اقرأ وافتكر وادخل إلى الغار واعتبر، واعلم أنّي قد ملكتُ البلاد وحكمتُ على العباد ومَا نلتُ منَ الدّنيا المراد"، قالَ: فدَخل الإسكندَر الغار وقد أسبَل الدموع الغزار، فوَجدَ شخصاً عظيمَ الهامَة طويل القامة على سرير منَ الذهب مُلقى، وقد ترك جَميعَ ما ملك وألقى، ويده اليمنى مقبُوضة والأخرى مفتوحَة، وَمفاتيح خزائنه عند رأسه مَطروحَة، وعلى يمينه لوحٌ مكتوب فيه: "جمعنا المال وأمسَكناه"، وعلى شماله لوح مكتوب فيه: "ثمّ رحنا وتركناه"، وعند رأسه لوحٌ مكتوبٌ فيه:

لقد عمّرت في زمن سعيد	وكنتُ منَ الحوَادث في أمَانِ
وقاربتُ الثريّا في عُلوٍّ	فصرت على السّرير كما تراني

فقَال الإسكندر: "فسُبحانَ الملك الّذي لا عزل له"، ووقعَ في قلبه الوجَل والوَله، فترك كلّ ما كان له وتخلّى للعبَادة وأصلح عمله وفرّق الذخَائر والخزائن، وتصَدّق بماله في الحصُون والمدائِن، وأعتق العبيد والخدم، وانتصبَ لعبَادة الله على أحسَن قدم وقال: "أعزل نفسي قبل العزل، وأحَاسبُها قبل حسَاب يوم الفصل"، ولبس الخشن والمسُوح رغبةً في ملك الأبد والثواب الممنوح، وجرح نفسَه بسِّكين الجوى، حتى أعرضَت عن مهَاوي الهوى، لمّا وجدَ في الغار الدّوا، وترك ما حاز واحتوى؛ واعتزل اللهو وانزوى، ولبسَاط الرغبَة طوى؛ ولسانُ حَالهِ ينشدُ لما تمّ له واستَوى:

دع الهوى، فآفة العقل الهوى	ومنتهَى الوصل صُدود ونوى
وراقب الله، فأنتَ رَاحِلٌ	إلى الثرى، ومُعظم العمر انطوى
مَا ينفع الإنسان يوم موته	ما حَاز من أموَاله وما احتوى
يقسمُها وارّثهُ برَغمهِ	وهوَ بنار إثمها قد اكتوى[٢٣٣]

---

[٢٣٢] – نهاية صفحة ٢١٣ من المخطوط

تب قبل شيب الرأس، فالتائب لا	يتبع شيب رأسه إلاّ التوى
ما دامَ في العمر اخضرار عوده	سهل وصَعب عودهُ إذا ذوى
إذا أضيع أوّل العُمرِ أبَت	أعجازه إلاّ اعوجاجاً والتوى

قيل: وَرجَع الإسكندَرُ من بابل وقد أحَاطت به البلابل وظهرت به آثار السّقام، حَتّى ثقل لسَانه بالكلام، وكانَ قد رأى في مَنَامِه وطيب لذيذ أحلامه" – "أنه سيَموتُ فوق أرض من حديد وتحت سمَاء مِن حَديد"، ثمّ أخذهُ التعَطّش والحمى والتلهب والظّمأ، ففرشُوا تحته دروع الحديد وظللوا فوقه بالحجَف الفُولاذ استجلاباً للتبريد، فأفاق بعدَ زمانٍ من الغشوَة واللهَف، فرأى دروع الحديد تحته وفوقه الجحف، فأيقنَ بارتحاله، وكتب كتاباً إلى أمّه بصُورة حَاله وأوصَاها بأن تعمل له وليمة عجيبَة الأسلوب، وأن لا يحضرها إلاّ مَن لا أصيبَ بخليل ولا محبُوب.

فلمّا مَاتَ رحمهُ الله وضعَ في تابوتٍ من ذهبٍ ليحمل إلى أمّه إلى الإسكندريّة، واختلسَ من هَذه النعم وعمرُه ست وثلاثونَ سنَة، وكانَ مدّة ملكه تسع سنين.[233]

فقال حكيم الحكماء: "ليتكلم كلّ منكم بكلام ليَكونَ للخَاصَّةِ معزّيا وللعَامّة واعظا"، فقامَ أحدُهم وقال: "لقد أصبَح مستأسِر الملوك أسيرا"، وقال آخر: "هَذا الإسكندَر كانَ يخبأ الذهب فصَار الذهب يخبيؤه"، وقال آخر: "العجَبُ كلّ العجَب أنّ القوي قد غلب والضّعفاء مغترون"، وقال آخر: "قد كنت لنا واعظا ولا واعظ أبلغ من وفاتك"، وقال آخر: "ربّ هَائب لكَ لا يقدر أن يذكرك سرّا وهوَ الآن لا يخافك جهرا"، وقال آخر: "يا مَن ضَاقت عليه الأرض في طولها والعرض، ليتَ شِعري كيفَ حَالكَ في قدرِ طولك منها"، وقال آخر: "يا من كان غضبُه الموت هَلّا غضبتَ على الموت؟"، وقال آخر: "سيلحقُ بك مَن سرّهُ موتك"، وقال آخر: "مالك لا تحرّك عُضواً من أعضَائك وقد كنتَ تزلزلُ الأرض؟".

فلمّا ورَد على أمّه في التّابوت شرعَت في عمل الوليمَة[234]، وهيأت المأكل والمطاعم ونادت: "لا يحضر الوَليمة إلاّ من لا فجعَ في الدّنيا بمحبُوب ولا خليل"، فلم يحضر الوَليمة أحدٌ، فقالت: "مَا بال الناس لا يحضرون الوليمة؟"، قالوا: "أنت منعتيهم من الحضُور"، قالت: "كيف ذلك؟"، قيل لها: "قد أمرت أن لا يحضرهَا من فقد محبُوبا ولا من فجع بخليل، وليسَ في الناس[235] أحدٌ إلاّ وقد أصيبَ بذلك مراراً"، فلمّا سمعَت بذلك خفّ مَا بهَا من الحزن وتسلّت بعضَ تسلية وقالت: "رَحمَ الله ولدي، لقد عزّاني بأحسَن تعزية، وسَلّاني بألطف تسليَة".

يا هَذا أينَ القرون الأوّل والأخر؟ أينَ من ملك وقهرَ؟ أين من حشد وحشر؟ أين من أمرَ وزجر وخرب آخرته، ودنياه عمر، وأمنَ الموت المنتظر، هَل كانَ له منَ الموت مفر؟ فلمّا جَاءه المنُون بالأمر الأمر فحطّهُ منَ القصُور إلى الحفر، وعوّضَه عن الحرير بالمدر، وسَلّط عليه الدّودَ إلى أن اضمَحلّ واندثر، ولم يبق منه عين ولا أثر إلاّ ذلّ وفتر، ووهنَ وخور، وعنف على ذَنبه المحتقر، ونبئَ بما قدّم وأخر من العجز والبجر.

تبني وَتجمعُ والآثار تندَرِسُ	تأمّل اللبثَ والأرواح تختلسُ
ذا اللبّ فكّر فما في الخلد من طمعٍ	لا بدّ أن ينتهي أمرٌ وينعكسُ

---

[233]– نهاية صفحة ٢١٤ من المخطوط

[234]– نهاية صفحة ٢١٥ من المخطوط

[235]– في الدنيا

أينَ الملوك ومُلّاك الملوك ومَن | كانوا إذا الناسُ قامُوا هيبَة جَلسُوا
ومَن سُيُوفهمُ في كلّ مَعرَكَةٍ | تخشَى، ودُونهمُ الحجّابُ والحرَسُ
أصَمّهُمْ حدَث وضمّهم جَدَث | باتوا وهم جُثثٌ في الرّمس قد حبسُوا
أضحَوا بمهلكةٍ في وسط معركةٍ | صَرعى، وماشي الورى من فوقهم تطسُ
كأنهم قطّ ما كانوا ومَا خُلقُوا | ومَات ذكرهمُ بين الورى ونسُوا
والله لو شاهدت عيناك ما صنَعت | يدُ البَلاء بهم والدّودُ تفترسُ
لعَاينت منظراً تشجى القلوبُ به | وعاينت منكراً من دونه البَلَسُ
من أوجُهٍ ناظرات حار ناظرها | ورَونق الحسن منها كيف ينطمسُ
وأعظم بالياتٍ ما بهَا رمَقٌ | وليسَ تبقى بهَذا وهيَ تنتهسُ
وألسُن ناطقات زانهَا أدَبٌ | ما شانها؟ شأنها بالآفة الخرسُ[٢٣٦]
تبَسُّهُم ألسُنٌ للدّهرِ فاغِرَةٌ | فاهاً وآهاً لهم إذ بالردَى وكسُوا
عَروا منَ الوشى لما ألبسُوا حُللاً | منَ التراب على أجسَامهم وكسُوا
وعاد ترب المنايا من ملابسهم | جون الثياب، وقدماً زانها الورسُ
حَتّى مَـ يا ذا النّهى لا ترعَوي أبداً | ودمع عينك لا يهمي ويَنحَبسُ

وهَذا آخر الكلام من أخبَار الملُوك الماضيَة، والله سبحانَه وتعالى أعلم

فَصلٌ في ذكر الكَلام في مسَائِل عَبدِ الله بن سَلام لنَبيِّنَا
محمّدٍ عَليه الصَّلاة والسّلام

وَفيهَا فوَائد كثيرة وعلوم غزيرة تزيد هَذا الكتاب رَونقا وبهجَة وتفيدُ الناظر فيه استِدلالاً وحجّة،روي عن عبدِ الله بن عبَّاسٍ رضي الله عنهُما قالَ: لمّا بعثَ النّبي صَلّى الله عليه وسَلم؛ وأمرَ أن يكاتبَ ملوك الكفّار، وأن يَدعوهم إلى عبَادة الملك الجبّار، كتبَ كتاباً إلى يهُود خيبر، حيث كانوا أقربَ الكفار إليه، فقال النّبي صَلّى الله عليه وسَلم: "يا جبريل، ما الّذي أكتبه إليهم؟ فأملاهُ جبريل، فقال: "اكتب: بسم الله الرحمن الرَّحيم، من محمّد رسُول الله إلى يهُود خيبر، أمَّا بَعدُ: فإنَّ الأرضَ لله يورثها مَن يَشاءُ مِن عبَاده، والدّين الخالصُ لله والعَاقبة للتقوى، والسَّلامُ على مَن اتبع الهدى وأطَاع الملكَ الأعلى، ولا حول وَلا قوّةَ إلاّ بالله العَليّ العظيم"، فأمرَ النّبي صَلّى الله عليه وسَلّم به فكتبَ ثم ختمه وأرسَل به إلى يهُود خيبرَ.
فلمّا وَصَل إليهم أتَوا به شيخهم وكبيرَهم وحَبرهم وعَالمهم عبد الله بن سَلامٍ، وكانَ اسمُهُ قبل اسلامه أشماويل، فقالوا: "يا ابن سَلام هَذا كتابُ محمّدٍ قد أتانَا فاقرَأهُ علينا"، فقرأه عليهم، ثمّ قال لهم: "ما ترون؟ وقد علمتم أنّ في التورَاة علاماتٍ تعرفونها وآيات لا تنكرونها، تظهَرُ على يد محمّدٍ الذي بَشّرَ به مُوسى بن عمرَان؛ فإن يك هَذا أطعناه"، فقالوا: "إذاً ينسَخ كتابنا ويحرم ما هوَ محلّل علينا"، فقال ابن سَلام: "يا قوم لقد آثرتم الدّنيا على الآخِرة والعَذابَ على الرحمة"، ثم قال لهم: "إنّ محمّدا رجل أمّيٌّ لا يقرأ ولا يكتب وأنتم بينَ أظهُركم التوراة وتكتبونَ وتقرؤون، فأنا أستخرج منَ التّوراة ألفاً[٢٣٧] وَأربعمائة مسألة وأربع مسَائل من

---

[٢٣٦] – نهاية صفحة ٢١٦ من المخطوط
[٢٣٧] – نهاية صفحة ٢١٧ من المخطوط

غوَامضها، وأتوجه بهَا إليه؛ فإن عرَفها وأجَابَ عنها وكشَفَ الالتباس فهو الّذي بشر به موسَى بنُ عمرَان؛ فنؤمنُ به حقيقة الايمان، وإن تلكّأ وعجزَ عن حَلّها فلا نرجعُ عن ديننا ولا نتبعُه لحظةً من زمان".

فأجَابه اليهُود إلى ما قاله واستخرجوا منَ التورَاة مَا قدرُوا عليه من غوامضَ لا تصل إليها أفهامهم، وجهزُوا ذلك إلى النّبي صَلّى الله عليه وسَلّم.

قال: فلمّا وصَل إلى المدينة ودخل من باب المسجد ورأى أنوارَ النبي صَلّى الله عليه وسَلّم والصحابة من حَوله حنَّ قلبه إلىَ الإسلام.

فقال: "السّلام عليك يا محمّدُ، أنا أشماويل بنُ سَلام، والسَّلامُ على أصحابك الأعلام"، فقالوا: "وعلى من اتبع الهدَى السّلام ورَحمة الله وبركاته على الدّوام"، ثمَّ أمرهُ النبي صَلّى الله عليه وسَلّم بالجلوس فجلس، فقال له: "مَا تريد يا بن سَلام؟"، فقال: "يا محمّد أنا من علماء بني إسرائيل وممّن قرأ التّورَاة وفهمَها وعلمها، وأنَا رسُول اليهُود إليك، وقد أرسَلوا معي رسَائل لا نفهمُها عن يقين، وقد سَألوك أن تبينهَا لهم وأنتَ منَ المحسنين"، فقَال عليه الصَّلاة والسَّلام: "قل ما بدَا لك منَ المسَائل يا ابنَ سَلام فقَد أخبَرني بهَا جبريل عن الملك العَلّام، وإن شئت أخبرتك بها قبل أن تفوهَ بالكلام"، فقال: "يا محمّد أعلمني بهَا لكي أزدادَ يقيناً"، فقال: "يا ابنَ سَلام، لقد جئتني بألف مسألة وأربعمائة مسألة وأربع مسَائل، استخرجتمُوها منَ التوراة ونسَختهَا بخطّكَ".

قال: فنكس عبد الله بن سَلام رأسَه وبكى وقال: "صَدقت يا محمّد، وأنتَ الصَّادق الأمين، يا محمّد أنتَ نبيٌّ أم رسُول؟"، فقال: "إنّ الله جَلّ وعلا بَعثني نبيّاً ورسُولاً وخاتمَ النّبيّينَ، أمَا قرأتَ في التورَاة: محمّد رسُول الله والّذين معَه أشدّاءُ على الكفار رحماء بينهم تراهم رُكعاً سجّداً يبتغُونَ فضلاً منَ الله ورضوانا"، قال: "صَدقتَ يَا محمّد أمكلّم أنتَ أم مُوحىً إليه؟"، قال: "يا ابنَ سَلام إن هوَ إلاَّ وحيٌ يُوحى، ينزل به جبريل الأمين عن ربّ العَالمين"، قال: "صَدَقت يَا محمّد، كم خلق الله من نبيٍّ؟"، قال: "مائة ألف وَأربعة وعشرين ألفاً"، قال: "صَدقت[238] يَا محمّد، فكم من مرسَل فيهم؟"، قال: "ثلاثمائة وثلاثة عشر"، قال: "صَدقت يا محمّد، فمَن كانَ أوّل الأنبيَاء؟"، قال: "آدمُ عليه السَّلام"، قال: "فمن كانَ أوّل المرسَلين؟"، قال: "آدم أيضاً، كان نبيّاً مرسَلاً"، قال: "صَدَقت يا محمّد، فأخبرني عن رسل العَرب كم كانُوا"، قال: "سبعة: إبراهيم، وإسماعيل، وهود، ولوط، وصَالح، وشعيب، ومحمّد"، قالَ: "صَدَقت يا محمّد، فأخبرني كم كانَ بينَ مُوسى وعيسى من نبيٍّ؟"، قال: "ألفَ نبيٍّ"، قالَ: "صدقت يا محمّد، فعلى أيّ دين كانوا؟"، فقال: "على دين الله الخالص ودين ملائكته ودين الإسلام".

قال: "صدقت يا محمّد، ما الاسلام وما الإيمان؟"، قال: "الإسلام أن تشهدَ أن لا إلهَ إلاّ الله وحده لا شريكَ له، وأنّ محمّدا عبده ورسُوله وإقام الصَّلاة وإيتاء الزكاة وصوم شهر رمضان والحجّ إلى بيت الله الحرام من استطاع إليه سَبيلاً، والايمانُ أن تؤمنَ بالله وملائكتهِ وكتبه ورسُله واليوم الآخر والقدر خيرهِ وشرّه حلوه ومرّه"، قال: "صَدَقت يا محمّد، فأخبرني كم من دين لله تعالى؟"، قال: "يا ابنَ سَلام، دين واحدٌ وهوَ الإسلام"، قال: "صَدقتَ يا محمّد، كم كانت الشّرائع؟"، قال: "كانَت مختلفة في الأمم الماضية".

---

[238] – نهاية صفحة ٢١٨ من المخطوط

قال: "صَدقت يا محمّد، فأهل الجنَّة يدخلُونَ الجنَّة بالإسلام أم بالإيمان أم بأعمالهم؟"، قال: "يا ابنَ سَلام استوجبُوا الجنَّة بالإيمان، وَيدخلونها برحمَة الله ويقتسمونها بأعمالهم"، قال: "صَدَقتَ يا محمّد، فأخبرني كم كتاب أنزل الله تعالى؟"، قال: "يَا ابنَ سَلام أنزل الله مائة كتاب وَأربعَة كتب"، قال: "صدقت يا محمّد، فعَلى من أنزلت هَذه الكتب؟"، قال: "أنزل الله عزّ وجَلّ على شيث بن آدمَ خمسينَ صحيفة، وأنزل على إدريس ثلاثينَ صحيفة، وأنزل على إبراهيم عشرين صحيفة، وأنزل الزبور على دَاوُد، والتورَاة على موسَى، والانجيل على عيسى، والفرقانَ على محمّد".

قال: "يا محمّد، لِمَ سمّيَ الفُرقان فرقانا؟"، قال: "لأنّ آياته وسُوره مفرّقة لا كالصّحف والتوراة والإنجيل"، قال: "صَدقت، فهَل في القرآن شيء منَ الصّحف؟"، قال: "نعم"، قال: "ومَا هوَ يا محمّد؟"، فقرأ النبي صَلّى الله عليه وسَلّم: "قد أفلح من تزكى* وذكر اسم ربّه فصَلّى* بل تؤثرون الحيَاة الدّنيا* والآخرة خير وأبقى* إنّ هَذا لفي الصّحف الأولى* صحف إبراهيم وموسى".

قال: "صَدقت يا محمّد، فأخبرني مَا ابتداء القرآن ومَا ختمه؟"، قال: "ابتداؤه[239] بسم الله الرحمن الرحيم، وختمه صَدق الله العظيم"، قال: "صَدقت يا محمّد، فأخبرني عن خمسَة خلقها الله بيَده"، قال: "جنة عدن خلقها الله بيده، وشجرة طوبى غرسهَا الله بيَده، وصَور آدمَ بيده، وبنى السَّماء بيده، وكتبَ الألواح لموسَى بيده"، قال: "صَدقت يا محمّد، فأخبرني من أخبرك بما أخبرت؟"

قال: "أخبرني جبريل"، قال: "صَدقت يا محمّد، عن من؟"، قال: "عن ميكائيل"، قال: "عن من؟"، قال: "عن إسرافيل"، قال: "عن من؟"، قال: "عن اللوح المحفوظ"، قال: "عن من؟"، قال: "عن القلم"، قال: "عن من؟"، قال: "عن ربّ العَالمين"، قال: "وكيف ذلك؟"، قال: "يأمر الله القلم فيكتبُ على اللوح، وينزلُ اللوح على إسرافيل، ويبلّغ إسرافيل ميكائيل، ويبلّغ ميكائيل جبريل".

قالَ: "صَدقت يا محمّد، فأخبرني عن جبريل في زيّ الذكران هوَ أم في زيّ الإناث؟"، قال: "في زيّ الذكران"، قال: "صَدقت يا محمّد، فأخبرني ما طعامُه وشرابه؟"، قال: "يا ابنَ سَلام، طعامه التسبيح وشرابه التهليل"، قال: "صَدقت يا محمّد، فأخبرني ما طوله وما عرضه، وما صفته وما لبَاسُه؟"، قال: "يا ابنَ سَلامٍ، الملَائكة لا توصَف بالطّول والعرض لأنهم أرواح نورانيّة لا أجسَام جثمانيّة، ضوءه كضوء النهار في ظلمة الليل، له أربعَة وعشرون جناحاً خضراً مشبّكة بالدّرّ والياقوت، مختومَة بالدّرّ واللؤلؤ والمرجَان، عليه وشاح بطانته منَ استبرق وبطانته تأخذ بالبَصَر، وظهَارته الوقار، إزارهُ الكرامَة وجهُه كالزعفران، لا يأكل ولا يشرب ولا يسهو ولا يمل ولا ينسى، وهوَ قائم بأمرِ وحي الله تعالى إلى يوم القيامة".

قال: "صَدقت يا محمّد، فأخبرني عن بدء خلق الدّنيا، وأخبرني عن بدء خلق آدم"، قال: "نعم، إنّ الله سُبحانه وتعالى تقدّسَت أسماؤه، وجَلّ ثناؤهُ ولا إله غيرهُ، خلقَ آدمَ من طين بيَدِه وخلق الطّينَ منَ الزبد، وخلق الزبدَ منَ الموج، وخلق الموج منَ الماء"، قال: "صَدقت يا محمّد، فأخبرني عن آدمَ لمَ سمّي آدَم؟"، قال: "لأنّه خلق من طين الأرض وأديمهَا"، قال: "صَدَقت يا محمّد، فآدم خلق من طينةٍ واحدَةٍ أم منَ الطّين كلّه"، قال: "يا ابنَ سَلام، بل خلقَ منَ الطّين كلّه، ولو خلق من طينةٍ واحدة لما عرَف النّاس بعضهُم بعضاً، ولكَانوا على صُورة واحدة".

[239] – نهاية صفحة ٢١٩ من المخطوط

قال: "صدقت يا محمد[240]، فهَل لذلك مثل في الدّنيا؟"، قال: "نعم، أمَا تنظر إلى الدّنيا محشوّة من ترابٍ أبيَض وأحمر وأصفر وأشقر وأغبرَ وأسَود وأزرق، وفيه عذب وملح وليّن وخشن ومتغيّر ومنتن، وكذلك بنو آدَمَ"، قال: "صَدَقتَ يا محمَّد، فأخبرني لمّا خلق الله آدمَ، من أينَ دخلت فيه الروح؟"، قال: "دخلت من فيه"، قال: "صَدَقتَ يا محمّد، أدخلت فيه رضاً أو كرهاً؟"، قال: "بل أدخلها الله كرهاً وأخرجهَا كرهاً".

قال: "صَدَقت يا محمّد، فأخبرني ما قال الله لآدَمَ؟"، قال يا ابنَ سَلام، قالَ الله لآدمَ: "اسكن أنتَ وزوجُك الجنّة فكلا منها رغداً حيث شئتما ولا تقربَا هذه الشجرة فتكونا منَ الظّالمين" قال: "صَدَقتَ يا محمّد، فأخبرني كم حبّة أكل منَ الشجرة؟"، قال: "حبّتين"، قال: "وَكم أكلت حَوّاء؟"، قال: "حبّتين".

قال: "صدقت يا محمّد، أخبرني ما صفة الشجَرة وَكم غصن كانَ لها، وَكم كان طول السّنبلة؟"، قال رَسول الله صَلّى الله عليه وسَلم: "كانَ للشجرة ثلاثة أغصَان، وكان طول كل سُنبُلةٍ ثلاثة أشبَار"، قال: "وكم حبَّةٍ كانَ في السّنبُلةِ؟"، قال: "خمسُ حَبَّاتٍ"، قال: "صَدقت يا محمّد، وكم سنبلة فرك"، قال: "فرك سُنبلةً واحدة".

قال: "صَدَقت يا محمّد، أخبرني عن صفة الحبَّةِ كيف كانَت؟"، قال: "يا ابن سَلام كانَت بمنزلة البيض الكبار"، قال: "صَدقت يا محمّد، أخبرني عن الحبّة الّتي بقيت معَ آدمَ، ما صنَع بهَا؟"، قال: "نزلت معَ آدَمَ منَ الجنّة؛ فزَرعهَا في الأرض، فتناسَل منها الحبّ في الأرض وبُورك فيهَا".

قال: "صَدَقتَ يا محمّد"، قال: "فأخبرني عن آدمَ، أين أهبط منَ الأرض"، قال: "أهبط بأرض الهند"، قال: "صَدقتَ يا محمّد"، قال: "فأينَ أهبطت حواء؟"، قال: "بجدّة"، قال: "صَدَقت يا محمّد، فأينَ أهبطت الحيّة؟"، قال: "بأصبهان"، قال: "صَدَقتَ يا محمّد، فأين أهبط إبليس؟"، قال: "ببيسَان".

قال: "صدقت يا محمّد، ما أغزرَ علمك وما أصدَق لسَانك، أخبرني ما كانَ لباس آدم لما أهبط منَ الجنّة؟"، قال: "ثلاث ورَقات من ورق الجنَّة، وكانَ متشحاً بالواحدَة متزراً بالأخرى معتمّاً بالثّالثة"، قال: "صَدقت يا محمّد، فأخبرني في أيّ مكان اجتمعا؟"، قال: "بعَرفات"، قال: "صَدَقتَ يا محمّد، أخبرني عن أوّل بيت وضع للناس؟"، قال: "بيت الله الحرام".

قال: "صَدَقتَ يا محمّد، فأخبرني عن آدمَ، خلق من حواء[241] أم حَوّاء خلقت من آدمَ؟"، قال: "يا ابن سَلام، بل حَوّاء خلقت من آدَمَ، وَلو خلق آدمُ من حَوّاء لكانَ الطّلاق بأيدي النسَاء، ولم يَكن بأيدي الرجَال"، قال: "صَدَقتَ يا محمّد".

قال ابن سَلام: "فمن كلّه خلقت أم من بعضِه"، قال عليه الصَّلاة والسّلام: "خلقت من بعضه، ولو خلقت من كله لكان القضَاء في النسَاء ولم يكن في الرجَال"، قال: "صَدَقتَ يا محمّد، فمن باطنه خلقت أم من ظاهرِه"، قال: "من باطنِه، ولو خلقت من ظاهرِه لكشفت النساء عن وجوهنّ كالرجَال ومَا استَتَرن"، قال: "صَدقتَ يا محمّد، فمن يمينه خلقت أم من شماله؟"، قال صَلّى الله عليه وسَلّم: "من شماله، ولو خلقت من يمينه لكان حَظّ الأنثَى مثل حَظّ الذكر، وشهادتها كشهادته"، قال: "صَدقت يا محمّد، أخبرني من أيّ موضعٍ خلقَت منه؟"، قال: "من ضلعه الأيسَر".

قال: "صدقت يا محمّد. فأخبرني من كان يَسكن الأرض قبل آدَم؟"، قال: "الجنّ"، قال: "فبعد الجنّ؟"، قالَ: "

---

[240] – نهاية صفحة ٢٢٠ من المخطوط

[241] – نهاية صفحة ٢٢١ من المخطوط

الملائكة"، قال: "فبعد الملائكة؟"، قال: "آدَم وذرّيته"، قال: "صَدقت يا محمّد، كم بينَ الجنّ والملائكة؟"، قال: "

سبعَة آلاف سَنة"، قال: "صَدَقتَ يا محمّد"، قال: "كم بين الملائكة وآدَم؟"، قال: "سبعة آلاف سنة".
قال: "صَدَقتَ يا محمّد، هَل حجّ آدم بيت الله الحرام؟"، قال: "نعم"، قال: "يا محمّد من كورَ رأس آدم؟"، قال: "جبريلُ كوّره"، قال: "صَدقت يا محمّد، هَل اختتن آدم؟"، قال: "نعم ختنَ نفسَه بيَده"، قال: "فأخبرني يا محمّد، لمَ سمّيت الدنيا دنيا؟"، قال: "لأنها خلقَت دونَ الآخرة، ولو خلقَت مع الآخرة لم تفن كما لا تفنى الآخرة".

قال: "صَدَقتَ يا محمّد، فأخبرني عن القيامة لمَ سمّيَت قيامةً؟"، قال: "لأنّ فيها قيام الخلائق للحسَاب"، قال: "صَدَقتَ يا محمّد؛ فالآخرة لمَ سمّيَت آخرة؟"، قال: "لأنها متأخرة بعد الدّنيا لا توصف سنونها ولا تحصى أيامُها ولا ينقضي أمدهَا"، قال: "صَدَقتَ يا محمّد، فأخبرني عن أوّل يوم بدأ الله فيه خلق الدنيا"، قال: "يوم الأحد"، قال: "لمَ سمّي أحداً؟"، قال: "لأنّه خلق الواحد الأحد وأوّل الأيام"، قال: "صَدَقتَ يا محمّد، فالاثنين لمَ سمّيَ اثنين؟"، قال: "لأنّه ثاني يومٍ من أيامِ الدّنيا، وكذلك الثلاثاء والأربعَاء والخميس"، قال: "صَدقت يا محمّد، فلِمَ سمّيت الجمعَة جمعَة؟"، قال: "لأنّه يوم مجمُوع فيه الخلق، وهوَ سَادسُ يوم من أيام الدنيا"[٢٤٢]، قال: "صَدَقت يا محمد فالسّبتُ لم سمّيَ سَبتا؟"، قال: "هوَ يوم وكل فيه معَ كلّ منَ المخلوقين ملكان عن يمينه وشماله يكتبان الحسنَات والسيّئات، فالذي عن يمينه يكتب الحسنَات، والذي عن شماله يكتب السيّئات"، قال: "صدَقت يا محمّد، فأخبرني أين مقعدُ الملكين منَ العبد؟ وما قلمهما وما دواتهما ومَا لوحهما ومَا مدادهما؟"، قال صَلّى الله عليه وسَلم: "يا ابنَ سَلام مقعدُهمَا بين كتفيه، وقلمهُما لسَانه، ودواتهما ريقه، ولوحهُما فؤادُه، يكتبان أعماله إلى مَماته"، قال: "صَدَقتَ يَا محمّد"، قال: "أخبرني كم طول القلم؟ وكم عرضه، وكم أسنَانه وما مدَادُه ومَا أثر مجراه؟"، قال: "طول القلم خمسُمائة عام، له ثمانون سِنّاً، يخرجُ المداد من بين أسنانه، ويجري في اللوح المحفوظ بما هو كائنٌ إلى يوم القيامة بأمر الله عزَّ وجَلّ".
قال: "فاخبرني كم لله من نظرة في خلقه في كل يوم وليلةٍ قال: "ثلثمائة وستون نظرة، في كلّ نظرة يحيي ويميت، يمضي ويقضي، ويرفع ويضع، ويسعد ويشقي، ويذلّ ويقهر، ويغني ويفقر".
قال: "صَدقت يا محمّد، فأخبرني ما خلق الله بعدَ ذلكَ؟"، قال: "خلق السّماء السَّابعَة ممّا يلي العرش وأمرَهَا أن ترتفعَ إلى مكانه فارتفعَت، ثمّ خلق السَّادسَة ثمَّ الخامسَة ثمّ الرابعَة ثم الثالثَة ثم الثانية ثم سَماء الدّنيا كذلك، وأمرَ كلاًّ منها فاستقرت بمكانها دونَ الآخرى".
قال: "صَدَقت يا محمّد، فما بال لون سَماء الدّنيا اخضر؟"، قال: "اخضرت من لون جبل قاف"، قال: "صَدَقتَ يا محمّد، فممّ خلقت سَماء الدّنيا؟"، قال: "خلقت من موج مَكفوف"، قال: "يا محمّد ومَا الموج المكفُوف؟"، قال: "يا ابن سَلام ماء قائم لا اضطرابَ له"، قال: "صَدَقتَ يا محمّد، فلمَ سمّيَت سَماء؟"، قال: "لأنها خلقت من دُخان"، قال: "صَدَقتَ يا محمّد، أخبرني عن السَموات ألها أبوابٌ؟"، قال: "نعم وهي مقفلة ولها مفاتيح وهيَ مخزونة"، قال: "صَدَقتَ يا محمّد، فأخبرني عن أبواب السّماء مَا هي؟"، قال: "من ذهَب"، قال: "فما أقفالها؟"، قال: "من نور"، قال: "فما مفاتيحهَا؟"، قال: "اسم الله الأعظم".

---

[٢٤٢] – نهاية صفحة ٢٢٢ من المخطوط

قال: "صَدَقتَ يا محمّد، فأخبرني عن طول كل سَماء وعرضها وسمكها وارتفاعهَا وما سكانها؟"، قال: "طول كل سماء خمسمائة عَام، وعرضها كذلك[٢٤٣]، وسمكها كذلك، وبين كل سَماء إلى سَماء كذلك، وسُكان كل سَماء جند وصنوف منَ الملائكة لا يعلم عدَدهَا إلا الله تعالى"، قال: "فأخبرني عن السّماء الثانية الّتي فوق سَماء الدّنيا ممّ خلقت؟"، قال: "منَ الغمام"، قال: "فالثالثة ممَّ خلقَت؟"، قال: "من زبرجدةٍ خضراء"، قال: "فالرّابعَة"، قال: "من ذهب أحمرَ"، قال: "فالخامسَة"، قال: "من ياقوتة حمرَاء"، قال: "فالسَّادسَة"، قال: "من فضَّةٍ بيضَاء"، قال: "فالسابعَة"، قال: "من نور سَاطعٍ".

قال: "صَدَقتَ يا محمّد، فما فوق السّماء السَّابعَة؟"، قال: "بحر الحيوَان"، قال: "فما فوقه؟"، قال: "بحر الظّلمة"، قال: "فما فوقه؟"، قال: "بحر النور"، قال: "فما فوقه يا محمّد؟"، قال صَلى الله عليه وسَلم: "فوقه الحُجُب"، قال: "فما فوق الحُجب؟"، قال: "سدرة المنتهى"، قال فما فوق سدرة المنتهى؟"، قال: "جنَّة الماوى".

قال: "صَدقت يا محمّد، فما فوق جنّة الماوى؟"، قال: "حجابُ المجد"، قال: "فما فوق حجاب المجد؟"، قال: "حجاب الجبرُوت"، قال: "فما فوق حجاب الجَبروت قال: "حجاب العزّة"، قال: "فما فوق حجاب العِزة؟"، قال: "حجاب العظمة"، قال: "فما فوق حجاب العظمة"، قال: "حجاب الكبرياء"، قال: "فما فوق حجاب الكبرياء؟"، قال: "الكرسيّ".

قال: "صَدقت يا محمّد، لقَد أوتيتَ علومَ الأوّلين والآخرين وإنك لتنطق بالحق المبين، فأخبرني مَا فوق الكرسيّ؟"، قال: "العرش العظيم"، قال: "فما فوق العرش؟"، قال: "تعَالى الله علوّا كبيراً، أمرُه فوق العرش وعلمه تحتَ العرش".

قال: "صدقت يا محمّد، هل يستوي مخلوق على العرش؟"، قال: "معَاذ الله يا ابن سَلام، الأدَب الأدب"، قال: "صَدقت وأصبت، أخبرني عن الشمس والقمر، أهُما مؤمنان أو كافران؟"، قال صَلّى الله عليه وسلم: "هما مؤمنان طائعان مسّخران تحتَ قهر المشيئة"، قال: "صَدقت يا محمّد، فما بال الشمس والقمر لا يستويان في الضوء والنور؟"، قال: "لأنّ الله تعالى محا آية الليل وجعل آية النهار مبصرة، نعمة منَ الله وفضلاً، ولولا ذلك لما عرف الليل منَ النهار".

قال: "صَدَقتَ يا محمّد، فأخبرني عن الليل لمَ سمّيَ ليلاً؟"، قال: "لأنه منال الرجَال منَ النسَاء، جعَله الله ألفة وسَكناً ولباساً، قال: "صَدقتَ يا محمّد، ولمَ سمّي النهَارُ نهاراً"، قال: "لأنه مَحلّ طلب الخلق لمعَايشهم وَوقت سعيهم واكتسابهم".

قال: "صدَقتَ يا محمّد، فأخبرني[٢٤٤] عَن النجُوم كم جزء هيَ؟"، قال: "ثلاثة أجزاءٍ، جزء منها بأركان العرش يَصِلُ ضوءها إلى السَّماء السَّابعَة، وجزء منها في السَّماء الدّنيا كالقناديل المعَلقة تضيء لسُكّانها وترمي الشياطين بشرَرها إذا استرقوا السمع، والجزء الثالث منها معلّق في الهوَاء وهيَ تضيء على البحَار وعلى ما فيها"، قال: "صَدقت يا محمّد، ما بال النجوم تبينُ صغاراً وكباراً؟"، قال يا ابنَ سلام لأنّ بينها وبين السّماء بحاراً تضربُ الريح أمواجَهَا فيضطربُ فتبين صغاراً وكباراً، ومقادير النجُوم كلّها واحدٌ".

قال: "صَدَقت يا محمّد، فأخبرني كم بينَ السَّماء والأرض من ريح؟"، قال: "يا ابنَ سَلام، ثلاث رياحٍ: الريح العقيم الّتي أرسلت على قوم عاد وهي ريح سوداء مظلمة يعَذّب الله بها من يشاء من أهل النار، وريح

---

[٢٤٣] – نهاية صفحة ٢٢٣ من المخطوط

[٢٤٤] – نهاية صفحة ٢٢٤ من المخطوط

أحمر يعذّب الله بها الكفار يوم القيامة، وريح أهل الأرض تغدُو في جَوانبها، ولولا تلك الريح لاحترقت الأرض والجبال من حَرّ الشمس".

قال: "صدقت يا محمّد، فأخبرني عن حملة العرش كم هم صَفّاً؟"، قالَ: "ثمانون صَفّاً، كلّ صَفٍّ منها طوله ألف ألف فرسخ، وعرضه خمسمائة عَام، رؤوسهُم تحتَ العرش وأقدامهم تحتَ الأرض السّابعَة، ولو كان طائر يَطير من أذن أحَدهم اليمنى إلى اليسرى ألف سنَة من سني الدّنيا، لم يبلغ مدى ذلك، ولهم ثيابٌ من درٍّ وياقوت، شعورُهم كالزعفران وطعَامهُم التسبيح وشرابهم التهليل، ومنها صَفّ نصفه من ثلج ونصفه من نار، ومنها صَفّ نصفه رعد ونصفه برق، ومنها صف نصفه من مَاءٍ ونصفه من مدَرٍ، ومنها صَفّ نصفه من ماء ونصفه من ريح".

قال: "صَدَقتَ يا محمّد، فأخبرني عن طائر ليسَ له في السّماء ملجأ ولا في الأرض مأوى، ما هوَ؟"، قال رسُول الله صَلى الله عليه وسَلم: "تلكَ حيّاتٌ بيض أعرافها كأعراف الخيل، تبيض في الجوّ على أذنابها وتفرخ في الهوَاء إلى يوم القيامة"، قال: "صَدَقتَ يا محمّد، فأخبرني عن مولود أشدّ من أبيه"، قال: "يا ابنَ سَلام ذلكَ الحديد، مولد منَ الحجر وهوَ أشدّ من الحجَر"، قال: "صَدَقتَ يا محمّد، فأخبرني عن بقعَةٍ أصَابتها الشمس مرة فلاَ تعود إليها يوم القيامة إليها"، قال: "ذلك الموضع الّذي أغرق الله فيه فرعون[٢٤٥] حين انفلق البحر وانطبقَ عليه"، قال: "صَدَقتَ يا محمّد، فأخبرني عن بيتٍ له اثنا عشرَ باباً خرج منه اثنا عشَر عيناً لاثني عشر قوماً"، قال النبي صَلى الله عليه وسَلّم: "إنّ أخي موسَى عليه السَّلام لمّا جاوز ببني إسرائيل البحر ودخَل بهم إلى البرّية شكوا العَطش فمرّ بحجَر مرَبَّع؛ فأوحَى الله عزَّ وجلّ إليه أن اضرب بعصَاك الحجرَ، فضرَبَه مُوسى فانفجر منه اثنتا عَشرة عيناً لأثني عشر سبطا من بني إسرائيل".

قال: "صَدَقت يا محمّد، فأخبرني عن شيء لا منَ الجن ولا مِنَ الإنسِ، ولا منَ الطّير ولا منَ الوحش، أنذر قومه"، قال: "يا ابن سَلام: النملة أنذرَت قومهَا حينَ قالت: "يا أيّها النمل ادخلوا مسَاكنكم لا يحطمنكّم سُليمانُ وجُنودهُ وهم لا يشعرون"، قال: "صدقت يا محمّد، فأخبرني عمن أوحَى الله إليه منَ الأرض"، قال: "أوحَى الله إلى طور سيناء أن يرفع مُوسَى نحوَ السَّماء ليأخذَ الألواح المنزلة عليه".

قال: "صَدَقت يا محمّد، فأخبرني عن مخلوق أوّله عُودٌ وآخرهُ روح؟"، قال: "ذلك عصَا موسَى بن عمرَان عليه السَّلام، أمرهُ الله ان يلقيها في بيت المقدس، فألقاها فإذا هيَ حيَّة تسعى"، قال صَدَقت يا محمّد، فأخبرني عن ثلاث ذكور لم يُولدوا من فحل"، قال: "هم آدمُ عليه السَّلام، وعيسَى بن مريَم عليهما السَّلام، وكبش إسماعيل عليه السّلام".

قال: "صَدَقتَ يا محمّد، فأخبرني عن وسَط الدنيا، أي موضع؟"، قال: "بيت المقدس"، قال: "كيف ذلك يا محمّد؟"، قال: "لأنّ فيه الحشر والصّراط والميزان"، قال: "صَدَقت يا محمّد، فأخبرني عن الفلك المشحُون؟"، قال صَلّى الله عليه وسلّم: "السّفُن المبنيّة، أمَا قرأتَ في التوراة: وحملناه على ذات ألوَاحٍ ودسُر"، قال: "ما الألواح؟"، قال: "الأشجار الّتي شقّت طولاً هي الألواح، والدّسُر: المسَامير، والعوَارض منَ الحديد".

قال: "صدقت يا محمّد، فأخبرني كم كان طول سَفينة نوح عليه السَّلام، وكم كان عرضها وارتفاعهَا؟"، قال: "يا ابنَ سَلام كانَ طولها ثلثمائة ذراع، وعرضها مائة وخمسُونَ ذراعاً، وارتفاعهَا مائتي ذراعٍ"، قال: "صدقت

---

[٢٤٥] – نهاية صفحة ٢٢٥ من المخطوط

يا محمّد، فمن أينَ ركبَها نوحٌ عليه السَّلام؟"، قال: "منَ العراق"، قال: "وأين بلغَت؟"، قال: "طافت بالبيت العتيق أسبُوعاً، وبالبيت المقدّس أسبُوعاً، واستوَت على الجُوديّ[٢٤٦]".

قال: "صَدَقت يا محمّد، فأخبرني عن البيت المعمُور، أين كانَ لمّا أغرق الله الدنيا؟"، قال: "لمّا أغرق الله الدّنيا رفع البيتَ الحرامَ منَ الأرض إلى السَّماء السَّابعَة؛ ومِن ثَمّ سمّيَ البيت المعمُور"، قال: "صَدَقتَ يا محمّد، فأخبرني أين كانت الصخرة وبيت المقدس وقت الطّوفان؟"، قال: "أودَعهُما الله عزّ وجَلّ في بَطن جَبَل أبي قبيس".

قال: "أخبرني يا محمّد عن المولود الّذي لم يشبه أباه، وربّما أشبَه خاله أو عمّه"، قال: "إذا جامعَ الرجُل امرأته، فإن غلبت شهوَة الرجُل شهوَة المرأة خرج الولد بأبيه أشبَه؛ وإن غلبَت شهوَة المرأة شهوة الرّجل خرج الولد بأمّه أشبَه، وإن استويَا خرج شبيهاً بهمَا، وإن سَبَقت شهوَة الرجُل خرج الولد بعمّه أشبَه، وإن سبقَت شهوَة المرأة كانَ الوَلد بخاله أشبَه".

قال: "صدقت يا محمّد، هَل يعَذبُ الله خلقه بلا حجّة؟"، قال: "معَاذ الله، إنّ الله تبارك وتعالى ملك عادلٌ لا جَورَ في قضَائه"، قال: "صَدَقتَ يا محمّد، فأخبرني عن أطفال المشركين، أين يكونوا في الجنَّة هم أم في النار؟"، قال: "يا ابنَ سَلام، الله أولى بهم، إذا كان يوم القيامة وجَمع الله الخلق لفصل القَضَاء أمرَ الله تعالى بأطفال المشركين فيُؤتى بهم فيقول لهم عزَّ وجَلّ: "عبَادى وأبناء عبَادي وإمَائي، مَن رَبكم وما دينكم ومَا عملكم؟"، فيقولون: "اللهم أنتَ ربُّنا، وأنتَ خالقُنَا ولم نك شيئاً، وأمتنا، ولم تجعَل لنا ألسنَة ننطق بهَا، ولا عقولاً نعقل بهَا، ولا قوّةً في الأعضَاء نتعبَّدُ بهَا، ولا علمَ لنا إلاَّ مَا علمتنَا"، فيقول الله عَز وجلّ: "فالآنَ لكم ألسنة وعقول وقوة للحَركة في الأعضَاء، فإن أمرتكم يا عبادي بأمرٍ تفعَلونه؟"، فيقولون: "إلَهَنَا تبَاركتَ وتعَاليتَ، لكَ السمعُ والطّاعَة، مُرْنا بما شئت"، فيأمرُ الله ملكاً فيزجر جهنّم حَتّى تفور، ويأمر بأطفال المشركينَ أن يلقوا فيهَا، فمن كانَ منهم قد سبَق في علم الله لـه السَّعَادة، ألقى بنفسِه في الحال بلا إمهال، فتكون النار عليه برداً وسَلاماً كما كانت على إبرَاهيمَ عليه السَّلام، ومن سَبق في علم الله لهُ الشقاوة امتنعَ من إلقاء نفسِه في النار فأولئك يتبعُونَ آباءَهم، والفرقة الأخرى يخرجونَ إلى الجنّة معَ المؤمنين".

قال: "صَدقت وبررتَ وبينت وأزلتَ الشكّ يا محمّد[٢٤٧]، فزدني يقينا، وأخبرني عن الأرض لمَ سميَت أرضاً؟"، قال: "لأنها أرض يداسُ عليها"، قال: "صَدقتَ يا محمّد، فمِمَّ خلقت؟"، قال: "منَ الزبَد"، قال: "فالزبَد ممَّ خلق؟"، قال: "منَ الموج"، قال: "والموج ممّ خلق؟"، قال: "منَ البحر"، قال: "صَدَقتَ يا محمّد، فكيف كانَ ذلكَ؟"، قال رسُول الله صَلّى الله عليه وسَلّم: "إنّ الله عزَّ وجَلّ لمّا خلق البحر أمرَ الريح أن يَضربَ الأمواج بعضها في بعضٍ، فاضطربَت الأموَاج حتى ظهَرَ الزبَدُ، أمرهُ أن يجتمعَ فاجتمع، ثمّ أمرَهُ أن يلينَ فَلَانَ، ثمّ أمرهُ أن يعتدل فاعتَدل، ثم أمرهُ أن يمتدّ فامتد، فسَطحهَا أرضاً ومهدَها"، قال: "فأخبرني بما أمسَكها؟"، قال: "بجَبل قاف المحيط بالعَالم، وهوَ أصل أوتاد الأرض الّتي نحنُ عليها".

قال: "فأخبرني مَا تحتَ هذه الأرض؟"، قال: "تحتها ثورٌ، والثورُ على صخرة"، قال: "ومَا صفة ذلكَ الثور؟"، قال: "لـه أربع قوَائم وأربعُون قرناً وأربعُون سنَاماً، رأسُه بالمشرق، وذنبه بالمغرب، ومسيرة ما بين قرن

---

[٢٤٦] – نهاية صفحة ٢٢٦ من المخطوط

[٢٤٧] – نهاية صفحة ٢٢٧ من المخطوط

وقرن من قرونه خمسُون ألف سَنةٍ"، قال: "صَدقت يا محمّد، فأخبرني ما تحتَ الصّخرةِ الّتي عليها الثورُ؟"، قال: "تحتهَا جبَل يُقال له صعود"، قال: "ولمن أُعِدَّ ذلكَ الجبَل يومَ القِيامة؟"، قال: "لأهل النار، يَصعَدُه المشركونَ في النّار في مدّة خمسين ألف سنَة، حتّى إذا بلغوا أعلاهُ نفضهُمُ الجبَل؛ فيتسَاقطونَ إلى أسفلِه ويسحبُونُ على وجوههم".

قال: "صدقت يا محمّد، فأخبرني ما تحتَ ذلك الجبَل؟"، قال: "أرض"، قال: "وما اسمُها؟"، قال: "هَاوية"، قال: "ومَا تحتها؟"، قال: "بحرٌ"، قال: "ومَا اسمه؟"، قال: "السّهيل"، قال: "صَدَقتَ يا محمّد، فما تحت ذلك البحر؟"، قال: "أرض"، قال: "وما اسمُها؟"، قال: "تاعمة"، قال: "وما تحتَها؟"، قال: "بحر"، قالَ: "ومَا اسمه؟"، قال: "الزاخر"، قال: "وما تحته؟"، قال: "أرض"، قال: "ومَا اسمُها"، قال: "فسيحَة".

قال: "فصف لي يا محمّد تلك الأرض"، فقال صَلّى الله عليه وسَلم: "يا ابن سَلام، هي أرض بيضَاء كالشمس وريحها كالمسك، وضوءُها كالقمر ونباتها كالزعفران، يحشر عليها المتقون يومَ القيامة"، قال: "صَدَقتَ يا محمّد، فأخبرني أين تكون هذه الأرض الّتي نحنُ عليها اليوم؟"، قال النبّي صَلّى الله عليه وسلم: "تبدل بأرض غيرها"، قال: "صَدَقتَ يا محمد، فأخبرني ما تحتَ تلك الأرض؟"، قال: "بحرٌ"، قال: "ومَا اسمه؟"، قال: "القمقام"، قال: "ومَا فيه؟"، قال: "النون"، قال: "وما النون يامحمّد[248]؟"، قال: "الحُوت"، قال: "ومَا اسمه؟"، قال: "بهموت"، قال: "صَدقت يَا محمّد، فصِف لي الحوت"، قال: "يا ابنَ سَلام، رأسُه بالمشرق وذنبه بالمغرب"، قال: "فما على ظهرِهِ؟"، قال: "الأراضي والبحار والظّلمات والجبَال"، قال: "فما بين عينيه؟"، قال: "بين عينيه سبعة أبحُر، في كلّ بحر سبعون ألف مدينة، في كلّ مدينة سبعون ألف لواء، تحتَ كلّ لواء سبعُون ألف ملك"، قال: "فما يقولونَ؟"، قال: "يقولون لا إلهَ إلاَّ الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهوَ على كلّ شيء قدير".

قال: "صَدقت يا محمّد، فأخبرني ما تحتَ الحُوت؟"، قال: "ريح تحمل الحُوت بإذن الله تعالى"، قال: "صَدَقت يا محمّد، فأخبرني ما تحتَ الريح؟"، قال: "الظّلمة"، قال: "فما تحتَ الظّلمةِ؟"، قال: "الثرى"، قال: "ومَا تحت الثرى؟"، قال: "لا يعلم ذلكَ إلاَّ الله تباركَ وتعالى"، قال: "صَدَقتَ يا محمّد، فأخبرني عن ثلاث رياضٍ في الدّنيا هُنّ من رياض الجنَّة"، قال رسُول الله صَلّى الله عليه وسَلّم: "أوّلها مَكة، وثانيهَا بيت المقدس، وثالثها يثرب هَذه"، قال: "صَدَقت يا محمّد".

ثمّ قال عبد الله ابن سَلام: "يا محمّد أخبرني عن أربع مدن من مدَائن الجنّةِ في الدّنيا"، قال: "أوّلها إرَم ذات العمَاد، والثانية المنصُورة من بلاد الهند، والثّالثَة قيسَارية بسَاحل بحر الشام، والرابعَة البلقاء من أرض أرمينية"، قالَ: "صدقت يا محمد، فأخبرني عن أربع منابرَ من منَابر الجنّة في الدّنيا"، قال: "أوّلها القيروان وهيَ إفريقية بالمغرب، الثانية باب الأبواب من أرمينية، الثالثة عبّادان بأرض العراق، الرابعة بخراسَان خلف نهر جيحُون".

قال: "صَدَقت يا محمّد، فأخبرني عن أربع مدن من مدائن جَهنَّم في الدّنيا"، قال: "أوّلها مدينة فرعون في أرض مصر، الثانية بأنطاكية بأرض الشام، الثالثة بأرض سيحان من أرمينية، الرابعة المدَائن منَ العراق"، قال: "صَدَقت يا محمّد، فأخبرني عن أربعَة أنهر في الدّنيا من أنهار الجنَّةِ"، قال النّبي صَلّى الله عليه

---

[248] – نهاية صفحة ٢٢٨ من المخطوط

وسَلّم: "أوّلها الفُرات وهيَ في حدود الشّام، الثاني بأرض مصر وهوَ النيل، الثالث نهر سيحان وهو نهر الهند، الرابع جيحان وهوَ بأرض بلخ".

قال: "صَدَقتَ يا محمّد، أخبرني عن شيء لا شيءَ، وعن شيء بعض شيء[249]، وعن شيء لا يفنى منه شيء"، قال: "يا ابنَ سَلام أمّا شيء لا شيء فهي الدّنيا، يذهبُ نعيمُها ويمُوتُ أهلها ويخمد ضوءها، وأمّا شيء بعض شيء فوقوف الخلائق في صعيدٍ واحد للحساب، وأمّا شيء لا يفنى منه شيء فهي الجنَّة لا يفنى نعيمُها، والنّار لا ينقضي عذابها".

قال: "صَدقتَ يا محمّد، فأخبرني عن جبَل قاف وما خلفَه وما دونه"، قال صَلّى الله عليه وسَلّم: "خلفه أرض من ذهَب وسبعون أرضاً من فضّةٍ وسَبعة أراضي من مسك"، قال: "فما سُكّان هَذه الأراضي؟"، قال: "الملائكة"، قال: "كم طول كلّ أرض وكم عرضها؟"، قال: "طول كلّ أرض عشرة آلاف عَام وعرضها كذلك".

قال: "صَدَقتَ يا محمّد، فأخبرني ما وراء ذلك؟"، قال: "حجاب منَ الريح"، قال: "فما وراء ذلك؟"، قال: "كَنفٌ محيط بالدّنيا كُلّها"، قال: "صَدقت يا محمّد، فأخبرني عن أهل الجنّة، يأكلون ويشربون، فكيفَ لا يبُولون ولا يتغوّطون؟ وما مَثَل ذلك في الدّنيا؟"، قال: "مثله في الدّنيا الجنينُ الّذي في بَطن أمِّه يأكل مما تأكل ويشربُ ممّا تشربُ، ولا يبُول ولا يتغوّط، ولو بال أو رَاث لانشقّ بطنُ أمّه، ولماتَت أمه من تصَاعد بخار ذلك إليهَا".

قال: "صَدقتَ يا محمّد، فأخبرني عن أنهار الجنَّة مَا هيَ؟"، قال: "يا ابن سَلام، من لبَن لم يتغيّر طعمه، وخمر ومَاء وعسَل مُصَفّى"، قال: "صَدَقت يا محمَّد، فأخبرني أجامدة هيَ أم جارية؟"، قال: "بل جارية بين أشجار وثمار ورياض"، فقال: "هَل تنقصُ تلك الأنهار أم تزيد؟"، قال: "لا تنقصُ ولا تزيدُ".

قال: "فهل لذلك مثلٌ في الدّنيا؟"، قال: "نعم، أما تنظر إلى البحار وما ينزل فيهَا منَ الأمطَار ويمدّهَا مِنَ الأنهار من حيث خلقت وإلى الآن، لا يؤثر فيهَا زيادةٌ ولا نقصَان"، قال: "فأخبرني بأسماء أنهار الجنّة وصفاتها"، قال النّبي صَلّى الله عليه وسَلّم: "في الجنَّة نهر يُقال له الكوثر، رائحتُه أطيبُ منَ المسك الأذفر والعنبر، حصَاه الدّرّ والجوهر والياقوت الأحمر، عليه خيام منَ اللؤلؤ الأبيض، وهوَ منزل أولياء الله تعَالى".

قال: "صَدَقتَ يا محمّد، فصف لي أشجار الجنّة"، فقال النبيّ صَلّى الله عليه وسَلم: "يا ابنَ سَلام، في الجنَّة شجرة يقال لها طُوبى، أصلها درّ وأغصَانها من زبرجد ثمرهَا من جوهَر، ليسَ في الجنّة غرفة[250] ولا حجرة ولا قصر ولا خيمة إلاَّ وهيَ مطلة عليها"، قال: "صَدَقت، فهل في الدّنيا لها مِن مثيل؟"، قال: "نعم، الشمس المشرقة، تشرق على بقاع الدّنيا ولا يخلو من شعَاعِهَا مكانٌ".

قال: "صَدقت يا محمّد، فهَل في الجنّة ريحٌ؟"، قال: "يا ابنَ سَلام، ريح واحدة خلقت من نور مكتوب عليها: "الحياة واللذة لأهل الجنَّة"، ويقال لها البهَاء، فإذا اشتاق أهل الجنَّة أن يزورُوا ربّهم في الجنّة، هبّت تلكَ الريح عليهم تنفخ في وجوههمُ النّور والنضرة والسّرور، وتطيبُ قلوبهم ويزدادوا نوراً على نُورهم، وتضربُ أبواب الجنان وحلق المصاريع، وتسيح الأنهار بخريرهَا والأطيار بتغريدها والأغصَان بتصفيقهَا، فلو أنّ مَن في السمواتِ والأرض قيام يستمعُون لتلك اللّذّة لماتوا جميعاً من طيبهَا وشوقاً إلى مُشاهَدَتها، والملائكة يدخلونَ عليهم من كلّ باب: "سَلام عليكم بما صَبرتم فنعم عقبَى الدّار، دار الثواب".

---

[249] – نهاية صفحة ٢٢٩ من المخطوط

[250] – نهاية صفحة ٢٣٠ من المخطوط

قال: "صَدَقت يا محمّد، فأخبرني عن أرض الجنّة ما هيَ؟"، قال: "يا ابنَ سَلام، أرضها ذهَب وترابها مسك وعنبر، ورياضها الدّر والياقوت والزعفران، سَقفها عرش الرحمن"، قال: "صَدقت يا محمّد، فأخبرني عن طعَام أهل الجنّة إذا دخلُوهَا"، قال: "يأكلونَ من كبد الحُوت الّذي يحمل الدّنيا والأراضي والجبَال، واسمه بهمُوت".

قال: "صَدَقتَ يا محمّد، فأخبرني عن أهل الجنّة، كيفَ يتصرّفُ ما يأكلونَ من ثمارهَا وأطيارهَا من أجوَافهم؟"، قال: "يا ابنَ سَلام، ليسَ يخرج شيء من أجوَافهم بل يَعرقونَ عرَقاً طيّباً أطيبُ منَ المسك وأعبَق منَ العنبَر، ولو أنّ عرق رجُل من أهل الجنَّة مزج به البحار لعطّر مَا بينَ السَّماء والأرض من طيب ريحهِ". قال: "صَدَقتَ يا محمَّد، فأخبرني عن لواءِ الحمد ما صفته وكم طوله وارتفاعه؟"، قال: "يَا ابنَ سَلام، طوله ألف سَنَةٍ، أسنَانه من ياقوتةٍ حمراء وياقوتة خضراء، قوائمه من فضّةٍ بيضَاء لهُ ذوَائبٌ من نور، ذوَابة بالمشرق وذؤابة بالمغرب، والثالثة بوَسط الدّنيا"، قال: "صَدَقتَ يا محمّد، فأخبرني عن الأسطُر المَكتوبة عليه وكم عدّة ذلكَ؟"، قال: "ثلاثة أسطُر، الأوّل: بسم الله الرحمن الرحيم، الثاني: الحمدُ لله ربّ العَالمين[٢٥١]، والثالث: لا إله إلاّ الله محمّد رسُول الله".

قال: "صَدَقتَ يا محمّد، فأخبرني عن الجنَّةِ والنار وأيّهما خلق قبل؟"، قال رسُول الله صَلّى الله عليه وسَلم: "الجنَّة خلقت قبل النار، ولو خلقت النار قبل الجنَّة لسبق العذاب الرحمة"، قال: "صدقت يا محمّد، فأخبرني عن الجنّة أين هيَ؟"، قال: "في السّماء السَّابعَة، والنارُ في تخوم الأرض السّفلى".

قال: "صَدَقت يا محمّد، فأخبرني كم للجنَّة من بابٍ وكم للنار من باب؟"، قال: "للجنَّة ثمانية أبواب وللنار سبعة أبواب"، قال: "وكم بين الباب والباب منَ الجنَّة؟"، قال: "ألف سنة"، قال: "وكم ارتفاعهَا؟"، قال: "خمسمائة عام، وعلى شرافاتها سرادق من ذهب بطانته من الزمرّد، وعلى كل باب جندٌ منَ الملائكة لا يحصي عدَدهم إلاّ الله تبارك وتعَالى"، قال: "فما تقول تلك الملائكة؟"، قال: "يقولون: طوبى لأهل الجنّة ومَا يلقون منَ النعيم وكرامة الله تعالى".

قال: "في أيّ الأعمَار وأيّ الصّفات يدخل أهل الجنّة الجنَّة؟"، قال: "يدخلونها أبناء ثلاث وثلاثين في حسن يوسُف عليه السَّلام، وطول آدمَ، وخلق محمّد صَلّى الله عليه وسَلّم"، قال: "فصف لي بعض نعيم أهل الجنّة"، قال: "إنّ أدنى من في الجنَّة وليسَ فِي الجنّة دَنيٌ، لو نزل به جميع من في الأرض منَ العوَالم لاوسعَهُم طعَاماً وشرابا وفاكهةً وقرىً، ولم ينقص ممّا لديه شيء، ولو أنّ رجُلاً من أهل الجنَّة بصَقَ في البحَار المالحة لعَذبَت، ولو أدلى ذؤابة من ذوائبِهِ منَ السّماء إلى الأرض لغلبَ ضوءُهَا ضوءَ الشمس ونور القمَر"، قالَ: "صَدقت يا محمّد، فصف لي الحورَ العين"، قال: "يا ابن سَلام، الحور العين بيض كاللؤلؤ، مشرّبات بحمرَة الياقوت الأحمر".

قال: "يا محمّد، صف لي النار"، قالَ: "يا ابن سَلام، إنّ النارَ أوقد عليها ألف سَنة حتى احمرّت، وألف سَنة حتى ابيَضّت، وألف سنة حتى اسوَدت، فهيَ سَوداء مظلمة ممزوجَة بغضب الله لا يهدأ لهيبُها ولا يخمد جمرُها، يا ابن سَلام لو أنّ جمرَة من جمرها ألقيت في دَار الدّنيا لألهبت ما بين المشرق والمغرب من حرارة

---

[٢٥١] - نهاية صفحة ٢٣١ من المخطوط

جمرهَا وعظم خلقها، وهي سبعة طبَاق: الطّبقة الأولى للمنَافقين، والثانية للمجُوس، والثالثة للنصَارى، والرابعة لليهود، والخامسة سَقر، والسّادسة[٢٥٢] سَعير"، وأمسَك النبيّ صَلى الله عليه وسَلم عَن ذكر السَّابعة ويَكى حَتى جَرت دموعه على لحيَته الكريمة، ثمّ قال: "وَأمّا السّابعَة وهيَ أهوَنها لأهل الكبائر من أمّتي".

قال: "صَدَقت وبررت يا محمّد، فأخبرني عن يوم القيامة وكيف تقومُ الخلائق؟"، قال: "يا ابنَ سَلام، إذا كانَ يوم القيامةِ كوّرت الشمسُ واسوَدَّت، وطمسَت النجُوم وخمدت وانتثرت، وسُيّرت الجبَال وعُطّلت العشَار وبدّلت الأرض غير الأرض"، قال: "صَدَقت يا محمّد: كيفَ يقيمُ الخَلَائق؟"، قال رسُول الله صَلّى الله عليه وسَلّم: "يقيمُ الله الخلائق لفصل القَضَاء، ويمدّ الصراط، وينصبُ الميزان وينشرُ الدّواوين ويبرز الربّ للحُكم بين الخلائق".

قال: "صدقت يا محمّد، فكيفَ يميتُ الخلائق إذا قامت السَّاعة؟"، قال: "يأمرُ ملك الموت فيقفُ على صخرة بيت المقدس ويضع يمينَه على السّموات ويدَه اليسرى تحت الثرى، ويصيح بهم صيحة عظيمة، وينفخ صَاحبُ الصّور في صُورهِ فلا يبقى مَلكٌ مقرّبٌ ولا نبيّ مرسَل ولا إنس ولا جانّ ولا طير ولا وحش إلاّ خرّ ميّتا ميتة رجل واحد، فتبقى السمواتُ خالية من سُكانها والأرض عاطلة من قطانها، والعشار معَطّلة والبحار جَامدَة والجبَال مدَكدكة، والشمس منكسفة والنجوم منطمسَة".

قال: "صَدَقتَ يا محمّد، فأخبرني عن ملك الموت هل يذوق الموت أم لا؟"، قال: "يا ابنَ سَلام إذا أماتَ الله الخلائق ولم يبق شيء له روح يَقُول الله لملك الموتِ: "من بقي من خلقي؟" وهوَ أعلم بمن بقيَ، فيقُول: "يا رَبّ أنت أعلم، لم يبق إلاّ عبدك الضّعيف ملك الموت"، فيقول الله: "يا ملكَ الموت قد أذقتَ رُسُلي وأنبيائي وأوليائي وعبَاديَ الموت، وقد سبَق في علمي القديم وأنا علّام الغيُوب: أنّ كلّ شيء هَالك إلاّ وجهي، وهَذه نوبتك"، فيقول: "إلهي ارحَم عبدَك ملك الموت، فإنّه ضعيف وأنتَ ألطفُ به"، فيقول سبحانه: "ضع يمينك تحتَ خدّك الأيمن، واضطجع بينَ الجنَّةِ والنّار ومت".

قال عبد الله بن سَلام: "بأبي أنتَ وأمّي يا محمّد، وَكم بينَ الجنَّة والنَار؟"، فقَالَ صَلّى الله عليه وسَلم: "مسَيرة ثلاثة آلاف سنَة من سِني الدّنيا؛ فيضطجعُ ملك الموت بين الجنّة والنار، على يمينه، ويَضَع يده اليمنى تحتَ خدّه[٢٥٣] واليسرى على وجهه ويصرخ صَرخة، فلو أنّ أهل السموات وَالأرض أحيَاء لماتوا من شدّة صَرخته".

قال: "صَدَقتَ يا محمّد، فما يصنعُ الله بالسّموات إذا مات سُكّانهَا؟"، قال: "يَطويهَا بيمينه كطيّ السّجلّ للكتاب، ثم يقول جلّ جلاله وتقدسَت أسماؤه ولا إلَه غيره ولا معبُود سوَاه: "أين الملوك الجبَابرة أينَ مدّعي الملكَ والقوَّة؟"، فلا يجيبهُ أحَد، ثمَّ يقول: "لمن الملك اليوم؟" فلا يجيبُه أحَد، فيرُدّ سبحانه على ذاته المقدّسَة: "لله الواحد القهار* اليوم تجزى كلّ نفس بما كسبَت لا ظلم اليوم إنّ الله سَريع الحسَاب".

"قال: "صدقت يا محمّد، فأخبرني كيف يحشرُ اللهُ الخلائق بعدَ موتهم؟"، قال النّبي صَلّى الله عليه وسَلّم: "يا ابنَ سَلام، يحيى الله إسرافيل وهوَ أوّل من يحيَى منَ المقرَّبين، وهوَ صَاحبُ الصُّور، فيأمره أن ينفخَ في الصّور نفخة البعث"، قال ابن سَلام: "فما يقول إسرَافيل في الصُّور؟".

---

[٢٥٢] – نهاية صفحة ٢٣٢ من المخطوط
[٢٥٣] – نهاية صفحة ٢٣٣ من المخطوط

قال رَسُول الله صَلّى الله عليه وسَلّم: "يقول: "أيتها العظام البالية النخرة والأوصَال المتفرّقة المنفصلة، هلمّوا للعَرض على الله، هلمّوا إلى جبّار السّموات والأرض"، ثم ينفخ فيه أخرى؛ فإذا هم قيام ينظرون"، قال: "فكم طول كلّ نفخة؟"، قال: "مدّة أربعين سنَة، قال: "فكم كلمة يتكلّم إسرافيلُ في الصُّور وقت النفخ؟"، قال: "سِتّ كلماتٍ، الكلمةُ الأولى: يكون الناسُ طيناً، الثانية: يكونون صُوَراً، الثالثة: تستوي الأبدان، الرابعة: تجري الدّماء في العروق، الخامسَة: تنبتُ الشعُور، السَّادسة: "قوموا"، فإذا هم قيام ينظرون".

قال: "صدقت يا محمّد، فكيفَ تقوم الخلائق يومَ القيامة؟"، قال صَلّى الله عليه وسَلّم: "يا ابنَ سَلامٍ، يقومون حفاة عراة وألسنتهم جَافة وبطونهم مظلمة وأبصَارهم وجلة"، قال: "الرّجال ينظرون إلى النسَاء والنسَاء ينظرونَ إلى الرّجَال"، قال: "هيهاتَ يا ابنَ سَلام، "لكلّ امرئٍ منهم يومئذ شأن يغنيه" من شدّة هول يوم القيامة"، قال: "صدَقت يا محمّد"، ثمَّ أمسَك ابنُ سَلام عن الكلامَ".

فقال النبّي صَلّى الله عليه وسَلّم: "سَل عمّا شئت ولا تهب"، فقال: "الحمدُ لله الّذي منَّ عليّ بالنظر إلى وجهك يا محمّد وأهّلني لخطابك، فأخبرني إذا كانَ يوم القيامة أينَ يحشُر الله الخلائق؟"، قال: "يحشرُون إلى بيت المقدس[٢٥٤]"، قال: "وكيف ذلك؟"، قال: "يأمر الله عزّ وجل ناراً فتحيط بالدنيا وتضرب وجُوهَ الخلائق، فيهَربون ويمرّون على وجوههم، فيجتمعُون إلى بيت المقدس".

قالَ: "صَدقت يا محمّد، فما يصنع الله بالطّفل الصّغير والشيخ الكبير؟"، قال: "من كانَ مؤمناً سَارَت به الملائكة وانتفضت النّار عن وجهه، ومن كان كافراً تلفح وجهَه النار، حَتى يؤتى به إلى بيت المقدس"، قال: "صدقت يا محمّد، فأخبرني كم تكونُ يومئذٍ صفوف الخلائق؟"، قال: "يا ابن سَلام: مائة وعشرون صَفّاً"، قال: "كم طول كلّ صَفٍّ وَكم عرضه؟"، قال: "طوله مَسَيرة أربعين ألف سنة، وعرضُه عشرون ألف سنة".

قال: "صَدقت يا محمّد، كم صَفٍّ منَ المؤمنين وكم صف منَ الكافرين؟"، قال: "المؤمنون ثلاثة صُفوفٍ، ومائة وسبعة عشر صَفّا للكافرين"، قال: "صَدقت يا محمّد فما صفةِ المؤمنين وما صفة الكافرين؟".

فقال رَسُول الله صَلّى الله عليه وسلم: "أمّا المؤمنُون فغرّ محجّلون من أثر الوضوء والسجُود، وأمّا الكافرون فسُود الوجُوه، يأتونَ الصّراط"، قال: "وكم طول الصّراط؟"، قال: "مسَيرة ثلاثين ألف سنةٍ"، قال: "صَدَقتَ يا محمّد، فأخبرني كيفَ تمرّ الخلائق على الصّراط؟"، فقال: "يَكسُو الله الخلائق نوراً، فأمّا نور المسلمينَ والمؤمنين والموحّدين فمن نور العرش، ونور الملائكة من نور الكرسِيّ فلا يُطفأ لهم نورٌ أبداً، وأمّا الكافرون فمن نور الأرض ونور الجبَال".

قال: "صَدقت يا محمّد، فأخبرني عن أوّل فئة تجوزُ على الصّراط، من هم؟"، قال: "المؤمنون"، قال: "صَدقت يا محمّد، فصف لي ذلك"، قالَ: "يا ابن سَلام، منَ المؤمنين من يجُوز في عشرينَ عاماً على الصّراط، فإذا بلغ أوّلهم الجنَّة تدَلّت الكفار على الصّراط حَتّى إذا توسطوا أطفأ الله نورهم فيبقون بلا نور، فينادون بالمؤمنين "انظرونا نقتبس مِن نوركم" أليس فيكم الآباء والأصحاب والإخوان "أولم نكن معكم" في دار الدّنيا"، "قالوا بلى ولكنكم فتنتم أنفسَكم وتربصتم وارتبتم وغرّتكم الأمَانيّ حتى جَاء أمرُ الله وغركم بالله

[٢٥٤] – نهاية صفحة ٢٣٤ من المخطوط

الغرور* فاليوم لا يؤخذ منكم فدية ولا منَ الّذين كفروا مأواكم النار هي مولاكم وبئس المصير"، ويقال لهمُ: "ارجعُوا ورآءكم فالتمسُوا نوراً* فضربَ بينهم بسُور"، ويأمر الله جَهَنَّمَ، فتصيحُ بهم من تحتهم صيحة فيسقطون على وجوههم ورؤوسهم في النار[255] حيَارى نادمين، وتنجو عصَابة المؤمنين ببَركة الله ولطفه بهم".

قال: "صَدقت يا محمّد، فأخبرني ما يصنعُ الله بالموت حينئذٍ؟"، قال: "فإذا صَار أهل الجنّةِ في الجنة وأهل النّار في النار، أتيَ بالموت كأنه كبش أملح فيُوقفُ بين الجنّة والنّار، فيقال لأهل الجنَّة: "يا أولياء الله هَذا الموت هَل تعرفونه؟"، فيقولونَ:" نعرفه يا ملائكة ربّنا اذبحوهُ حتى لا يكون موت أبداً"، ويقولون لأهل النار:" يا أعداء الله هذا الموت هَل تعرفونه؟"، فيقولون: "تعرفه"، فتقول الملائكة: "تذبحُه؟"، فيَقولون: "يا ملائكة ربنا، لا تذبحوهُ ودعوه، لعلّ الله يقضي علينا بموت فنستريح"، قال رسُول الله صَلّى الله عليه وسَلّم: "فيذبح الموتُ بين الجنَّة والنّار، فييئس أهل النار مِنَ الخروج منها وتطمئِنّ أهل الجنّة بالخلود فيهَا".

فعند ذلكَ قال ابن سَلام: "صَدقت يا رسُول الله"، ونهضَ قائماً على قدميه، وقال: "امدُد يدك الكريمة لتشملني بركتها، فأنا أشهَدُ أن لا إله إلاّ الله وأشهدُ أنك محمّد رسُول الله، وأنّ الجنّة حق، وأنّ النّار حَق، وأنّ الحساب حق وأنّ الثواب حق، وأنَّ مَا أخبرت به حق، وأنّ السَّاعة آتية لا ريبَ فيهَا، وأنّ الله يبعَثُ من في القبور"، فكبّرت الصّحابة رضي الله عنهم عند ذلك، وسمّاه رسُول الله صَلّى الله عليه وسلم "عبد الله بن سَلامٍ"، وصَار من أكابر الصّحابة رضي الله عنهم والنقمة على اليهُود.

تمت المسَائل بحمد الله وعونه وصَلّى الله على سيّدنا محمد وعلى آله وصحبه وسَلم

وَهَذه نُبذة مَنقُولة من كتاب البَدءِ لأبي زيد البَلخي، رحمة الله

فصلٌ فيما ذكرَ في المدّة قبل خلق الخلق

روى حمّاد بن زيد عن طاووس، عن عكرمة عن ابن عبّاس رضي الله عنهما قال: قالت بنُو إسرائيل لموسى ابن عمران عليه السَّلام: "سَل ربك منذ كم خلق الدّنيا؟"، فقال موسى: "يا رَبّ أمَا تسمَعُ ما يقول عبَادك؟"، فأوحَى اللهُ سُبحانه إليه: "يا مُوسى إني خلقت أربعَة عشرَ ألف مدينة من فضّة، وملأتها خردَلاً، وخلقتُ لهَا طيراً، وجعَلتُ رزقه كُلّ يوم حبَّة[256] من تلك الخردَل، فأكل الخردل حتى فني ما في الخزائن ومَات الطّير بَعدَ استيفاء رزقهِ، ثمّ خلقت الدنيا"، فقيل لابن عبَّاسٍ: "فأين كانَ عرشه؟"، قال: "على الماء"، قيل: "فأين كان الماءُ؟"، قال: "على متن الريح".

ورُويَ مثل هَذا عَن طاوُوسَ مرفوعاً، عن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه فقال: "هَذا شيء غامضٌ صَعبٌ موَكّل إلى علم الله تعالى، إذ ليسَ يُدرى مَا الّذي كانَ قبل هذا الخلق؟ أمثل هَذا الخلق أم على خلافهم؟ وهَل يعيدُ الدّنيا بعدَ فناء هذه الدّنيا أم لا، والأخبار واردة بأشياء عجيبَة، والقدرَة صَالحة لأضعاف أضعاف ذلك.

---

[255] – نهاية صفحة ٢٣٥ من المخطوط

[256] – نهاية صفحة ٢٣٦ من المخطوط

وزعم بعضُ الناس أنه عدّ قبل آدمَ هَذا الّذي ننسَبُ إليه ألف آدَم ومائتا آدم، والله أعلم، وكلّه جَائز لكونه تحتَ الإمكان وداخل في حَدّ الإيجاد، فأَمّا الذي لا يسَع القول إلاّ به، ولا يلزم إلاَّ اعتقادُه انفرادُ الله سُبحانه جَلّ جَلاله عن خلقه سَابقا من غير شريك ولا جوهرٍ قديم، وإبداعه الأشياء لا من شيءٍ، سبحانه، لا إله إلاَّ هُوَ.

ذكر مدة الدّنيا واختلافِ الناسِ فيهَا

قالَ الله تعالى: "الله الّذي خلق السموات والأرضَ في ستة أيامٍ" فزَعم قوم أنّ: مدّة الدنيا ستة آلاف سَنةٍ، مكان كلّ يوم ألف سَنةٍ، وروي عن كعب الأحبَار رضي الله عنه: "أنّ الله وضع الدّنيا على سبعَة أمَاكن كلّ يوم ألف سنَة، ورَوي أبو المقوّم الأنصَاريّ عن ابن جبير عن ابن عبّاسٍ رضي الله عنهما قال: "الدنيا جمعَة من جمع الآخرة"، ورُوي عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وأبّان وعكرمة، في قوله تعَالى: "في يوم كانَ مقدَارهِ خمسين ألف سَنة" قال: هيَ الدّنيا مِن أوّلها إلى آخرها، وجَاء في خبر آخر: أنّه مائة ألف سَنة وخمسُون ألف سنة.

قال البلخى رحمه الله: "أخبرني هريذ المجوس وهوَ أعلم منَ المويذان بفارس أنّ في كتاب لهم: أنّ مدّة الدّنيا أربعَة أرباع، فأوّلها: ثلاثمائة ألف سنة وستون ألف سَنة، عدَد أيام السّنَة، وقد مَضت، والربع الثاني: ثلاثون ألف سنَةٍ، عدد أيام الشهر، وقد مضت أيضاً، والربع الثالث: اثنا عشر ألف سَنة، عدَد شهور السنة، وقد مضت أيضاً[257] والربع الرابع سبعَة آلاف سنة، عدد أيام الأسبُوع، ونحنُ فيهَا.

قال البلخيّ رحمَه الله: وَجَدت في كتابٍ راويةً عن وهب، عن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ النبيّ صَلّى الله عليه وسَلم سئل: "منذ كم خلقت الدّنيا؟"، فقال: "أخبرني رَبّي أنه خلقها منذ سبعمائة ألف سنَة إلى اليوم الّذي بعثني فيه رسُولاً إلى الناس"، وزعم أيضاً أنّ ممّا يدُلّ على ذلك مَا جاءَ في الخبر: أنَ إبليسَ عبدَ الله قبل أن يخلق آدَم خمسَة وثمانين ألف سَنة، وخلق بعدَ ما خلق السموات والأرض منَ المدَد ما شاء الله، والله سبحانه وتعالى بغيبه أعلم.

ذكر مَا وصفَ مِنَ الخلق قبل آدَمَ عليه السّلام

رُويَ في الحديثِ: أنّ كلّ شيء خلقَه الله من الخلق كانَ قبل آدم، وأنَّ آدَمَ وجد بعدَ إيجاد الخلق، لأنّه خلق آدمَ آخر الأيّام الّتي خلق فيهَا الخلق، ورَوى بقيّة بنُ الوليد عن محمّد بن نافع عن محمّد بن عبد الله بن عامرٍ المكيّ أنه قال: خلق الله خلقه مِن أربعَة أشياءَ: الملائكة من نور، والجانّ من نَار، والبَهائم من ماءٍ، وآدَم من طين، وذرّيته كذلك بالتّبعيّة، فجعَل سبحانَه الطّاعة في الملائكة والبَهائِم؛ لأنهما منَ النور والماء، وجعَل المعصيَة في الجنّ والإنس لأنهما منَ الطّين والنّار.

ورُوي عن شهر بن حَوشب أنّه قال: خلق الله في الأرض خلقاً وأسكنهم فيها، ثمّ قال لهم: "إني جَاعل في الأرض خليفةً"، "فما أنتم صَانعون؟"، قالوا: "نعصيه فلا نطيعُه"، فأرسَل الله عليهم ناراً فأحرقتهم، ثم خلق الجنّ فأمرهم بعمارة الأرض، فكانوا يعبُدون الله حَق عبَادته، حَتّى طال عليهم الأمد، فعَصَوا وقتلوا نبيّاً لهم، يُقال له يوسُف وسَفكوا الدّماء، فبعَث الله عليهم منَ الملائكةِ جنداً، وجعَل عليهم إبليسَ رَئيساً وكانَ اسمه عَزازيل، فأجلوهم عن الأرض وألحقوهم بجزائر البحُور، وسَكن إبليسُ ومن معَه منَ الملائكة الأرض، فهانت عليهمُ العبَادة وأحبّوا المكثَ فيها، فقال الله عزّ وجَلّ لهم: "إنّي جَاعل في الأرض خليفةً"، فصَعُب عليهم

[257] – نهاية صفحة ٢٣٧ من المخطوط

العزل ومُفارقة المألوف، قالوا "أتجعَل فيهَا" على طريق الاستفهام منَ الله سبحانه[٢٥٨]، "من يفسد فيها ويسفكُ الدّماء".

ورُوي عن ابن عبّاسٍ رَضي الله عنهُما: أنّ الله تعالى لمّا خلق الجانّ من نار السّمُوم، جعَل منهم المؤمنَ والكافِرَ؛ ثم بعَثَ إليهم رسُولاً من الملائكةِ، وذلك قوله تعالى: "الله يصطفي منَ الملائكة رسلاً ومنَ الناس"، قال: فقاتل الملك المرسل بمؤمني الجنّ كفارهم فهزموهم وأسرُوا ابليسَ، وهوَ غلام وضيء اسمه الحارث أبو مرّة، فصَعدت الملائكة به إلى السّماء، ونشأ بينَ الملائكة في الطّاعة والعبادة وخلق الله خَلقاً في الأرض فعَصَوه، فبعَثَ الله إليهم إبليسَ في جند من الملائكة، فنفوهم عن الأرض، ثم خلق الله آدمَ فأشقى إبليسَ وذرّيّته به.

وزعم بعضهم: أنه كانَ قبل آدمَ في الأرض خلق لهم لحمٌ ودَم، واستَدلّوا بقوله: "أتجعَل فيهَا من يفسدُ فيها ويسفكُ الدّماء" فلم يقولوا ذلكَ إلاّ عن معَاينَة، واحتجّوا أيضاً بقول جوَيبر: إنهم كانوا خلقاً، فبعثَ إلَيهم نبي اسمُه يوسف فقتلوه، والّذين سَكنوا الأرض قبل آدم ثلاث أمم: الّذين إبليسُ مِن نسلهم، والذين قتلوا نبيّهم يوسُف، والذين أجلاهم إبليس منَ الأرض، معَ ما قيل إنه كانَ قبلَ آدم ألف آدم ومائتا آدم، ونوح آخر وهوَ آخرُ الآدميّين، ورُوي أنّ آدمَ لمّا خلقَ، قالت له الأرض: "يا آدم جئتني بعدَ ما ذهبَت حدّتي وشبَابي وقد خَلُقتُ"، قالَ عديّ بن زيد مفرَد:

قضى لستة أيام خلائقه وكانَ آخر شيءٍ صَوّر الرّجلا

ذكر عدَد العَوَالم كم هيَ منقول منَ المشارع للرّقيّ

في عدَد العَالمين ثمانية أقوال: الأوّل: أنهم مائة وثمانية وعشرون عَالماً، قال الضّحّاك: "ثمانية وستون عالماً حُفاة عراةً لا يدرون من خلقهُم، وستون عالماً يلبسُون الثياب".

الثاني: ألف عالم، عن سَعيد بن المسيّب قالَ: "لله تعالى ألف عالم ستمائة منها في البحر، وأربعمائة في البرّ".

الثالث: ثمانية عشر ألف عالم؛ قال وهبٌ: "لله تعَالى ثمانية عشَر ألف عالم، الدّنيا منهَا عَالم واحد، ومَا العمَارة في الخرَاب إلاّ كفسطاط في الصّحراء، يعني أنّ المعمُورَ منَ الأرض بالحَيوان هوَ القليل كَالخيمةِ[٢٥٩] المضرُوبة في الفلاة".

الرابع: أربعون ألفا، عن أبي سَعيد الخدريّ رضي الله عنه قال: "إنّ الله أربَعين ألف عالم، الدّنيا من شرقهَا إلى غربهَا عالم واحدٌ".

الخامس: سبعونَ ألفا، عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما في قوله تعالى: "الحمد لله رب العالمين" قال: "الذي فيه الروح"، قال: "والجنّ والإنسُ عالم، والملائكة والكروبيين عالم، وسبعونَ ألف عالم سوى ذلك لا يعلمهم إلاّ الله سبحانه وتعالى".

السّادس: ثمانون ألفاً، قال مقاتل بن حبّان: "العَالمُون ثمانونَ ألف عالم، أربعون ألف عالم في البرّ، وأربعون ألف عالم في البحر".

---

[٢٥٨] – نهاية صفحة ٢٣٨ من المخطوط

[٢٥٩] – نهاية صفحة ٢٣٩ من المخطوط

السّابع: أنّ الرؤسَاء المتبوعين ثمانية عشَر ألفاً، والأتباع لا يحصَون، عن أبي بن كعب رضي الله عنه قال: "العالمون ثمانية عشر ألف ملك، منهم أربعَة آلاف وخمسمائة بالمشرق، وأربعة آلاف وخمسمائة ملك بالمغرب، وأربعة آلاف وخمسمائة ملك بالكتف الثالث منَ الدّنيا، وأربعَة آلاف بالكتف الرابع منَ الدّنيا، مع كل ملك من الأعوان ما لم يعلم عدده إلاّ الله، ومن ورائهم أرض بيضَاء كالفضَّة، عرضهَا مَسيرة الشمس أربعين يوماً، ولا يعلم طولها إلاّ الله، مملوءة ملائكة يَقّال لهمُ الروحانيّون، لهم زجل بالتسبيح والتهليل، لو كشف عن صَوت أحدهم لهلك أهل الأرض من هَول صوته، فهم العَالمون منتهاهم العرش".

الثامنُ: أنّ عددهم لا يحصى، قال كعبٌ: "لا يحصى عدد العَالمينَ إلاّ الله، قال الله تعالى: "ومَا يعلم جنود رَبك إلاّ هو"، وقالَ مقاتل بن سُليمان:" لو فسّرتُ "العَالمينَ" لاحتَجتُ إلى ألف مجلّد، كلّ مجلد ألف ورقة، والله تعالى أعلم.

ذكرُ التواريخ مِن لدُن آدم عليه السّلام إلى يومنا هذا

رَوى عبد الله بن أبي قتيبة في كتاب المعَارف أنّ آدمَ عاش ألف سنة، وكان بين موته والطّوفان ألفا سنَةٍ ومائتا سنَةٍ واثنتان وأربعون سَنة، وبين الطّوفان وموت نوح ثلثمائة وخمسون سَنة، وبين نوح وإبراهيم عليهما السّلام ألفا سنَةٍ وأربعُونَ سَنة، وبين إبراهيمَ وموسى تسعمائة سنة، وبين موسى وداوُدَ خمسُمائة سنة، وبين داود وعيسى ألف سنة ومائتا سَنة، وبين عيسى ومحمد صَلواتُ الله عليهم أجمعين ستمائة سنَة[260] وعشرون سَنة، فكانَ من عهد آدمَ إلى محمّد صَلى الله عليه وسلم سبعة آلاف سنة وَثمانمائة سنة، ومن مولد النبيّ صَلى الله عليه وسَلم إلى عامنا هذا: ثمانمائة وثلاث وستون سنة، فيكون جملة التاريخ من عهد آدمَ إلى يومنا هذا وهوَ عام ثمانمائة واثنان وعشرون سنة منَ الهجرة ثمانية آلاف سنة وستمائة سنة وثلاث وستون سنة.

ذكر مَا جَاءَ في أشراط السّاعة

رويَ عن أبي سَعيد الخدريّ رضي اللّه عنه قال: "صَلى بنا رسُول اللّه صَلى الله عليه وسَلم صَلاة العَصر، ثم قامَ خطيباً فلم يدع شيئاً يَكون إلى قيام السّاعة إلاّ أخبرَ به، حَفظهُ من حفظه ونسيَه من نسيَه......"، والحديث طويل، في آخرِه: "وجعَلنا نلتفت إلى الشمس هَل بقي منها شيء؟"، فقال صَلى الله عليه وسَلم: "لم يبقَ منَ الدّنيا إلاّ كما بقي من يومكم هذا".

ورُوي عن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهُما أنّ النبي صَلى الله عليه وسَلّم قال: "إنما مثلي، ومثلكم كقوم خافُوا عدُوّاً؛ فبَعثوا رئية لهم، فلمّا فارقهم إذا هوَ بنواصي الخيل؛ فخشيَ أَن يسبقه العدُوّ إلى أصحابه، فلمع بثوبه، وقال: يا صَاحبَاهُ، وإنّ السَّاعَة كادَت أن تسبقني إليكم".

وعن حذيفة بن أسيد رَضي الله عنه قالَ:" أشرف علينا رسُول الله صَلّى الله عليه وسَلّم ونحنُ نذكر السّاعة فقال:" أمَا إنها لا تقوم حتى تكونَ قبلها عشر آياتٍ"، فذكر الدّخان والدّجّال، ويأجوجَ ومأجُوج، ونزول عيسَى، وطلوع الشمس من مغربهَا، وثلاث خُسوفات: خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العَرب، وآخر ذلك: نار تخرج من قعر عدن تسُوق الناسَ إلى المحشر، فيقال: غدت النّار فاغدوا، وراحت النّار فروحوا، وتغدو وتروح ولها ما سَقط".

---

[260] – نهاية صفحة ٢٤٠ من المخطوط

ورويَ عن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه أنّ النبي صَلّى الله عليه وسَلّم قال: "إذا عملت أمتي خمسَة عشرَ خصلة حَلّ بهَا البَلاء؛ إذا اتخذوا المغانم دولا، والأمانة مغنما، والزكاة مغرما، وتعلم العلم لغير الدّين، وأطاع الرجل امرأته، وأدنى صديقه، وأقصى أباه وأمّه، وارتفعَت الأصواتُ في المساجد، وكانَ زعيم القوم أرذلهم، وأكرمَ الرجل مخافة شرّه، وظهرت القيان والمعَازف[261]، وشربت الخمور، ولبسَ الحرير، ولعنَ آخر الأمة أوّلها، فتوقعُوا عند ذلك ريحاً حَمراء، وخسفا ومسخا وقذفا".

وفي حديث ابن عمر رضي الله عنهمَا: "أنّ جبريل عليه السَّلامُ لمّا أتى النبي صَلّى الله عليه وسَلّم يسأل عن أمرِ الدّين؛ فقالَ: "متى السّاعة؟"، قال: "ما المسؤول عنها بأعلم منَ السّائل"، قال: "ما أمارتهَا؟"، قال: "أن تلدَ الأمة ربتها، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان".

وعن عمرَ رضي الله عنه: أن النبي صَلى الله عليه وسَلّم قال: "إنّ الله رفع إليّ الدّنيا وأنا أنظر إليها وإلى ما هوَ كائن فيهَا إلى يوم القيامة، كما أنظر إلي كفي هذا"، ومنه خبر الهاشميّ والسّفيَانيّ والقحطانيّ، والترك والحبشة والدّجّال، ويأجوج ومأجوجَ، وخروج الدّابة والدّخان، ونفخة الصُّور وعيسى، وطلوع الشمس من مغربهَا.

ذكر الفتن والكوائِن في آخِر الزّمان

عن أبي إدريس الخولاني عن حذيفة بن اليَمانيّ قال: "أنا أعلم الناس بكل فتنة كائنة إلى يوم القيامة، ومَا بي أن يَكونَ رَسُول الله صَلى الله عليه وسَلّم أسرّ لي في ذلك أشياء لم يحدّث بهَا غيري، ولكنّه حدث مجلساً أنا فيه عن الكوائِن والفتن الّتي يَكونُ منهَا صغار وَكبار، فذهبَ أولئك الرهط غيري".

وعن عوف بن مالك الأشجَعيّ رضي الله عنه قال: "قال رسُول الله صَلّى الله عليه وسَلّم: "أعدد سِتّاً بينَ يدي السّاعة، أوّلهنّ موتي"؛ فاستبكيت؛ حَتّى جعَل رسُول الله صَلّى الله عليه وسَلّم يسكتني، ثمّ قال: "قل إحدى"، فقلتُ: "إحدى"، "والثانية فتح بيت المقدس، قل: اثنتان" فقلت، قال: "والثالثة موتان يكونُ في امتي كعقاص الغنم، قل: ثلاثة"، "والرابعة: فتنة عظيمة تكونُ في أمّتي؛ لا تبقي بَيتاً في العَرب إلاّ دخلته، قل: أربعَة"، "والخامسَة: هدنة بينَ العرب وبين بني الأصفر، ثم يسَيرون إليكم فيقاتلونكم، قل خمسٌ"، "والسادسَة: يفيض المال فيكم حَتّى يعطى أحَدكم المائة منَ الدّنانير فيسخطها، قل: ست".

وعن أبي إدريس عن جدّه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال:" قال رسُول الله صَلّى الله عليه وسَلّم:" أول الناس هلاكاً فارس، ثم العَربُ على أثرهم، وفي رواية معَاوية بن صَالح عن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه عن ابن عبّاس رضي الله عنهما[262] قال: "النجوم أمَان لأهل السماء، فإذا طمسَت النجوم أتى أهل السّماء ما يوعَدون، وأنا يعني رسول الله صَلّى الله عليه وسَلّم أمانٌ لأصحابي؛ فإذا ذهبت أتى أصحابي ما يوعدون، وأصحابي أمَانٌ لأمتي، فإذا ذهبَ أصحابي أتى أمتي ما يوعدون، والجبَال أمَانٌ لأهل الأرض؛ فإذا انشقت الجبَال أتى أهلهَا مَا يوعدون"، وقد رواه عطا عن ابن عبّاسٍ وسَلمة بن الأكوع رضي الله عنهم، عن النبيّ صَلّى الله عليه وسلّم، قال: "لا تقوم السَّاعة إلاّ على شرار الخلائق، يتسَافدُون على ظهر الطريق تسافد البهَائم".

---

[261] – نهاية صفحة ٢٤١ من المخطوط

[262] – نهاية صفحة ٢٤٢ من المخطوط

وفي رواية أبي العَالية: "لا تقوم السَّاعة حتّى يمشي إبليسُ في الطّرق والأسواق؛ يقول: حَدّثني فلان عن رسُول الله بكذا وكذا، افتراءً وكذبا".
وقال بعض أهل التفسير في قوله تعَالى: "حم عسق"إنّ الحاءَ حَربٌ في آخر الزمَان، والميم ملك بني أميّة، والعين عبّاسيّة، والسّين سُفيانية، والقاف القيامة، فمنْ ذلك ما مضى، ومنه مَا هوَ منتَظر.

ذكر خروج الترك

روَى أبو صَالحٍ عن أبيه عن أبي هُريرَة رضي الله عنه أنّ رسُول الله صَلى الله عليّه وسَلم قال: "لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمونَ الترك، قوم وجوههم كالمجان المطرقة، صغار الأعين خنسُ الأنوف يلبسُون الشعر"، وقيل :"إن هَلاك سُلطان بني هَاشم على أيدي الأتراك الإسلاميَّة، وهلاك الأتراك الإسلامية على أيدي كفرة الترك"، وقيل: "هم أهل الصّين يستولون على الأقاليم"، والله سبحانه وتعالى أعلم.

ذكر الهدة في رَمَضانَ وهي من أشراط الساعة

حَكى البيروني عن الأوزاعيّ، عن عبد الله بن لبابة، عن فيروز الدّيلميّ عن النّبي صَلى الله عليه وسَلّم أنه قال:"تكون هدّة في رمضَان توقظ النائم وتفزع اليقظان"، وفي رواية الأوزاعيّ:" يكون صَوت في نصف شهر رمَضان يصعَق له سَبعُونَ ألفاً، ويخرس له سَبعُونَ ألفاً، وتنفتق له سبعون ألف بكر"، قال: "ثمّ يتبَعُه صَوت آخر، فالأوّل صوتُ جبريل، والثّاني صَوتُ إبليسَ"، وقيل: "الصّوتُ في رمَضان، والمعمَعَة في شوّال، وتمييز القبائل في ذي القعدة، ويغار عَلى الحاجّ في ذي الحجّة، والمحرَّم أوله بلاء وآخرهُ فرج[٢٦٣]"؛ قالوا: "يا رسُول الله من يسلم منه؟"؛ قال: "من يلزم بيته ويتعوذ بالسجود".
وفي رواية قتادة: "تكونُ هدة في رمَضان، ثمَّ تظهَرُ عصَابة في شوّال، ثم تكون معمعَة في ذي القعدة، ثمّ تسلبُ الحاجّ في ذي الحجّة، ثم تنتهك المحارمُ في المحرّم، ثم يَكون صَوت في صَفر، ثم يتنازع القبائل في شهر ربيع الأوّل، ثمّ العَجبُ كلّ العَجب بين جمادي ورجب، ثم فيه مغنية خير من دسكرة مائة ألفٍ".

ذكرُ الهاشِميّ الّذي يخرُج مِن خراسان مع الرايات السود

روي عن أبي قلابة، عن أبي أسما الرحبيّ، عن ثوبان، عن رسُول الله صَلّى الله عليه وسَلّم أنه قال: "إذا رأيتم الرّايات السّود من قبَل خراسَان فاستقبلوها مَشياً على أقدامكم لأنّ فيهَا خليفة الله المهديّ"، وفي هَذا أخبَار كثيرة، هَذا أحسَنها وأوَلاهَا، ورُويَ فيه عن عبَاس بن عبد المطّلب أنّه قال:" إذا أقبلت الرايات السّود من المشرق يوطئون أصحابها للمهديّ سُلطانه"، وَقال قوم: "قد نجزت هذه بخروج أبي مسلم، وهوَ أوّل من عقد الرّايات السُّود وسوّد ثيابه، وخرج من خراسَان؛ فوطأ لبني هَاشم سُلطانهُم".
قال آخرون: "بل هَذه تأتي بعد، وإنّ أوّل الكوائن ملكٌ يخرج مِنَ الصّين من ناحيَةٍ يُقال لها حتن بها طائفة من ولد فاطِمة من ظهر الحسَين بن عليّ رضي الله عنهم، ويكونُ على مقدّمته رجل كوسجٌ من تميم يقالُ لهُ شعَيب أبي صَالح، مولده بالطالقان، مع حكايات كثيرة وأخبَار عجيبَة منَ القتل والأسر، والله أعلم.

ذكرُ خروج السّفيانيّ

---

[٢٦٣] - نهاية صفحة ٢٤٣ من المخطوط

رُويَ عن مكحول، عن أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه عن رسُول اللّهَ صلى الله عليه وسَلّم قال:" لا يزال هَذا الأمرُ قائماً بالقسط حَتّى يثلمَه رجُل من بني أُميَّة"، وفي رواية أبي قلابة، عن أبي اسما عن ثوبان، عن رسُول الله صَلّى الله عليه وسَلّم أنه ذكر ولد العبّاس، فقال: "يَكون هلاكهم على يد رجل من أهل بيت هذه"، وأومأ إلى أمّ حبيبَة بنت أبي سُفيان.

وممَّا خُبِّر عن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه في ذكر الفتن بالشام قال: "فإذا كانَ ذلك؛ فانتظروا خروج المهديّ"، ثم ذكر السّفيانيّ وأنه من ولدِ يزيدَ[٢٦٤] بن معَاوية، بوجهه آثار الجدريّ، وبعينه نقطة مِن بيَاضٍ، يخرج من ناحيَة دمشق، ويبعثُ خيله وسَراياه في البرّ والبحر؛ فيبقرون بُطونَ الحبَالى وينشرون النّاسَ بالمنَاشير، ويحرقون ويطبخون الناسَ في القدور، ويبعث جيشاً له إلى المدينة؛ فيقتلون وَيأسرون ويحرقونَ، ثمَّ ينبشون عن قبر النبيّ صَلّى الله عليه وسَلّم وقبر فاطمة رضي الله عنها؛ ثمّ يقتلون كلّ من كانَ اسمه محمّداً وَفاطمة، ويَصلبونهم على باب المسجد، فعند ذلك يشتدّ عليهم غضبُ الجبّار فيخسِف بهمُ الأرض، وذلك قوله تعَالى: "ولو ترى إذ فَزعوا فلا فَوت وأخذوا من مكانٍ قريب" أي من تحتِ أقدَامهم، وفي خبَر آخر: "أنهم يخربون المدينة حتى لا يبقى بهَا رايح ولا سَارح".

وروي عن النبيّ صَلّى الله عليه وسَلم أنه قال: "لتتركنّ المدينة كأحسَن ما كانت؛ حَتى يجيء الكلب فيشغر على سَارية المسجد"؛ قالُوا: "فلمن تكونُ الثمار يومئذٍ يا رسول الله؟" قال: "لعوَافي السبَاع والطّير"، قال: "ثم تسير سرية السّفيانيّ تريد مَكّة؛ حتى تنتهي إلى مَوضعٍ يقال له بيدا؛ فينادي منَادٍ من السّماء:" يا بيداء بيدي بهم، فيخسف بهم؛ فلا ينجو منهم إلا رجُلان من كلب، تقلبُ وجوههُما في أقفيتهما، يمشيَان القهقرى على أعقابهما؛ حَتّى يأتيا السّفيَانيّ، فيخبرانه، ويأتيّ للمهدي وهو بمكةً؛ فيخرج معه اثنا عشَر ألفاً فيهمُ الأبدَال والأعلام، حَتّى يأتي الميا؛ فيأسُر السّفيانيّ، ويغيرُ على كلب لأنهم أتباعه ويسبي نساءهم"، قالوا: "فالخائبُ يومئذٍ مَن غابَ عن غنَائم كلبٍ"، كذا الرواية مع كلام كثير، وَالله أعلم.

ذكر خروج المهديّ

قد رويَ فيه روايات مختلفة وأخبارٌ عن النبيّ صَلى الله عليه وسَلم وعن عليّ وابن عبّاس رضي الله عنهم، وأحسَن مَا جَاءَ في هَذا الباب خبَر أبي بَكر بن عيّاش عن عاصِمٍ بن ذرّ، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنّ النبي صَلى الله عليه وسَلّم قال: "لا تذهب الدّنيا حَتّى يلي على أمتي رَجل من أهل بيتي يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جَوراً ليس فيه، تواطؤ اسمه اسمي".

وللشيعَة فيه أشعار كثيرة وأسطار بَعيدَة[٢٦٥]، منها قولُ عامِرِ بن عامِرِ البصريّ:

طغى الجُور والعدوان فاض، فهل لكم ... بني العزم في فكرٍ لتحصيل آلةِ

لنبني قبيل الغرق منهَا سَفينَةً ... فننجُو بهَا من هَلك أمواج فتنةِ

وكن عالماً بالوقت فكراً وفطنة ... أُخيّ، فهَذَا الوقت وقت لفطرةِ

إمام الهدى حتّى متى أنتَ غائبٌ ... فمنَّ علينا يا إمَامُ بأوبَةِ

مللنا وَطال الإنتظار فجد لنَا ... بحقكَ يا قطبَ الوجُود بزورة

---

[٢٦٤] - نهاية صفحة ٢٤٤ من المخطوط

[٢٦٥] - نهاية صفحة ٢٤٥ من المخطوط

وقوّم بعَدلٍ منك ظهراً قد انحَنى وعدّل مزاجاً مَال منه بحكمةِ
فأنتَ لهذا الأمر قدماً معَيّنٌ لذلكَ قال اللّه: أنتَ خليفتي

ومن حلية المهديّ أنّه أسمرُ اللّون كثّ اللحيَة أكحل العينين برّاق الثنايا، في خدّه خال، يرفع الجورَ عن الأرض ويفيض المعدلة على الخلق ويسَوّي بين الضّعيف والقويّ في الحق، ويبلغ الإسلام مَشارق الأرض ومغاربها ويفتح القسطنطينيّة، ولا يبقى أحدٌ في الأرض إلاّ دَخل في الإسلام أو أدّى الجزية؛ وعند ذلك يتمّ وعدَ الله "ليُظهرهُ على الدّين كلّه".

واختلفوا في مدّة عمرهِ، فقيل: يعيش سبع سنين؛ وقيل: تسعاً، وقيل: عشرين، وقيل: أربعين، وقيل: سبعين، والله أعلم.

ذكر خروج القحطَانيّ

رويَ عن أبي سَعيد المقبريّ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: "لا تقومُ السَّاعة حتى تقفل القوَافل من رومية، ولا تقوم السَّاعة حتى يسُوق النـاسَ رجُل من قحطَان"، واختلفوا فيه من هُوَ؟ فرويَ عن ابن سيرين أنّه قَال: "القحطانيّ رجُل صَالِحٌ، وهوَ الّذي يُصَلّي خلفَه عيسَى، وهوَ المهديّ، ورويَ عن كعب أنّه قال:" يمُوتُ المهديّ، ويبَايع النـاسُ بعده القحطانيّ، ورُويَ عن عبد الله بن عمرَ رضي الله عنهما أنه قال:" رجُل يخرجُ من ولد العبّاس".

ذكر فتحِ القسطنطينيّة

روي السدّيّ في قوله عزّ وجَلّ: "لَهم في الدّنيا خزي ولهم في الآخرة عذابٌ عظيم" قال: فتح القسطنطينيّة وخروج الدّجّال، وبعض المفسّرين ذهبَ في تفسير "آلم غلبت الرّومُ[٢٦٦]" أنـه كائن، وعني به فتح القسطنطينيّة، وذكر أنه تباع الفرس بدرهم ويقتسمون الدنانير بالجحف[٢٦٧]، قالوا: "وَبين فتح قسطنطينيّة وخروج الدّجّال سبع سنين؛ فبينما هم كذلك إذ جَاءهمُ الصّريخ: "إنّ الدّجّال قد خلفكم في دَاركم"، قال: فيرفضُون ما في أيديهم من ذلك وينفرون إليه، وهيَ كذابة".

ذكرُ خروج الدّجّال

الأخبَار الصّحيحَة متواترة بخروجه بلا شك ولا ريب، وإنما الاختلاف في صفته وهيئته، قال قومٌ: "هُوَ صَائف بن صائد اليهُوديّ، ولدَ في عهد رسُول الله صَلّى الله عليه وسَلّم، فكانَ أحيَاناً يربو في مهده وينتفخ في بيته حَتّى يملأ بيته، فأُخبَر النبيّ صَلّى الله عليه وسَلّم بذلك فأتاه في نفرٍ من أصحابه، فلمّا نظر إليه عَرفه فدعَا الله سُبحانَه وتعَالى، فرفعَه إلى جزيرة مِن جزائر البحر، إلى وقت خروجه، وروي أنّ النبيّ صَلّى الله عليه وسَلم أتاهُ وهوَ يلعبُ مَعَ الصّبيان؛ فقال ابن صيّاد: "اشهد أني رسُول الله"، فقال لـه النبيّ صلى الله عليه وسلم: "أشهد أنيّ رَسُول الله"، فقال له ابنُ صيَّاد:"اشهد أنيّ رسُول الله"، فقال للّنبي صَلّى الله عليه وسَلّم:" قد خبَأتُ لك خبأً"، قال: "ما هُو؟" قال:" الدّخ"، يعني الدّخان، فقال له النبي صَلّى الله عليه وسَلّم: "اخسَأ فلن تعدُ طورَك"، قال عمرُ رضي الله عنه: "أئذن لي فأضربُ عنقه"، فقال رسُول الله صَلّى الله عليه

---

[٢٦٦] – نهاية صفحة ٢٤٦ من المخطوط

[٢٦٧] – هي التروس من جلود بلا خشب ولا عقب.

وسَلّم: "إن يكنه فلن تسَلّط عليه، وإن لم يكنه فلا خيرَ في قتله"، ثم دَعا النّبي صَلّى الله عليه وسَلّم؛ فاختطف.

وجَاء في الحديث أنه أغمّ جفال[٢٦٨] الشعر مكتوبٌ بين عينيه: ك ف ر، يقرؤه كل أحَد، كاتب وغير كاتب. واختلفوا في موضع مخرجه، فقال قوم: "يخرج منَ المشرق من أرض خراسَان"، وقالت طائفة: "يخرجُ مِن يَهود أصفهان"، وقال قومٌ: "يخرج من أرض الكوفة". واختلفوا في أتباعه، قالوا: "النساء والأعرَاب والمومسَات وأوَلادُهنّ"، واختلفوا في العَجائب التي تظهَر على يديه، فقال قومٌ: "يسَير حيث سَار جنّة وَنار، فجنته نار ونارهُ جنَّة، ويَدّعي أنّه ربّ الخلائق فيَأمرُ السَّماء فتمطر ويأمر الأرض فتنبت [٢٦٩]، ويبعَثُ الشياطين في صُور الموتى، ويَقتل رجُلاً ثمّ يحييه، فيَفتتنُ الناسُ ويؤمنون به ويُبايعُونه".

قالوا: "ولا يتبعُه من الدّوابّ إلاّ الحمار"، واختلفوا في هَيئة حمَارهِ فقالوا:" ما بين أذني حمَاره اثنَا عشَر شبراً"، وقيل: "أربعُون ذراعاً، تظلّ إحدى أذنيه سبعين ألفاً، وخطوته مَسيرة ثلاثة أيام، يبلغ كل منهل إلاّ أربعَة مسَاجد: مسجد الله الحرام، ومسجد الرسُول عليه الصّلاة والسَّلام، ومسجد الأقصى، ومسجد الطّور". وَيمكث أربعينَ صباحاً ويقصدُ بيت المقدس، وقد اجتمع الناسُ لقتاله، فتعمّهم ضبَابة من غمام ثم تنكشفُ عنهم معَ الصّبح؛ فيرون عيسَى بن مريم عليه السَّلام قد نزل على ظرب مِن ظراب بيت المقدس فيقتل الدجال.

ذكرُ نزُول عيسَى بن مريمَ عليهمَا السَّلام

المسلمونَ لا يختلفونَ في نزول عيسَى بن مريمَ عليهما السَّلام آخر الزمان، وَقد قيل في قوله تعَالى: "وإنه لعلم للسّاعة فلا تمترنّ بهَا" إنه نزول عيسَى، وجَاءَ في الحديث أنَ النّبي صَلّى الله عليه وسَلّم قال:" إنّ عيسى نازل فيكم وهو خليفَتي عليكم، فمن أدركه فليقرئه سَلامي، فإنّه يقتل الخنزير ويكسرُ الصّليبَ ويَحجّ في سبعين ألفاً، فيهم أصحابُ الكهف فإنهم يحجّون، ويتزوّج امرأةً منَ الأزد، وتذهب البَغضَاء والشحناء والتحاسُد، وتعُود الأرض إلى هيئتها وبركاتها على عهد آدَمَ عليه السَّلام؛ حَتّى تترك القلاص فلا يسعى إليهَا أحدٌ، وترعى الغنم مَعَ الذئب، وتلعبُ الصّبيان مع الحيّات فلا تضرّهم، ويُلقي الله العَدل في الأرض في زمانه حَتّى لا تقرض فأرة جراباً، وحتى يدعَى الرّجل إلى المال فلا يقبله وتشبع الرمانه السّكن".

قالوا: "ويَنزل عيسَى عليه السَّلام وفي يَده مشقص فيقتل به الدّجّال"، وقيل:" إذا نظر إليه الدّجال ذابَ كما يذوبُ الرصاص، واتبعهم المسلمون يقتلونهم، فيقول الحجرُ والشجرُ: "هَذَا يهُوديّ خلفي"؛ إلاّ الغرقد من شجر اليهُود"، قالوا: "ويمكثُ عيسَى عليه السَّلام أربعين سَنة، ويُقال: ثلاثاً وثلاثينَ سَنة ويُصَلّى خلفَ المهديّ ثم يخرج يأجوج ومأجوج[٢٧٠]".

بَقيَّة من خبَر الدّجال

عن فاطمة بنت قيسٍ قالت: "خرج علينا رسولُ الله صَلى الله عليه وسَلم في نحر الظّهيرة، فخطبَنا فقال: "إني لم أجمَعكم لرَغبةٍ ولا لرهبَةٍ، ولكن لحديث حدّثنيه تميم الدّاري منعَني سرور القائلة، حدثني أنّ نفراً من قومه ركبوا في البحر فأصَابتهم ريح عاصِف ألجأتهمّ إلى جزيرة؛ فإذا هم بدّابة، قالوا لها: "ما أنت؟"، قالت:"

---

[٢٦٨] – أي شعثه

[٢٦٩] – نهاية صفحة ٢٤٧ من المخطوط

[٢٧٠] – نهاية صفحة ٢٤٨ من المخطوط

أنا الجسّاسَة"، قلنا: "أخبرينا الخبر"، قالت: "إن أرَدتم الخبَر فعَليكم بهَذا الدير، فإنّ فيه رجُلاً بالأشوَاق إليكم"، فأتيناه فأخبرناه، فقال: "ما فعَلت بحَيرةِ طبريّة؟" قلنا: "تدفق من جانبيها"، قال: "ما فعَل نخل عمّان وبيسَان؟"، قلنا: "يجنيها أهلها"، قال: "فما فعَلت عين زغر؟"، قلنا: "يشرب أهلها منها"، قال: "فلو يبسَت هَذه نفذتُ مِن وثاقي ثم وطئت بقدمي كلّ منهل إلاّ مكة والمدينة".

ورُويَ أنّ النبيّ صَلى الله عليه وسَلّم خطبَ فقال: "ما بينَ خلق آدمَ إلى قيام السَّاعة فتنة أعظم منَ الدّجّال"، وقال: "إنّه لم يَكن نبيّ إلاّ أنذرَ قومَه فتنة الدّجّال ووصفه، وإنه قد بين لي ما لم يبيَن لأحَد أنه أعوَر كيت وكيت، فإن خرج وأنا فيكم فأنا حجّتكم، وإن لم يخرج إلاّ بعدي فالله خليفَتي عليكم، فما اشتبَه عَليكم فاعلموا إنّ ربّكم ليسَ بأعوَر"، والدّجّال تسمّيه اليهُود موَاطيح كوايل؛ ويزعمُون أنه من نسل دَاودَ؛ وأنَه يملك الأرض ويرُدّهَا إلى بَني إسرائيل؛ فيتهوّد أهل الأرض كلّهم.

بقيّة مِن خبَرِ عيسَى عليه السَّلام

قالَ بعض المفسّرين في قوله تعالى: "وإن من أهل الكتاب إلاّ ليؤمنن به قبل موته": "إنه عند نزول عيسى؛ وقالَ عزّ وجَلّ: "ومَا قتَلوه ومَا صَلبُوهُ ولكن شبّه لهم"، ثم قال: "بل رفعَه اللّه إليه"، ثم اختلف المتأوّلون له؛ فقال أكثرهم وأحقهم بالتصديق: "وهوَ عيسَى عليه السَّلام بعينه يرَدّ إلى الدّنيا، وقالت فرقة: "نزول عيسى خروج رجل يشبهُ عيسى في الفضل والشرف؛ كما يُقال للرجُل الخيّر ملك وللشرّير شيطان، تشبيهاً بهمَا، ولا يرادُ الأعيَان، وقال قوم: "تردّ روحه في رجُل اسمه عيسى"، والآخران ليسَا بشيء، والله أعلم.

ذكرُ طُلُوعِ الشمسِ من مغربِها[٢٧١]

قالَ بعض المفسّرين في قوله تعالى: "يومَ يأتي بعضُ آيات ربك لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنَت من قبل أو كسبَت في إيمانها خيراً" قيل: "هو طلوع الشمس من مغربهَا"، ورَوَينا عن أبي هريرة رضي الله عنه: أنّه قال: "ثلاث إذا خرجَت لا ينفع نفساً إيمانها: طلوع الشمس مِن مغربها؛ والدّابّة وَالدجال".

وقالوا في صفةِ طلوعهَا من مغربهَا: "أنّه إذا كانت اللّيلة الّتي تطلعُ الشمسُ في صَبيحتها من مغربها، حبسَت فتكونُ تلك الليلة قدر ثلاث ليال"، قالوا: "فيقرأ الرجُل جزءَهُ ثم ينام، ويستيقظ والنجومُ راكدة والليلة كما هيَ، فيقول بعضُهم لبعض: "هَل رأيتم مثل هَذه الليلة قَط؟" ثمّ تطلع من مغربها كأنها علم أسوَد حَتى تتوَسَّط السَّماء، ثم تعُودُ بعدَ ذلك فتجري في مجراهَا الّتي كانَت تجري فيه، وقد أغلق بابُ التوبة إلى يوم القيامةِ".

ورُوي عن عليّ أنّه قال: "فتَطلعُ بعدَ ذلك من مشرقها مائة وعشرين سَنَة، لكنها سنون قصَاراً، السّنة كالشهر والشهر كالجمعَة والجمُعة كاليوم واليوم كالسّاعة"، وكانَ كثيرٌ من الصَّحَابة يترصَّدون طلوع الشمس من مغربهَا، منهم حذيفة بن اليمَان وبلال وعَائشة، رضي الله عنهم.

ذكرُ خروج الدّابّة

قالَ الله عزّ وجلّ: "وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة منَ الأرض تكلّمهُم" قال كثير من أهل العلم بالأخبار: "أنها ذاتُ وبر وريش وزغب، فيها من كلّ لون ولها أربع قوائم، رأسهَا رأسُ ثورٍ وآذانها آذانُ

---

[٢٧١] - نهاية صفحة ٢٤٩ من المخطوط

فيل، وقرونها قرون أيل، وعنقها عنق نعَامةٍ وصَدرهَا صَدرُ أسَدٍ، وقوائمُها قوائِمُ بعير، ومعَهَا عصَا مُوسى وخاتم سُليمان، وترفع الأسماء فلا يعرف أحَدٌ باسمه وهيَ تجلو وَجهَ المؤمن بالعَصَا فيبيَضّ، وتختم على أنف الكافر فيفشو السّوَاد فيه، فيقال: يا مؤمنُ يا كافِر".

ورُويَ عن عبد الله بن عمرَ رضي الله عنهُما قال: "هيَ الدابة الّتي أخبرَ تميمُ الدّاري عنها"، وعن الحسَن أنّه قال: "سَألَ موسَى رَبّه أن يُريَه الدّابّة، فخرجَت ثلاثة أيام ولم يدر أيّ طرفيهَا خرج، فقال مُوسَى: "يا ربّ، رُدّ هَذا المتَاع النفيسَ إلى مكانه لا حاجة لنا فيه[272]"، ويُقال:" إنها تخرج بأجنادين عقيبَ الحاج، تسيرُ بالنهار وتقفُ بالليل، يرَاهَا كلّ قائم وقاعد، وإنها لتدخل المسجد وقد عَاذَ به المنافقونَ فتقول: "أترونَ المسجدَ ينجيكم مِنّي؟ هَلاّ كان هذا بالأمس؟"، والله أعلم.

ذكرُ الدّخان

قالَ الله عزَّ وجَلّ: "فارتقب يومَ تأتي السَّماءُ بدخان مبين"، ورُوي عن الحسَن رضي الله عنه أنه قال: "يجيء دخانٌ فيملأ مَا بين السَّماء والأرض؛ حتى لا يدرى شرق ولا غربٌ، ويأخذ الكفار فيخرج من مسَامعهم، ويَكون على المؤمن كهيئة الزكمة، ثم يَكشفُه الله عزّ وجل بعد ثلاثة أيامٍ، وذلك بين يَدي السَّاعة"، وأكثر أهل التأويل على أنه هوَ الجُوع الّذي أصَابهم في زمن النبي صَلّى الله عليه وسَلّم.

ذكرُ خروج يأجوج ومأجوج

قالَ الله عزّ وجَلّ: "فإذا جَاءَ وعدُ رَبّي جعلَه دكاء" يعني السّد، وجاءَ في الأخبَار من صفاتهم وعددهم ما الله به عليم، ولا يختلفون في كون أنهم بينَ مشارق الأرض وشماليها، ورُوي عن مكحول أنّه قال: "المسكون منَ الأرض مسَيَرة مائة عَامٍ، ثمانون منها ليأجُوج ومأجوج، وعشرة للسّودَان، وعشرة لبقيّة الأمم، ويأجوج ومأجوج أمّتان، كلّ أمة أربعمائة ألف أمّة، لا تشبهُ أمة أخرى".

وعن الزهري: "أنهم ثلاث أممٍ: منسك، وتأويل، وتدريس، فصنف منهم كأمثال الشجر الطّوال من الأَرزِ[273]، وصنف منهم عرض أحدهم وطوله بالسَّواء، وصنف منهُم يفترش إحدَى أذنيه ويلتحفُ بالأخرى"، ورُويَ: "أنّ طول أحدهم شبر وأكبر"، ويكونُ خروجهم بعدَ قتل عيسَى الدّجّال، وإذا جَاءَ الوقت جعَل الله السدّ دكاً، كما ذكرهُ عزّ وجَلّ في كتابه، فيخرجُونَ وينتشرونَ في الأرض.

ورُوي أنهم يكونُ أوّل مقدّمتهم بالشام وسَاقهم ببَلخ، قال: "وَيأتي أوّلهم البحَيرة فيشربونَ ماءهَا، ويأتي أوسَطهم فيلحسونَ مَا فيهَا مِنَ النّداوَة، ويأتي آخرهم فيقولون: "لقد كانَ هَا هنا مرة ماء"، ويكونُ مكثهم في الأرض سبع سنين، ثمَّ يقولونَ: "قد قهرنا أهل الأرض فهَلمّوا نقاتل سُكّانَ السَّماء"، فيرمون بنشابهم نحوَ السّماء فيَرُدَّهَا الله عليهم[274] مُلطّخة بدَمٍ، فيقولون: "قد فرغنا من أهل السَّماء، فيرسل الله عليهم النغف[275] في رقابهم فيُصبحُون موتى، ثمّ يرسل الله عليهمُ السّماء فتجرفهم إلى البحر".

وفي روَاية كعبٍ: "أنهم ينقرون السّدّ بمناقيرهم كل يوم، فيعودون من الغد وقد عادَ لما كانَ، حتى إذا بلغ الأجل المعلوم ألقى الله على لسَان أحدهم: "إن شاء الله"؛ فيخرجون حينئذ، ورُويَ أنهم يلحَسُونَ السَّد.

---

[272] – نهاية صفحة ٢٥٠ من المخطوط

[273] – شجر من الفصيلة الصنوبرية

[274] – نهاية صفحة ٢٥١ من المخطوط

[275] – أي عقدة فاسدة في اللحم

وقيل: "إنّ فيهم طائفة، لكلّ منهم أربَعة أعين، عينان في رأسِه وعينان في صَدرِه، ومنهم مَن له رجل واحدة يقفز بهَا قفزاً، ومنهم من هوَ ملبسٌ شعراً كَالبهَائم، ومِن طوائفها طائفة لا تأكل إلاّ لحوم الناس ولا تشرب إلاّ الدماء، ولا يمُوتُ الواحدُ منهم حَتّى يرى لصُلبه ألف عين تطرف".

وفي التّوراة مَكتوبٌ: "إنّ يأجوج ومَأجوج يخرجون في أيّام المسيح، ويَقولون: "إنَّ بَني إسرائيل أصحاب أموَال وأوان كثيرة، فيقصدُون أوريشلم وينتهبونَ نصفها ويسلم النصف الآخر، ويرسل الله عليهم صَيحة فيمُوتون عن آخرهِم، وتصيب بنو إسرائيل من أدوات عسكرهم ما يستغنون به سبع سنينَ عن الحطب"، هذا المقدار من حَديثهم في كتاب زكريّا عليه السّلام، قيل: "ويمكثُ الناسُ بعدَ هَلاك يأجوجَ ومأجوج عشرين سنَة يحجّون ويعتمرون، والله أعلم.

ذكرُ خروج الحبَشة

قال أصحاب هَذا العلم: ويمكثُ الناسُ بعدَ هَلاك يأجوج ومأجوج في الخصب والدّعة ما شَاءَ الله تعالى، ثمَّ تخرج الحبَشَة وعليهم ذو السويقتين، فيخربُونَ مَكّة ويهدمُون الكعبَة، ثمّ لا تعمرُ أبداً، وهمُ الّذين يستخرجون كنوز فرعَون وقارُون، قال: فيجتمع المسلمون ويُقاتلونهم فيقتلونهم ويسبونهم، حتّى يباع الحبشيّ بعبَاءة، ثمّ يبعث الله ريحاً فيقبضُ رُوح كل مسلم، والله تعالى أعلم.

ذكر فقدان مكة المكرمة

روي عن الحسَن، عن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه قال: "حجّوا قبل أن لا تحجّوا، فوالّذي فلق الحبّة وبرأ النسمة، ليرفعَنّ هذا البيتَ من بين أظهُركم حتى لا يدري أحَدكم أين كان مكانه بالأمس"، وقال: "كأنّيَ أنظر إلى أسود خمس[٢٧٦] السّاقين قد عَلاها، ينقضها طوبة طوبة.

ذكر الريح الّتي تقبض أرواح أهل الإيمان[٢٧٧]

رُويَ: "أنّ الله عزّ وجَل يبعثُ ريحاً يمانيّة ألين منَ الحرير وأطيَب نفحةً مِنَ المسك، فلا تدع أحداً في قلبه مثقال ذرّة مِنَ الإيمان إلا قبضته، ويبقى النّاسُ بعد مائة عام لا يعرفون ديناً ولا ديانة، وهم شرار خلق الله، وعليهم تقوم السّاعة وهم في أسوَاقهم يتبايعُون"، وفي رواية عبد الله ابن بريدة عن النبي صَلّى الله عليه وسَلّم أنه قال: "لا تقوم السّاعة حَتى لا يعبَد الله في الأرض بعدَ مائة سنَةٍ، وعن عبد الله بن عمرَ رضي الله عنهُما قال: "يؤمر صَاحبُ الصّور أن ينفخَ في صُوره، فيسمَعُ رجُلاً يقول: "لا إلَهَ إلاّ الله"، فيؤخر مائة عام".

ذكر ارتفاع القرآن

رويَ عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال: "القرآن أشدّ تعصياً على قلوب الرجال منَ النَّعَم في عقلِهَا"، قيل: "يا أبا عبد الرحمن، كيفَ؟، وقد أثبتناهُ في صدُورنا ومصاحفنا"، قال: "يسرى عليه ليلاً فلا يذكر وَلا يقرأ".

---

٢٧٦ – بالمهملة بمعنى شديد

٢٧٧ – نهاية صفحة ٢٥٢ من المخطوط

ذكر النار الّتي تخرج من قعر عدن فتسُوق الناسَ إلى المحشر

روى حذيفة بن أُسيدٍ رضي الله عنه عن النبي صَلى الله عليه وسَلّم أنَّه قال: "عَشر آياتٍ بينَ يدَيِ السَّاعةِ"، هذه إحداهنّ، وفي رواية أُخرى: "لا تقوم السّاعة حتى تخرج نار من أرضِ الحجَاز تضيء لها أعنَاق الإبل ببُصرَى"، وفي رواية أخرى: "لا تقومُ السَّاعة حَتّى تخرج نارٌ من حضرموت"، مع اختلاف كثير في الرّوايات.

ذكر نفخات الصّور

وهيَ ثلاث مرات، ثنتان منها في آخر الدّنيا، وواحدَة في أوّل الآخرة؛ قال الله عزَّ وجَلّ: "ما ينظرون إلاَّ صَيحةً واحدَة تأخذهم وهم يخِصّمُون* فلا يستطيعون توصيَة ولا إلى أهلهم يرجعُون"، ورُوي عن الحسَن بن شيبَانَ، عن قتادة عن عكرمة، عن ابن عبّاسٍ رضي الله عنهُما قال: "تهيج الساعة والرجلان يتبايعان، قد نشرا أثوابهُما فلا يَطويانها، والرجل يلوط[278] حوضه فلا يستقي منه، والرجل قد انصَرف بلبَن نعجته فلا يُطعمه، والرجُل قد رفع أكلته إلى فيه فلا يأكلها، ثم تلا: "تأخذهم وهم يخصّمون"، لأتاتيهم إلا بغتة".

ذكر النفخة الأولى

صَاحبُ الصُّور هوَ السيد إسرافيل عليه السّلام، وهوَ أقربُ الخلق إلى الله عز وجَلّ، وله جناح بالمشرق وجَناح بالمغرب، والعرش على كاهله، وإنّ قدميه قد مرقتا[279] منَ الأرض السّفلى؛ حتى بعدَتا عنها مسَيرة مائة عام، على ما رواه وَهب، ومثل هَذا ممّا يزيد في يقين العَاميّ ويبلغ في تخويفه وتعظيمه لأمرِ الله تَعالى، وقد رُويَ عن النبي صَلى الله عليه وسلم أنه قال: "كيف أنعمُ وصَاحب الصّورِ قد التقمه، ينتظر متى يؤمر له فينفخ؟".

ذكر مَا جَاءَ في صورة الصّور وهيئته

روي أنه كهيئة قرن، فيه بعَدد كلّ روح ثقبٌ، وله ثلاث شعَب: شعبة تحتَ الثّرى تخرج منها الأرواح وترجعُ إلى أجسَادهَا، وشعبة تحتَ العرشِ منها يرسل الله الأرواحَ إلى الموتى، وشعبَة في فم الملك فيها ينفخ؛ فإذا مضت الآيات والعَلامات الّتي ذكرنا؛ أُمرَ صَاحبُ الصّور أن يَنفخ نفخة الفزَع ويديمُها ويُطوّلها، فلا يبرح كذا عَاماً، وهي المذكورَة في قوله تعالى: "مَا يَنظرونَ إلاّ صيحةً واحدة تأخذهم وهم يخصمون"، وكذلك في قوله تعالى: "ما ينظرونَ إلا صَيحة واحدةً ما لها من فَواق"، وفي قوله تعالى: "ونفخ في الصّور ففزِع من في السّموات ومَن في الأرض إلاّ من شاء اللّه".

وإذا بدَت الصّيحة فزعت الخلائق وتحيّرت وتاهت، والصّيحة تزداد كلّ يوم مُضَاعفة وشدّة وشنَاعةً، فينحاز أهل البوَادي والقبائِل إلى القرى والمدُن، ثم تزدَادُ الصّيحة وتشتدّ حتى تتجاوز إلى أمهَات الأمصَار، وتعطّل الرعاة السّوائم وتفارقهَا، وتأتي الوحوش والسباع وهي مذعورة من هول الصّيحة، فتختلط بالناس وتستأنسُ بهم، وذلكَ قوله تعالى: "وإذا العشار عُطّلت* وإذا الوحوش حشرت"، ثمّ تزداد الصّيحةُ هَولاً وشدّةً؛ حَتّى

---

[278] – أي يطينه

[279] – نهاية صفحة ٢٥٣ من المخطوط

تسيَر الجبَال على وجه الأرض وتصير سرَاباً جارياً، وذلك قوله تعالى: "وإذا الجبَال سيّرت"، وقوله تعالى: "وتكونُ الجبَال كالعهن المنفوش"، وتزلزلت الأرض وارتجت وانتفضَت، وَذلك قولهُ تعالى: "إذا زلزلت الأرض زِلزالها"، وقوله تعالى: "يوم ترجُف الأرض والجبَال".

ثم تكورّ الشمسُ وتنكدر النجوم وتسجر البحار، والناسُ أحياء كالوالهين ينظرون إليها، وعند ذلك تذهَل المراضع عمّا أرضَعَت، وتضَعُ كلّ ذات حمل حملها، ويَشيبُ الولدان، وترى الناس سكارى ومَا هم بسُكارى، منَ الفزع، ولكنّ عذابَ الله شديد.

حكى أبو جَعفر الرازي عن ربيع، عن أبي العَاليَة عن أبيّ بن كعبٍ قال: "بينما الناسُ في أسوَاقهم[٢٨٠] إذ ذهبت الشمسُ، وبينما هم كذلك إذ تناثرت النجوم، وبينما هم كذلك إذ وَقعت الجبَال على وجه الأرض، وبينما هم كذلك إذ تحرّكت الأرض فاضطربت؛ لأنّ الله تعالى جعَل الجبَال أوتادهَا؛ ففزعت الجنّ إلى الإنس، والإنسُ إلى الجنّ، واضطربت الدّوابّ والطّيور والوحُوش فماج بعضهُم في بعضٍ؛ فقال الجن: "نحنُ نأتيكم بالخبر اليقين"، فانطلقوا فإذا هي نار تأجج، فبينما هم كذلك إذ جاءتهم ريح فأهلكتهم، وهَذه من نصّ القرآن ظاهِرة، لا يسَع لأحدٍ مؤمن ردّهَا والتكذيبُ بها.

وفي هَذه الصّيحة تكونُ السّماء كالمهل، وتكونُ الجبَال كالعهن، ولا يسأل حميمٌ حميماً، وفيها تنشق السّماء فتصير أبواباً، وفيها يحيط سُرادق من نار بحافات الأرض فتطير الشياطين هَاربةً من الفَزَع، حَتّى تأتي أقطار السّماء والأرض؛ فتتلقاهم الملَائكة يَضربون وجوههم حتى يرجعُوا، وذلك قوله تعالى: "يا معشرَ الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السّموات والأرضِ فانفذوا لا تنفذون إلاّ بسُلطان"، والموتى في القبُور لا يَشعرون بهذه.

ذكرُ النفخة الثانية في الصّور

وذلك قوله تعالى: "ونفخ في الصّور فصَعق من في السمواتِ ومن في الأرض إلاّ مَن شاء اللّه"، فيمُوتون في هَذه النفخة إلاّ مَن تناوله الاستثناء في قوله: "إلاّ من شاء اللّه".

ذكر ما بينَ النفختين مِنَ المدّة

يقال: إنّ مَا بين النفختين أربعُون سنة، تبقى الأرض على حَالها مستريحةً بعدَ ما مرّ بهَا منَ الأهوَال العظام والزلازل، وتمطر سَماؤهَا، وتجري مياهها وتطعم أشجارها، ولا حيّ على ظهرهَا مِن سَائر المخلُوقات.

ذكر ما ورَد في قوله تعالى: "هو الأوّلُ والآخر"

قال الله عزّ وجَلّ: "كما بَدأنا أوّل خلق نعيده" وقال سبحانه: "كلّ من عليها فان"، وقال عزّ من قائل: "كلّ شيء هَالك إلاّ وجهَه"، وقال جَلّ وعَلا: "كلّ نفسٍ ذائقة الموتِ"، فدَلّت هَذه الآيات على هَلاك كلّ شيء دونه، قال جَلّ وعزّ: "ونفخ في الصّور فصَعق من في السموات ومن في الأرض إلاّ من شاء اللّه" دلّ على أنَّ الصّعقة لا تعمّ جميع الخلائق.

فالتمسنا التوفيقَ بين الآيات بعدَ أن أمكن أن تكون آية الاستثناء مفسّرة لتلك الآي[٢٨١]، فقلنا: الاستثناء عند نفخة الصّعق، وعمُوم الفناء بين النفختين، كما جاءَ في الخبَر، لئلا يظنّ ظانّ أنّ القرآن متناقضٌ.

---

[٢٨٠] – نهاية صفحة ٢٥٤ من المخطوط

[٢٨١] – نهاية صفحة ٢٥٥ من المخطوط

ورَوى الكلبيّ عن أبي صالح، عن ابن عبّاس رضي الله عنهما في قوله تعَالى: "كل شيء هَالك إلاّ وجهه"، قال: "كل شيء وجبَ عليه الفناء إلاّ الجنَّة والنار والعرش والكرسيّ والحُور العين والأعمال الصّالحة.

وقيل في قوله تعالى: "إلاّ من شاء اللّه" الشهَدَاء حول العرش سيوفهم بأعناقهم؛ وقيل: الحور العين؛ وقيل: موسى عليه السَّلام لأنه صعق مرة، وقيل: جبريلَ وميكائيل وإسرافيل، صَلوات الله عليهم أجمعين، وقيل: وملك الموت عليه السلام، وقيل: وحَملة العرش عليهمُ السَّلام. قالوا: فيأمر الله تعالى ملك الموت فيقبضُ أرواحهم، ثمَّ يقول له: "مُت"، فيمُوت فلا يبقى في الملك حيّ إلاّ الله؛ فعند ذلكَ يقول: "لمن الملك اليوم؟"، فلا يجيبُه أحدٌ، فيقول: "لله الواحد القهّار"، هكذا روي في الأخبار، والله أعلم.

ذكر المطرة التي تنبت الأجسَاد

قالوا: فإذا مضَى منَ النفختين أربعون عاماً أمطرَ الله سبحانه من تحت العرش ماءً خاثرا كالطلاء وكالمني منَ الرجَال، يقال له ماء الحيوَان، فتنبتُ أجسامهم كما ينبتُ البقل.

قال كعبٌ: "ويأمر الله الأرض والبحار والطّير والسّباع برَدّ ما أكلت من أجسَاد بني آدم حتى الشعرة الواحدة، فتتكامَل أجسَامهم".

قالوا: "وتأكل الأرض ابن آدمَ إلاّ عجب الذنب فإنه يبقى مثل عين الجرادة لا يدركه الطّرف، فينشأ الخلق من ذلك العجب، وتركب عليه أجزاؤه كالهباء في شعَاع الشمس، فإذا تمّ وتكامَل نفخ فيه الروح ثم انشق عنه القبر، ثمّ قامَ خلقاً سويّاً".

ذكرُ النفخة الثالثة وهيَ نفخة القيامة

وذلك قوله تعَالى: "ثمّ نفخ فيه أخرى فإذا هم قيامٌ ينظرون"، وقوله: "إن كانت إلاّ صَيحة واحدَة فإذا هم جميعٌ لدينا محضَرون"، ويجمَع الله أرواح الخلائق في الصّور، ثم يأمرُ الله الملكَ أن ينفخ فيهم قائلاً: "أيتها العظام البالية والأوصال المنقطعة والأعضَاء المتمَزقة والشعُور المنتثرة، إنّ الله المصَوّر الخلّاق يأمُركن أن تجتمعنَ لفصل القضَاء"؛ فيَجتمعنَ ثم ينادي: "قوموا للعرض على الجبَّار"، فيقومون، وذلك قوله تعالى: "يخرجون منَ الأجداث سراعا"، وقوله تعالى[282]: "يخْرجون منَ الأجداث كأنهم جراد منتشر* مهطِعين إلى الدّاع"، وقوله عزّمن قائل: "يوم تشقق الأرض عنهم سرَاعاً* ذلك حشر علينا يَسير"، فإذا خرجوا من قبُورهم تلقى المؤمنين بمراكبَ من رَحمة اللهِ كما وعدَ سبحانه وتعالى: "يومَ نحشر المتقين إلى الرحمن وفدا"، والفاسقون يمشون على أقدامهم سَوقا، وهو قوله: "ونسُوق المجرمين إلى جهنّم ورداً".

ذكر الموقف وأينَ يكون؟

روى المسلمون أنّ الناسَ يحشرون إلى بيت المقدس، وروي أنّ النبي صَلى الله عليه وسَلّم قال: "هوَ المحشر والمنشر"، ووافقت اليهُود على ذلك.

وروي عن كعب: "أنّ الله نظر إلى الأرض وقال: "إني واطئ على بعضك"، فاستبَقت الجبَال وارتجت الصّخرة وتضعضعَت وارتعَدت؛ فشكر الله لها ذلك فقال: "هَذا مقامي ومحشر خلقي، وهَذه جَنّتي وهَذه ناري، وَهَذا

---

[282] – نهاية صفحة ٢٥٦ من المخطوط

موضعُ ميزاني، وأنَا دَيّانُ الدّين"؛ وقيل: "يصَيّر الله الصّخرة من مرجَانةٍ طبَاق الأرض، ويحاسبُ عليها الخلق، والله أعلم.

ذكر يوم القيامة والحشر والنشر وتبديل الأرض غير الأرض
وَطيّ السّماء، وأحوال ذلك اليَوم

قالَ الله عزَّ وجَلّ: "يومَ تبدّل الأرض غير الأرض والسّموات، وبرزوا للّه الواحِد القهّار"، فأوّل من يحييه الله جلّ جلاله يوم القيامة إسرافيل لينفخ النفخة الثالثة لقيام الخلق كما تقدّم، ثم يحيي رؤسَاء الملائكة ثمَّ أهل السَّماء، ويأمُرُ جبريل وميكائيل وإسرافيل أن انطلقوا إلى رضوان خازن الجنان، وقولوا له: "إنّ رَبّ العزّة والجبروت والكبرياء مالك يوم الدّين، يأمرك أن تزيّن البراق، وترفع لواءَ الحمد وتاجَ الكرامة وسبعين حلّة من حلل الجنّة الفاخرة، واهبطوا بهَا إلى قبر البشير النذير حَبيبي محمّدٍ صَلواتي وتسليمي عليه، فانبهوه من رقدته وأيقظوهُ من نومته وقولوا له: "هَلُمَّ إلى استكمال كرامتك واستيفاء منزلتك وارتفاعك على الأوّلين والأخرين، وشفاعتك في المذنبين".

قال: "فينطلقون إلى باب الجنّة؛ فيقرعونه فيَقول رضوانُ: "من ببَاب الجنَّةِ؟" فيقول: "جبريل وميكائيل وإسرَافيل وأتباعهم، ويبلّغ جبريل الرّسَالة"، فيقول: "وأين القيامة؟"، فيقول جبريل: "هذا يوم القيامة"، قال: فيقبل رضوان بالبراق ولواء الحمد وتاج الكرامة[٢٨٣] والحلل وَتستبشر الحورُ والولدان، وترتفعنَ إلى أعَالي القصُور ويمجّدنَ الملك الغفور، ويفرحن بلقاء الأحبَاب ويشكرن ربّ الأرباب.

ثمّ يأتي النداءُ من قبل الله عزَّ وجَلّ: "يا رضوان زخرف الجنان ومُر الحورَ العينَ أن يتزَينّ بأكمل زينة ويتهيّأن لقدوم سيّد الأنبياء والمرسَلين وقدوم أزواجهن منَ المؤمنين فما بقي غير الوصَال والاجتماع والاتصَال".

ثم يقبل إسرَافيل وميكائيل وَجبريل إلى قبر النبي صَلّى الله عليه وسَلم، فيقف إسرافيل عند رَأسِه وميكائيل عند وسَطه وجبريل عند رجليه فيقول إسرافيل لجبريل: "تبههُ يا جبريل فأنتَ صَاحبُه ومؤنسُه في دار الدّنيا"؛ فيقول له جبريل: "صح به يا إسرَافيل فأنتَ صَاحبُ النّفخة والصّور"، قال: "فيَقُول له إسرَافيل: "أيتها النفسُ المطمئنّة البهيّة الطّاهرة الزكيّة عودي إلى الجسَد الطّيب، يا محمّد قم بإذن الله وأمره".

فيقوم صَلّى الله عليه وسَلم، وهوَ ينفضُ التراب عن رأسِه ووجهِه، ثمَّ يلتفتُ عن يمينِه وإذا بالبراق ولواء الحمد وتاج الكرامة وحلل المجد، فتسلّم الملائكة عليه، ويقولُ له جبريل: "يا محمّد هَذه هَدية إليك وكرامة من رَبّ العَالمين"، فيقول النبي صَلّى الله عليه وسَلّم: "بشّرني"، فيقول جبريل: "إن الجنان قد زُخرفت والحُور العينُ قد تزينت وهن في انتظار قدومك أيهّا المختار، فهَلمّ إلى لقاء الملك الجبّار"، فيقول: "سمعاً وطاعةً لربّ العَالمين، أخبرني أين تَركتَ أمتي المسَاكين؟"، فيقُول: "يا محمّد وعزّة من اصطفاك على العَالم، ما انشَقَت الأرض عن أحدٍ سوَاك من بني آدمَ".

قال: "فيسَرّ رَسُول الله صَلّى الله عليه وسَلّم، ويلبسُ تلك الحلل ويتقدّم فيركبُ البُراق، وتضع الملائكة على رأسه تاج الكرامة، ويسَلموهُ لواء الحمد، فيأخذه بيدَه ويَسير في موكب الكرامة والعزّ فرحاً مسروراً مبجّلاً معظّما محبُورا؛ حتّى يقف بين يدي الله عزَّ وجل، ثم يرسل الله الأرواح ويأمرُهَا أن تلجَ في الأجساد بنفخة إسرافيل؛ فإذا الخلائق قيام مِن قبُورهم، عراة ينفضُون الترابَ عن وجوههم ورُؤوسهم، وقد عقدوا أيديهم في

---

[٢٨٣] – نهاية صفحة ٢٥٧ من المخطوط

أعنَاقهم وشخَصُوا بأبصَارهم مهطعين إلى الدّاعي سكارى ومَا هم بسُكارى، متحيّرين والهين حيَارى لا يعرفون شرقاً ولا غرباً[٢٨٤]، الرجَال والنساء في صَعيد واحدٍ، لا يعرف الرجل من إلى جانبه: أرجُل أم امرأة؟ ولا تعرف المرأة من إلى جَانبهَا: امرأة أم رجُلٌ؟، قد شغل كلّ منهم بنفسِه".

ثم يوَكل الله عزَّ وجل بكلّ نفسٍ مَلكاً يسُوقهَا إلى الموقف وشاهد من نفس، فالسّائق هُوَ الملَك الموَكل والشاهد جملة أعضَائه وجسَده، قال: "ثمَّ يؤتى بهم إلى أرض المحشر والموقف، وهيَ أرضٌ بيضاء من فضّة أو كالفضّة، لم يسفك عليها دم حرام ولم يعبَد عليها وثنٌ، يظهرُهَا الله سُبحانه بأرض بيت المقدس، وقد نصبَت عليّها منابر للأنبياء وكراسي للأولياء والصّالحين والشهدَاء، ويصف الخلائق على تلك الأرض صُفوفاً منَ المشرق إلى المغرب.

وروي عن رسُول الله صَلّى الله عليه وسَلم أنّه قال: "أهل الجنَّة يومئذ مائة وعشرونَ صَفّاً، ثمانونَ من أمتي، وأربعون من سَائر الأمَم، ثمّ تقربُ الشمسُ من رؤوس الخلائق، وَيُزادُ في حَرّها سبعون ضعفاً، وتبرز جهَنّم وذلك قوله تعالى: " وبرّزت الجحيمُ لمن يرى"؛ فتغلي أدمغتهم في رؤوسهم، ويرشح العرق من أبدانهم فيَسيروا في الأرض؛ ثمّ يأخذهمُ العَرق على قدر ذنوبهم: فمنهم من يأخذه إلى كعبيه، ومنهم من يأخذه إلى ركبتيه، ومنهم من يأخذه إلى إبطَيه، ومنهم من يأخذهُ إلى عنقه، ومنهم يعُوم فيه عَوماً.

ثم يَقُومُونَ كذلك ما شاء الله؛ حتى يَطولَ الوقوف ويشتَدّ بهمُ الكربُ؛ فيقول بعضهم لبعض: "انطلقوا بنا إلى آدمَ، فنسألُه أن يشفعَ فينا إلى ربّنا، فمنَ كان من أهل الجنّة؛ فيؤمَرُ به إلى الجنَّة، ومن كانَ من أهل النّار فيؤمرُ به إلى النّار"؛ فيأتونَ آدمَ فيقولونَ: "يا آدَمُ قد طال الوقوف واشتدّ الكربُ، فاشفع لنا إلى رَبّنا، فمن كانَ من أهل الجنَّةِ يؤمرُ به إليها، ومن كانَ من أهل النارِ يؤمرُ به إليها"، فيقول آدم: "ما لي وللشفاعةِ؟ – ويذكر ذنبهُ – انطلقوا إلى غيري"، فيأتون نوحاً، فيقولون مقالهم؛ فيقول: "كيفَ لي بالشفاعة، وقد أهلك الله بدعوَتي من في الأرضِ وَأغرقهم؟، ولكن انطلقوا إلى إبراهيم؛ فيَأتون إبراهيم الخليل صَلوات الله عليه، ويَذكرونَ له الحال، ويَسألونه في الشفاعة، فيقول: "ما لي وللشفاعة؟ولكن انطلقوا إلى موسَى بن عمران الذي كلّمَه الرحمن"[٢٨٥]، قال: "فيأتونه، فيقول: كيف ليّ بالشفاعة؟وقد قتلتُ نفساً وألقيت الألواح فتكسّرت، ولكن انطلقوا إلى عيسَى ابن البتول"، فينطلقون إليه ويقولون مقالهم، فيقول: "ما لي وللشفاعة؟وقد اتخذني النصَارى إلهاً من دون الله وإنّي لعبد الله، ولكن أدلكم على صَاحب الشفاعة الكبرى، انطلقوا إلى أبي القاسم محمد بن عبد الله خاتم الأنبياء وسيد المرسلين".

قال: "فيأتونَ النّبي صَلَّى الله عليه وسلم وعليهم أجمعين، ووجهُه يضيء على أهل الموقف، فينادونه من دون منبره العَالي: "يا حبيب ربّ العَالمين وسيّد الأنبياء والمرسَلين، قد عظم الأمر وجل الخطب وطال الوقوف واشتدّ الكرب فاشفع لنا إلى رَبنا في فصل الأمر، فمنَ كان من أهل الجنَّة يؤمرُ به إليها، ومن كانَ من أهل النار يؤمرُ به إليها، الغوث الغوث يا محمّد، فأنت صاحب الجاه، والمبعوث رَحمة للعالمين"، قال: "فيبكي النبي صَلى الله عَليه، ثم يأتي أمام العرش فيخرُّ ساجداً فينادى: "يا محمّد ليسَ هذا يوم سجُود فارفع رأسَك وسَل تعط واشفع تشفع"، فيقول: "يا ربّ مر بالعبَاد إلى الحساب؛ فقد اشتد الكرب وعظم الخطب".

---

[٢٨٤] – نهاية صفحة ٢٥٨ من المخطوط

[٢٨٥] – نهاية صفحة ٢٥٩ من المخطوط

فيُجابُ إلى ذلك ويأمر الله عزَّ وجلّ بالعرض للحساب، ثمّ تزفر جهَنَّم زفرة فلا يبقى ملك مقرّبٌ ولا نبيّ مرسَل إلاّ أخذه الرعبُ والجزع، وكل ينادي: "نفسي يا ربّ، فآدم يقول: "يا ربّ لا أسألك حواء ولا هَابيل، ولا أسألك إلاّ نفسي"، ونوح ينادي: "لا أسألك سَام ولا حام بل أسألك نفسي"، والخليل ينادي: "لا أسألك إسماعيل ولا إسحق، ولكن أسألك نفسي يا ربّ"، وموسَى ينادي: "لا أسألك هَارون أخي بل أسأَلُك نفسي يا ربّ"، وعيسَى ينادي: "يا ربّ لا أسألك مريم أمّي وأسألك يا ربّ نفسي"، وذلك قوله عزَّ وجَل: "يومَ يفرّ المرءُ من أخيه* وأمّه وأبيه* وصَاحبتِه وبنيه* لكلّ امرئٍ منهم يومئذ شأن يغنيه".

قال: "ونبيّنا محمّد صلّى الله عليه وسَلم ينادي: "يا ربّ لا أسألك فاطمة ابنتي ولا بعلها ولا ولديها، ولا أسألك اليوم إلاّ أمّتي، لا أسألك غيرهم"، فينادي المنادي من قبل الله عزَّ وجل: "يا رضوان زخرف الجنان، يا مالك سَعِّر النيران، يا كسرون مُدّ الصّراطَ على متن جهنَّم"، وهوَ أدَق منَ الشعر وأَحدّ منَ السّيفِ، وهوَ ألف عام صُعُوداً وألف عَام استواء وألف عام هبُوطا، وقيل أكثر من ذلك، وهو سبع قناطِرَ [٢٨٦].

فيسأل العبد عند القنطرة الأولى عن الإيمان وهيَ أصعبُ القناطر وأهواها قراراً، فإن أتى بالايمان نجا، وإن لم يأت به تردى إلى أسف سَافلين، ويُسأل عند القنطرة الثانية عن الصَّلاة فإن أتى بها نجا وإن لم يأت بها تردّى في النّار، ويُسأل عند القنطرة الثالثة عن الزكاة فإن أتى بهَا نجا وإن لم يأت بهَا تردّى في النار، ويُسأل عند القنطرة الرابعَة عن صيَام شهر رمضان فإن أتى به نجا وإن لم يأت به تردّى في النار، ويُسأل عند القنطرة الخامسَةِ عَن الحجّ فإن أتى به نجا وإن لم يأتِ به تَرَدّى في النار، ويسأل عند القنطرة السَّادسةِ عن الأمر بالمعروف، فإن أتى به نجا وإن لم يأت به تردّى في النّار، ويُسأل عند القنطرة السّابعَة عَن النهي عن المنكر، فإن أتى به نجا وإن لم يأتِ به تَرَدّى في النّار.

قال: "ثمّ تحمل الخلائق على الصّرَاط، فمنهم من يجُوزهُ كالبرق الخاطف، ومنهم من يجُوزه كالريح العَاصف، ومنهم مَن يجُوزهُ كالفرس الجوَاد، ومنهم من يجوزهُ كالرّجل السَّاعي، ومنهم من يجوزه وهو يحضُنُ الصّراط بصَدره، ومنهم من تأخذه النار.

وإذا وقف الخلائق بين يدَي الله عزَّ وجَلّ تطايرت الصّحُفُ بالأيمان والشمائل "فأمّا من أوتي كتابه بيمينه فسَوف يحاسَبُ حسَاباً يَسيراً* وينقلبُ إلى أهله مسروراً* وأمّا من أوتي كتابه بشماله فسَوف يدعو ثبوراً ويصلَى سَعيراً".

وسئل بعضُ العلماء: "كيف يؤتى كتابه بشماله من وراء ظهره؟" قال: "تدخل يدُه الشمال في صَدره وتخرج من وراء ظهره، فيدفع إليه كتابه بشماله من وراء ظهره، فيدعُو بالويل والثبور ويَصلى سَعيراً فيقال: "لا تدعوا اليوم ثبوراً واحداً وادعُوا ثبوراً كثيراً".

ثم يأتي النّداء من قبل الله عزَّ وجَلّ: "وعزّتي وجَلالي لا يجاوزني اليوم ظلم ظالم ولا جور جَائر ولأَقتصّنّ منَ الشّاة القرناء إذا نطحَت الشّاةَ الجمّاء، ولأسألَنَّ العُودَ لمَ خدَش العُود؟ ولا يدخل أحدٌ من أهل الجنَّة الجنَّة ولا من أهل النار النّار، وفي قلبه مظلمة".

فيقتصُّ حينئذٍ للمظلومين منَ الظالمين، ويؤخذ من حسَنَات الظّالم؛ فتوضع في صَحيفة المظلوم، فإذا استوعبَت حسَنَاته وَبقي عليه مَظالم بعدُ؛ أخذ من سيّئات المظلومِ [٢٨٧] فتوضعُ في سيّئات الظّالم، ثمَّ يلقى في النّار، وكذلك أمثاله.

---

[٢٨٦] – نهاية صفحة ٢٦٠ من المخطوط

[٢٨٧] – نهاية صفحة ٢٦١ من المخطوط

قال أبيّ بن كعب: "يجيء الربّ جَلّ جَلاله يومَ القيامة في ملائكة السّماء السَّابعَة وتعالى عن الرحلة والمقام؛ فيؤتى بالجنَّة مفتحة أبوابُها، وهيَ تزَفّ بينَ الملائكة، يراها كلّ برٍّ وفاجر، وقد احتفت بهَا ملائكة الرحمة، فتوضعُ عن يمين العرش، وإنّ ريحهَا ليُوجَد من مَسيرةِ خمسمائة سنَةٍ، ويُؤتى بالنار تقاد بسبعين ألف زمام، كلّ زمام يقبض عليه سبعون ألف ملك، مصَفدة أبوابُها، عليها مَلائكة سُودٌ غلاظ شدَاد، معهم السّلاسل الطّوال وأطواق الأغلال والأنكال الثقال، وسَرابيل القطران ومقطّعات النيران، لأعينهم لمعَان كالبرق، ولوجُوههم لهيبٌ كنار الحريق، وقد شخصَت أبصَارُهم نحو العرش، ينتظرون أمرَ رَبّ العزَّة، فتوضع حيثُ شاء الله، فإذا بدت النار للخَلَائق ودنت وبينها وبينهمَ مسيرةِ خمسُمائة عام زفرت زفرةِ فلا يبقى ملك مقرّب، ولا نبيٌّ مرسَل إلاّ وجثا على ركبتيه وأخذته الرّعدة وصَار قلبُه معلّق إلى حنجرته، لايخرج ولا يرجع إلى مكانه، وذلك قوله تعالى: "إذ القلوب لدى الحناجر كاظمين"، وقيل: توضع النّار على يسَار العرش ثم يؤتى بالميزان فيوضع بين يدَي الجبَّار، ثم تدعى الخلائق للعرض والحساب.

قال كعبُ الأحبار: "لو أنّ رجلا كانَ له مثل عمل سبعين نبيّا لخشيَ في ذلك اليوم أن لا ينجو من شرّ ذلكَ اليوم".

قالَ عبد الله بنُ مسعُود رضي الله عنه: "ودَدتُ أنّ حسَنَاتي فضَلت سَيّئاتي بمثقال ذرّة، ثمَ أترك بين الجنَّة والنّار، ثم يقال لي: "تمنّ"، فأقول: "تمنيتُ أن أكون تراباً"، وفي هَذا القدر كفاية.

ذكر أسماء يوم القيامة

هو يوم تعدّدت أسَاميه لكثرة معَانيه: يوم القيامة– يوم الحسرة والندامة– يوم المسَابقة– يوم المناقشة– يوم المنافسَة– يوم المحَاسبَة– يوم المسألة– يوم الزلزلة– يوم الندامة– يوم الدّمدَمة– يوم الآزفة– يوم الراجفة– يوم الرادفة– يوم الصاعقة– يوم الواقعَة– يوم الداهيَة– يوم الحاقة– يوم الطّامة– يوم الصّاخة– يوم الغاشيَة– يوم القارعة– يوم النفخة– يوم الصّيحة– يوم الرجفة– يوم الرّجّة– يوم الزجرة– يوم السكرة– يوم البقاء– يوم اللقاء– يوم البكاء– يوم القضاء– يوم الجزاء– يوم المآب[٢٨٨]– يوم المتاب– يوم الثواب– يوم الحساب– يوم العذاب– يوم العقاب– يوم المرصَاد– يوم الميعاد– يوم التناد– يوم الانكدار– يوم الانفطار– يوم الانتشار– يوم الانفجار– يوم الافتقار– يوم الاعتبار– يوم الحشر– يوم النشر– يوم الجزع– يوم الفزع– يوم السباق– يوم التلاق– يوم الفراق– يوم الانشقاق– يوم الفلق– يوم الفرق– يوم الغرق– يوم العرق– يوم اليقين– يوم الدّين "يوم يقوم النا س لرب العالمين".

فكَيفَ يا ابنَ آدَم المغرور، إذا نفخ في الصّور، وبعثر ما في القبور، وحصّل مَا في الصدور، وكورّت الشمس وخسف القمر، وانتثرت النجوم، وعطلت البحار، وحشرت الوحوش، وزوّجت النفوس، وسيّرت الجبال، وعظمت الأهوال، وحشروا حُفاة ووقفوا عراة، ومُدّت لهمُ الأرض، وجمعُوا فيهَا للعَرض من الهول حيارى، ومنَ الشدّة سكارى، قد أظلهمُ الكرب، وأجهَدهمُ العَطش، واشتدّ بهم الحرّ، وعمّ الخوف، وطَال العنَاء، وكثر البكاء، وفنيت الدّموع، ولازمُوا الخضُوع، وعمّهُم القلق وغَمّهم العرَق، وَطاشت العقول؛ وشمل الذهُول؛ وتبلبلت الصّدُور؛ وعظمت الأمور؛ وتحيّرت الألباب وتقطّعَت الأسبَاب، ورأوا العذاب، وركبهُم الذلّ، وخضعَت رقاب الكلّ، وزلزلت الأقدام، وتبلّدت الأفهام، وطَال القيام، وانقطع الكَلام، ولا شمَس تضيء ولا قمر يسري ولا كوكب دُرّي، ولا فلك يجري، ولا أرض تقل، ولا سَماء تظل، ولا ليل ولا نهار، ولا بحار ولا قفار.

---

[٢٨٨] – نهاية صفحة ٢٦٢ من المخطوط

يا له من يوم تفاقم أمرُه وتعَاظم ضرّه وعظم خطره، يوم تشخصُ فيه الأبصار بين يدي الملك الجبار "يومَ لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنَة ولهم سوءُ الدّار" قد خشعَت لهوله الأصوَات، وقلّ فيه الالتفات، وبرزت الخفيات، وظهَرت الخطيات، وأحاطت البليات، وسيق العبَاد ومعهُم الأشهاد، وتقلصَت الشفاه وتقطعَت الأكباد، وشاب الصّغير، وسكر الكبير، ووضعت الموازين، ونشرت الدّواوين، وتقطّعَت الجوارح، وارتعدت الجوانِح، واتضحت الفضائح وأزلفت الجنان، وسعرت النيران، ويؤمر بعد الخطب الجسيم والهول العَظيم المقعد المقيم؛ إمّا بدار النعيم والرضوان، وإمّا بدار الجحيم والنيران.

وهذه قصيدة جَامعَة لغالب مَا تقدم مِن أحوال يوم القيامة[289]، واسمهَا قلادَة الدّر المنثور في ذكر البعث والنشور:

اللّه أعظمُ ممّا جَال في الفكر	وحُكمه في البرَايا حكم مقتَدِر
مَولىً عَظيمٌ حَكيمٌ واحد صَمَدٌ	حيٌ قديمٌ مريدٌ فاطر الفطر
يا ربّ يا سَامعَ الأصوات صَلِ على	رسُولك المجتبى من أطهر البشر
محمّد المصطفى الهادي البشير هدى	كلّ الخلائق بالآيات والسُّوَر
وآله والصّحاب الكائنينَ بهِ	كأنجمٍ حَول من يسموُ على القمرِ
أشكو إليك أموراً أنتَ تعلمهَا	فتُور عزمي ومَا فرّطتُ في عُمري
وفَرط ميلي إلى الدّنيا وقد خسرت	عن سَاعد الغَدرِ في الآصّال والبكر
يا رَبنا جُد بتوفيق ومغفِرَةٍ	وحسن عاقبةٍ في الورد والصّدر
قد أصبحَ الخلق في خوفٍ وَفي ذعَرٍ	وزور لهوٍ وهم في أعظم الخطر
وللقيامة أشراط وقد ظهَرت	بعض العلامات، والباقي على الأثر
قلّ الوفاء فلا عهدٌ ولا ذمَمٌ	واستحكم الجهل في البادين والحضرِ
باعُوا لأديانهم بالبخس من سُحتٍ	وأظهرُوا الفسق بالعدوان والأشر
وجَاهرُوا بالمعاصي وارتضوا بدعاً	عمّت، فصَاحبها يمشي بلا حَذرِ
وطَالب الحق بين النّاس مستتر بلا	وصاحبُ الإفك فيهم غير مستتر
والوزن بالويل والأهواء معتبر	والوزن بالحقّ فيهم غير معتبر
وقد بَدا النقصُ فِي الإسلام مشتهراً	وبدّلت صَفوة الخيرات بالكدرِ
وَسوف يخرج دجّال الضّلالة في	هرجٍ وَقحطٍ كما قد جَاء في الخبر
ويَدعي أنه ربّ العبَاد، وهَل	تخفى صفاتُ كذوبٍ ظاهِر العَور
فنارُه جَنّةٌ، طوبى لدَاخلهَا	وزور جنّته نارٌ مَن السّعر
شهرٌ وعشرُ ليالٍ طول مدّته	لكنّها عجبٌ في الطُول والقصَر
فيبعث اللّه عيسَى ناصراً حَكماً	عدلاً، ويعضدهُ بالنصر والظفَر
فيتبع الكاذب الباغي ويقتله	ويمحَق الله أهُل البغي والضرر
وَقام عيسى يقيم الحقّ متبعاً	شريعَة المصطفى المختار من مضرِ
في أربعين منَ الأعوَام مخصبَةٍ	فيكسَبُ المال فيها كلّ مفتقَر[290]

---

[289] – نهاية صفحة ٢٦٣ من المخطوط

وجيش ياجوج مع ماجوجَ قد خرجوا   والبغي عمّ بسيل غير منهمرِ

حَتى إذا أنفذ الله القضاء دعَا   عيسَى فأفناهم المولى على قدرِ

وعادَ للناس عيد الخير مكتملاً   حتى يتمّ لعيسى آخر العُمرِ

والشمس حين ترى في الغرب طالعةً   طلوعهَا آية من أعظم الكبر

فعند ذلك لا إيمانَ يقبل من   أهل الجحُود ولا عذر لمعتذرِ

ودابةٌ في وجوه المؤمنين لها   وسم من النور والكفار بالقتر

والخلف هل فتنة الدّجال قبلهُما   أو بعد؟ قد ورَد القولان في الخبر

وكم خرابٍ وكم خسفٍ وزلزلةٍ   وفيح نارٍ وآياتٍ منَ النذرِ

ونفخة تذهب الأرواح شدّتها   إلاّ الذينَ عنوا في سورة الزمرِ

وأربعُون منَ الأعوَام قد حبَست   نفخاً تبثّ به الأرواح في الصّور

قامُوا حُفاةً عُراة مثل ما خلقوا   من هول مَا عاينوا سكرى بلا سكر

قوم مُشاة ورُكبان على نجُبٍ   عليهمُ حُللٌ أبهى منَ الزهرِ

ويسحبُ الظالمون الكافرون على   وجُوههم، وتحيط النّار بالشرر

والشمس قد أُدنيت والناس في عرَق   وفي زحامٍ وفي كرب وفي خصَر

والأرض قد بدّلت بيضاء ليس لها   خفض ولا ملجأ يبدو لمستتَرِ

طال الوُقوف فجاءوا آدماً ورجوا   شفاعةً من أبيهم أوّل البَشر

فردّ ذاك إلى نوحٍ فرَدّهمُ   إلى الخليل، فأبدى وصف مفتقر

إلى الكليم، إلى عيسَى، فرَدّهمُ   إلى الحبيب، فلبّاهَا بلا حَصَر

فيسأل المصطفى فصل القضاء لهمّ   ليستريحُوا من الأهوَالِ والخطر

تطوى السّموات والأملاك هابطة   حول العبَاد لهولٍ معضلٍ عسِر

والشمسُ قد كوّرت والكتبُ قد نشرت   والأنجم انكدرت ناهيك من كدر

وقد تجلى إله العرش مقتَدراً   سبحانه جلّ عن كيفٍ وعَن فكر

فيأخذ الحقّ للمظلوم منتصفاً   من ظالمٍ جار في العدوان والبَطَر

والوزن بالقسط والأعمال قد ظهرت   وَوزنها عبرةٌ تبدو لمعتبَر

وكلّ من عبد الأوثان يتبعُهَا   بإذن ربي، وصَار الكلّ في سَقرِ[291]

والمسلمُون إلى الميزان قد قسمُوا   ثلاثةً، فاسمَعُوا تقسيم مختصِر

فسَابق رجحت ميزانُ طاعته   له الخلود بلا خوفٍ ولا ذعر

ومذنبٌ كثرت آثامه فلَهُ   شفع بأوزاره، أو عفو مفتقِر

وواحد قد تساوَت حَالتاه، له الـ   أعراف حبسٌ وبين البشر والحصر

ويكرم الله مثواه بجنَّته   بجود فضلٍ عميم غير منحصر

وفي الطّريق صراط مدفوق لظى   كحدّ سيفٍ سَطا في دقة الشعر

والناس في ورده شتّى، فمستبقٌ   كالبرق والطّير، أو كالخيل في النظر

---

[290] – نهاية صفحة ٢٦٤ من المخطوط

[291] – نهاية صفحة ٢٦٥ من المخطوط

ساع وماش ومخدوش ومعتلق ... ناج، وكم سَاقطٍ في النار منتثر

للمؤمنين ورود بعده صَدَرٌ ... والكافرين لهم وردٌ بلا صَدرِ

فيشفع المصطفى والأنبياء ومن ... يختارُه الملك الرحمنُ في زمَرِ

في كل عاصٍ له نفسٌ مقصّرةٌ ... وقلبُه عن سِوى الربّ العظيم بري

فأوّل الشفعَا حَقّا وآخرُهم ... محمّد ذو البهَاء الطّيّب العَطِرِ

مقامه ذروة الكرسيّ ثمَّ لَهُ ... عقد اللوَاء بعزّ غير منحصِر

والحوض يشرب منه المؤمنون غدا ... كالأري يجري على الياقوتِ والدرر

ويخرج اللّه أقواماً قد احترقوا ... كانوا أولي العزّة الشنعاء والتجر

والنار مثوىً لأهل الكفر كلّهم ... طباقها سبعةٌ مسوَدّة الحفر

جهَنم ولظى والحطمُ بيّنهُمَا ... ثمّ السَعير كلاَ الأهوَال في سَقر

وتحتَ ذاك جحيمٌ ثمّ هَاويَةٌ ... تهوى بهَا أبداً، سحقاً لمحتقِر

في كلّ بابٍ عقوباتٌ مُضَاعَفة ... وكلّ واحدة تسطو على النفر

فيهَا غلاظ شدَادٌ من ملائكةٍ ... قلوبهم شدّة أقوى من الحجَرِ

لهم مقامِعُ للتعذيب مرصَدة ... وكلّ كسرٍ لديهم غير منجبرِ

سَوداء مظلمة شعثاء موحشة ... دهماء محرقة لواحة البَشرِ

فيهَا الجَحيم مذيبٌ للوجُوه مع الـ ... أمعَاء من شدة الإحراق والشرر

فيهَا الغساق الشّديدُ البرد يقطعهم ... إذا استغاثوا بحرٍّ ثمّ مستعِرِ

فيها السَّلاسِلُ والأغلال تجمعهم ... مَعَ الشياطين قسراً جمع منقهِر[٢٩٢]

فيها العقاربُ والحيّات قد جعِلت ... جلودهم كالبغال الدّهم والحمُرِ

والجوع والعَطش المضني ولا نفس ... فيها ولا جلد فيها لمصطبِرِ

لها إذا ما غلت فورٌ تقلبهُم ... ما بين مرتفع منها ومنحَدرِ

جمع النواصي مع الأقدام صَيّرهم ... كالقسي محنيةً من شدّة الوترِ

لهم طعَام منَ الزقوم يعلق في ... حُلوقهم شوكةً كالصاب والصّبر

يا ويلهم عضت النيران أعظمهم ... فالموت شهوتهم، من شدة الضجر

ضجّوا وصَاحُوا زماناً ليس ينفعهم ... دعاء داعٍ ولا تسليم مصطبر

وكلّ يوم لهم في طول مدّتهم ... نوع شديد منَ التعذيب والسّعِرِ

كم بين دار هوان لا انقضاء لها ... ودار أمن وخلد دَائم الدّهرِ

دار الذين اتّقوا مولاهم وسَعَوا ... قصداً لنيل رضَاه سَعي مؤتمر

وآمنوا واستقاموا مثل ما أُمروا ... واستَغرقوا وقتهم في الصوم والسّهَر

وجَاهدُوا وانتهوا عما يبَاعدُهمُ ... عن بابه، واستلانوا كل ذي وعِر

جنّات عدنٍ لهم ما يشتهون بهَا ... في مقعَد الصدق بين الروض والزهر

بناؤها فضّة قد زانها ذهبٌ ... وَطينها المسك والحصبا من الدّرر

أوراقها ذهبٌ، منها الغصون دنت ... بكلّ نوع منَ الريحان والثمَرِ

---

[٢٩٢] – نهاية صفحة ٢٦٦ من المخطوط

أوراقها حلل، شفافة خلقت واللؤلؤ الرطبُ والمرجان في الشجر

دارُ النعيم وجَنَّات الخلود لهمُ دار السّلام لهم مأمونة الغير

وجنَّة الخلد والمأوى، وكم جمعَت جنات عدن لهم من مَونق نضر

طباقهَا درَجات عدّها مائَة كلّ اثنتين كبعد الأرض والقمر

أعلى منازلها الفردوس عاليهَا عرش الإله فسَل واطمع ولا تذر

أنهارهَا عسَل ما فيه شائبة وخالص اللّبن الجاري بلا كدَر

وأطيبُ الخمر والماء الذي سَلمت منَ الصّداع ونطق اللهو والسّكر

والكلّ تحتَ جبال المسك منبعُها يجرونه كيف شاؤوا غير محتجرِ

فيهَا نواهدُ أبكار مزَيّنَةٍ يبرزن من حُللٍ في الحسن والخفر

نسَاؤهَا المؤمنات الصّابرَات على حفظ العهُود مع الإملاق والضرر[٢٩٣]

كأنهنّ بدُور في غصُون نقا على كثيب بدَت في ظلمة السّحَر

كلّ امرئٍ منهمُ يعطى قوى مائة في الأكل والشرب والإفضَا بلا خور

طعامهم رشح مسك كلّما عرقوا عادت بطونهمُ في هَضم منضمرِ

لا جوع لا بردَ لا همٌّ ولا نصَبً بل عيشهم عن جَميع النائبات عري

فيها الوصَايف والغلمان تخدمهم كلؤلؤٍ في كمال الحسن منتثر

فيهَا غناء الجواري الغانيات لهمُ بأحسَن الذكر للمولى مع السمَرِ

لباسهُم سندسٌ، حُلّاتهم ذَهبٌ ولؤلؤ ونعيم غير منحصر

والذكر كالنفس الجاري بلا تعب ونزهوا عن كلام اللغو والهدَر

وأكلهَا دائم لا شيء منقطِعٌ كرِّر أحَاديثها يا طيب الخبَر

فيها منَ الخير مَا لم يجر في خلدٍ ولم يكن مدركاً للسمع والبصَر

فيهَا رضَا الملك المولى بلا غضبٍ سُبحانه، ولهم نفعٌ بلا غيَر

لهم منَ اللّه شيء لا نظيرَ لهُ سَماع تسليمه، والفوز بالنظرِ

بغير كيف ولا حدٍّ ولا مثلٍ حَقاً كما جاء في القرآن والخبَر

وهي الزيادة والحسنى الّتي وردت وأعظم الموعد المذكور في الزبر

لّله قومٌ أطاعُوهُ وما قصَدُوا سَواهُ إذ نظروا الأكوانَ بالعبَر

وكابدُوا الشوق والأنكاد قوتهم ولازموا الجدّ والأذكار في البكر

يا مالكَ الملك جُد لي بالرضا كرماً فأنتَ لي محسِنٌ في سَائِر العُمرِ

يا ربّ صَلّ على الهَادي البشير لنا وآله وانتصر يا خير منتصر

ما هبّ نشر صبَا واهتزّ نبتُ ربا وَفاحَ طيبُ شذا في نسمة السّحَر

أبياتها تسع عشرٍ بعدَهَا مائةٌ كلامُهَا وعظه أبهى منَ الدّرر

تمت خريدة العجائب بحمد الله وعونه[٢٩٤]

---

[٢٩٣] – نهاية صفحة ٢٦٧ من المخطوط

[٢٩٤] – نهاية صفحة ٢٦٨ من المخطوط